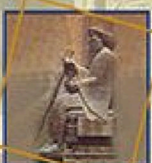
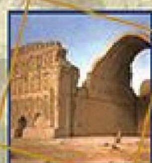
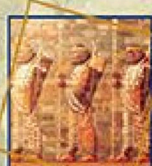
الأمبراطورية الفارسية

عبر التاريخ





المجلد الأول

الدار العربية للموسوعات

الإمبراطورية الفارسية

عبر التاريخ

اسم الكتاب: الإمبراطورية الفارسية عبر التاريخ

المؤلف: أ. ت. أولمستد

الطبعة الأولى: ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ

ISBN 978-9953-563-96-1 (مجلدين)
ISBN 978-9953-563-97-8 (المجلد الأول)

الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب: ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

الإمبراطورية الفارسية

عبر التاريخ

تأليف

أ. ت. أولمستد

مجموعة مترجمين

المجلد الأول

الدار العربية للموسوعات

توطئة

إن الكتاب - بالنسبة لمؤلفه- هو كيان حي ينبض في كل مرحلة من مراحل إنتاجه، أثناء الكتابة، والتجربة الأولية، والتصحيح الطباعي، وبالتالي فهو يحتاج إلي التغيير باستمرار، ولا بد من تعديل الكلمات، وإعادة صياغة الأفكار، وإعادة إجراء المناقشات، أو إعادة الاستنتاجات.

ولسوء الحظ لم يعش أ.ت. أولمستد ليري هذا الكتاب في مراحله الأخيرة، وقد تولي هذه المهمة بعض زملائه في جامعة شيكاغو.

ومن الواضح أن مراجعتهم لم تكن تتمتع بالشمول نفسه الذي كان من الممكن أن تتمتع به مراجعة المؤلف، أو كما أنهم أنفسهم قد رغبوا في أن تكون كذلك أحياناً.

وعلي الرغم من ذلك، فإنهم لم يدعوا المسؤولية الكاملة، حيث إن عالماً بارزاً مثل أ.ت. أولمستد لم يكن مخولاً للتعبير عن وجهة نظره الخاصة وبطريقته الخاصة، وقد قام زملاؤه بهذا العمل كتعبير أخير عن الصداقة.

وقد قامت ابنة الأستاذ أولمستد - كليتا أولمستد روبيو بوتون- باختيار التوضيحات وقراءة تصحيحات الصفحات وإعداد الفهارس.

جورج ج كاميرون

مقدمة

لقد مرت ثمانون عاماً منذ قام جورج رولينسون - أستاذ كامدن في التاريخ القديم بجامعة أوكسفورد- بنشر الطبعة الأولي من كتابه «أعظم خمس دول ملكية في العالم الشرقي القديم»، لقد تم تعديل التاريخ القديم تماماً أثناء الثمانين عاماً الماضية، وقد صرح مؤرخ حديث عظيم الشأن علناً بأن أكثر العوامل أهمية في تأريخ الأربعين عاماً الماضية هو دخول الشرق الأقصي القديم في دائرة الضوء/ التاريخ.

وجدير بالذكر أن الإمارات الملكية الأخري التي أشار إليها رولينسون قد هجرت منذ حينها، والأكثر غرابة أن الإمارة الخامسة ما تزال هي تاريخنا المفصل المطول عن الإمبراطورية الأخمينية (Achaemenid) ، حيث لم تحتل مكانها أية مخططات لاحقة، وإن كانت أقل تفصيلاً، إن مثل هذه الظاهرة الغريبة كانت ستبدو من المتعذر تفسيرها ما لم يقدم التأمل الأكثر نضوجاً الأسباب التي تُفَسَر هذا الإهمال، وإن كانت لا تقدم عذراً له، والشيء الأكثر وضوحاً أن رولينسون قد امتلك بالفعل كل المصادر المتاحة الآن لسرد القصص العامة وللثقافة بوجه عام، وكان قد أثبت نفسه متمكناً في الدراسات الكلاسيكية بفضل ترجمته الرائعة لهيرودوت ومجموعة من الحواشي التي مازلنا نقدرها، وبالنسبة لنا يظل هيرودوت هو مصدرنا الأساسي الوحيد المكتوب باليونانية، وقد

تمتع رولينسون بمعرفة بعض المصادر الأخري المؤلفة من اليونانية أو اللاتينية، وقد تمت إضافة القليل منها إلي قائمته، ومنها الأجزاء الخاصة بالمؤلفين السابقين، والتي اقتبسها بعض الكُتاب المعاصرين، وقد قام أخوه - السيد هنري رولينسون- بفك شفرة النقوش البيهيستية (Behistun) ، والآن ما تزال السيرة الذاتية لدارا (Darius) هي القطعة الأدبية المطولة خاصتنا، والمؤلفة باللغة الفارسية القديمة، وكان الأفيستا (Avesta) - إنجيل الفارسيين- معروفاً منذ ما يقرب من قرن، وكان إنجيلنا الخاص متاحاً، وبالإضافة إلي ذلك فإن بقايا منصة بيرسبوليس (Persepolis) المثيرة للإعجاب قد تمت زيارتها ووصفها بالكامل بواسطة رحالة معروفين ومتخصصين، لقد كان رولينسون مؤرخاً يقدر أهمية علم الآثار، وذلك قبل أن تنشأ الطريقة العلمية الأثارية بفترة طويلة، وقد كان تفسيره وتعليله للعمارة والفن في ضوء مصادره المكتوبة نموذجاً يُقتدي به تابعوه.

إن إهمال التاريخ الأخميني كان سببه عدم وجود أو نقص الاكتشافات الحديثة المذهلة، لماذا يجب علي المستشرق أن يُضيع وقته في التنقيب عن الأشياء القديمة في حين كان الُكشف عن الآثار يتم في البلاد الأخري المرة تلو المرة ليكشف عن كنوز جديدة تذهل العالم، وفي حين كانت العديد من الفترات التاريخية في الشرق الأقصي تنال حظاً أكبر من الشهرة من تلك الممالك اليونانية أو الرومانية التي كانت في مرة من المرات مشهورة، أو حتي في العصور الوسطي السابقة بثقافات جيدة حتي اليوم يتم إنقاذها بلغات غير معروفة وأدبيات جديدة نادت بفك الشفرات والنشر والتفسير، وبهدف التأكيد، فإن أية وثيقة مصرية أو بابلية من هذه الفترة قد تمت استعادتها، لكن كيف استطاع هؤلاء العلماء المهتمون الذين يعتبرون محظوظين بشكل كبير من التعامل مع أمجاد بابل وقت حامورابي (Hammurabi) أو نبوخذنصر

(Nebochadnezzar) أو النيفيـين الآشـوريين (Angria Nireveh) أو الثيبيـين المصريين (Egyptian Thebes) .

لقد كانت غالبية المصادر المتاحة عن التـاريخ الأخمينـي باليونانيـة، وقـد تـم التعامـل مـع هـذه المصـادر بواسـطة مـؤرخين بـارزين مـدربين عـلي الدراسـات الكلاسـيكية، وبمـرور الوقـت بـدأ المسـتشرق - في مجـال عملـه- بفقـدان ألفتـه باليونانية، لماذا لا تترك هذه المهمة غـير الملائمـة لهـؤلاء الأكـثر قـدرة عـلي توليهـا؟ النتيجة المترتبة علي ذلك هـي أن تـاريخ الإمبراطوريـة الأخمينيـة العظيمـة أصبح يقدم في سلسلة من الإلحاقات غير المترابطة، والتي وجدت وحدتها ومعناهـا فقـط عندما تم إدخالها في قصة الولايات اليونانية الصغيرة.

وعلي الرغم من هـذا الاتجـاه غـير المـترابط، فقـد تـم التحصـل عـلي بعـض المكاسب المهمة التي تخص معرفتنـا بالإمبراطوريـة، وقـد كانـت نصوصـاً جديـدة وأكثر اكتمالاً عن المصادر اليونانية المتاحـة، وتمـت اسـتعادة القليـل مـن الأعـمال ذات الأهمية الكبيرة وهي من البردي، بالإضـافة إلي العديـد مـن الأجـزاء الأخـري لأعمال أقل أهمية، وتم تحديد المؤلفين والتواريخ الخاصة بمصادرنا اليونانية، وتـم اختيـار البيانـات الموجـودة بهـا بدقـة، لقـد احتـل علـم الآثـار مكـان الأدب في الدراسـات الكلاسـيكية، وقـد أنـتج التنقيـب في الأراضي اليونانيـة - داخـل الإمبراطورية الأخمينية وخارجها- وفرة من المنحوتات والتماثيل اليونانية، ناهيـك عن مجموعة لا تحصي من الأشياء المستخدمة في الحياة اليوميـة، وأصـبح البحـث في العملات اليونانية علماً، هذا، وقد نشأ علم آخر وهـو علـم الإبيغرافيـا أو علـم دراسة النقوش، حيث إن المجموعة الكاملة من النقوش اليونانية لا بـد أن تكـون في متناول كل مؤرخ يتعلق عمله بالعصـور القديمـة وآثارهـا، لم تكـن النتيجـة المترتبة علي استخدامها ثورية بهذا الشكل في أي مجال من مجالات البحـث في

العصور القديمة مثلما كانت في العصر اليوناني أثناء القرن الخامس والرابع قبل عصرنا، ولم تُلقِ أية نصوص الضوء علي العلاقة بين اليونان وفارس.

إن المؤرخين المشتغلين بالمهنة يكتبون الآن تاريخ اليونان، حيث إن التاريخ القديم يدرك الأهمية الشديدة للأدب والفن، ويحتاج المؤرخ المحترف إلي التأكيد علي الحركات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فقط حتي يجعل التاريخ القديم علي الأقل في مستوي المجالات الأكثر حداثة نفسه، وإذا تمت رؤية الموضوع من وجهة النظر اليونانية فسيكون جزء واحد من التاريخ الأخميني هو ما تم اعتباره حتي الآن علاقة اليونان بفارس.

لم يتجاهل المستشرقون بالكامل الإمبراطورية الأخمينية، فلقد أخضعت مجموعة صغيرة ولكنها قادرة من الطلبة الهندوأوروبيين في علم الفيلولوجيا - وهو علم دراسة اللغة- مجموعة صغيرة من النقوش الفارسية القديمة لأكثر من فحص دقيق تم إجراؤه علي مثل هذه الأدبيات القليلة، فبعضهم قد تولي فحص الأفيستا، والتي بفضل جهودهم أصبحت مفهومة، وقد أدرك القليل من تلامذة العهد القديم أهمية هذه الفترة كخلفية رئيسة لفهم جزء أساسي من أنجلينا.

وقد شهدت السنوات القليلة الماضية إدراكاً متزايداً من المستشرقين الآخرين بأن هذه الفترة قد تم اهمالها لفترة طويلة، إن الاكتشاف الذي حدث من سجلات إحدي المستعمرات قد ألقي الضوء علي المرتزقة اليهود بالقرب من أول سد مصري كان بالفعل عظيماً، وهنا كانت أقرب التشابهات في اللغة والأسلوب إلي اللغة الآرامية موجودة بالإنجيل، وقد وردت المراسيم الخطية لملوك فارس في إنجيل عذرا (Ezra) ، وقد أعلن نقاد العهد القديم أنها غير أصلية، ولكن الآن هناك دليل واضح علي أن النقاد أنفسهم كانوا مخطئين، وللمقارنة بهذه المراسيم التي كانت في فترة

ما موضع نقاش، وما زالت حتي الآن، حيث أجبرت ملكية سابقة علي الإذعان بواسطة هؤلاء اليهود المهرطقين عن طريق قانون عيد الفصح المعلن عنه مؤخراً.

أما المراسيم الأخري فقد جاءت من المرزبان أو من الموظفين الرسميين بالكنيسة، حيث اتضحت الحياة الداخلية للمجتمع عن طريق الوثائق الخاصة بالأعمال.

إن أكثر هذه الاكتشافات روعة هي السيرة الذاتية لدارا (Darius) نفسه، والتي لم تعد الآن معروفة فقط من المطبوعات المكتوبة بالثلاثة كتابات البابلية، حيث امتلك هؤلاء اليهود نسخة بالية بلغتهم الآرامية الخاصة.

لقد قرأ الدارسون منذ العصورالحديثة (حكم أهيقار) (The Wisdom of Ahiqar) باللغة اليونانية الأصلية، وفي ترجمات أخري غربية وشرقية، وقد اقترح البعض أن النسخة الأصلية الحقيقية لا بد أنها كانت باللغة الآرامية، وقد تم العثور علي النسخة الآرامية في المحفوظات، وقد اقتنع تلامذة العهد القديم أن عهداً جديداً قد بدأ في الدراسات الآرامية، وقد كانت تحدث اكتشافات جديدة للبردي المعاصر ولبعض النقوش، وقد تزايد الاعتقاد أن أجزاءً كبيرة من الأبوكريفا (Apogypha) والسودبيغرافا (Pseudepigrapha) اليهودية كانت أيضاً ذات أصل آرامي، ومن ثم تم اقتراح الآرامية كلغة أصلية لكتب الإنجيل، وقد ظل النقاد المختصون بالعهد الجديد متعصبين ضد الاقتراح، لكن التحدي كان في استعادة أدبيات آرامية أكثر حداثة بما فيها الآرامية الخاصة بإنجيل اليهود «تاجرامس» (Aramaic Tagrums) ، والتي يمكن تعقب نسخها الأصلية إلي آخر مقبرة أخمينية، وبمرور هذا الوقت أصبح المستشرقون المزعومون متأكدين أن الآرامية كانت هي اللغة الرسمية للسفارة الأخمينية.

وطالما أنهم كانوا مدعوين للنظر في ترجمات النقوش الفارسية القديمة إلي الأكادية (Akkadia) فقد ظل العلماء المهتمون بتاريخ الآشوريين غير مكترثين، وعندما تم التحصل علي آلاف من ألواح الحروف الآشورية منذ العصور الأخيرة كان لا بد من عمل شيء بخصوص نشرها وترجمتها، وحينما كان الهوس بالبردي اليوناني ما يزال متزايداً، فقد أجبر العلماء بالآثار المصرية علي دراسة ورق البردي المعاصر المكتوب بالديموطيقية والنقوش المعاصرة بالهيروغليفية، وبالكاد استطاع التاريخ المصري أن ينتهي - بشكل مناسب- بآخر سلالة حاكمة في الإمبراطورية تاركاً القرون اللاحقة حتي وقت سايت (Saite) لنهاية غير محببة، وكما هو مفهوم الآن، فإن فتره سايت هي بدايه عصر جديد عندما أصبح المصريون واليونانيون لأول مره متعارفين، وقد نضج هذا التعارف خلال الفترة الأخمينية بأكملها حتي جاء الإسكندر (Alexander) ليقدم الحضارة الهلينية.

لقد بدأ عهد جديد في استكشاف الشرق الأقصي القديم عندما أرسل مدير المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو - السيد جايمس هنري بريستد- بعثة للاستجلاء تمهيداً لنشر دقيق عن الصروح المعروفة في بيرسيبوليس (Persepolis) .

هذه التوضيحات تحولت بسرعة إلي رحلات تنقيب منتظمة تحت إشراف الأستاذ إيرنست هيزرفيلد، وقد تم الحصول علي بعض الاستنتاجات منها بواسطة الدكتور إيرينش ف. شميدت، وكانت النتائج مذهلة، وتعدت أكثر الآمال جموحاً، لقد حبس العالم أنفاسه في ذهول عندما تم اكتشاف مائة باردة من النقوش الرائعة، والتي كانت في معظمها بحالة جيدة بدون خدوش تماماً مثل اليوم الذي نقشت فيه، وقد تم الاكتشاف بعد 22 قرناً من الخفاء، وقد تبعت هذا الاكتشاف نقوش أخري بمثل هذه الروعة، وقد تم التنقيب عن المباني التي كان

وجودها حتي اليوم مشكوكاً فيه، ومن بينها ثكنات حراس القصر والخزانة الخاصة بدارا وكسركسيس (Darius / Xerxes) ، وقد تم الكشف عن جناح النساء بهذه الإمارات، وتم تعيينه كمنزل للتنقيب، وربما ينام الزائرون في المكان الذين كانت تقيم فيه الملكات والسيدات تحت رعاية واهتمام المخصيين.

لقد أدت النيران التي أمر بإشعالها الإسكندر (Alexander) ، وأوامره غير العادلة إلي إفساد البقايا المهدمة، وتركت الأشعة الحارقة آثارها حيث سقطت، وقد نهب جنوده الكنوز من المعادن الثمينة، ودمروا الأعمال الفنية التي لم يَقدروا علي حملها، ولحسن الحظ، تركوا لنا أعظم كنز علي الإطلاق وهو تمثال، وعلي الرغم من التشويه الهمجي للرأس واليد والأطراف بواسطة هؤلاء الحملة - المزعومين- للثقافة الهلينية، فقد ظل جذع التمثال وهو لامرأة فائقة الجمال نحته السادة اليونانيون في الأعوام التي كان فيها النحت اليوناني في أوجه، وقد تركوا أيضاً آلافاً من الألواح التي سوف يستغرق فك رموزها انقضاء عدة سنوات، والنقوش عادة بالإيلامية (Elamiate) علي الرغم من أن البعض بالآرامية، والقليل بالفريجية وواحدة باليونانية، وكل هذه النقوش تتناول نشاطات البناء وقت دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) عندما كانوا يشيدون هذه البنايات، وربما نعلم أسماء العاملين والبلاد التي أتوا منها، والأعمال التي قاموا بها، والرواتب التي حصلوا عليها، ونعلم أيضاً عن ابنة لدارا (Darius) سميت باسم والده نعرفها من قبل، وعن هبة منحت إياها، ومن الخزانات الملكية تأتي محفوظات كسركسيس (Xerxes) والتي تتعامل مع الاجراءات الروتينية للإدارة، فلقد فتح الختم الخاص بكسركسيس (Xerxes) ودارا (Darius) والموظفين ذوي المناصب العليا مدرسة جديدة للفن لم نكن نطمح إليها، وبالإضافة إلي الأدلة التي استخرجناها من المنقوشات يمكننا إضافة معلومات جديدة عن حياه الملوك والنبلاء،

وذلك من خلال الاكتشافات الأثرية الثانوية، ومن الألواح، وقد حصلنا للمـرة الأولي علي فكرة عن حياة عامة الشعب.

إن العمل في الجو الهادئ للمعهد الشرقي بشيكاغو قد حافظ عـلي محاذاتـه للتنقيب الذي يتم في بيرسيبوليس، وبعد اكتشافهم تم ادخال النقـوش الجديـدة في قاموس حديث للفارسية القديمة، وقد سهل القاموس الإيلامي من سرعة فـك رمـوز الآلاف من الألواح الإيلامية، وعلي المنوال نفسه، فإن قراءة الآرامية المكتوبـة الحـبر علي الألواح والحجارة قد تم تسهيلها أيضاً عن طريق قاموس لهذه اللغة، وقـد تـم تخصيص قاموس رابع للفينيقية التـي كتبـت بهـا عـدة نقـوش في هـذه الفـترة، إن القاموس الآشوري العظيم الذي أصبح الآن مكتملاً يضم جـزءاً منفصـلاً، حيـث تـم ترتيـب أكـثر مـن عشرة آلاف وثيقـة إداريـة مـن الفـترة الكلدانيـة والأخمينيـة والسيليدية بتسلسل تاريخي سـنة تلـو الأخـري، ويعمـل الدارسـون الأصـاغر عـلي النصوص المصرية المكتوبة بالديموطيقية والهيريطيقية والهيروغليفيـة التـي جـاءت من القرون السابقة، إن تلامذة العهد القديم مهتمون بشكل كبير بالجزء الأخير من الإنجيل، إن المجموعة الأثرية الفوتوغرافية الكاملة لثلاثمائة ألـف بطاقـة أصـبحت الآن كاملة تقريباً بما فيها جميع المواد الثقافية المبعثرة من القرون المتعددة، والتي كونت الامبراطورية الأخمينية، مـع مـا هـو مطلـوب مـن القـرون السـابقة للفهـم الصحيح لها، إن نسبة كبيرة من هذه المعلومـات التاريخيـة القيمـة، والتـي نتجـت عن هذه الاستكشافات المتعددة هي الآن في مرحلة الطباعة، وسوف يرد ذكرهـا في الصفحات التالية، ويمكن توقع نتائج أكثر إبهاراً في السنوات القادمة.

وبنهضة تاريخ الشرق الأقصي سيكون من المحـتم عـلي المتخصـص في التاريخ الشرقي أن يلعـب دوره، ولحسـن الحـظ فقـد كـان المؤلـف دائمـاً مولعا بتاريخ هذه الفترة الحاسمة عندما تعامل الفرس واليونانيون وأثـر كـل

منهم في الآخر بشكل كبير، وأثناء أيام دراسته قام المؤلف بتجهيز نفسه لمهمته المستقبلية عن طريق العديد من المقررات في التاريخ القديم، والأدب اليوناني واللاتيني، وعلم الآثار وعلم دراسة النقوش (الإبيغرافيا)، وعلم دراسة الكتابة والنقوش القديمة (بليوغرافيا)، بالإضافة إلي الأدب واللغات الشرقية، ولمدة عشرين عاماً في جامعات ميسوري والينوي كانت صفوفه الدراسية العامة في التاريخ القديم في حين كانت صفوفه الدراسية والمؤتمرات الخاصة في المجالات التي يجتمع فيها الشرق مع الغرب، ومنذ وصوله إلي جامعة شيكاغو تم تخصيص تقريباً نصف المحاضرات في الصف التمهيدي للتاريخ الشرقي القديم، وكانت مؤتمراته بلا استثناء تتعرض لمشكلات الفترة نفسها، وأثناء هذه السنوات ظهرت تدريجيًّا صورة جديدة للإمبراطورية الأخمينية، وكنتيجة لرحلات الكشف الحديثة، فإن ثقافات وشعوب ما قبل التاريخ بالسهل الإيراني أصبحت الآن معروفة وواحدة من أهم الاكتشافات بالقرب من بيسرسيبوليس نفسها، حيث كانت من أعمال المعهد الشرقي، وتم عمل التركيب الأخير للنتائج التي تم استنتاجها من كل هذه الاستكشافات هنا بواسطة عضو حديث للحصول علي درجة الدكتوراه، وقد قام عضو آخر بجلب الوثائق المكتوبة قبل التاريخ الأخميني إلي إيران؛ ولذلك فنحن نمتلك خلفية مناسبة لهذه الفترة الخاصة التي خصص لها هذا الكتاب.

وأثناء هذه السنوات تم تجميع المصادر الخاصة بالفترة الأخمينية، وتم تقييم إسهاماتهم بشكل خاص؛ لأنهم ينصفون الاتجاه المتحيز حتي الآن لصف الكُتاب اليونانيين، ومن خلال هؤلاء المؤلفين أصبحنا مطلعين علي العديد من الشرقيين المشهورين، والآن نعلم أسماءهم الحقيقية، وعلينا أن نتحمل خطورة أن يمل القارئ، ونخبرهم ماذا كانت، وقد سمعنا عن نشاطات أخري لم يعلمها اليونانيون، والتي اتضح أنها شيقة إلي حد ما، ومبهجة في علاقتها مع الحد الغربي.

هذه المصادر كلها فارسية، لقد كتبت مصر الكثير تحت الحكم الفارسي مثلما كانت تكتب وهي مستقلة.

وخلال القرن الرابع ذهبت أرض النيل تحت حكم بعض الملكيات الأصلية، وبعضها يستحق أن نفرغ له مساحة في تاريخنا تماماً مثل أعظم ملوك فارس، وبفضل التسهيلات المصرية أصبح من الممكن معرفة مصر وقت هذه السلالات الحاكمة السابقة، وأيضاً وقت تابعيهم، وبما أنه قد تم حفظ هذه الكتابات في العهد القديم - الخاص بنا- فسنولي القبائل اليهودية الصغيرة اهتماماً خاصًّا، إن الضوء الذي ألقاه التاريخ الأخميني علي التسجيلات المقدسة تم الكشف عنه في جزء آخر، وهنا لا بد أن نكتفي بالإشارة إلي أن العهد القديم ألقي الضوء نفسه علي تاريخ فارس، ومن خلال نقوشهم الخاصة أضاف الفينيقيون كمية ليست بقليلة من المعلومات، إن آسيا الصغري لديها تسجيلاتها الأصلية أيضاً، ومن خلال النقوش الليدية، والليثية، والآرامية علمنا عن أشكال جديدة، وأُناس جُدد، وعادات جديدة.

علي الرغم من ذلك، فإن بابل التي أدلت بمعظم المعلومات، والعديد من وزرائها معروفون لدينا بالاسم، ويمكن كذلك إضافة الثائرين علي السلطة الفارسية، لكن الشيء الكبير الذي تدين به لبلاد النهرين هو الصورة العظيمة للثقافة.

إن الباحث الأمين عن الحقيقة التاريخية لا بد أن يقدم في دراسة مفصلة أسماء العديد من الأفراد غير المعروفين لذاتهم، لكنهم ينتمون إلي الصورة العامة، وبالنسبة لهؤلاء غير المتخصصين يمكن معاملتهم كأشخاص مجهولين، إن التاريخ القصصي غالباً ما يكون مملاً، وكما اتضح، فإن هناك العديد من النقاط التي لن تتفق عليها جميع العقول.

هذا الجزء قد استهل بعدد من المقالات عن موضوعات جدلية، لكن

الحقيقة الجوهرية وراء أية مشكلة فردية تتوقف علي الكيفية التي يتناسب بها الحل مع الصورة الكلية.

ولذلك، فإن المؤرخ في التاريخ القصصي ليس بحاجة إلي أن يُقاطع استمرارية قصته بمناقشات مفصلة عن معقولية الآراء التي يقدمها؛ لأن الصورة الناتجة نفسها سوف تُثبت معقولية هذه الآراء أو وجهات النظر.

إن الهدف الحقيقي لهذا الكتاب هو شرح ثقافة أو ثقافات التاريخ الأخميني، والتي تقدم صورة رائعة عن الحضارات المتعددة في المراحل المختلفة من التقدم، وكلها تسهم في الاندماج، ولا توجد صورة أكثر تنويراً وتعليماً مثل هذه في تاريخ العالم بأسره، لقد علمنا شيئاً عن هذا الخلط خلال الفترة الهلينية، وأدركنا أنه كان يحدث قبل هذه الفترة بسنوات، وأن حقيقة أن هذه السلسلة من التغييرات كانت تتقدم بشكل متسارع قبل وقت الإسكندر (Alexander) بقرن أو أكثر هو اكتشاف حديث، لقد علمنا أنه كان هناك اختلاط بين الفرس واليونانيين، وقد أظهرت المصادر الشرقية كيف كانت هذه العملية عالمية، ومن هذه المصادر لدينا تأكيد لما يقوله هيرودوت (Herodotus) عن الإدارة الفارسية، ولكن الآن باستطاعتنا وصف النظام بتفصيل دقيق، وباستخدام توضيحات متعددة، فنحن الآن نعلم كيف فُرضت الضرائب الباهظة، وكيف أدي الإفراط في فرض الضرائب إلي الإسراع من نهاية الإمبراطورية، ولدينا قصص كوميدية ودرامية توضح الابتزاز الوظيفي ومحاولات السلطات العليا لضبطه، ويمكننا تعقب مهنة الضحية.

نحن نعلم كيف عاش المواطن العادي في الولايات الخاصة لحكم المرزبانات في الإمبراطورية، يمكننا أن نقول ماذا كان يأكل؟ وماذا كان يدفع لطعامه وشرابه وملابسه ودوائه وإيجاره ومنزله، وخلال هذه الفترة يمكننا أن نري نفقاته المتزايدة بدون زيادة مقابلة في دخله، ويمكننا أن نشعر ببؤسه المتزايد حتي تأتي له الراحة بالموت، «معه كنا نفرح في

أفراحه ونأسي لطلاقه أو نحضر جنازته، لقد شهدنا علي عقوده، وشـهدنا محاكمتـه تحت القانون الإمبريـالي الجديـد، ولكـل مرحلـة مـن حياتـه اليوميـة لـدينا وثيقـة شهادة».

لقد سيطر المعبد علي حياة الإنسان العادي، هناك يمكنه أن يشهد في أوقـات الاحتفالات المظاهر الرائعة، وهناك يمكنه أن يعبد إلهه، ولكن بالنسـبة إلي معظـم سكان الإمبراطورية فقد كان المعبد (ممثلاً في كهنته) مؤسسة غير سـارة، لقـد كـان الإنسان العادي خادمه، وإليه كانت تذهـب معظم عوائده، ونادراً كان الدين سـبباً للسعادة في الشرق الأقصي القديم.

ولكن لدينا أيضا الدين العظيم الذي نادي به زوروسـتر (Zoroaster) أعظـم الأنبياء الآريين.

يمكننا أن نحكي عن الوثنية الآرية والتي منها نشأ هـذا الـدين، وعـن الوثنيـة الجزئية التي عاد إليها، يمكننـا أن نحـكي أيضـاً عـن المجوسـية البدائيـة مـن خـلال نتائجها الرهيبة علي دين زوروستر، والتي لحسن الحظ تتعدي حـدود هـذا الجـزء الحالي، خلال هذه الفترة تطورت اليهودية إلي شيء أشبه باليهودية اليوم علي الرغم من العديد من المقابلات مع الجانبين، ويمكننا أن نلمح حركات دينية أخـري، لكـن جميعهم كـانوا يسـتمرون عـلي طـول الخطـوط المتوافقـة، والتـي أدت إلي وجـود الأديان الغامضة للإمبراطورية الرومانية، خلال هذه الفترة أيضاً تطـور أو نشـأ علـم مميز وهو علم الفلك وهو العلم الذي أثر بشكل كبير في اليونانيين، ومـا زال حتـي يومنا الحاضر.

لقد أدركنا الآن أن معرفتنا عن الإمبراطورية غير كاملة، وذلك عندما نظرنا بأعين الكُتاب اليونانيين فقط، وحتي عندما ساعدنا أفضل وأحـدث المؤرخين خلال هذه الفترة عاش الشرق لذاته وبذاته، وعندما اقتربنا مـن النهاية كانت الطبقات العليا تحظي ببعض نواحي الثقافة اليونانية، لكن

التقليد كان سطحيًّا، إن المرتزقة اليونانيين ضد المحاكم أو الثوريين أو الملوك المتنافسين لم يكونوا أفضل المُبشرين؛ لأنهم خلقوا رفضاً أكثر من التزامهم بثقافتهم.

لقد أدركنا الآن - كما لم ندرك من قبل- أن اليونان لم تكن في أي وقت تُمثل تهديداً سياسيًّا خطيراً للإمبراطورية؛ لأنه لم يكن هناك يونان ككيان سياسي، بل كانت هناك اليونان كولايات فقط، وبعد ظهورها بقليل هزمت الإمبراطورية أعظم وأكثر الولايات اليونانية ثراءً واستنارة، ولمعظم الوقت ظلوا تحت حكم الإمبراطورية.

لقد أوضحت الكشوفات الحديثة أنهم استمروا تحت الحكم الفارسي، وأن حياتهم تأثرت بذلك بشكل كبير، يمكننا أن نري كيف كان يجب علي دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) ، أن يهزموا ما تبقي من الولايات اليونانية الحرة، ولكن يمكننا أيضاً أن نُحلل الأخطاء الفارسية الفادحة التي أنقذت القليل، وحيث إن الولايات الحرة كانت تزداد قوتها علي الرغم من أنها كانت تضعف باستمرار بسبب الحروب الداخلية، فيمكننا أيضاً أن نتعقب العملية أو الطريقة التي انهارت بها فارس من ناحية الكفاءة العسكرية، لكنها في الوقت نفسه تقدمت من الناحية الدبلوماسية.

وقد استقر ذلك علي الرغم من الفساد الداخلي، والثورة المنتشرة لمرزبانات الدولة وملوكها حتي أعطيت الرشاوي التي وضعت رماة السهام الفرس في موقف تُحسد عليه فارس للحاكم المطلق علي ما تبقي من اليونان الحرة.

إن فجر العصر الهليني يمكن الشعور به في التدخل المتزايد في الإمبراطورية بواسطة المرتزقة والبحارة اليونانيين، وعن طريق استخدام الأطباء، والرياضيين، والنحاتين، والطهاة اليونانيين، وعن طريق زيارات الفلاسفة اليونانيين ورجال الأدب والعلماء.

عندما قام الإسكندر بتدمير الإمبراطورية عن طريق الغـزو العسـكري، وفقـد الشرق لوقت قصير مكانه في العالم، وكيف استعاد الشرق بشكل سريـع جـزءاً كبـيراً من سيادته لا بد أن يكون موضوعاً لجزء آخر.

أ.ت. أوملستد

المعهد الشرقي - جامعة شيكاغو

الفصل الأول

التاريخ القديم

عندما دخل قورش (Cyrus) بابل عام 539 قبل الميلاد كان ذلك في العالم القديم، والأكثر أهمية من ذلك أنه علم بأقدميته، وقد جمع دارسوه قوائم طويلة من السُلالات الحاكمة، وأظهرت نسخة مبسطة أن الملوك الذين كانت آثارهم مرئية وواضحة كانوا قد حكموا لمدة أربع ألفيات من قبل، وقد يسبق ذلك ملكيات أخري وأبناء الآلهة، أو بمعني آخر أنصاف الآلهة الذين شمل حكمهم أجيال متعددة من رجال اليوم قصيري الأعمار، وحتي هؤلاء قد سبقهم - كما يعتقد المصريون- الآلهة أنفسهم الذين حكموا من خلال دهور طويلة وقبل الطوفان العالمي، عين البابليون عشرة ملوك أقلهم حكم لمدة 18.6000 سنة وأكثرهم حكم لمدة 43.200 سنة.

لقد علم أُناس آخرون بهذا الطوفان، وأخبروا من ملكيات علي سبيل المثال ناناكس في إكوتيم (Nannacus aal Icosiun) ، والتي حكمت في فترة ما قبل الطوفان.

وقد امتد التاريخ المقدس لليهود خلال أربعة آلاف سنة، وهو تاريخ متواضع عند مقارنته ببابل ومصر، وقد سجلوا أن بطريركاً واحداً قبل الطوفان كان قد وصل تقريباً إلي نهاية الألفية، وذلك قبل موته، وقد

أنشد الشعراء اليونانيون عن التاريخ الأسطوري، والـذي يعـد خلفيـة لهـذا الـعصر، عندما صعدت سُلالات الأبطال إلي الإله، وقد تباهي كل شخص وأمة وولاية سـابقة بقصة خلقها وبإلهها المحلي علي اعتبار أنه خالق.

إن عبادة الماضي القـومي البعيـد كانـت صـفة مميـزة للأيـام الأخـيرة لـلشرق القريب، لقد كـان نـابو- نيـد Nabu- naid - آخـر الملـوك المسـتقلين للكلـدانيين- فرحاً عندما كشف عن التسجيل التأسيسي لنارام سين Naram Sin ، والذي لم تـتم رؤيته لمدة 132 عاماً أو كما قال عنه دارسوه، إن نقوشه تمتلئ بإشـارات إلي حكـام ماتوا منذ فترات طويلـة منـذ يرنـامو Ur Namu وابنـه شـولجي Shulgi مؤسـسي السلالة الثالثة للير من خـلال المشرع العظـيم حـامورابي والكاشيشـت بونابوريـاش (Kashshite Burnaburiash) إلي الغازين الآشوريين، وهو امتداد استمر لمـدة 15 قرناً، تمت استعادة المعابد القديمة، وتم إنعاش الديانات القديمة بطقوسها، وكانـت ابنته مكرسة لخدمة المعبد القديم.

لم يكن نابو- نيد هو الشيء الأثري الوحيد، أكثر من واحد مـن معابـده تمـت إعادتها، وأكثر من واحدة من دياناته وإصلاحاتها تم إبتداؤها بواسـطة نبوخـذنصر (Nabuchdisser) الذي بحث عبثاً في التسـجيلات عـن أكـثر مـن سـيخلفوه حظًّا والذي كانت نقوشه الخاصة تستعمل الألفاظ والأساليب المشهورة مقلـدة في ذلـك أسلوباً وكتابة النقوش المشهورة لحامورابي.

إن عبادة الإله القديم قد تحولت إلي شغف عنـدما أبـدت السُـلالة الحاكمـة السادسة والعشرين (سايت) أنها ستستعيد الإمبراطورية الآسيوية للسُلالة الحاكمة الثامنة عشر، تم نسخ النصوص القديمـة، وصـنعت نصوصـاً جديـدة عـلي شـاكلتها حتي في أسلوب وشكل الهيروغليفية، إن الفن السايتي المعاصر كان نسخة مخففـة من نحت السُلالة الثامنة عشرة.

لقد فقد الإله آمون - الذي ظهر في أقل من خمسة عشر قرناً- مكانـه

من الشرف بالنسبة إلي نيت (Neit) والسيدة المسنة سيث (Sais) ، وحتي الآلهة المنسية عُبِدت مرة أخري، لقد استعاد الموظفون ألقاباً نارية من المملكة الكبري أو الوسطي، وتم دفنهم بواسطة طقوس قديمة في المقابر، مما أدي إلي إعادة الخطط والمعتقدات والنصوص الهرمية للسُلالات الحاكمة الخامسة والسادسة من قبل ألفي سنة.

لقد انتشرت القوات بين عامة الشعب، يعتبر إصلاح جوسيا (Josiah) إعلاناً قوميًّا للاستقلال، لكن أساسه كان قانوناً شرعيًّا ينسب إلي المشرع القديم موسي، أن الأمل في تخليص فوري قد وجد ذاته في القصة التي تحكي كيف أنقذ الإله القومي شعبه من العبودية المصرية، كان إحياء الماضي هو موضوع النبوءة الإكسيلية (Exilic) وحلم الإنجيل الثاني (Isaiah) ، ومثل علو درجة معرفة القراءة والكتابة فإن الغالبية لم يكونوا يعرفون القراءة والكتابة، لكنهم كانوا يستطيعون السمع، وشفهيًّا كان الآباء اليهود يعلمون أبناءهم عن الخروج من مصر وغزو أرض الميعاد، وعن الحاكم داوود الذي سيعود في يوم من الأيام وشفهيًّا أيضاً عن أساطير سارجون (Sargon) وموسي أوكوفو (Khufu) ، وكلها تمت تنقيتها وتخفيفها لتخاطب عامه الشعب، وقد تبدو التفاصيل غامضة ومبهمة، لكن جميع الشعوب في آسيا الغربية كانت تعلم بوجود ماضٍ تشرق أمجاده مثلما خفتت من أزمان بعيدة، إن الغزو بواسطة الحكام المغايرين يبرر فقط هذه العبادة للماضي.

اعتقد هؤلاء الناس عن ماضيهم أنه كان عنصراً حيويًّا في تاريخنا، وماذا كان الماضي فعلاً؟ لا بد أن يكون خلفية عن الصورة، من الناحية الجوهرية كانت حساباتهم صحيحة، يمكننا أن نُثبت أن الدارسين أحلوا السُلالات التابعة والتي كانت بالفعل معاصرة، وأن بدايات التاريخ المكتوب جاءت بعد ألف سنة بخلاف ما افترضوه، لم نعد نعتقد أو نصدق أن الآلهة أو أنصاف الآلهة حكموا دهوراً طويلة أكثر من امتداد

الحياة اليوم، لكننا نحتاج فقط إلي استبدال أنصاف الآلهة بالأبطال الذين لم تتم تسميتهم في أوائل التاريخ حتي نُدرك كم الحقيقة التي تذكر في الأساطير ولحكم الآلهة نستبدل ما قبل التاريخ، ونُدرك كيف مر هؤلاء الرجال منذ خمسة وعشرين قرناً مضت بالرهبة نفسها التي نشعر بها عند استدعاء العصور القديمة منذ بداية حركة الإنسان في الأرض.

لقد تم فصل الإنسان الحقيقي في الشرق الأقصي، وقبل الفترة الأولي من الأمطار الغزيرة والتجمد كان قد بدأ في عمل أحجار القداحة، وعن طريق هذه الوسائل يمكننا تتبع تقدمه من خلال ثاني وثالث وآخر التأرجحات الواسعة للمناخ، وكلها استمرت لفترات طويلة إذا عددنا ذلك بسنواتنا العادية.

وفي النهاية كان ما زال في مستوي الثقافة الحجرية القديمة، وخلال هذه الفترات الطويلة كان قد قام بأكثر من تحسين استخدامه للحجر أو العظام، لقد أنشأ عائلة، والتي كان يساعدها عن طريق الصيد، وصنع بيتاً في الكهوف، وكان يستعطف أو يتجنب القوي السحرية الخطيرة، وكان يأمل في حياة ما بعد الموت، وبالقرب من نهاية العصر الحجري القديم كان الإنسان يقطن في الشرق الأقصي، وقد تم ترويض الماشية والخراف والماعز والخنازير وزرع الشعير والقمح والكتان، ثم بعد ذلك انقسم سكان الشرق الأقصي بعضهم من البدو المتجولين وبعضهم قرويين مستقرين.

وفي حين ظل البدو كما هم فقد نمت الحضارة في القري، تم بناء الحوائط لحماية الأغنياء ممن هم أقل حظاً، أو من البدو، وتم اختيار ملك ليقود المجندين من أبناء القري في الحروب، وزاد التخصص كلما زادت الحياة تعقيداً.

وحيث إن التربة يمكن أن تنتج كل ما في باطنها، فقد كان هناك

عبادة لقوي الخصوبة، والتي تم تعريفها بعد ذلك كآلهة وإلهات، والتي كانت أعظمهن «الأرض الأم» بمظاهرها المتنوعة.

وإلي جانب العرق الأوروبي والأفريقي أُضيفت أعراق جديدة، حول البحر الداخلي الكبير كان العرق السائد هم شعوب البحر المتوسط، رؤوس طويلة، نحيل وطول متوسط، وبشرة زيتونية صافية، وقد نشأت أعراق فرعية: المصريون في وادي النيل والساميون في الصحراء الشمالية الغربية، وفي جنوب مصر كان هناك الزنوج، وغربها كان اللبيون (الذين من بينهم يوجد الشماليون الأوائل)، وفي الأراضي الشمالية العليا كان الأرمن يتميزون بالطول والبدانة وبشرة شاحبة ورؤوس مستديرة بشكل زائد، كانت القوقازية، المتحدث بها الآن في القوقاز فقط، هي اللغة الأساسية في الشرق الأقصي، وحتي قبل الألفية الأولي قبل المسيحية كانت الإيلامية تُستخدم غرب فارس، وظهرت الهاليدية في أرمينيا، والهورية، والميتانية (Mit annia) في شمال وغرب ميسوبوتانيا (Mexpotania) ، وهبتيتة (Hittite) وبامفليار (Pamphylier) ، وليسيان (Lycian) ، وليديان (Ly dian) في آسيا الصغري.

وقد اقتصر الساميون الأصليون علي شمال الأرض العربية، ومنذ ستة آلاف عام جلب أول تدفق عظيم للبدو لغة قريبة من السامية لمصر، وقدم الكنعانيون والفينيقيون في تاريخهم، وتحول متحدثو الأكادية إلي بابل، وداخل بابل انحدر أيضاً السومريون الذين كان استخدامهم للخيول والمركبات والصفات الجسدية والحديث الطوراني المغربي يُشير إلي أصول آسيوية.

لقد تعلم الإنسان كيف يطرق الفحم الخام، وبعد ذلك اكتشف أن الفحم يمكن صهره إلي المعدن النفيس، وبعد ذلك أصبح الذهب والفضة والرصاص يستخدمون بالطريقة نفسها، لقد جعلت الاستخدامات المعدنية الزراعة أكثر خصوبة، والصناعة أكثر إنتاجاً، وضمنت الأساس لتكنولوجيا

أكثر تقـدماً، وكـان الطـين المسـتخدم اليـوم في الصـناعات الفخاريـة البسـيطة يـتم تنظيفه في حين تم إضفاء أشكال أكثر انتظاماً علي شكل الدولاب البـدائي، وقـدمت القصاصات والرسم زخارف أكـثر، وأضـاف رجـال الطـب إلي سـحرهم وتعويـذاتهم معرفة بالأعشاب البرية.

وقد قسمت الحضارة الأكثر تعقيداً القرن إلي مدن، والمدن إلي ولايات، والتـي استمر فيها القتال، وكون وحدات أكبر، وقد تزايدت القوة الملكيـة، حيـث تطلبـت شروط الحياة المعقدة حكومة أكثر كفاءة.

وقرب نهاية الألفية الرابعة تم اختراع الكتابة في بابل ومصر، وكل مـنهما بـدأ بكتابة تصويرية بسيطة، حيث تدل الإشارة علي الكلمة، وكل منهما خطـا الخطـوة التالية، وهي توظيف الإشارة لأية كلمة مثل الصوت.

قـاموا بانشـاء كتابـه صـوتية بالمقـاطع، قـام البـابليون باكتشـاف الحـروف المتحركة، ولكن لم يفعل المصريون ذلك، وعوضاً عن ذلك قـدموا أبجديـة الحـروف السـاكنة لتكمـل النظـام الإيـدوغرافي والمقطعـي، لقـد احتفظـت مصر بكتابتهـا التصـويرية مـن أجـل النقـوش الأثريـة المهمـة في حـين نمـت كتابـة تقليديـة - الهيروطيقية- من القلم وورق البردي، وقد مرت بابـل بشـكل سريـع خـلال شـكل خطي إلي شكل مسماري، والذي عبر عنه باستخدام أقلام السمة للكتابة علي ألـواح الطين.

ولقد جعلت الكتابة التاريخ القصصي ممكنـاً، والـذي كـان يُكتـب عنـدما كـان يدخل ملوك مصر أو بابل في حرب ضد أُناس آخرين، ومن خلال سجلاتهم يمكننـا أن نلمح هذه الثقافات، والتي لا تزال ظاهرة في الأشياء المادية التي تركوها خلفهم، مـن ناحية العناصر الضرورية كانت الصورة متطابقة، في كل مكان كنا نجد ولاية المدينـة، وهي مركز مـدني محـاط بـالقري والحقـول، وعـلي القمـة كـان الملـك كخليفـة عـلي أرض اللـه، وكمشـارك في الجـوهر الإلهـي، وكـان يتمتـع بـدخول مبـاشر إلي الآلهـة، لكن كان هناك أيضاً الكهنة الـذين يقـدمون طقوسـاً وصـفت مـن العصـور المعتمـة

قبل التاريخ، والأرض يمتلكها الملك الإلهي الذي يُمثل حق الانتفاع من مندوبيه الأرضيين، والحاكم الفعلي؛ ولذلك يدفع الفلاحون إيجاراً لهؤلاء الوكلاء وليست ضرائب.

الواجب الأول للملك هو حماية عبدة الإله، والنصر في الحرب هو انتصار الإله المُعلن علي منافسيه من الآلهة، وتصبح الآلهة الخاضعة أمراءه تماماً، مثلما يصبح الملوك الخاضعون أمراء مندوبين في الأرض، وبهذه الطريقة اندمجت الولايات وتحولت إلي ممالك.

علي الرغم من وادي النيل الطويل الضيق في حوض الصحراء، حيث لا بد أن تكون الحدود السياسية ضرورية، وأن تكون متجهة نحو أعلي النهر، وفي اتجاه مجري النهر وقت التاريخ الذي ظهرت فيه الكتابة، ولم يكن هناك سوي مملكتين في مصر، وقد قام مينا بتوحيد تاريخ مصر بشكل سريع، وفي بابل يمكن تتبع عملية التوحيد بأكملها، والتي تطلبها نظام القناة في وثائق مكتوبة تالية، كان شمال بابل مشغولاً بالساميين غير المتعلمين، وكان الجنوب موطن السومريين، وقد تقدموا في الثقافة المادية، لكن حياتهم أحاطها الخوف من الأرواح المؤذية الكثيرة التي يمكن رد هجماتها عن طريق أدب سحري كبير، وإلي الشرق كان السهل الإيراني، حيث أظهر الفخار المرسوم كفاءة وكمالاً للفن الذي طالما كان سائداً في هذه الأرض، وقرب نهاية هذه الفترة قامت إيلام باستعارة الإشارات السومرية من أجل لغتها، بالإضافة إلي العديد من العناصر الثقافية الأخري، كانت ميسوبوتانيا (Mexpotania) في محيط التأثر الثقافي ببابل، كما كان شمال سوريا، والتي أظهرت أيضاً صفات مميزة قادمة من آسيا الصغري، كان الكنعانيون والفينيقيون علي اتصال أوسع بمصر، ومثلهم أيضاً كانت الأراضي اليونانية المستقبلية، وهي جزء مهم في الشرق الأقصي.

ومع بداية الألفية الثالثة أصبحت الصورة أكثر وضوحاً، وأظهرت

المقابر المصرية والسومرية معاً تفجراً مذهلاً في الفن الحديث النشيط، واستخدام مذهل للمعادن النفسية، لكن كل شيء كان مكرساً للملك المتوفي وحاشيته الذين هاجموا ملكهم إلي عالم ما بعد الموت، بلغت ديانة الملك المتوفي أوجها في الهرم المصري الذي استنزف الأرض من أجل أن يظل رجل واحد حيًّا إلي الأبد؛ ولتحقيق هذه النهاية أديرت المملكة بشكل مفرط، ولكن حتي مع هذه الصعوبة أثبتت الوثائق أن الأعمال ازدهرت.

وتماشياً مع تطور الإدارة والأعمال كانت بدايات العلوم، لقد تطلبت الإدارة والأعمال حسابات، وقد تم عمل ذلك بواسطة النظام العشري في مصر، وعن طريق مزيج من الكسور العشرية والستنوية في بابل، وقد تم حل المشكلات الحسابية، وأنتج حصر الحقول علم الهندسة البدائي.

أما الرجال الذين كانوا يعيشون بالقرب من القرية، والذين كانت حياتهم الخارجية تتطلب ملاحظة دقيقة لم يفشلوا في إدارك تأثير الكيانات السماوية، وتم تمييز الليل والنهار عن طريق آلهة الشمس والقمر، وكان كسوف وخسوف آله القمر يُعطي وحدة النتيجة القادمة والشهر، وكان إله الشمس عن طريق رحلته الشمالية وعودته يُغطي وحدة أكبر وهي السنة، وسرعان ما عرف أن إلهي الشمس والقمر لا يتوافقان؛ لأن الشمس لا تعود إلي نقطة البداية عند الدورة الثانية عشرة لإله القمر، كان تعديل السنة الشمسية والقمرية مختلفاً تماماً، وذلك بواسطة الشعبين.

لقد تعلم المصريون أن السنة الشمسية تساوي تقريباً 365 يوماً ؛ ولذلك قاموا بإضافة خمسة أيام إلي الاثني عشر شهراً، والتي يضم كل شهر منها ثلاثين يوماً، وذلك لتكوين السنة، والتي لن ينفصل انحرافها عن السنة الشمسية الحقيقية لعدة أجيال، لقد سعد البابليون بإعادة السنة إلي

اثني عشر شهراً، وإدخال شهر جديد عندما يلاحظ أن الفصول خارجة عن الترتيب الطبيعي.

وكانت هناك احتياجات أخري يجب تلبيتها، وهي عملية بالنسبة للشرق، إن كل فعل يمكن أن يكون مشئوماً، وقد تم جمع البيانات عن نشاطات أكثر الحشرات دقة وحركات النجوم، وإجهاض النساء والحيوانات، أو من أكباد الخراف المقدمة كقرابين.

قام الإنسان بتنظيم هذه المعلومات في علوم مفصلة، وهي علوم منطقية في تصنيفها وتفسيرها بمجرد فرض الفرائض، ومن هنا تم تمهيد الطريق للعلم الحقيقي، كان من المفترض أن يجيب التأمل في الكون عن الأسئلة العملية مثل لماذا أتي الإنسان والشر والموت إلي العالم، أو لماذا لا يستطيع الإنسان أن يكون خالداً، وأدت هذه الأسئلة عن قصص الخلق إلي التأثير في المفكرين فيما بعد، وقد أوقعت الأرواح الشريرة وحتي الآلهة أنفسها في الأمراض؛ ولهذا لا بد من استحضار رجل الطب، وبالطبع قام بعمل الوصفات السحرية من قديم الزمن، والتي اعتقد في فعاليتها، وكممارس لعلم النفس فقد علم بتأثيرها علي عقول مرضاه، لكن الملاحظة المتراكمة أعطته معرفة وعينة عن الخصائص الطبية للنباتات والمواد الحيوانية والمعادن.

وقرب نهاية الألفية الثالثة قام سارجون باجاد (Sargun of Agade) بتوحيد الأراضي البابلية، وامتد تأثير الساميين إلي ما بعد حدودهم الطبيعية، وتم تبني الحروف المسمارية السومرية وتحويلها إلي حروف سامية مختلفة، وهكذا بدأ الأدب السامي، وقد استمرت السومرية كلغة مقدسه يفهمها الآلهة القدامي والوحيدة القادرة علي إبعاد الأرواح الشريرة، وقد احتفظ مجال الأعمال بلغته القديمة، وهكذا امتلأت الأكادية بالكلمات السومرية، ولتلبية الاحتياجات الجديدة قام الكتاب بتجهيز ترجمات متداخلة، وقوائم بالإشارات، وكتابة للجمل، وتم

تأليف قواعد لغوية علمية، ومن خلال تأثير الثقافتين، فبإثارة الفكـر جـاءت أفكـار جديدة إلي العالم، وكان هناك تفجر عبقري لها.

ثم بدأت الثقافات القديمة في الانفصال، حيث هدد الأعداء الحدود، وأجـبرت المشكلات الجديدة الإنسان علي أن يُفكر بشكل أكثر جدية، وقد أدركـت الملكيـات العصرية أن مجرد وجود الأهرامـات لـن يضـمن خلـودهم، ولـن يسـتطيع حمايـة جثثهم الضعيفة، وقـد حـل السـحر المكتـوب محـل الكتـب السـماوية في نصـوص الأهرام للسُلالة الحاكمة الخامسة والسادسة، وقد ابتهج الإنسـان بالأمـل في خلـود جديد، وقام الوزير الحكيم بتاح حتب بتجميع الأقوال المأثورة للحكـماء القـدامي، وقدم تعليماً أخلاقيًّا عمليًّا، وبسبب زيادة الانقسام قام إبيور (Ipuwer) بـالتعليق علي التغييرات الاجتماعيـة الاقتصـادية التـي أرعبـت روحـه المحافظـة التـي تحلـم بالأيام التي يعود فيها الإله رع بنفسه ليحكم العالم محققـاً العدالـة، أعـادت بابـل النظر في مشكلة الشرق ولماذا تغضب الآلهـة؟ ولمـاذا لا يعـيش الإنسـان إلي الأبـد؟ ولماذا لاقي مصلح يورركوجينا (Urukogina) العادل مصيراً غير عادل؟

قسم الانفصال الكامل مصر إلي ممالك متحاربـة عانـت مـن الغـزو الآسـيوي وقام الجوتيون (Guti) بهزيمـة بابـل في أول تجـوال شـمالي، وقـد أدت التسـاؤلات الموجهة إلي الحكمة إلي موجة هائلة مـن التشـاؤم، والممثلـة في حـوار المصري مـع زوجته، حيث كانت شكوي الرجل العادل الذي عوقب بشكل غير عادل أن يعامـل ببعض العطف، ومع ذلك كانت النتيجة هي الخضوع لكل القـوي الإلهيـة التـي لا يمكن الشك في إرادتها.

لقد توحدت بابل تحت حُكم السلالة الحاكمة - يور الثالثة- وقد قام يورنـامو وشـولجي (Ur-Nammu/slugi) بإعـادة توحيـد الـبلاد، وأضـافوا مقاطعة أجنبية إلي الشمال والشرق، الملوك كانوا ساميين، لكـن النقـوش

الملكية والوثائق الإدارية الخاصة بالأعمال والأدب الرسمي كلها كانت تقريباً وبلا استثناء باللغة السومرية، علي الرغم من أن هذه الفترة كان آخر أعظم فترات الأدب السومري، إلا أنها كانت بعيدة عن القديم، وأظهرت اللغة علامات علي الفساد، وقد انتعشت التجارة، وشيدت الأبنية العظيمة، وكان فناً تقليديًّا رائجاً، سقطت السُلالة الحاكمة ودخلت إيلام في عمليات الغزو والتطور الثقافي، في حين كانت بابل مقسمة إلي ولايات صغيرة كانت دائماً في حروب تحت حكم الآموريين الجدد.

وفي وسط التقلبات نشأت بابل كعاصمة للمُشرع الحكيم حامورابي، وبذلك قدمت هذه المدينة الصاعدة للأجانب بابل التي أسموها علي اسمهم، كان ماردك (Marduk) - وهو الإله المحلي- هو ملك الآلهة، وقمت بترجمة الأدب الديني القديم من السومديين الموتي، وأعيدت كتابته لتكريم إله بابل كملك وخالق، قام أمينيميهت (Amenemhet) بإعادة توحيد مصر، وتأسيس السُلالة الحاكمة الثانية عشرة، حيث تمت تحيته بجميع الطرق حسب تنبؤات الأنبياء القدامي المزعومين، ومثل بابل فقط كانت عاصمته ثيبس (Thebes) مفاجأة، والتي كان إلهها آمون يتولي سيادة الأرض من خلال الاندماج مع آله الشمس رع، تحولت العبادات الشعبية إلي آلهة الخصوبة القديمة، وهم أوزوريس وزوجته إيزيس، في حين أظهرت نصوص التوابيت الفجر الأول للاعتقاد بأن الإنسان عليه أن يتعامل بالعدل في الأرض إذا أراد أن يكون سعيداً في العالم القادم، وكانت العدالة في السياسة ذات أهمية بالغة، وقد قام الملك الذي سبق أمنيميهت بتحويل النصائح القديمة إلي ما يسمي «فن الحكم»، وذلك من أجل ابنه ميريكر، قام أمينيميهت بإعداد مقالة عن الملكية من أجل ابنه سيسوس تريس (Sesostrus) ، ومقالة أخري من أجل وزيره، وأكد علي عزل هؤلاء في المواقع التي تتطلب تحمل المسؤولية، كما أكد بشكل مماثل - وإن كان بطريقة غير عاطفية -

ضرورة الوضع في عين الاعتبار أن رفاهية المحكومين قد جعلت كنعان ولاية تابعة، وأصبح الفينيقيون حلفاء تابعين للفن المصري، والذي يعتبر ممتازاً من الناحية الفنية، لكن يصعب تقليده، وهي حياة جديدة بفضل الأمراء التجار الفينيقيين.

كانت فيولن كريت (Mioen Gete) في قمتها قد اكتسحت بحريتها البحر، وجلبت التجارة ثروات هائلة خصصت للأشياء الفنية التي كانت أفكارها تأتي من مصر، لكن صورتها النهائية وكمالها لاقي إعجاباً كبيراً من وقت الحديث، وكانت الكتابة توجد في الإسنادات العامة، وكانت فكرة تقديم الكميات بطريقة التصدير آتية من مصر، لكن ألواح الطين كانت مأخوذة من مستعمرات التجار الآشوريين بشرق آسيا الصغري.

لقد كانت هذه الفترة هي أعظم فترة للتقدم العلمي اشتهرت مصر وبابل بتفوقهم في الرياضيات قام المصريون باستخدام نظام عشري، وعبروا عن الكسور بواسطة القسمة المستمرة، وأضاف البابليون إلي النظام العشري نظام الكسور العشرية من أجل الوحدات الأكبر، وقامت بتقسيم الكسورالمعقدة إلي أرقام أصغر من ألفين، والتي جعلت من الحساب شيئاً سهلاً، عرف المصريون المربعات وجذور التربيع، وقاموا بحل المشكلات المعقدة للمتوالية الهندسية والنسبية، قام البابليون بإعداد جداول مرجعية للضرب، والقسمة، والمرادفات، والمكعبات، وجذور التربيع، والتكعيب.

لقد كانت معظم التقدمات المذهلة في الجبر والهندسة، قام البابليون باكتشاف نظرية المثلث ذي الزاوية اليمينية، والتي عرفناها من فيثاغورث، بالإضافة إلي ألفين من الطرق البسيطة، والتي أدت إلي نسب أخطاء أقل، لقد تعلموا أن المثلثات اليمينية المتشابهة لديها جوانب ناحية زوايا المعين النسبية، وقام بتقسيم المثلث إلي أجزاء متساوية، واستطلعوا شكلاً واحداً من المعين المنصرف، أما الأشكال غير المنتظمة فقد تم

تقسيمها إلي أشكال يمكن حسابها، لقد وجدوا مساحة قطر الدائرة وقدروا النسبة بعين طول محيط الدائرة وقطرها بثلاثة، وبدون مساعدة المعادلات الجبرية فقد قاموا بحل مشكلات بوساطة طرق معينة، هي فك أسسها الجبرية، وكل طريقة يمكن تمثيلها بمعادلة حديثة، وقد قاموا باستخدام المساوي للمعادلة التربيعية، وتوقفوا قرب النظرية الثنائية.

ومثل البابليين، قام المصريون بتقسيم المثلث، وقاموا بحساب مساحته كما فعلوا مع المعين ذي الأضلاع المتوازية، وكان تقديرهم للنسبة بين طول وسيط الدائرة وقطرها يساوي ثمانية أتساع من القطر، أو كما يجب أن نقول 3.1605)، وكان ذلك التقدير أكثر دقة من البابليين، وبفضله قاموا بمعرفة مساحات الدوائر ومساحات الاسطوانات أو أنصاف الكرات، وقاموا بحساب المخروط للهرم المربع، وما نسميه بالمعادلات التربيعية المتزامنة وقد قاموا بحله بطريقة خاطئة.

أما علماء الملك البابليين، والذين لم يكونوا قد تحروا بالشكل الكافي من الفلك لاستخدام الرياضيات الجدية فقد كانوا يقومون بعمل الملاحظات وإعداد المصطلحات غالباً، وكانت مجموعات النجوم أسماء لعلها تعني اليوم جيداً: التوأم، الذعيان، العقرب، الأسد، الذئب، النسر، السمكة، الجدي، أما الجوزاء «الراعي الحقيقي للسماء»، فقد ظل في العمران كالإبل المتجول «الكواكب»، وكل واحد منهم يتم التعرف عليه بواسطة إله أو آلهة، أما طريق إله الشمس فكان مخططاً من خلال اثنتي عشرة مجموعة نجوم، والتي كان من المفترض أن تكون أسماؤها دائرة البروج، كانت أوثان الخسوف؛ لأنها نذير شؤم، لكن خسوف إله القمر كانت أوقاته معقدة، وتتم ملاحظتها بشكل أكبر، ونسبت الأربعة أجزاء لوجه القمر إلي بابل، وإلي ثلاث ولايات مجاورة، وكان ضيوف جزء وعين ينذر بالشر للبلد التي حدث فيها.

ساهمت مجموعات مشئومة أخري في ظهور العلم القادم، وأكثر من النجـوم في ذلك، فقد كان مصير الأمم والملوك يتحدد من أكباد الخراف المستخدمة كقرابين، ويمكـن وصـف نمـاذج ورسـومات الأكبـاد فقـط مـن خـلال المصـطلحات اللاتينيـة للتشريح الحديث، ويتم إعداد قائمة طويلة مصنفة بشكل تقريبي عـن الحيوانـات والنباتات والأحجار، بدأت قوائم النباتات بالحشائش، ثم المسـمار، ثـم مجموعـات أخري تماثل تقريباً مجموعاتنا، ويمكن أن نميز الفصائل والأنواع المختلفة من خـلال التصنيف الدقيق لأجزائه المتعددة، ثم التعـرف عـلي نـوع نخيـل الـبلح منـذ فـترة طويلة، وكان مصطلح «ذكر» و«أنثي» يُطبق علي نباتات أخري، استخدمت أنظمـة التضييق عنوة، ويعد مثل «الرجال، الحيوانات المنزلية، الحيوانـات المفترسـة»، ومـا فيها الثعابين، والدود، والضفادع، ومثيلاتها «السمك، و«الطيور».

تم إعداد قوائم النباتات للاستخدام الطبـي في النصـوص الطبيـة، وقـد ظلـت هناك مراجع كبيرة للسحر، لكن كانت هناك أيضاً معرفة تجريبية، وصفت أعـراض المرض بشكل دقيق بالترتيب الطبيعي من الـرأس للقـدم، ويمكننـا أن نتعـرف عـلي معظم الأمراض، ويتم استخدام التكميد، والتجارب الساخنة، والتـدليلك، والشـيف، والقسطرة، والأدوية كانت تؤخذ عادة بطريقة داخلية، وقد وصف الزئبق، والإثمد، والزرنيخ، والكبريت، ودهون الحيوان، لكن بشكل عام كانت النباتات وصفت بأنها هي النباتات نفسها التي وجدناها في مجموعات الأدوية الحديثة، النصوص الطبيـة المصرية كانت مشابهة، لكن في نصوص خاصه بالجراحة كان الحـديث علميًّـا أكـثر، وكل حالة يتم تشخيصها بشكل دقيق حتي إذا لم يكن هناك علاج ممكـن، أمـا إذا كانـت الحالـة يمكـن علاجهـا فيـتم سرد اقتراحـات للعـلاج، ويـتم جـس الجـروح بالأصابع، ويستخدم الكي بواسطة النار، وفي علاجه استخدام الجراح المصري ضمادة

ماصة، وفتيلة الكتان، والسدادات، والضمادات، والجبائر، ويتم لم الجـروح بواسـطة الشرائط أو الخياطة، وقد وصفت أجزاء معقـدة في الجسـم بطريقـة مـا نـري مـن خلالها أنه ما زال يعمل علي المصطلحات، لكنه قام باكتشافات مذهلة.

لقد عرف المخ وتلافيف الدماغ، وعرف أن المخ والحبـل الشـوكي يـتحكمان في الجهاز العصبي، وقد شك في تمركز الوظائف بالمخ، وقد عرف أن القلب هـو عبـارة عن مضخة، وكان يقيس النبض، وكان قد اكتشف الدورة الدموية تقريباً.

في هذه الأثناء، وفي غفلة كل المثقفـين قـدم سـامٍ - نصـف بـدوي بـدائي- في المناجم المصرية في سيناء اختراعاً واعداً للمستقبل، وحيث إنه كان جاهلاً في تعلـيم الهيروغليفية المعقدة للمصريين، لكنه عرف أنهم يسـتخدمون حرفـاً سـاكناً لإكـمال المقاطع والإشارات، وقد تعجب لماذا لم يُدرك أحد جمال الكتابة الأبجديه البسيطة، وإلي القليل من الإشارات المصرية الشائعة أعطي اسماً بلغته الكنعانيـة، وأخـذ أول صوت ساكن بقيمته الصوتية، وقام بنقش بعض الجمل القصيرة بلهجتـه الكنعانيـة علي صخور سيناء، وبعدها تم استخدام الأبجدية الساكنة.

خلال الألفية الثالثة عاش في السواحل الواسعة لجنوب روسـيا مجموعـة مـن الشماليين الذين كانوا يتحدثون بلغة هندية أوروبية بدائيـة، وكـان عـلي رأس كـل قبيلـة ملـك يـتم اختيـاره مـن العائلـة الإلهيـة، ويسـاعده مجموعـة مـن كبـار المستشارين علي الرغم من أن القـرارات المهمـة كـالحرب والسـلام واختيـار حـاكم جديد نادي بها الرجال المتحاربون، في حين كانوا يقومون بـزرع الأرض إلي حـد مـا، فقد كانوا نصف بدويين، والذين كانا سرورهم الأساسي في الحروب.

وقد سمحوا لخيولهم بحرية التحـرك أثنـاء الغـارات، وتـم حمـل

عائلاتهم إلي العربات المغطاة الخلفية، وكـانوا يسـتقرون - لـيس في قـري مفتوحـة لكن في معسكرات محاطـة بحصـون أو متـاريس رباعيـة الزوايـا- وتـم تخصـيص تكنولوجيا متطورة للأسلحة.

قبل نهاية الألفية بدأوا بالتحرك خارجاً - غرباً وجنوباً وشرقاً- وعنـدما دخـل الأتشيون اليونان كان الآريون في طريقهم إلي إيطاليا، وظهرت ثقافة مدنيـة رائعـة في هنجاريـا وبوهيميـا أزالـت آسـيا الصـغري، وتـم دمـج الولايـات السـابقة في الإمبراطورية الهاتيتية العظمي، ولم يحمل أي ملـك هـاتيتي اسـماً هنـديًّا أوروبيًّـا، والذي كان شاهداً صامتاً علي إحلال المهاجرين بعناصر أكبر، والذين كانـت لغـتهم الأصلية لغة الطقوس المقدسة.

وفي تبني الحروف المسمارية البارزة يمكننـا قـراءة أول لغـة هنـدو- أوروبيـة كُتبـت: «هزمـت ميتـاني (Mintani) بواسـطة بعـض الأرسـتقراطيين ذوي الأسـماء الهندو- أوروبية، وعلي الرغم من أنهم اتخذوا اللغة المحليـة لهـم، إلا أنهـم عبـدوا بعض الآلهة الهندو- إيرانية مثـل ميـثرا (Mithra) ، وفارونـا (Varona) ، وإينـدرا (Indra) ، والتوأم ناساتايا (Nasatya) ، أظهـرتهم رسـومات المقـابر المصريـة عـلي أنهم شماليين أصليين، في حين ظل أسلافهم أكراد شماليين يتحدثون الإيرانيـة، وقـام بعض الهندو- إيرانيين الآخرين بغزو سوريا وكنعان، وحكموا كملـوك ثـانويين عـلي المدن التي اشتهرت باسم إنجيلنا.

أما أسلاف حامورابي فقد تم إحلالهم بواسطة الكاششتيين، الـذين ربمـا كـانوا يتحدثون لغة قوفازية علي الرغم من أن أسماء الناس والآلهة تدل علي أصـل آري، وسرعان ما قاموا بتبني اللغة الأكادية ومعها الثقافة البابلية، وكان دافعهم الوحيـد هو حكم إقطاعي بواسطة صكوك العملة التي فرضت علي النظام الإقطاعي الأكبر.

وقد تم اكتشاف العنـاصر الآريـة بـين الهكسـوس الـذين أسسـوا إمبراطورية كبيرة في سوريا وحكمـوا مصر لعـدة سـنوات، وقـد أظهـر

الجهد المبذول لطردهم من جانب السلطة الحاكمة الثامنة عشرة بآسيا إلي تأسيس إمبراطورية، وإلي العناصر السامية وشعوب البحر المتوسط الأصلية أضافت سوريا العديد، من النيل والفرات، وقد نما التأثير الثقافي المصري بشكل كبير، ودخلت العناصر الأناضولية مع الغزو الهاتيتي لشمال سوريا، لكن الأكادية البابلية تم استخدامها كلغة عالمية للدبلوماسية والتجارة خلال الشرق الأقصي، وأصبحت الحضارة عالمية.

وقد كان الطريق ممهداً لإخناتون وتنبؤاته بإله محب تشمل رعايته الأبوية كل الناس، وأيضاً بتوحيده المتعصب، كل الفكر كان في تدفق نادي الفنانين الموهوبين بالتحرر من قيود تقاليد القرن القديم، وأنتجوا أعمالاً تتميز بالقوة والجمال الهائل، وقد قام الفنان العادي بتحويل الرسوم الكاريكاتيرية الحديثة الغربية.

ومغموراً بالأحلام الرائعة بدين عالمي، فقد سمح أخناتون للإمبراطورية بأن تنفصل، وتحت تأثير كهنة آمون الأنانيين أعاد الصبي توت عنخ أمون الديانات القديمة، وأدان التعليم المهذب للهيريطيقية، لكن الإمبراطورية المصرية لم يتم استعادتها، قام سيتي ورمسيس الثاني من السُلالة الحاكمة التالية بإعادة جزء من الحضارة، لكن الحروب ضد الهاتيتيين انتهت بتقسيم سوريا بين المتنازعين، حتي النسبة الضئيلة التي تم الاحتفاظ بها سرعان ما فقدت، وتوقفت مصر عن أن تكون مصدر القوة الأول، وأكثر فأكثر سقطت الأرض في يد الكهنة الذين قاموا بتأمين الملكية، وجعلوا مصر حكومة دينية حقيقية.

ظهر أشخاص جدد مرة أخري في الصورة، من الصحراء الشمالية الغربية أتي الآراميون الذين استقروا علي الحد من كنعان إلي بابل، وبشكل أساسي فإنهم استمروا في التحدث بالآرامية لكن جزءاً منهم - العبرانيين- تعلموا لسان الكنعانيين، وفي البداية تم تقسيم العبرانيين إلي قبائل متحاربة صغيرة، لكن عندما بدأوا في هزيمة المدن الكنعانية

بالتدريج قاموا بامتصاص شيء من الثقافة الكنعانية، والتي كانت قد نجت، واكتساب الثقافة المادية كان شيئاً جيداً، لكن الذي لم يكن شيئاً ساراً هو أخذ وعيهم الضيق البدائي المقحل ليكون ديانة فاسدة ضد قوي الخصوبة.

كان الضغط من الأشخاص الجدد في وسط وجنوب أوروبا يؤدي إلي جذب قبائل جديدة من الآريين، وكان الدوريون يتدفقون جنوب اليونان المتحدثة باللغة الهندو- أوروبية القديمة، وكسروا حدود الإمبراطورية الميسينية (Mycenaean) التي قامت بتجديد العلاقات المينوية (Minoan) مع مصر، وتم تدمير آخر البقايا المينوية، وذهب الآتشيون إلي الساحل الغربي لآسيا الصغري، حيث التقوا بالهاتيتيين والفريجيين والآرين الذين غيروا هيلسبونت (Helespont) واختاروا الأراضي العليا الجيدة للماء والغابات في الجزء الداخلي الغربي، وحول بعض الآتشنيين الآخرين إلي قبرص ليجدوا أن نصف الجزيرة قد استعمرت بالفعل بواسطة الفينيقيين، وآخر محاولة يائسة من قبل ميسينا أسرت تروي عن الفريجي الذي ألهمت ملحمته الأجيال اللاحقة لإنعاش الغزوات في آسيا، لكن هذه المحاولة دمرت الإمبراطورية، وتبعهم الأيونيون، وتزوجوا من الأناضوليين، واختفت الإمبراطورية - التي كانت في يوم من الأيام عظيمة- وسط فوضي الولايات الصغيرة.

أما عن حشود الرجال المُشردين سواء من الآرين أو المينويين فقد اتحدوا وتحركت الموجة عبر البحر أو من سوريا إلي مصر، حيث كسرهم ميرنيبتاح (Merneptah) ورمسيس الثالث أو الآتشيين وأجبروهم علي العودة إلي وطنهم، أو أبحروا إلي قبرص، في حين حَوَل السيسيليون والسامردينيون أسماءهم إلي جزر غربية، وجلب إندوسكانو (Etuscans) إلي إيطاليا البدائية ثقافة شرقية غنية، والتي أثرت بقوة في روما، واستقر الفلسطينيون بفلسطين التي أطلقوا عليها اسمهم، محصورين بين الغزاة من

البر والبحر، وبالتالي فقد الكنعانيون حريتهم، وللحظة كان الفلسطينيون في كامل قوتهم، ثم جلب الضغط الخارجي والحث النبوي الاتحاد للقبائل اليهودية، وكانت مملكة سول (Saul) فاشلة، لكن ديفيد صنع اتحاداً جيداً، وحولها سليمان إلي إمبراطورية صغيرة حاكت إدارتها الإمبراطوريات العظيمة التي كانت شرائعها الملكية كلها أجنبية، وأدت وفاته إلي التقسيم إلي إسرائيل ويهوذا وكانت إسرائيل هي الأقوي، وتمسكت بيهوذا كقسم موالٍ في حين كانت القدس ومعبدها في دمار تام.

وقد قام التجار السيدونيون بغزو أجيان (Aegean) وتبادل البضائع والكلمات مع اليونانيين، وجلبوا معهم أيضاً هدية غالية وهي الأبجدية التي طورها اليونانيون، وحيث إن هذه الأبجدية لم تكن لها أية حروف تمثل الحروف المتحركة، فقد استخدم اليونانيون بعض الإشارات الساكنة التي كانت تُمثل أصواتاً لم تكن موجودة في لغتهم لكتابة الحروف المتحركة الهندو- أوروبية المهمة، وفي المقابل تم نقل الأبجدية إلي آسيا الصغري، ولم تمثل الأبجدية اليونانية أية مشكلات للفريجيين الهندو- أوروبيين، لكن الليدين (Lydians) ، والليشين (Lyciaans) ، والكاريين (Cariaars) وجدوا أنه من الضروري اختراع حروف جديدة للأصوات المحلية، وحين استعاد اليونانيون قوتهم البحرية هجر الفينيقيون أجيان، وبدأ سباق شعوب البحر المتوسط الذي انتهي بسيطرة الفينيقيين علي شمال أفريقيا وأسبانيا.

وطوال القرون الطويلة ظلت آشور هي المصدر الثاني للقوة، وغالباً كانت خاضعة لبابل أو ميتاني، وفي الانهيار العام قرب نهاية الألفية الثامنة مدت آشور حدودها، وبعد فترتين من الضعف سمحت الثانية لليهود بتأسيس مملكت ديفيد، وأصبحت الآن أعظم مملكة في العالم، وكانت بابل عبارة عن قسم موالٍ، وتم غزو سوريا، وأجبر لهيوه (Lehu) إسرائيل علي الاستسلام في الحروب بين الولايات الأكثر أهمية، حيث

مرت حملات تأديبية ضد بارسوا (Parsua) ، وميد (Medes) بدون ملاحظة.

لسنوات قليلة كانت آشور يتم غزوها بواسطة هالديا (Haldiaa) التي تمتعت بسيطرة لفترة قصيرة بوصفها القوي العُظمي في العالم، أعطت لحظة التأجيل فرصة لتطوير هائل في الديانة اليهودية، وجوهريًّا كان رد فعل من العناصر الصحراوية ضد الحضارة، بلغت مواعظ إليشع (Eljeh) ، وإليشا (Elisha) ، أوجها في الإصلاحات الدموية ليوهوا (Lehu) ، ومن ثم لم تعرف إسرائيل إلهاً قوميًّا آخر سوي يهوا، ولم تستطع طرق الإصلاح ونتائجها السياسية أن ترضي أشخاصاً أفضل من ذلك، وثارت مجموعة نبيلة من الأنبياء ضد العناصر الكنعانية في الديانة وبالحماسة نفسها نادوا ضد الظلم الاجتماعي، وعظ آموس (Amos) عن يوم حساب شديد، ونادي هوسيا (Hosea) بالحب الراعي ليهوه، لكن إسحق (Issah) تنبأ مرة أخري بالدمار الذي قد حدث بالفعل لإسرائيل، قد نبهت غزوة سيناشيربس (Sena Creibh) إسحق والذي نتيجة لذلك قال بمناعة القدس ومعبد يهوه.

وعلي الرغم من ذلك، ظلت يهوذا خاضعة للآشوريين، كانت نشأة آشور هي بداية عصر جديد لحكومة البلاد التابعة، سعد الأسلاف بهذه الولايات التابعة، والتي تمت السيطرة عليها عن طريق مقيم وقليل من الجنود، وقامت آشور بتظليل المساحات التي تم غزوها إلي مقاطعات ظل مديروها علي صلة بالحكومة المركزية بواسطة الخطابات المستمرة، وتم نفي الثوار إلي الأراضي البعيدة، حيث اعتمدت رفاهيتهم المستقبلية علي ولائهم لأسيادهم الجدد، ووجدت العمليات بعبارة الإله القومي آشور والملك المقدس.

وعلي الرغم من اعتمادها بشكل أساسي علي بابل، فقد كانت الثقافة الآشورية انتقائية بشكل كبير، في المدن الكبيرة سواء عواصم ملكية أو مدن حرة في الدستور بتمكين رؤية حياة متنوعة ومليئة بالتعقيدات، وقد

استخدم الفينيقيون والآراميون فرص التجارة في الإمبراطورية الواسعة، واستخدمت رأس عشتار علي العملات، وتم ملء المكتبات الملكية بنسخ من الألواح البابلية القديمة، لكن الحوليات الملكية كانت نتاجات أصلية للمؤرخين الآشوريين، وإلي جانب الحروف المسمارية، فقد استخدمت الآرامية بأبجديتها الأكثر ملاءمة، أما التقدمات العلمية فقد أُشير إليها في نصوص كتابية عن الأسطح الملساء وخطابات من علماء الفلك الذين كانوا ينتظرون الخسوف القمري عند اكتمال القمر، والكسوف الشمسي عند الدورة الجديدة، والدورة الثامنة عشرة لسنة من الأشهر المقحمة - غالباً منذ عصر نابو- ناسير (Nebu- nasir) - الأعمال الآشورية مثلث المعارك وحياة القصر والصيد بشكل كبير ورسوماتهم للحيوانات نادراً ما كان شيء يتفوق عليها.

سادت بابل تحت حكم الكلدانيين، وتحولت آشور إلي حلف من الكلدانيين والميديين، والآن أصبحت هناك أربع قوي عالمية عُظمي، ووجدت مصر حياة جديدة تحت حكم الساتيين (Saites) الذين حكموا بمساعدة المرتزقة اليونانيين والكاريين، وسمحوا لليونانيين بأن يعيشوا حياتهم الخاصة نيوقراطيين (Nu Crates) ، أما خليفة فيريجيا، ليديا، فقد كانت غنية بذهب الباكتولس (Pactolus) وقللوا المدن الساحلية اليونانية، لقد كان دمج التجارة البحرية والداخلية مربحاً، ومع الثروة التي قدمت من مصر والبحر الأسود قاد الآيونيون أول حضارة يونانية مزدهرة رائعة، وأعاد نابوبولاسار (Nabo- Palassar) تأسيس الإدارة البابلية وممارسة الأعمال بدرجة جعلت إصلاحاته مسيطرة في البلاد مادامت الحروف المسمارية مستخدمة، وقد أُعيد بناء بابل بواسطة نبوخذنصر (Nebu- Chadnezar) وأصبحت عاصمة العالم، ودمرت القدس، وذهب الثوار المنفيون كما تنبأ بذلك جيرمايا (Jermiah) وإزيكيل (Ezekiel) ، وظهرت اليهودية إلي الوجود.

وحتي اليـوم توجـد تغـيرات كثـيرة في السُـلالات الحاكمـة وتـنقلات كثـيرة في الشعوب الأساسية، لكن وسط كل هذا كانت هناك علاقات ثقافيـة محـددة، وتبـع التطور الثقافي نمط كل جزء في الشرق الأقصي.

إذا كان الشرق يتم غزوه باستمرار من الخـارج لطبـع صـفاته الأساسـية دائمـاً عـلي القـادمين الجـدد، وبالنسـبة للمعـاصرين يمكـن أن تبـدو إيـران رابـع أعظـم إمبراطورية شرقية، ويبدو اليونانيون المتسائلون متشابهين تماماً، فأسلافهم اليمنيون والميسينيون، مجرد تلامذة للثقافـات الشرقيـة القديمـة، لكـن الأحـداث سريعـاً مـا أثبتت أنـه مـع ظهـور الإيـرانيين واليونـانيين عـلي مسرح الأحـداث مـن أن الشرق الأقصي قد دخل مرحلة التاريخ الحديث.

الفصل الثاني

الأصول الإيرانية

إيران ما قبل التاريخ:

منذ فترة طويلة، وقبل أن يُسمي السهل الطويل إيـران كانـت هـذه المنطقـة مأهولة بالسكان، وقد وجدت رقائق السبج تحت الرواسب الطبيعيـة منـذ الـعصر الجليدي المتأخر، في حين ترك الإنسان من العصر الحجري القديم الأدوات الحجرية البسيطة في الصحراء، وعند الألفية الخامسـة قبـل المسـيحية تحولـت العديـد مـن القري الصغيرة إلي مجموعة مسالمة من السكان الزراعيين، والذين أرضـوا غريـزتهم الفطرية من خلال صنع القـدور الخزفيـة بالرسـومات الرائعـة، وهـو تقليـد دقيـق للحياة النباتية والحيوانـات، والتـي تـدل عـلي اهـتمام أكـبر بجـمال التصـميم مـن التقديم الدقيق ووضع النمط الـذي سـوف تتبعـه جميـع الأعـمال الفنيـة التاليـة، القري المحترقة، والتغيرات في أشكال أواني الفخار تُشـير إلي تـنقلات السـكان، فقـط إيلام هي التي زودتنا بالكتابة والتاريخ علي الرغم من أن الألواح من سهل الوسـط نُقشت عليها حروف هيروغليفية إيلامية تُشير إلي أن اللغة نفسها كانت في صوصـا (Susa) ، وهي أكثر المدن أهمية في إيلام.

ولمعلومـات أكـثر عـن هـذه الشـعوب تتحـول إلي الفيديفـدات

(Videvdat) أو «القانون الإلهي» علي الرغم من أن صياغته كما يبـدو في الأفيسـتا كانت مكتوبة منذ فـترة قصـيرة قبـل عصرنـا، إلا أنهـا مـا زالـت تحـتفظ بالعنـاصر الأساسية لثقافة ما قبل التاريخ، ومن النظرة الأولي يبدو أنه عالم رائـع نلتقـي فيـه بسيد المنزل الغني بالماشية، والعلف، والكلاب، والزوجـة، والطفـل، والنـار، واللـبن، وكل الأشياء الجيدة، بالإضافة إلي النباتات المنتجة للحبوب والعنب والأشـجار التـي تحمل كل أنواع الفاكهة، والأراضي البعيدة كان يتم ريها بواسطة قناة تحت الأرض، وكانت هناك زيادة في قطعـان الماشـية، والكثـير مـن المخصـبات الطبيعيـة، ولكـن للحصول علي هذه النعم يجب العمل بجد لنثر الزرع والتشييد الجاد لقنوات المـاء تحت الأرض، لقد كان عالماً ليس به مكان للكسالي.

لقد سمعنا عن استخدام الجلود للملابس أو الملابس الصـوفية، وعـن الخيـام المصنوعة من اللباد مثل الذي يوجد في آسيا الوسطي، وعن منازل من الخشب مثل تلك التي تبقي فيها أكوام الغبار في سـهل أورومبـا (Umrmia) ، يمكننـا أن نكتـب عن مكانة الكلب، والذي كان في أي مكان آخر في الشرق مهملاً، وغير نظيف لكنـه في السهل عومل كفرد مكرم من العائلة مع مسؤوليات متعـددة ومكافـآت لعملـه، يمكننا أن نستعد للفـرح بـالفلاحين عنـدما ينتهـي الشـتاء الثلجـي، وتعـود الطيـور للطيران مرة أخـري، والنباتـات للظهـور، والسـيول للجربـان أسـفل الـتلال والريـاح لتجفف الأرض، لكننا سوف نُسئ فهم طبيعتهم تماماً.

الأديان القديمة:

بشكل مادي كان السكان ينتمون إلي تقسيم شعوب البحر المتوسـط الخاصـة بهم، وثقافيًا كانوا أقرب إلي شعوب آسيا الوسطي خاصة في تفكيرهم الديني.

ويخبرنا الكُتاب اليونانيون شيئاً عن ثقافة الشعوب البدائية التي نجت حتي يومهم هذا علي طول الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود، وفي عرض موقفهم بشكل خاص، فإنهم يمثلون ممارسات غريبة بالنسبة لممارسات القانون الإلهي.

وعلي سبيل المثال من بين الديربيسيين (Derbtices) قتل أكثر من سبعين رجلاً، وكلهم أقاربهم، وكانت النساء الكبيرة في السن تشنق وتدفن، أما الرجال الذين لم يحالفهم الحظ - حيث ماتوا قبل السبعين- كانوا يُدفنون فقط بين الكاسبيين (Caspians) الذين أطلقوا اسمهم علي البحر الذي كان يُسمي سابقاً هيركاتيان (Hyrcarian) ، حيث تم تجويع أكثر من سبعين فرداً، والجثث كانت تُرمي في مكان صحراوي وتتم ملاحظتها، وكانوا يعتبرون أكثر حظاً، وأقل حظاً إذا أكلتهم الوحوش المفترسة أو الكلاب، وأسوأ حظاً علي الإطلاق إذا تركت الجثث كما هي لم يلمسها أحد في باكترا (Bactria) ، وفي الشرق البعيد كانت هناك ممارسات بمثل هذه البشاعة حتي جاء غزو الإسكندر، كان المرضي وكبار السن يُلقي بهم إلي الكلاب الجائعة التي كانت تُسمي في لغتهم بمهمات الدفن»، وتشهد أكوام من العظام داخل الحوائط علي عادات الدفن بمثل هذه الشراسة والبشاعة، ولكي نفهم السبب وراء هذه الممارسات، والتي وجدت في كل التفاصيل المروعة في القانون الإلهي علينا أن نتحول إلي قراءة الأدب السحري الكبير للسومريين أو المهاجرين إلي بابل من آسيا الوسطي، أو الحملة الجديدة للشامانية الموجودين حتي اليوم في المناطق نفسها.

وفي الفكر المجوسي في صورته البدائية لم تكن هناك أية آلهة حقيقية، فقط عدد من الأرواح الشريرة التي كانت تهدد باستمرار حياة الفلاحين التعساء، والذين كانت هجماتهم الشديدة يمكن منعها فقط عن طريق طقوس الكره، وكان موطنهم في الشمال، حيث صدهم أعداء

بشريون آخرون، وبعد الغزو الإيراني لإيران لم نتفاجأ بوجـود إلـه العواصـف الآري إينـدرا (Indra) موجـوداً بـين الأرواح الشريـرة كـما في بابـل، حيـث كـان معظـم الشياطين بـلا أسـماء «انصرف أيهـا الشـيطان الشريـر، انصرف يـا شـيطان القبيلـة، انصرف أيها المخلوق، انصرف أيها الشيطان! في الشمال سوف تُهلك!» وآخرون كانوا يمثلون أشكالاً متعددة من المرض: «أحصنك من المرض، أحصنك من الموت، أحصنك من الحمي، أحصنك من العين الشريرة»، وهكذا، وعلي مر حلقات طويلة تـم طـرد العديد منهم - إذا كان العابد يعرف أسـماءهم- والأكـثر خطـراً مـنهم هـو أشـيما (Asheme) السكير - شيطان واحد يمنع المطـر- ومـنهم مـن يمسـك شـعر الرجـل وأظافره المقلمة، ومنهم يأتي بالحشرات لأكل الحبوب وللملابس.

زعيم كل الشياطين هو أنجرا مينيـو (Angra Mainu) «الـروح الشريـرة بـلا كفاءات، وخالق كل الأشياء الشريرة والحيوانـات الضـارة؛ ولـذلك تسـارع الجمـوع لقتل كل مـن يُمثـل هـذه الأرواح الشريـرة - النمـل والثعـابين والكائنـات الزاحفـة والضفادع والطيور- وذلك عن طريق هدم جحورهـا ومنازلهـا، وأيضـاً عـن طريـق تعاويذ المجوس من المحصنين بالعطور والتعاويذ السحرية التي عن طريقها يتحـرر الإنسان من مرضه ووسخه.

ولكن يمثل قوة الروح الشريرة وحشـوده مـن الشـياطين في الحيـاة اليوميـة كان الأكثر خطراً هو ناسو دروج (Nasu Druj) - شيطان الجثـة- «الـذي يعـود إليه جزء كبير من الأشياء الموجودة في القانون الإلهي، دفن أو إحراق الموتي يمكن عمله بواسطة الجـيران أو الأعـداء لكـن مثـل هـذا الأمـر السـهل لم يكـن خاصًّـا بأسلاف المجوس، وعلي الرغم من كل التحذيرات كان من المحتوم أن تغلف جثـة الشرير الأحياء بأمورها الفاسدة، والعدوي، والتلوث منذ اللحظة التي يفارق فيها النفس الجسد، وتكون الجثة غير نظيفـة، حيـث يحـوم « شـيطان الجثـة » حولهـا

لإصابة الأحياء فقط عن طريق الملاحظة الدقيقة للطقوس الموصوفة حيث يوجد الأمان: «لا يجب أن يلوث الموتي الأرض المقدسة أو الماء، ولا بد أن تكون الجثث مكشوفة ومربوطة بإحكام من القدمين والشعر، وفي أعالي البلاد تلتهمهم الكلاب والنسور، وفقط عندما تحرر العظام من الموتي ومن الأشياء الخطيرة يمكن تجميعها في معظمة «استودان» (Astudan) ، بها ثقوب تسمح للموتي برؤية الشمس»، إن وصمة هذا الموضع الذي يحتفظ فيه بالعظم ينتشر في كل الأدب الزوروستري (Zoroastrain) اللاحق، بالإضافة إلي الأرواح الشريرة التي تجعل منها قراءة محزنة.

تأثير العناصر الجغرافية:

غالبية الآريين تركوا منازلهم في جنوب روسيا من أجل سهول آسيا الوسطي، ولكن فقط مجموعة من الأشخاص القريبين للإيرانين وقلة من الآريين ظلوا هناك، وقد استقر الهيركانيون (Hyrcaniass) علي طول المنحدر الشمالي لألبورز (Alborz) والسهل الساحلي أسفله، وإلي جنوب البحر الذي أسموه باسمهم، وهذا السهل الذي ينخفض عن مستوي البحر، والذي جرفته سيول الأمطار إلي ستين بوصة في السنة كان شبه استوائي، لكن الغابات الكثيفة علي المنحدرات ضمنت الصيد للأسد والنمر، ونزل بعض الإيرانيين الآخرين أسفل السهل الذي تحيطه الجبال من كل جانب، وإلي الغرب يعلو زاجروس (Zagros) ، وإلي الشمال اليورز، وناحية الشرق برز السهل علي قمة العالم في الهيمالايا، في حين سدت سلسلة أكثر انخفاضاً المحيط الجنوبي عن طريق هذه الحواجز، وقد قسمت فروع أخري بقية المناطق، التي تنوعت فقط إلي الدرجة التي اختلطت فيها العناصر المشتركة - الجبل، والصحراء، والسهل الخصيب- ببعضها.

وفي الوسط، قامت هناك صحاري عظيمة من الصعب اجتيازها، ومغطاة من ناحية بالبحيرات الملحية، ومن ناحية أخري بالتربة السمراء الملحية، وكانت الجبال خالية من الأشجار أو حتي الشجيرات، وبين الجبل والصحراء توجد تربة جيدة تحتاج فقط إلي السماء، لكن السماء كانت كنزاً نادراً ونفيساً، لو كانت الجبال تحتجز الأعداء المحتملين فإنها تحتجز أيضاً الأمطار، وفقط من خلال ممرات مثل التي تقع بين رشت (Resht) وكازفين (Qazfins) نفذت بعض السحب القليلة، وهنا يمكن أن يصل سقوط الأمطار إلي ثماني بوصات، وفي أي مكان آخر مثل أصفهان يبلغ أربع بوصات أو أقل، ولم يكن هذا المطر كافياً في أي مكان حتي تنضج المحاصيل، لكن الثلوج الذائبة كانت لحسن الحظ تسيل أسفل حدود الجبال.

وفي جزء كبير من السنة تشع الشمس بحرارتها المحرقة من سماء خالية من السحب، وفي سبتمبر يبرد الهواء قليلاً، وفي نوفمبر تصبح الليالي باردة بشكل زائد، وأمطار الخريف يتبعها ضباب وثلج، وأخيراً عواصف ثلجية شديدة تزحف أسفل الجبل حتي تصل إلي السهل، وشمس منتصف اليوم - عندما تري- كانت ساخنة، وكانت تنشط من عاني من برودة الليل، وفي يناير تمتلئ الممرات وتختبئ القري تحت الثلوج، وتصبح معزولة في الشتاء، في الربيع تذوب الثلوج تقريباً بدون تحذير مسبق، وتتدفق مياهها أسفل المنحدرات الخالية تدمر الممرات، وتعزل القروين مرة أخري، وتمتلئ الجداول بالمياه الثائرة التي تستخدم كل قطرة غالية فيها بواسطة قنوات الري حتي تجف مرة أخري؛ ولذلك يتم البحث عن المياه في التلال الجافة، ولربما يبقي بعض الماء الناتج من التبخير، وكان لا بد من حمله بواسطة قنوات تحت الأرض، وذلك عن طريق إنفاق الجهد والوقت، حيث يتم الحصول علي ربع آخر من الصحراء الصالحة للزراعة.

هذا البحث الأبدي عن الماء ترك انطباعاً دائماً في عقول الفرس، وفي الأفيستا المقدسة كانت أناهيتا (Anahita) المسبحة - إلهة الألف جدول كما ذكرت في الشعر القديم- تغني بفرح عن الجداول المتدفقة والحدائق، وهو موضوع تكرر باستمرار، وبالنسبة للغرباء من الأراضي السعيدة يمكن أن تبدو الأنهار غير مهمة، وصنوف نباتات الحور وأشجار السرد والأشجار المزهرة وجنات الحدائق تماماً نقيضاً للصحراء والسهول الخالية، والقمم المغطاة بالثلوج تردهم إلي شيء جميل.

غزو القبائل الشمالية:

يوضح علماء الآثار أول أثر للشماليين عندما استبدلت الأواني الفخارية التي صنعها السكان الأوائل بفخار أفضل له لون أسود جنائزي، ومن خلال الحكم علي الجماجم يتضح أن القبائل الجديدة قد استمرت في التدفق، ويتم بناء حصن عظيم في دامغان (Damghea) ، ولكنه هوجم وتم الاستيلاء عليه، وأجساد الرجال الذين دافعوا عن هذا الحصن بالإضافة إلي أجساد زوجاتهم وأطفالهم قد تم العثور عليها بواسطة المنقب في المكان الذي ماتوا فيه.

حلقات من غزو إيران مختلطة بعلم الأساطير الآري موجودة في الأجزاء القديمة بالياشتس (Yashts) ، حيث نقرأ أول نسخة من التاريخ الفارسي التقليدي، والمعروف لدي الغرب، ومن خلال الملحمة الرائعة «شاه نامه» (Shah Nameh) أو كتاب الملوك الذي أنتجه الشاعر الإسلامي العظيم الفردوسي.

وتبدأ القصة بجايا ماريتان (أحايومارث) (Mareter) (Cayaaa loyonats) « الرجل الثاني » الذي كان جد الشعب الآري، بعده يأتي هاوشايها (Haoshyahe) (هوشينج) (Hosheng) أول ملك لباراداتا (Paradata) ، ثم (بس شاديديان) (Bes shadadyan) الذي كان قد تمكن

من جبل من الشرق يُسمي هارا (Hara) ، وقام بغزو شياطين مزانا (Mazana) وشريري فارينا (Varena) والذي يعتبر تذكاراً لإخضاع الأرواح العابدة لفاركانا (Varkana) أو هيركانيا (Hercania) (التي سُميت بعد ذلك مازاندران) (Mazandran) .

وعلي الرغم من ذلك، فنحن نعلم أن زادراكارتا (Zadrakarta) عاصمة هيركبانا في الأيام الإيرانية كانت علي الأرجح تقع علي رابية، وهذا ما أوضحه التنقيب فيها عن قري للإيرانيين في المواقع المحلية للفترة القديمة.

وإلي جانب هاوشايها تبعها ييما (Vima) الراعي الجيد، ابن فيفافانت (Vivahvant) أول من عصر الشراب المقدس الهوما Haoma ، وفي حكم ييما لم يكن هناك برد أو حرارة ولا حرمة ولا موت؛ لأنه جلب الخلود إلي الإنسان، أيضاً حرر الإنسان من الجوع والعطش، وتعليم الحيوانات ما الذي يجب أن يأكلوه، ومنع النباتات من الجفاف والذبول، لكن علي الرغم من أنه قد عاش علي الجبل المقدس (هوكاريا) (Hukairya) بالقرب من بحر فورو- كاشا (Vouru kasha) - الجنة الإيرانية- إلا أنه قد أخطأ، ولاحقاً أعلن زوروستر أن خطيئته هي إعطاء الإنسان لحم الماشية للأكل، أما ييما نفسه فقد قُطِّع إرباً بواسطة أخيه الشرير سبيتيورا (Spityura) .

وقد نجح أخ آخر - تاكهما أوروبا (Takhma Urupa) - في الاستبداد بالأرض لمدة ثلاثين عاماً، وهو روح شريرة يأخذ شكل الحصان - أنجرا ماينيو (Angru Mainyu).

وفي هذا الوقت حمل التنين أزي داهانا (Azi Dahaka) أو الثلاثة رؤوس وثلاثة أفواه وستة أعين وألف حاسة اثنتين من بنات ييما وجعلهما زوجتين له، وقد تم قتل التنين، وأنقذت السيدات بواسطة ثرايتوانا (Throetanna) (فريدن) (Feridun) ابن آثويا (Athwya) من فارنيا

ويعتبر الآن آريًّا، وتحكي عن هذا البطل حكاية أخري، وهي كيف قذف في الهواء بالبحار الحكيم بورفا (Paurva) الذي كان متنكراً في شكل نسر.

أما كريساسبا (Keresaspa) ابن سما (Same) فقد كان بطلاً، وانتقم لموت أخيه يورفاكشيا (Urvakshaya) القاضي والمشرع عن طريق قتل القاتل هيتاسبا (Hitaspa) وحمل جثته إلي منزله في عربته الخاصة، وإليه أيضاً يُنسب ذبح العديد من الأعداء سواء بشراً أو وحوشاً، مثل ذي الكعب الذهبي جانداريفا (Gendaareva) الذي عاش في نهر فورو- كاشاميد، والثعبان البحري الأصفر السام الذي طبخ علي ظهره الكبير كيريساسبا طعامه، ويحمل هيتاسبا اسماً إيرانيًّا ربما كان عدواً بدويًّا وهو لوراني.

العدو الثاني الذي تم ذكره كان أيضاً هوراني: فرانجراسيان (Frangrasyan) (أفراسياب) (Afrasiab) الذي سبح عبر نهر فورو- كاشاميد داخل صدعه الموجود بالأرض في محاولة يائسة لسرقة المجد الملكي الهائل الذي يمنح السلطة، وعندما أسر واعتقلت القسم الملكية الموالية تم إحضاره ليذبح علي يد كافي هوسرافا (Haaki Hasrafah) (تاي كوسراو) (Kai khosraw) .

وبذلك دخل الكافيون - الملوك الصغار- في التاريخ التقليدي، ومن الثمانية أعضاء للسُلالة الحاكمة المذكورة نتعلم المزيد عن المؤسس كافي كافاتا (كاي كوباد) (Kai Kobad) وابنه كافي يوسان (Kave Usan) مالك الجياد والجمال، والمتحكم في البحر الذي يحمل السفن، وعند كافي هوسرافا كاي كوسراد) الذي أتي من البحر المالح نشاتشاستا (Nacaachastaa) (بحيرة أورروميا) (Lake Urumua) ، والذي أخضع الأراضي الآرية وأصبح بطلاً عظيماً.

الفرس والميديون القدامي:

كان أول اكتشاف للفرس والميديين من خلال السجلات التاريخية

المكتوبة في 836 عندما تسلم الآشـوري شالبانسـير الثالـث (Shalmaneser) جزيـة من ملوك بارسوا (Parsua) قرب بحـيرة أوروميـا، ووصـل إلي أراضي مـادا (Mada) جنوب شرق مياهها.

ولذلك ذكر الشعبيين بشكل متكرر، وفي 820 وجدهم شـامشي أداد الخـامس (Shamshi Adad) في ما يُسمي الآن بارسواش (Parsuash) الواقعـة إلي الجنـوب خلف كيرمانشاه (Kirmanshah) الحديثة.

وفي 737 قـام تـيجلان - بيلـير الثالـث (Tiglath Pileser) - بغـزو بارسـوا، وتسلم جزية من الرؤساء الميـديين في الشرق البعيـد مثـل جبـل بكينـي (Bikni) ، وجبل لابيس لازولي (Lapis- Lezuli) ، كما سمي ديمافيد الملكية (Denavend) في أعماق قمته المغطاة بالثلوج.

هاتان المجموعتان من الإيرانيين ما زالتا تتحركان، كل وادٍ جـبلي حمـل قبيلتـه، ويتم الحكم من جبل حصني عالٍ عـن طريـق ملـك، والـذي كـان يـدفع بـين الحـين والآخر فدية لآشور عندما أجبره غزوهم علي ذلك، كونت بعض أجزاء المدينة الميديـة مقاطعة علي الرغم من أن حدودها كانت متقلبـة ولم يـتم تنظيمهـا بشـكل دقيـق، وفيما يتعلق بالغارات، فـإن الميـديين الآخـرين وكـل الفـرس اسـترجعوا اسـتقلاليتهم الكاملة طوال تاريخهم القـديم، حيـث كـان الإيرانيـون رعـويين عـلي الـرغم مـن أن الزراعة لم يـتم إهمالهـا، والكتابـات الزوروسـتية المعـاصرة قسـمت النـاس إلي أربـع وحدات محليـة: المتنـزل (ديمانـا) (Demana) ، العشـيرة (فـيس) (Vis) ، المقاطعـة (شويثرا) (Shvaactu) ، (فيـديزنا) (Vegena) ، وآيريامـان (Airyaman) ، والأخـيرة مثلت الطبقة الحاكمة، والتي انقسمت إلي الكـاهن (آثرافـان) (Athravan) ، وقائـد العربة (راثيشتار) (Rathaeshtar) ، والراعي (فاستيريا تشـويانت) (Viastye Fshu Yant) ، والفنان (هوتي)، ومن الواضح أن الطبقات الدنيا كان يتم فيها التمييـز عـلي أساس العرق، حيث إن اسم الطائفة كان «لون» (بيشترا) (Pishtra) .

أحد الملوك الصغار الميديين، واسمه داييكو (Daiauktue) تم أسره ورحل إلي سوريا في 715 وهو مـن الديوسـيس (Deioces) أنفسـهم الـذين أسـس تقليـدهم الإمبراطوريـة الميديـة، والحـاكم التـالي هوكاياكسـارس الأول (Cyaxares) وهـو يواكساتار (Uaksatar) الذي دفع بجزية إلي سارجون (Sargon) في 714، وفي أيام سيناتشيريب (Sennacherib) في 72 هو نفسه قـام بمهاجمـة المقاطعـة الآشـورية هاهـار (Harhar) ، والشروط القادمـة مـن بارسـواش وأنـزان (Parsuash and Anzan) ، والتي ادعت ملكياتها السابقة أنها الحد المؤسس، والـذي أعطـي اسـمه إلي السُلالة الأخمينية الحاكمة بأكملها، وكان ابنـه تيسـبس (Tespes) (تشـيثبيس) (Chispish) ملكاً عظيماً - ملـك مدينـة آنسـان (Anshan) - وهـو الاسـم الـذي سُميت به أنزان القديمة حاليًا، والتي ما زالت تقـع شـمال غـرب صوصـا عـلي نهـر كيركا (Kerkiha) ، لكنها الآن أصبحت في يـد الإيلاميـين، ومـن الواضـح أن الفـرس كانوا لا يزالون في طريقهم إلي الجنوب.

وقــد ولــد لتيســبس ولــدان- آيارامــانس (Ariaramnes) (أريــا رامفــا Aryaramna) وقـورش (Cyrus) (كورشـا (Kursh) الأول، ويوضـح لـوح ذهبـي سابق أن اللغة الفارسية كانت بالفعل مكتوبـة بـالحروف المسـمارية البـارزة، وإذا جاء الاقتراح من آشور أو إيلام فلم يكن هناك أي تقليد للنص، ولأول مرة في تـاريخ الكتابة المسمارية يتم فصل كل كلمة بواسـطة وتـد مائـل، أمـا الكتابـة التصـويرية للملـك والأرض والمـوطن والإلـه، وللإلـه الـرئيس «أهـورا- مـازدا (Ahuramazda) اتبعـت طريقـه - عـلي الـرغم مـن عـدم اتباعهـا للتكـوين- النصـوص المجـاورة، والإشارات الباقية تطلب أبجدية بسيطة، ثـلاث إشـارات للــ A, I, U بالكـاد تمثـل قراء الحروف المتحركة الإيرانية، واثنان وعشرون كـانوا مقـاطع سـبقت فيهـا الــ a لحرف ساكن، وفي أربع إشارات كان الحرف المتحرك يتبع بحـرف سـاكن، وفي

صيغة الحرف المتحرك عندما كانت هذه الحروف لا تنطق في بعض الأحيان تصبح للإشارة قيمة ساكنة خالصة.

دين الإيرانيين:

ظل الدين الإيراني ذا طبيعة آرية بسيطة تعبد الدايفاس (Doevas) أو الآلهة الحقيقية، وعلي رأس الآلهة كانت السماء التي كان اسمها دياوش (Dyaosh) مشابهة للإله زيوس اليوناني، والذي كان غالباً «السيد»، «آهورا»، أو الحكيم «مازدا»، وفي بعض الأوقات اتحدت مظاهر هذه القوي العظيمة مثل «آهورا- مازدا» «الإله الحكيم»، ويقول الملك آريارامنس: «هذه الأرض بارسا - التي أحكمها- والتي تحوي رجالاً وخيولاً جيدة قد خولني عليها الإله آهورا- مازدا، وبفضل آهورا- مازدا أصبحت ملك هذه الأرض، ليساعدني آهورا- مازدا»، وبهذا صيغ النمط الذي سيتبعه الملوك التالون.

الثاني في المرتبة بالنسبة للسماء كان ميثرا (Mithra) ، والذي عبده الإيرانيون في ميتاني لفترة طويلة وبعض الآريين الآخرين في الهند، ومثل كل الآلهة الإيرانية فقد كان إله الهواء المفتوح (الطلق)، وفي إحدي مظاهره العديدة اتخذ شكل الشمس نفسها في المثل الحديث «صديق الرجل الفقير» المرحب به بعد ليالي الشتاء الباردة والمرعبة في الصيف عندما تجف كل الخضروات، وقد ربطته فقرات أخري بسماء الليل، ومرة أخري كان أول الألهة، والفجر الذي يطل علي هرارا وجبل البورز قبل أن تشرق الشمس؛ ولذلك كان أول من يتسلق المرتفعات الذهبية الجميلة التي ينظر منها علي جميع البلاد الآرية العظيمة التي تدين له بسلامها وسلامتها.

علي كل هذه الأراضي الآرية حكم ميثرا كسيد للمراعي الواسعة، ولقد كان هو من يحمي أعمدة المنزل العالية ، ويثبت عضادة الباب، وإلي

المنزل الذي كان يسير بـه كـان يهديـه قطعانـاً مـن الماشـية، وأولاداً ذكـوراً، ونسـاءً جميلات، وعربات ووسائد رائعة، وبالنسبة لشعبه كان إله العدل، وعندما يستخدم اسمه كاسم شافع كان يترادف مع «الموافقة» التي كان يحمي تنفيذها.

ولم يكـن مـن السـهل خداعـه؛ لأن الألـف أذن والـعشرة آلاف عـين كـانوا يتجسسون علي من يكسر الموافقة، والرجل الفقير الـذي أخـذت منـه كـل حقوقـه كان يصلي له بيديه سواء كانت صرختـه عاليـة أو هامسـة، فقـد كانـت تـذهب في جميع أرجاء الأرض، وتصعد إلي السماء، حيث يسـمعها ميـثرا، والـذي كـان يعطيـه مكافأة عظيمة مثل إيقاع العقوبة علي المذنب، ولم تتطلب عبادته أي كاهن، وكان سيد المنزل يتوسل إلي ميثرا عن طريـق الإراقـة وشراب الهومـا (Haoma) ، «مـانع الموت»، جزء من الأشياء المكرسة له تكونـت مـن تضـحية بثـور، حيـث إن ميـثرا لا يستطيع أن يكون شريراً لعبيده مثلما هو جيد وخير، واستمرت تضحيات أو قرابين الحيوانات في الفترة الأخمينية، وفي بداية السنة الجديدة تمنح خيـول نيسـيان عـلي شرفه، وهي تمثيل الخيول البيضاء المقدسة لعربته الشمسية، وكل سـنة في احتفـال ميثرا يجبر الحاكم الأخميني علي شرب الشراب المسكر هوما، وأن يـرقص الفارسـية، وهي شكل من أشكال رقص الحروب من الأيام البدائية.

لكن ميثرا كان مثل إله الحرب يتضرع إليه - بشـكل زائـد ورائـع- الآريـون البدائيون، وكانوا قد فازوا بالسهل بالقوة، وبالقوة أيضـاً اضـطروا إلي الـدفاع عنـه ضد الأروميين، والترتيلة المخصصة لميـثرا تصـور الرعـاة المسـالمين تهـاجمهم سـهام مغطاة بريش النسر، وتضربهـا أقـواس مشـدودة، والرمـاح حـادة مثبتـة بجـذوع طويلة، والأحجار مقذوفة، وبواسطة خناجر وهراوات من النوع البحر متوسـطي، والأخطر من كل ذلك كانت التعاويذ التي تطلق ضدهم بواسطة المجـوس، ونـري

الأجسام مشدودة، والعظام محطمة، والقري خالية في حين تجر الماشية إلي جوار عربة المنتصر إلي الأسر في الحصون المشغولة بمحاربة مناصري ميثرا، وتستمر الترتيلة، حيث يتضرع ملوك الأرض إلي ميثرا حين يكونوا مستعدين للسير لمواجهة العدو المتعطش للدماء، ولمعركة علي الحدود بين البلدين المتنافسين، ويصلي الرجال علي ظهر الخيول لميثرا.

ويطلب السائقون القوة لفريقهم؛ لأنهم مثل كل النبلاء الآريين القدامي لا زالوا يحاربون من عرباتهم، وفي إقامته بجبل هارايتي (Haraiti) العالي اللامع، الجبل ذي الحصون الكثيرة يسمع مثيراً طلبهم للمساعدة، وعندما يقترب الشرير بخطوات مسرعة يقوم هو بربط الخيول الأربعة اللامعة إلي سارية عربته الشمسية الذهبية، وهذه الخيول كلها ذات لون أبيض ومزينة بالذهب والفضة وخالدة؛ لأنها تتغذي علي طعام الآلهة، وضد أسلحة عبدة الشيطان قام ميثرا بتثبيت أسهم إلي عربته، والتي لم يدنس ريش النسر الملصق بها، ويطعن العدو بألف فارس وألف رمح حاد ذي حدين من المعدن، وألف سيف ذي حدين، وألف عصا حديدية للرشق، وهراوة ضخمة مصنوعة من المعدن الأخضر ومزودة بمائة سن ومائة حد قاطع، وباختيارهم يطير كل هذا في الهواء إلي جماجم الشياطين وأتباعهم، واقفاً في عربته وملوحاً بسوطه وهراوته يقوم ميثرا محميًّا بخوذته الفضية ودرعه الذهبي باقتحام صفوف العدو، وبواسطة قوته الفائقة، ويشق الأسلحة، ويلعن الكاذبين علي جلالته، وهو لا يذهب وحده، فإلي يمينه يسير سروشا (Sraoshaa) «الطاعة» (إلي الجنود الإقطاعية) الجمال والقوة، ومزودين بهراوة ضخمة أخري، وإلي شماله يسير راشفو الطويل القوي (الصادق الصدوق) إله المحن وحوله المياه والنباتات وأرواح الأجداد السالفين، ويسبقه إله النصر فيرثراجنا (Verethraghaa) في شكل خنزير حاد الأسنان، وله فك حاد

وشفاه من الحديد مصحوباً بإله الشجاعة، ويتشبث بالأعداء الهاربين بوجه متعرق حتي يطقطق العمود الفقري - عمود الحياة ومصدر القوة في الحياة- وحتي يقطع الشفاه قطعاً يخلطها بالعظام والشعر والدماغ، ودم هؤلاء الذين كذبوا ميثرا.

لكن فيريثراجا كانت له مظاهر أخري، فقد كان الرياح (فاتا أو فاد) (Vata or Vayu) والثور ذا القرن الذهبي، أو الحصان ذا الأذن الذهبية، أو الجمل، أو الغراب، أو الخروف المفترس، أو الظبي، أو ربما يظهر كشاب، أو رجل ناضج، وهو لم يُعطِ فقط النصر للآريين ويحمي روح الثور المقدس، بل بالإضافة إلي ذلك يضمن للرجال النشاط والصحة علي الرغم من أنه في بعض الأحيان يستبد به ميثرا، ولكن لفريثراهنا الحق في منح أو سحب المجد الملكي الرائع (كفارينا) (Khivarenah) وذلك عندما يظهر في شكل ريح أو ثور، لقد كان مبدؤه أن يسيطر علي الفكر السياسي في النظرية السياسية اللاحقة.

لقد كانت هناك آلهة آخري بين العباد الآريين، والذين نلمح لهم لقطات صغيرة، وبين أكثر المكرمين كان تيشتريا (Tishterya) الشعري اليماني الأبيض المتألق، سيد ومراقب النجوم التي كانت تلمع في سماء السهل الصافية، وعندما انتهت السنة ينتظر الجميع ظهوره من الناصح الكبير بين الرجال إلي الوحوش المفترسة علي التلال والأليفة علي السهل، ويتساءلون: «هل سيجلب سنة جديدة للآريين؟»، ثم وهم يسألون في خيبة أمل: «متي يشرق تيشتريا من أجلنا؟ متي تتدفق ينابيع المياه الكبري من الحقول؟» ثم يظهر تشتريا وهو نفسه يسأل: «هل ستحظي الاراضي الآرية بسنة جيدة؟»؛ لأن هناك صعاباً لا بد من مواجهتها يجب أن تظل النجوم السبعة تحرس ضد سحرة الشمال الذين يحاولون منع تقدم تيشتريا عن طريق الاندفاع بين النجوم، ويضطر فانانت (Vanant) - قائد الجيوش المزدانة بالنجوم- إلي حمايته من الرعية

والأعداء، ولمدة عشر ليالٍ يظهر تيشتريا كشاب جميل في الخامسة عشرة، ويهب الرجال أولاداً ذكوراً، وعشر ليالٍ أخري يظهر فيها كثور ذهبي القرن وتتكاثر الماشية، وفي الليالي العشر التالية يظهر في شكل حصان ذهبي الأذن، ويذهب عبر نهر فورو- كاشاميد، حيث ينزل إليه الخيل الأسود أبوشا (Apaaoshaa) (تجسيد الجفاف) ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ويهزم تيششتريا، ثم تتجدد قواه بواسطة قرابين العباد، ويعود إلي الدخول في النزاع، ففي ظهيرة اليوم الأول يهرب «الجفاف»، ثم يبدأ البحر في الغليان، وتغطي السُحب الجزيرة إلي منتصفها، ويكونان معاً السحب التي تدفعها «الرياح» إلي الجنوب، أما أبان نابات (Apan Nepat) - ابن المياه، وسيد النساء، ومولود البرق- فيتولي عدة مناطق أرضية نعرفها بالمياه التي تصح بها الأبدان، وإذا قام الشعب الآري بصب الشراب الإلهي لتيشتريا ووضع الماشية من أجله - واحدة من كل لون- فلن يستطيع الوباء أو المرض ولا جيوش العدو وعرباته أن تغزو أراضي الشعب الآري.

في الفترة الأخمينية كانت كل هذه الوظائف تغتصبها واحدة من آلهة الطبيعة القديمة - أناهيتا- والتي من جبالها العالية تنزل المياه التي تحول الصحراء إلي حقل وبستان، وحيث كانت هي صافية فلا بد أن تكون أنهارها كذلك، والتي لا يمكن أن يلوثها حتي غسيل الأيدي، وتصبح بعض آلهة المياه الأخريات زوجات لأهورا.

ما زالت هناك بعض آلهة الطبيعة يمكن التعرف عليها، القمر المشرق (ماه) (Mah) ، وخسوفها الذي يعامل الكواكب الخضراء تنير الأرض، والتي كانت هي نفسها آلهة واسعة السلطة، وبواسطتها يمسك «القمر» بزمام «الثور» في حين تصبح للبقرة أيضاً قرون، أما فاو (الريح) فينزل من التلال لينعش السهول في الصيف، ولكنه يكون بارداً جدًّا في الشتاء، وكان أيضاً موقراً، أما آثار (آلار) الذي كان يحيل القرابين إلي

الآلهة فقد كان إلهاً عظيماً، وفي كل مكان يري الناس مذابح النار المقامة لعبادته، وكان يستحق كل التكريم؛ لأن الناس تحتاجه في الشتاء عندما يكون الوقود نادراً وباهظاً، أما الهوما - الشراب المقدس الذي يبعد الموت- فدائماً لعب دوراً كبيراً في الشعائر الآرية، وكانت الترانيم والشراب الإلهي يكرم آلهة العالم السفلي، ما عدا النار المقدسة، حيث شعر الإيرانيون بأنهم ليسوا بحاجة إلي المعابد والمذابح، وعلاوة علي ذلك، فإن عقولهم استطاعت أن تفهم الكيانات الإلهية المنزهة عن أية رموز مثل التماثيل، وكانت القرابين تقدم لآهورا علي قمم الجبال الخاوية، والتي تصبح جميلة فقط عندما تكون مغطاة بالثلوج، وهي بذلك تكون قريبة من السماء الخالية من السحب، ومتوجاً بنبات الآسي العطري يأخذ المضحي الضحية إلي مكان مفتوح وظاهر، حيث يتضرع باسم الإله، ويذبح الأضحية، ويسوي لحمها، وتصبح القطع علي مساحة كبيرة في أكثر الأعشاب نعومة، والأكثر تفضيلاً هو نبات الفصة، ثم يقوم واحد من المجوس بغناء ترتيلة تتعلق بأنساب الآلهة، ثم بعد ذلك يأخذ المضحي اللحم ليفعل به ما يريد، وتلك هي رواية هيرودوت (Herodotus) .

كارابان (Karapan) ويوسيج (Usej) ، وهما كذلك مثل متحدثين لمانثرا (Manthra) ، لكن أكثريتها سقطت كطقوس بأيدي المجوس، النصر المعتاد لطبقة الكهنة علي الغازين، وحتي الآن ظل المجوس قبيلة ميدية منفصلة ومميزة بشكل كبير عن النبلاء الآريين، وكان تأثيرهم الضار عن الوثنية الآرية هو الأكثر رقيًّا بشكل كبير في المستقبل.

الإمبراطورية الميدية:

جاءت قبائل جديدة من آسيا الوسطي، جميراي (Gimmirrai) أو ساموين (Simmerisas) وتبعوا أولاد عمومتهم الإيرانيين حتي السهل،

تاركين أغطية الفرس المزركشة، والسكاكين، والعصيان، بلوريستان (Luristan) ، أما الفرسان الآشوريون الباحثون عن جبال جديدة وصلوا إلي أراضي باتوشاري (Patusharri) علي حافة الصحراء الملحية الوسطي، وحملوا ملوك المدينة، وهم شيديريادرتا (Shidarparna) وإبيارنا (Eparna) ، وفي السابق لاحظنا تشيترافارنا الأول (Chitrafarna) أو تينافيرنس (Tinaphersnes) الأكثر أهمية هو كشاثريتا (Kashathrita) والمسمي أيضاً بفرافاتيش (Fravatush) أو فردرتيس (Phraedrtes)) ، والذي طبقاً لهيرودت (Herodotus) حكم ميديا لمدة ثلاثة وخمسين عاما بالضبط من 675 إلي 653، وقد بدأ كثبس كرية كاركاش (Karkash) لكن بعد مهاجمة العديد من القري الآشورية، حيث كون ائتلافاً ضد الآشوريين من الميديين والسيسريين.

يقول لنا آريارامنس (Ariyramen) - ابن تيسبس- إن أهورا- مازدا أعطاه بارسا ومجموعة من الخيول والرجال، وهو يصف هزيمة الأراضي الفارسية المستقبلية والمعروفة لليونانيين باسم فارس، وإلينا بفارس الحديثة، وسمح لأخيه (Cyrus) بلقب والده «الملك العظيم لمدينة آنسان»، وهو نفسه «ملك عظيم، ملك الملوك، ملك بارسا»، لكن سيطرته كانت قصيرة لأن الميديين دخلوا البلاد، وأصبح الفرس قسماً موالياً للميديين، أما اللوح الذهبي لآريارامنس فقد تم حفظه كغنيمه غير مشروعة في العاصمة هانجماتانا (Hangmatana) (إكباتانا).

هذه المدينة تقع علي آخر المنحدرات شرق جبل أورفانت (Urvant) (أرونتس) (Oronates) وله قمة من الجرانيت ترتفع لمسافة اثني عشر ألف قدم فوق مستوي سطح البحر، وهي جزء من سلسلة يصعب اجتيازها تمتد في الشمال والجنوب، ويتخللها فقط ممر واسع يؤدي إلي الأراضي البابلية، وفي الصيف يكون الطقس رائعاً، حيث تقع إكباتانا علي ارتفاع 6.280 قدماً فوق مستوي سطح البحر، ويخفي أورفانت أشعة شمس

الظهيرة، ويبعث ثلوجه الذائبة في عدة مجارٍ لتروي الحدائق والبساتين الجميلة أسفل المدينة، وتصب في حقول السهول الواسعة، ولا تزال هناك أراضٍ أكثر خشونة ترعي فيها قطعان كبيرة من الخراف والماعز والخيول الناسانية الشهيرة، وفي الشتاء تعصف العواصف، حيث تنخفض الحرارة إلي عشرين تحت الصفر، ويصل الثلج إلي اثنين أو ثلاثة أقدام فوق مستوي الأرض، ويغطي الممرات بارتفاع عشرين قدماً، ويقطع الاتصال بالعالم الخارجي من كل جانب، لكن هنجماتانا سيطرت علي الطريق الوحيد السهل من الغرب إلي أمام السهول، وأهميتها المستمرة تشهد عليها الولايات المزدهرة التي أعقبتها، إيكباتانا وهمدان.

ومن هانجماتانا استمر الطريق العظيم شمال شرق كازفين (Pajnin) ، ثم إلي شرق راجا (Raja) ، والتي منها أخذت منها ميديا الثانية اسمها، أما طهران عاصمة إيران الحالية هي الخليفة الحقيقية لراجا علي الرغم من أن الموقع القديم يتجه شيء ما إلي الجنوب، حيث تبعه الراجيون من اليونانيون والراي من العصور الوسطي، وبالتالي كانت راجا خلفية قرية ما قبل التاريخ تحت حماية مجموعة من الصخور المعزولة في الشرق والغرب، وحماية أكثر من رياح الشتاء الباردة التي منحتها سلسلة جبال البورز من الشرق للغرب، والتي في الغالب وصلت إلي ارتفاع عشرة آلاف قدم، وإلي شرق راجا ظهرت ديمافيند (Demavend) عشرين ألف قدم علي القمة سدت سلسلة جبال البورز الرياح الجالبة للمطر من الشمال، لكن عوضاً عن ذلك أرسلت الثلوج في الأخاديد التي وصلت إلي الصحاري الملحية فوق مساحات من الحصي، وتشهد الهضبات علي حافة السهل علي الاحتلال فيما قبل التاريخ وما يتبعه.

تلك كانت راجا مثل إكباتانا دائماً طريقاً مركزيًّا مهمًّا، ومنها سار الطريق الثاني إلي الغرب، ومن خلال كازفين - الذي له فرع جانبي علي بحر هيراكانيين- استمر الخط الرئيس إلي الغرب من تابريز إلي سهول

بحيرة أوردويا أو أسفل الحصون الرواندية إلي آشور، كونت البلد ميديا ثالثة ولم تُسمي بعد ميديا أتروباتينا (Atropatina) أو آدهاربايجان (Adharbaigan) ، وهنا يلتقي - قرب نهاية القرن الثامن- الميديون والفرس الذين تعرف عليهم الآشوريون لأول مرة، وسرعان ما وقرت هذه المقاطعة، حيث إنها مولد زوردستر، ولم يبعد الطريق شرق راجا، وتحول شمالاً خلال البوابات الكاسبية (Caspian) ، ومرت تحت ديمافيند، ومتحولة مرة أخري إلي الشرق عبرت قبائل إيرانية أخري ثم من باكترا (Bactria) ذهبت شمال شرق إلي آسيا الوسطي أو جنوب شرق إلي الهند.

والبلاد الثلاثة الميدية سكنتها القبائل الميدية - بوسا، باريتاسيني، ستراتشياتس، أريزانتي، وعبودي- والتي أضيفت إليها القبيلة غير الإيرانية من المجوس، وهؤلاء الميديون كانوا لا يزالون نصف بدويين، وفي الأعمال الآشورية تم رسمهم بشعر قصير مربوط بعصابه حمراء ولحية قصيرة مموجة، وفوق ردائهم يرتدون معطفاً من جلود الخراف الذين ما زال الصديق الأفضل للمسافر في ليالي الشتاء الباردة علي السهل، والذي تطلب أيضاً أحذية عالية الرقبة لتغوص في أعماق الثلوج، وكانوا مسلحين بالرماح الطويلة، ويدافعون بالدرع المستطيل الأضعف، هؤلاء النصف بدويين الذين ساعدهم الفرس، تجرأ فادورتس بمساعدتهم علي مهاجمة آشور فقط ليلاقي الهزيمة والموت في المعركة (653).

أصبحت بارسا مرة أخري مستقلة، وبعد عامين في (651) تحالف قورش (Cyrus) الأول مع إيلام في إرسال المساعدات شاماش- شم- يوكين (-Shamash Shum- Ukin) في بابل، الذي ثار ضد أخيه آشور بانيبال وآشور، حيث إن بارسا في النصوص الآشورية تستخدم الاسم القديم جوتي، ثم أبلغ موظف آشوري في يورك عن عودة الملك الإيلامي هامبانيجاشي (Humbanigashi) إلي أرض هيدالو (Hidalu) يصحبه أناس من أرض بارسوامش، ونص آخر يذكر الإيلامي تاماريتو (Tammarito) ،

ويقتبس من خطاب العدو: «إلي شعب بارسواش لا تتقدموا، وابعثوا بهم بسرعة إيلام وأخور ملكك» سارت الأخبار من إيلام إلي آشور بانيبال عن طريق نائبه إلي بابل - بيل- إبيتي- وتتضمن خبر أشرمارسواس.

بعد غزوه لإيلام بفترة قصيرة وتدمير عاصمتها صوصا - كما تؤكد لنا أخور- باني- آباك- سمع الملك قورش (Cyrus) ملك بارسواش عن سير الملك الآشوري العظيم إلي إيلام، وبعث ابنه الأكبر أروكو (Arukku) بجزية إلي نينيفي (Nineveh) ليعلن خضوعه ويلتمس عفوه، ولكن كانت هناك أسباب أكبر للغارة.

كيناكسارس (يوفاكشاترا) (Cyaxares Uvakhshatinx) كان قد خلف والده فرورتس، وحمل اسم إله الحرب فديثراحنا، وقد أعيد تشكيل الجيش عبر خطوط جيشه، وقسم الرجال إلي رجال رماح، ورماة سهام، وفرسان، ويبدو أنه كياكساريس الذي غير الملابس والأسلحة.

ويتضح أيضاً شكلان مختلفان من المنحوتات في بيرسبوليس، وتميز الميديون بارتداء الأزياء الإيرانية الأهلية، وعلي رأس القلنسوة المستديرة برقبة خفيفة، وينتهي برداء ضيق طويل الأكمام عند الرقبة، وممسوك بحزام مزدوج بإبزيم مستدير، وفوق الرداء عليه أن يلبس في أوقات الاحتفالات معطفاً للتشريف، وتشير البناطيل الجلدية والأحذية المربوطة إلي أن مرتديها قضوا أوقاتاً طويلة عند ظهور الخيول، وكانت اللحية القصيرة المدببة، والشارب، والشعر المربوط علي الرقبة كلهم مموجين في حين أعطت العقود والأقراط زينة إضافية، وظل الرمح هو السلاح الرئيس للدفاع والمصنوع من خشب القرانيا برأس برونزية مدببة، وقاعدة مثبتة بمقبض معدني، وإلي هذا الرمح أضاف الكثير من المحاربين القوس الذي يتم حمله في كنانة واضحة والسهام، ويتناقض الزي الميدي مع زي الفرس السابقين، وتميزه القبعة المحززة والرداء الطويل إلي الكاحل والأحذية عالية الرقبة المربوطة.

وبإعادة تنظيم الجيش الميدي أصبح التهديد الموحد لآشور كبيراً، توفي آشور- باني- آراك، ولم يجرؤ الخلفاء علي تبديد قوتهم بمساعدة حلفائهم مثل بارسا، خلفاء آريارامينيس، وقورش (Cyrus) أجبروا مرة أخري علي أن يصبحوا موالين لكياكساريس، ومرة أخري عاد الآشوريون، وأصبحت نينفبي تحت الحصار من الميديين عندما وصلت الأخبار بأن السكاثيين جاءوا من البوابة بين الجبال القوقازية والبحر الكاسبي.

وعندما هزم بواسطة ماديس ابنة بروتوثايس، اضطر كياكساريس إلي دفع جزية لمدة ثمانية وعشرين عاماً حتي قتل قائدهم السكير في مأدبة.

تم تدمير نينيفي في عام 612، ووسط الحطام قام كياكسارمي والمعروف الآن في بابل بملك عمان هاندا (Umman Handa) بهزيمة القبائل السكانية ليصنع السلام مع نابوبولاسار، وبعد عامين، وعن طريق هزيمة آشور- بوسالين (Ashur u bellt) هاران (Harran) قام كياكسارمي بتدمير آخر مظهر للحكم الآشوري، وفاز بكل المدن (Hesspotamie) الشمالية، ومنذ أن أغلق الطريق إلي الجنوب بواسطة التحالف مع الكلدانيين - الذين أيضاً حكموا صوصا- اتبع كياكتارس زاجورسي، حيث تميل ناحية الغرب بلاد أرمينيا الباردة، وحيث وجدت بعض الجيوش الإيرانية الأخري مملكة هالديا وقدموا لغتهم الهندو- أوروبية الخاصة.

وقد اتجهت الوديان الأرمينية الخصيبة أسفل «أنتي- توروس» (Ant- Tausus) وحتي السهول الواسعة لكابادوكيا (Cappadochia) ، وهي السهول الواسعة لكابادوشيا (Cappadeia) ونهر هاليز (Halys) وحدود ليديا.

وانتهت خمس سنوات من الحروب والمعارك في وقت الكسوف الشمسي (8 مايو، 585)، وبسلام احتفظ به الهاليون بحدودهم، وقد

رفض الكادوسيون علي طول بحر هدكانين الاستسلام، لكن حاكم بارثيا أعلن نفسه موالياً.

قسمت أربع قوي عظمي ميسيا، كالديا، ليديا، ومصر الشرق الأقصي بينهم، لكن من كل هؤلاء فقط ميديا هي التي يمكن أن يطلق عليها اسم امبراطورية، والأهم من ذلك أن ميديا مثلت أول إمبراطورية أسسها المحاربون الشماليون أندين يتحدثون لغة إيرانية، ويفكرون بطريقة شمالية، والشيء الأسوأ حظاً هو الحقيقة البائسه أنه لم يتم التنقيب في أي موقع للفترة الميدية، في حين تلقت عاصمتها إكباتانا اهتماماً كبيراً، فيمكننا أن نقول إن القري في همدان من الممكن أن تعطينا تفاصيل كاملة عن الثقافة الجديدة، أو حتي تسمح للميديين بالتحدث عن أنفسهم بلسانهم الإيراني الخاص.

الفصل الثالث

قورش المؤسس

التحالف مع بابيلون:

أصبح آستياج Astyages الآن يحكم ميـديا Media ، وذلـك في مكـان والـده الذي كان يُدعي سياكسـاريس Cyaxares واسـم أسـتياج بالإيرانيـة كـان هـو أرش تيفاجا أو Arshtiviaga وهي كلمة إيرانية تعني «رامي الرمح»، ولكن فترة حكمه الطويلة من (550- 585) كانت تتسم بالضعف، وفي الأقاليم الفارسية علي الجانـب الآخـر، يجـد أن أريـارامنر Ariarammes قـد نجـح بمسـاعدة ابنــه أرسـاميز (Arsames) وذلك في الجانب الآخر، وأعطـي قـورش (Cyrus) مكانـاً هنـاك لـيس لأوروكو Arukku وإنما لابنـه الأصـغر منـه وهـو قمبيـز (Cambyses) (يعنـي أن قورش أعطي السلطة والحكم إلي ابنه قمبيز (Cambyses) من بعده)، وكان يُطلق عليه قمبيز (Cambyses) الأول أو كانبوجيا (Canbujiya) ، والملك العظيم، وملك آنسان Anshan ، حيث تزوج آستياج ابنة الملك قمبيز (Cambyses) والتي تدعي «ماندان» Mandane والتي أنجبت لقمبيـز (Cambyses) الأول، قـورش (Cyrus) آخر، وفي عام 559 أصبح قورش Cyrus الثـاني ملكـاً عـلي آنسـان Anshan ، وبـدأ حكمه من عاصمته المفتوحة باسارجاداي Passargada .

ونجد أن المسرح الفارسي مُعد الآن جيداً من أجل الاحتفاظ بالروح

المحاربة الإيرانية القديمة؛ فإن قـورش (Cyrus) الـذي أرهقـه الـترف يقـوم بعمـل ثورة، حيث إن قبيلته في باسارجاداي (Pasargada) يُمكن الاعتماد عليها؛ وذلك لأن عائلته (وهم الأخمينيين Achaemeaniane) كانوا يقومون بدعم ومسـاندة قـادة هذه القبيلة، ومع قبيلة باسارجاداي كانت هناك قبيلتان أخريان يشتركان معهـا في هذا التمرد أو هذه الثورة، وهما قبيلتي المرافي Maraphii والماسي Masipii ، وإلي تلك القبائل ما زالت تتجه قبائل أخري لتشترك معها، وهي القبائل الزراعية (بانثالي Panthialaei ، والدروسي Derusiaei وجيرماني Gremanii وهي علي الأقل واحدة من الكيرمان Kerman ، وأيضاً قبائل الرعي اليدوية وهـي الـداي Dai ، والمـاردي Mardi ، والـدروبيسي Dropici والسـاجارتي Sagartii ، ومـن بـين هـذه القبائـل وجدنا الماردية وهم أصحاب قبيلة الماردي والذين قاموا باحتلال الصحراء الغربيـة من موقع بيرسـبوليس Persepolis ، وظلـوا لفـترة طويلـة يحـافظون عـلي سُـمعة البريجاندز Brigands ، بينما نجد أن الساجارتين وهم أصحاب قبيلـة السـاجاردي يقطنون واحة اليازرد Yazd ، وأثنـاء الحـديث باللغـة العامـة والشـائعة، نجـدهم كانوا مميـزين عـن غـيرهم بـالنقص في الأسـلحة المعدنيـة الدفاعيـة، حيـث كانـت أسلحتهم فقط هي الخنجر والـوهن (والـوهن هـذا هـو حبـل في طرفـه أنشـوطه، ويستعمل لاقتناص الخيل والركاب).

والآن أصبح الفرس جميعهم متحدين تحت قيادة قـورش، والـذي بـدوره كـان يبحث عن أي تحالف ضد ميديا Media ، وذلك من القوي العظيمة المحيطة، حيث كانت المملكة الأقرب والأكثر منطقية هي مملكـة بابيلونيـا Babylonia ، وفي الجيـل السابق، كانت بابيليون في حلف مع ميـديا، ولكـن في هـذه اللحظـة وبمجـرد أن تـم تدمير عودوهم المشترك وهو آسيريا Assyria ، فإن هذا الحلف قـد انتهـي، وعنـدما قـام نيبوشـادينزاي Nebuchadenzaai بجميـع المهندسـين مـن أجـل بنـاء القـلاع

العظيمة لحماية بابيلون وجعلها مملكة حصينة لا تقهر، كان العدو الـذي يخشـاه هو جارته ميديا Media .

وبعد فترة حكم طويلة وناجحة، فإن البابليوني العظـيم المنـتصر قـد تـوفي في السابع من أكتوبر عام 562، وبعـد أقـل مـن عـامين مـن الحكـم، فـإن ابنـه آميـل مـاردوك Amel- Marduk في الثالـث عشر مـن أغسـطس عـام 560، والـذي كـان يتبعه زوج ابنه الملك نيبوشادنزاي (زوج أخت آميـل مـاردوك) وكـان يُطلـق عليـه نيرجال شاريوسير Nergal- Shar- usur ، قد بقـي في الحكـم حتـي 22 مـايو عـام 556 عندما حـددت الألـواح بدايـة حكـم ابنـه الشـاب لاباشي مـاردوك Labashi Marduk .

ونظاما الحكم هذين بقيا فـترة قصـيرة، ولكـنهما أعطيـا أمـلاً كبـيراً للقـوميين (جماعة القوميين) والذين كانوا دائماً يسـتاءون مـن حُكـم الأسرة المالكـة أو الأسرة الحاكمة، وبعد ثلاثة أيام من ذكر بداية حكم لاباش ماردوك بواسطة الألـواح كـان هناك أيضاً ظهور منافس والذي كان يُدعي Nrobu Neid ، وبالنسبة لنابونيد فإن لاباش ماردوك كان شاباً بدون ضعيف الفهم أو الاستيعاب، ويعتقد نـابو أنـه عـلي عكس إرادة ومشيئة الآلهة قد قام بفرض نفسه عـلي المملكـة، وقـد كانـت هنـاك تلميحات حول ثورة في القصر، والتي كان يتزعمها نابو من أجل أن يصبح هو الملك بدلاً من لاباسين، وبواسطة دعم الجيش والنبلاء، ولكن في الحقيقة أيضـاً بـأمر مـن ماردوك وهو سيده، بأن يتم رفع نابونيد إلي قيادة الدولة والأرض، وذلك عـلي حـد زعم نابو، وهو أيضاً زعم أنه ممثل لكـل مـن نيبوشـادنزر ورينجـرال - شـار بـوشر ومن سبقوهم- وعلي أية حال، وبعد أقل من شهرين من حكمة (حُكـم نابونيـد)، فإن الملك الصغير قد تم قتلـه وتعذيبـه بشـكل بشـع، وأصـبح نابونيـد هـو الملـك والقائـد والحـاكم الوحيـد للبـاقين مـن الإمبراطوريـة الشـالدونية أو إمبراطوريـة Chaldoen .

ونجد أن ادعاء نابونيد بأنه هو الممثل الفعلي والصحيح لسياسـات

الفاتح العظيم قد تم دعمه بواسطة التقرير الخاص بحكم ملائم، وذلك بواسطة ماردوك Mardouk ، حيث نجد أن نبوخذنصر Nebuchadnezzar نفسه قد ظهر ليقوم بتفسير الظاهرة، وبعض الآلهة المقدسة البابليونية الأخري نجدها قد قامت بإرسال رؤي أخري حول ذلك، والمعبد العظيم لماردوك في بابليون (إيساجيلا Esagila) قد تمت استعادته بشكل عظيم ومجيد، حيث تم الاحتفال بعيد الميلاد بداية من 31 مارس عام 555، حيث نجد أن نابونيد قد أخذ دورة في حدق الملك، حيث قام بمسك يدي ماردوك، وأصبح بعد ذلك معروفاً بالملك الشرعي، وكانت الهدايا الثمينة يتم إرسالها إلي معبده، ثم قام نابونيد بعد ذلك بالتحول إلي الرحلات في كل بابليونا، خصوصاً في المدن الجنوبية وفي سن آور Sin Ur ، ولارسا Larsa وإشتار Ishtar ، وغيرها من المدن التي قام نابونيد بزيارتها.

وبالرغم من كونه كذلك، إلا أن نابونيد، لم يكن في أصوله بابليونيًّا خالصاً أو متأصلاً، حيث إن والده كان من نابوبالسو Nabubalsu ، والذي كان يُطلق عليه «الأمير الحكيم»، وكان بالفعل يبدو وكأنه الكاهن الأساسي للمعبد الذي كان مشهوراً جدًّا في ميسوبوتامين هران Mesopotamian Harran ، والذي كان يُطلق عليه معبد «إله القمر»، وحيث كان الحكم الخاص بآسيريا Assyria ينطلق من هذه المدينة، إلا أن هران Harran ظلت في أيدي ميديا Medes والتي تركت المعبد علي دماره وخرابه، وبشكل حرفي مجرد تماماً، كان حلم حياة نابونيد أن يقوم باستعادة هذا المعبد، وهو المعبد الذي لا تزال روح أبيه تعيش فيه، ولكن هذا يتطلب في البداية أن يتم استعادة أو أخذ هذا المعبد من أهل ميديا.

وعندما أخبر بايونيد بذلك، وفي أول عام له من الحكم، أتي إليه الإله ماردوك Marduk وسين Sin وذلك في مقامه، حيث أمره ماردوك بأن

يقوم باستعادة معبد هـران Harran ، ونحـن نتسـاءل عـما إذا كـان كهنـة معبـد إيسـاجيلا Esagila قـد وافقـوا عـلي ذلـك أم لا؟ وعنـدما قـام نابونيـد - خائفـاً- بالاحتجاج علي أن الميدين يحيطون ويسيطرون علي هـذا المعبـد، وأن قوتـه (قـوة نابونيد) تزداد، نجد أن ماردوك قد قال له: «إن ميديا Mede التـي نتحـدث عنهـا، هي أرض المعبد، وأرض قورش (Cyrus) والملوك الذين يرهبون هذا الجانـب لـيس مـن حقهـم ذلـك، وعنـدما تـأتي السـنة الثالثـة، فـإن الآلهـة سـوف تجعـل قـورش (CYRUS) ملـك آنسـان ANSAN وقـورش (CYRUS) هـو العبـد الـذي سـوف يتقدم بجيشه الصغير، حيث إنه سوف ينـتصر عـلي الميـديين الـذين هـم ممتـدين ومتسعين، وسوف يقبض علي آستياج ملك الميديين ويأخذه أسيراً إلي أرضه».

الانتصار علي الميديين:

من أجل هذا الأمل، فإن نابونيد قام بعمل تحالف مع قورش (Cyrus) ، وهـو الثائر علي ميديا وضدها، وحتي يقوم بالوفاء بالاتفاق من جانبه فإن نابونيد قد قـام بتشكيل جيش خاص من أجل مواجهة المتمردين الذين يعيشون في الأقطار والأقـاليم التي كانت تحت سيطرة نايوشادنزر، وقبل أن يُغادر فـإن نابونيـد قـد تـرك القيـادة الخاصة ببابليونيـا إلي ابنـه الأكـبر بيشـار يـوشر Beishar Usur (وكـان يُطلـق عليـه بلشازر Belshazzar وذلك في كتاب دانيا)، وبدأ في التقدم إلي هران Harran .

ولم يكن هناك أية مساعدة ممكنـة للمدينـة؛ وذلـك لأن ثـورة وتمـرد قـورش (Cyrus) جعل آستياج مشغولاً بها في ميديا، وتم الاستيلاء علي المدينة بسرعة، وتم الإبقاء علي المدينة كما هي، وقام الجيش بوضع أسس المعبد في عام 555.

وفي العام التالي، استمرت عملية إعادة غزو سوريا، وفي يناير عـام 553، كان نابونيد في هاماث Hamath ، وفي أغسطس نجده قـد ارتـاد جبـال

أمانوس Amanus ، وفي ديسمبر، نجده يقوم بقتال الملك أريدوم Edom ، بينما كانت قواته في غزة Gaza علي الحدود المصرية، والأسري اليهود غير المتأثرين أو المتضررين من ذلك، كانوا يتوقعون سقوط بابليونيا Babylon ، ولكنهم سرعان من خاب أملهم، حيث قام آستياج بإرسال جيش، وذلك تحت قيادة هارباجوس Harpagus للوقوف في وجه القبائل المتمردة في مصر، ولكنه نسي كيف يقوم بتعزيز هذا الابن، ولكن هارباجوس لم ينسَ، وتوجه إلي قورش (Cyrus) ومعه أفضل جنوده، والجيش الثاني كان قيادته لآستياج شخصيًّا، والذي وصل إلي العاصمة Parsa ، حيث قبض علي الملك، وقام بتسليمه إلي قورش (Cyrus) ، وتم غزو إكباتانا Ecbatana ، وتم نقل ثروته المكونة من الذهب والفضة والأشياء الثمينة إلي آنسان Anshan ، وأصبحت ميديا الآن أمة غير مستقلة، وأصبحت أول مرزبانية هي مرزبانية ميديا Meade .

وعلي الرغم من ذلك، فإن العلاقات الحميمة بين الفرس وأهل ميديا لم تُنسَ وإكباتانا المقبوض عليه بقي في الضيافة الملكية، حيث تمت معاملة أهل ميديا مثل الفُرس، وكان يتم توظيفه في المكاتب والوظائف العليا، وكان يتم اختيارهم لقيادة الجيوش الفارسية، وكان الأجانب أو الغرباء عادة ما يتحدثون عن ميديا مثلما يتحدثون عن فارس بانتظام، حتي كانوا يستخدمون مصطلح «الميديين» نفسه، وهذا يدل علي أنه لم يعد هناك فارق بين ما هو ومن هو فارسي أو ميدي».

ومع قيام قورش (Cyrus) بفتح ميديا وغزو هذه الإمبراطورية، بدأ بعد ذلك في التطلع إلي غزو آسيريا Assyria وميسويوتاميا Mesapotam وسوريا Syria وأرمينيا Armenia ، وكابادوسيا Capadocia ، وكانت هي المطامع الخاصة بالإمبراطورية الميدية، وكانت هذه المطامع في درجة عالية من الصراع مع تلك الخاصة ببابليونيا، وبالتالي فإن كل الأسباب الخاصة بالحلف مع بابيلونيا قد اختفت الآن، وذلك عندما قام كل طرف

بتحقيق أهدافه وأداء دوره حيث إن تدمير الإمبراطورية الميدية قد أدي إلي عدم توازن في القوي، وبالتالي فإن الحرب بين قورش (Cyrus) والقوي الثلاثة الباقية وهي إمبراطوريات ليديا Lydia ، وبابليونيا Babylonia ومصر وكانت متوقعة كما سيأتي ذكره.

بداية انهيار الإمبراطورية البابليونية:

لم تكن هناك أية رؤي عن الآرية البابليونية، والتي تخلت عن بابونيد، حتي تقوم بتحذيره بأن الموقف الدولي قد أصبح خطيراً وعلي حافة الهاوية، حيث كانت أقطاره تتجه نحو تحقيق مزيد من الفتوحات في الغرب، حيث قام بترك أريدوم Edom علي حدودها الصحراوية، وقام بالتوغل في عمق شبه الجزيرة العربية، حيث تمت مهاجمة تيما Teima في واحتها المركزية، وتم قتل ملكها، ولسبب غريب، قام نابوتير ببناء قصر هناك مثل ذلك الاموجود في بابليون، وقام بجعل مقر إقامته هناك، والوثائق والكتابات العملية من السنوات التي كانت تلي ذلك مباشرة أوضحت وذكرت القوافل التي كانت تحملها الجمال، وكانت هذه القوافل تحمل الطعام إلي الملك في تيما Tema .

وفي هذه الأثناء، بدأ بيلشازر Belshazzar يُمارس القيادة والسلطة في بابليونيا، وهي تلك القيادة والسلطة التي تعهد بها أمام والده نابونيدو ووثق فيه ليحافظ عليها حتي يعود، حيث أشارت العديد من الخطابات والوثائق العلمية إلي ابن الملك علي أنه كانت في يده السلطة المركزية.

ومن العام السابع للملك وحتي العام الحادي عشر علي الأقل - أي من (545- 549)- كان الملك في تيما، وابن الملك ونبلائه وجنوده كانوا في أكاد Accad ، وفي الشهر الأول، لم يأتِ الملك إلي بابليون، ولم يأت نابو إلي بابليون، ولم يذهب بيل Bell بعيداً عن إيساجيلا (Esagila) ، وتم إلغاء العيد الخاص بالعام الجديد الذي يتم الاحتفال به، ومن ثم كان هناك

حرمان من العرض السنوي العظيم ومن الفرص الخاصة بعمل أموال، ولذلك فإن سكان بابليونيا بالطبع أصبحوا غاضبين، والكهنة الذين يخصون ماردوك، والذين كان لهم تأثير أصبحوا مُبعدين ومُنصرفين عن ذلك بشكل كامل، لإهمال الأمير العظيم لمدينتهم.

الغزو الفارسي لليديا Lydia :

مع وصول الأخبار التي تقول بأن الحلف الميدي قد انتهي، قام ملك ليديا كروسوس Croesus بدون تردد بجمع كل المبالغ المفروضة، وقام بعبور حدود هالي Haly وذلك حتي يجمع الباقي من الإمبراطورية، وقورش (Cyrus) الذي استعادها قام بإخلاء اللقب «ملك فارس» شعر بأن ذلك تحدياً ومسؤولية، يجب أن يضطلع بها ويكون قدرها؛ ولذلك ففي أبريل عام 547 نجده قد انطلق من أجل أن يقابل الغازي أو المعتدي، حيث كان يطوي الأرض تحته حتي وصل إلي الخط الأساسي لزاجروس Zagaros ، وذلك علي بوابة آسيا « Asia »، وخلف البوابة كان السقوط وشيكاً، حيث أصبح الهواء البارد بعد ذلك فجأة حاراً، وأشجار الضوء وغيرها قد أعطت الطريق إلي أشجار النخيل، وأصبح قورش (Cyrus) علي حافة السهول العظيمة ميسوبوتام Mesopotam .

وربما يكون قورش قد تحول إلي الجنوب وذلك ضد بابليونيا، حيث لم تكن مهارة مهندس نبوخذنصر Nebuchadnezzar قد قامت ببناء وتشييد قلاع الملكة الحصينة والتي سوف تحميها من أي اعتداء أو هجوم خارجي، وبشكل حكيم نجد أن قورش قد أرجأ التقدم لبابليون، وقام بالاتجاه شمالاً إلي آسيريا Assyria ، حيث كانت أربيلا Arbela لقرون عديدة شامخة، وذلك بواسطة آشور Ashur ونينيفا Nineveh وحافظت علي مكانتها كعاصمة جديد لآثورا Athura ، حيث قام قورش (Cyrus) بعبور التيجريز Tigris ، وذلك أسفل مدينة أربيلا Arbela ،حيث تقع

آشور Ashur ، أما الآلهة الخاصة بكل من آشور ونينيفا فقد تم الحفاظ عليها، وذلك فقط من خلال المأوي أو الملجأ الذي كان خلف أسوار بابليونيا، وفي ناحية الغرب عن بعد علي الطريق الرئيس توجد هاران Harran والتي كان يزعم أو يُعتقد أنها جزء من أثورا Athura .

وقد بلغ والد نابونيدو من العُمر أرزله، وبلغ المائة في عام (550) وخليفته في مكانته، وهو كاهن سين Sin الذي لم يستطع مقاومة الغازي أو المنتصر، وليس هناك ذكر لسقوطه في مصادرنا، فقط مسيرته والموقف القائل بفقد هران Harran ومعها يسقط (المعبد) الذي قد ضحي من أجل استعادته نابونيد، وضحي بإرادة ماردوك الجيدة، ومشيئته الحسنة، ولهذه الخسائر، فإن الانتقام الوحيد الممكن سوف يكون من خلال إيجاد بابليونيا مع ليديا Lydia .

ومع حلول شهر مايو، فإن قورش (Cyrus) كان جاهزاً ومستعداً، وذلك للتقدم ضد كروسوس Croesus ، والطريق العظيم تم اتباعه مرة أخري، وذلك عبر شمال سوريا التي كانت أيضاً منفصلة ومتحررة عن الإمبراطورية الحديثة (نابونيد والي سيليسيا Cilicia) ، حيث لم يمانع أهلها، وقبلوا مرور الفُرس، ونتيجة لذلك أو مكافأة لذلك من خلال السماح والاحتفاظ ببقاء ملوكهم، والذين كانوا يحملون بانتظام اسم سينيسيس Syennesis ، وعبر البوابات الخاصة وسيليسيا، نجد أن الجيش يقوم بدخول كابادوسيا Cappadocia والتي تم تنظيمها كمرزبانية فارسية أخري وأُطلق عليها كاتباتوكا Katpatuka ، وفي الوقت نفسه، استقبلت أرميتيا قورش (Cyrus) علي أساس أنه خليفة لآستياج Astyages ، وأصبحت منذ ذلك الحين وصاعداً هي مرزبانية أرميديا.

وبعد معركة لم يكن مخططاً لها أو تم أخذ قرار المدينة الموجودة حول مدينة آلاساهويوك Alacaa Huyuk ، والتي أقيمت بها حفريات حديثاً، حيث يتقاعد كروسوس Croesus في سارديس، ويتم أخذ المبالغ

المفروضة بواسطته، حيث يقوم نابونيد بابليون وأهل إسبرطة علي الأرض اليونانية في مقابلته في الربيع، ولم يكن لدي قورش (Cyrus) أية نية في أن يترك لعدوه أي وقت ليجمع شتاته أو يقوم بتقوية وتعزيز نفسه، وبالرغم من الشتاء، نجد قورش (Cyrus) يتقدم بسرعة إلي الغرب، وفي السهل الصغير شرق هولوس Hyltus مع هيرموس Hermus والتي أصبحت فيما بعد معروفة بأرض «قورش» (Cyrus) وبناءً علي نصيحة هارباجوس Harpagus ، نجد أن قورش (Cyrus) يقوم بوضع جمال الحقائب والأمتعة وذلك أمام أو في مواجهة خطة، حيث إن الجمال بشكلها ورقبتها وسنامها وأصواتها تخيف الخيول وتجعلها تذهب إلي البراري، ثم يقوم أهل ليديا المترجلين علي أقدامهم بإعادة تشكيل أنفسهم، والقيام بالمحاربة بشجاعة، ولكنهم في النهاية كانوا مجبرين علي العودة إلي القلعة، وقد كانت هناك استغاثات هائلة وسريعة يتم إرسالها إلي الحلفاء، ولم يكن هناك وقت للإجابة علي هذه الاستغاثات، حيث بعد أربعة عشر يوماً من الحصار، يتم تسليم سارديس، ويتم أسر كروسوس Croesus ...

وفي مايو نجده يتحرك إلي أرض ليديا Lydia ويقوم بقتل ملكها وتأخذ مكاسبها وغنائمها العظيمة، ويقوم بوضعها في حاميته العسكرية، وبعد ذلك كانت حامية الملك العسكرية موجودة هناك، وكان هذا هو التقرير الرسمي الذي ذكره قورش (Cyrus) وعلي وجه الحقيقة الفعلية، نجد أن كروسوس Croesus يتبع العادات الشرفية، ويحاول الهروب قبل أن يتم الحكم عليه بالإعدام أو يتم قتله، وخلال نصف القرن الثاني، فإن ميسون Myson وهو رسام فازة الأتيك al- Attic يقوم بتصوير كروسوس وهو متوج علي عرشه وأبوللو Apollo الخاص بدلفي Delphi قد تم تكريمه بشكل كبير بواسطة ملوك ليديا، وبالنسبة لكروسوس Croesus ، نجده يتفوه ببعض الوحي الغامض، وهو الذي قاده بوضوح إلي الموت، والبرستيج الخاص بأبوللو لم تتم إهانته، ولاحقاً كانت هناك أسباب

وحسابات صادقة تم نشرها وذلك حول قدر كروسوس Croesus ، حيث يُعلن الكهنة في البداية أن الإله نفسه قد حمل الملك إلي الخلود، وذلك في أرض الهيبربوريان Hyerboyeans حيث يعتقد الإغريق أنه يُقيم في منطقة شمالية تنعم بأشعة الشمس التي توجد علي نحو سرمدي، ثم تأتي بعد ذلك القصة الشائعة، والتي تقول بأنه في اللحظة الأخيرة، عندما كان كروسوس بالفعل علي البير Pyre (وهي المحرقة أو ركام من الحطب لإحراق جثة ما كطقوس جنائزية)، حيث كان قورش (Cyrus) ممسوكاً بمنتهي الندم، وهو يحاول أن يحميه ويحفظه، بالرغم من أن المحرقة كانت تلهب بشدة، ثم يقوم أبوللو Apollo بإرسال مطر غير متوقع ليقوم بإطفاء لظي هذه النيران العاتية، ويتم إنقاذ كروسوس حتي يُصبح هو مستشار الملك الأول، وأخيراً، فإن الهيبروبوريان تم تأمينها ويستقر كروسوس في بارينى Barene بالقرب من إكباتانا Ecbatana .

وقد تم جعل ليديا مرزبانية، والتي كان يُطلق عليها مرزبانية سبرديش Saparda أو سارديس Sardis ، وقد كان المرزبان هو الفارس تابولوس Tabalus ، والإدارة الإقليمية كانت لا تزال في المرحلة التجريبية، وقورش (Cyrus) - طبقاً لذلك- قد حاول تعيين من هو من أصل ليدي وهو باكتياس Packtyas حتي يكون مسؤولاً عن كنوز كروسوس التي تم الحصول عليها.

خضوع الإغريق وأهل ليسيا (Greeks) (Lycians) :

وهذا العام 547 كان مميزاً أيضاً بالاتصال الأول بين الفرس واليونانيين، ولم يدرك أي من الشعبين الشخصين الحقيقيين لهذا الاتصال، حيث إنه بالنسبة للإغريق أو اليونانيون، كانت بلاد فارس ببساطة عبارة عن ملكية بربرية بشكل أكبر، والتي كانت تجارتها وتجارها ربما يستفيدون من المدن والولايات القريبة، وكانت تعمل

معهم تحالفات في مجال التجارة، ولكنهم لم يحلموا أبداً بأنه في جيل واحد سوف يصبح نصف العالم اليوناني المتقدم كثيراً والأغني بشكل مستمر هو تحت السيادة والسيطرة الفارسية وأن الجيل الثاني لهذا الجيل سوف يكون مُجبراً علي مقاومة الإمبراطورية الفارسية، وذلك في محاولتهم لضم كل الولايات اليونانية والتي ما زالت محتفظة باستقلالها، وجعلها تحت السيادة والسيطرة الفارسية، فهم لم يتخيلوا أو يتنبأوا أنه خلال الفترة بالكامل، وحيثما كان هذه الولايات بالكامل تستمتع بحريتها، فإن علاقاتها الدولية سوف تكون تحت سيطرة وسيادة الملك الأخميني العظيم وحتي في تلك الشؤون الداخلية، فإن الأحزاب السياسية ربما تنتج أو تفشل من حيث إنها مع آوجتير الفرس، أما بالنسبة للفرس، وأثناء النصف الثاني من هذا القرن، فإن اليونانيين علي الحدود الغربية ربما يبقون فقط مشكلة صغيرة وبسيطة علي الحدود.

وقبل المعركة النهائية مع الليديين، فإن قورش (Cyrus) قد عرض وقدم شروطاً وبنوداً للمدن الساحلية اليونانية، ولسنوات طويلة، كانت هذه المدن خاضعة إلي الليديين Lydian ولكن النير (هو استخدام استعماري، حيث أن النير هو جزء من الثوب يطوق العنق والكتفين) الخاص بهم قد تم صنعه بسهولة (بمعني أن السيطرة عليهم كانت سهلة من خلال السيطرة علي أعناقهم وعلي أكتافهم)، بينما نجد أن الطبقات التجارية (طبقات المجتمع التي كانت تعمل في مجال التجارة) والتي كانت تحكم حكوماتها في ذلك الوقت قد ازدهرت وأصبحت طبقات غنية، وذلك من خلال الغرض المقدم بواسطة التجارة باعتباره جزءاً من تلك الإمبراطورية الليدية الغنية، وبشكل طبيعي تماماً نجد أن ولايات المدينة قد رفضت العرض الكريم فيما عدا ولاية ميليتوس Miletus ، والتي كانت شاردة لدرجة تقديس من سوف تكون في يده السُلطة القادمة، والفرس في ذلك الوقت قد تعلموا درسهم الأول في التعامل

مع الإغريق أو اليونانيين وهو تقسيمهم أو تشتيتهم، ثم بعد ذلـك غـزوهم، ومـن ثم يأتي النصر عليهم وفي الوقت نفسه، فإنهم ربما يكونون قد تعلموا درسهم الثاني.

وأبوللـو Apollo وهـو الإلـه الفاسـد والمـرتشي والخـاص بوسـطاء الـوحي أو الكهنة، ومن صـومعته أو معبـده الـرئيس مـن دلفـي Delphi ، قـد قـام بتقـديم حديث غامض إلي كروسوس Creoesus الذي أسهم في ثقته المغالي فيها، ومـن ثـم ساهم في سقوطه، وفي برانشـيد Branchidae كـان المعبـد الخـاص بـأبوللو لولايـة الميلتوس Miletus وهو أيضاً ربما يكون قد تمت رشوته مـن خـلال الكهنـة، حيـث يظهر السؤال بشكل حتمي، وهو: هل كان لـديهم دور في التسـليم السـهل لولايـة ميليتوس Milletus ؟

ومع ذلك فنحن نجيب عن السؤال، حيث تبقي الحقيقـة أن كـلاً مـن أبوللـو الخاص بميليتوس وأبوللو الخـاص بـدلفي - وذلـك طـوال فـترة النصـف الثـاني مـن القرن- ظلوا أصدقاء باستمرار للفرس.

ومع الفتح أو الغزو، آلت ألقاب وأشياء الليدين القدماء إلي قـورش (Cyrus) ، ورفض غالبية الإغريق أو اليونانيين الخضوع تلقائيًّا إلي الفُـرس جعلهـم متمـردي، ودورهم ووظيفتهم لم تتحسن ومكـانتهم أيضـاً، وذلـك بواسـطة مـا اعتـبره قـورش (Cyrus) بالتأكيد حاجة ملحة؛ لأنهم يجب أن يبقوا متمتعين بالوضع نفسه الـذي كانوا يتمتعون به في ظل حُكم كروسوس، وعندما تم رفض هذه الحجة؛ لأنه - مـن وجهة نظرهـم- جاء متأخراً جدًّا، وبالتالي فإن تدعيم قدرتهم يعني الحرب بالنسبة لقورش (Cyrus) ، وهؤلاء المتمردون من الإغريق قـد اتجهـوا إلي إسـبرطة Sparta والتي كان يعرف قورش عنها وعـن هـؤلاء المتمـردين، ويعتـبر أن ذلـك هـو حلـف ضئيل وسوف يفشل في الظهور أساساً، وفي قمـة الانـدهاش، تسـلم الملـك العظـيم المظفر الطلب من السفارة والذي يمنعه من القيام بإيذاء أية مدينة يونانية؛ وذلـك لأنه سوف يكون هناك عقاب من إسبرطة.

ومع رحيل الملك إلي إكباتانا Ecbatana ، فإن باكتياس Pactyas قام بـالتمرد، وبواسطة الكنز الذي كان موكلاً إليه ومسؤولاً عنه، قـام باسـتئجار المرتزقـة (وهـم الجنود المستأجرين للخدمة في جيش أجنبـي)، وهـم مـن اليونـانيون، حيـث تمـت محاصرة تابالوس Tabalus في سادريس Sardis حتي أتت المساعدة، وجـاء الـدعم تحت الميدي مازارس Mazares والذي قاد المتمردين ودفعهم للهـرب، وقـام بنـزع أسلحة الليدين بالكامل.

وقد كان هناك مواطن بارز مـن مـواطني سـمي Cyme والـذي كـان يُـدعي أريستوديكوس Aristodicus وهو ابن هيراقليـدس Heracleides الـذي قـد حـاز سمعة مميزة بين اليونانيين.

وذلك من خلال رفض قبول وسيط الوحي هـذا، وذلـك بشـكل واضـح، ومـرة أخـري يقـوم السـفير بزيـارة أبوللـو Apollo في بـرانش Branchidae ، ويقـوم أرسطوديكوس Aristodicus - باعتباره هو المتحدث- بإعادة الاستفسار، ويتسـلم الإجابة نفسها، وقد قام بالفعل بالتخطيط، ونجـد أن أرسـطوديكوس يقـوم بسرقـة كل أعشاش الطيور الموجودة في المعبد، ويتم سماع صوت إلهي يقول: «يا لـك مـن رجـل شريـر، كيـف تجـرؤ عـلي فعـل ذلـك؟ هـل سـوف تقـوم بسرقـة المتوسـلين والمتفرغين لي من المعبد»، ولم يتردد أرسطو ديكوس من أن يجيـب قـائلاً: «سـيدي، كيف تستطيع أن تُساعد أولئك المتوسلين والمتفرغين، بينما تطلب مـن أهـل سـيما Cymae تسليم المتوسل أو المتفرغ؟» ولـذلك جـاء الكـاهن ليقـوم بـالرد، ويقـول: «نعم لقد أعطيت أوامري إليك أيضـاً بـألا ترجـع هنـا مـرة أخـري وتسـأل وسـيط الوحي حول تسليم المتوسلين أو المتفرغين.

وسيم Cyme لم يؤمن بالخرافات، بينما كان باكتيس Bactyas هو متوسل أو متفرغ خطير؛ ولذلك فقد تـم إرسـاله إلي الملجـأ، وذلـك مـن أجل تأمين ميتلين Mitylene ، وقد كانت ليس بـوس Les Bos جزيـرة، ولم يكن لدي الفُرس أسطول بعد، حتـي بـاكتيس Pactyas ربمـا أصـبح

آمناً بعيداً عـن التهديـدات، بيـنما نجـد أن أهـل ميتسـلين كـانوا عـلي وشـك بيـع اللاجئين، وذلك عندما قام أهل سيما بخططهم، وقـاموا بإحضـار بـاكتيس Pactyas بواسطة السفينة إلي كيوس Chios وإلي الأمان المفترض أنه سـوف يجـده في معبـد آثينا Athena ، وهو حـامي المدينـة، وكيـوس Chios وهـي جزيـرة أخـري كانـت بالشكل نفسه بعيدة عن التهديدات وآمنة، وانتهت القصة الحزبية بواسطة تسليم باكتيـاس Pactyas ، وذلـك بالتبـادل مـع الأراضي الخاصـة بـأترانوس Atraneus ، وتعلم الفُرس درساً آخر، وهو أن اليونانيين يسهل شراؤهم.

وبشكل واضح فإن الخطوة التالية كانت هـي خضـوع تلـك الأراضي والمنـاطق التي رفض اليونانيون أن تكون خاضعة أو أن يتم تسليمها، فقد قاوموا ببسالة، ولكن كل يُقاوم لنفسه، وتم أخذها واحدة تلو الأخري، وهي البرين Preine وسهل مينـدر Meander ، وماجنســيا Mangensia ، وهاربــاجوس Harpagus الميــدي تمــت مكافأته، وذلك نتيجة خيانته وأصبح هو المرزبان الجديد، وهـو قـدم السـلام للفوكـا Phocea ، إذ قام المواطنون فقط بتدمير قطاع مـن حـائط المدينـة، وقـاموا بتسـليم منـزل واحـد للإقامـة الملكيـة، وقـام أهـل فوكـا Phecea بالإبحـار لـيلاً مـن المدينـة الصحراوية ولكن لاحقاً أصاب الإعياء نصفهم أو قدراً كبيراً منهم، وعادوا مـرة أخـري، ونجد أن توسي Toes تبعث المثال نفسـه، وهـي مدينـة مـن المـدن المهمـة، والمـدن الأخري علي وجه السرعة تم الاستيلاء عليها، والمـدن التـي كـان يقطنهـا أهـل أيونيـا Ionia أصبحت أيضاً عن طريق الخديعة خاضعة لباكتيس Pactyas وتم تحويلها إلي مرزبانية، أمـا المـدن الدريونيـة Dorian ، فلـم تُظهـر أي قتـال، فقـط مـن نيـدوس Cnidus حاولت تأمين حدودها، وأيضاً أبوللو Apollo الخـاص بـدلفي Delphi قـد تتبـع مثـال أبوللـو Apollo الخـاص ببرانكيـد Branchidae ورفـض المشروع، ومـع ظهور هارباجوس فـإن تيـدوس قـد استسـلمت بعـد أن تمـت محاصرتهـا، ونجـد أن

الكاريين قد قاتلوا ببسالة؛ وذلك لأنهم كانوا يؤيدون الملوك المصريين ويحافظون عليهم، وذلك من أسر السات Saite الملكية، والآن فقط أولئك البيدسيان Pedasians هم فقط الذين أبدوا مقاومة بسيطة، وذلك أمام الفُرس في لايد Laide ؛ وذلك لأن كلاً من الأيونيين (سكان آيونيا Ionia) (والأيوليين (سكان آيوليا Aeolia) كانوا بالفعل يقاتلون في الجيش الذي كان يقوده هارباجوس Harpagus .

ولكن بينما يقوم اليونانيون والكاريون بالمقاومة تحت الحصار ضد (المعتدي أو الغازي)، فإن جيرانهم التيرميلا Trmmela أو ليسيا Lycia قد علموهم كيف يقاومون، فهذه المدن لم تنسَ مثل لوكا Lukku كيف أنهم قد قاموا بالغزو والفتح بالقوة لمصر إبان الأسرة التاسعة عشرة، وكيف قامت بمساعدة تروجانز Trojans ضد أرمادا Armada ، والذين تم جمعهم بواسطة أجامينون Agamennon من الإمبراطورية الميسينية أو Mycenaean ، وكانت تلك المدن والأقاليم في ذلك الوقت تحت قيادة جلوسوس Glaucus ، وتحت قيادة ساربيدون Sarpedon ، فهم قد استمروا وحافظوا بشكل أفضل من الأناتوليين Anatolians علي لغتهم القوفازية Caucasian وعاداتهم وتقاليدهم غير المكتوبة، وتستوحي وتستلهم عبيدها من الماضي، والحرب المستمرة مع سولمي Solymi قد جعلتهم دائماً مترابطين وذوي صلابة وقوة، واليونانيون المستعمرون كانوا قادرين علي التقليد فقط في شيء واحد وهو التأثير في فاسيليز Phaselis علي حدودها، حتي كروسوس Croesus لم يكن قادراً علي إخضاعهم.

وفي ظل إغلاق أهالي مدينتي آرنا Arnna وزيناتوس Xenthus علي أنفسهم في إقليمهم المركزي، فإن اللوسيين Lycians قد ظلوا يقاتلون حتي الموت، وأيضاً بالطريقة نفسها، انتهي الكونيون Caunians ، والآن أصبح ساحل البحر بالكامل يمكن تشكيله إلي مرزبانية يونا Yauna وآيونيا

Ionia ، وهم لم يكونوا مرزبانية حقيقية؛ لأنها لم يكن عليها أي مرزبان من ذاتهـا، ولكنهـا كانـت تتبـع مرزبـان سـارديس Sardis ، واليونـانيون بطـول الهيلسـبونت Helloespont علي الجانب الآخر كان يـتم قيـادتهم بواسـطة المرزبـان ميتروبـاتيز Mitrobates والذي هو من مدينة داسيليوم Dascyleiuna علي الشاطئ الجنـوبي لبرويونتوس Propontus قد قام بإدارة فيرجيا Phrygia أو دريـا Drayah ، وهـذا المسلسل المختصر قد قام بتعليم الفُرس الكثـير حـول اليونـانيين أو الإغريـق، فهـم يعلموا أنهم كأفراد كانوا محاربين مهرة وممتازين، وكانوا مجهزين جيداً من حيـث الأسلحة والمعدات، وكانوا يستحقون الاشتراك والانضمام إلي جيوشهم الذاتية، وهـم أيضاً اكتشفوا أن الولايات والمدن اليونانية كانـت كلهـا غيـورة عـلي بعضـها بشـكل كبير، ولكنهم لم يكونوا قادرين علي الاتحاد؛ ولذلك لم يكن مـن الصـعب أن يوجـد أصدقاء يمكن شراؤهم من بينهم حتي يقدموا المساعدة للفُـرس ويخونـوا بلادهـم، ومن هؤلاء الأصدقاء، كان أبوللو Apollo وهو إله الوحي (منـدوب الـوحي) وكـان الأكثر تأثيراً في ذلك، ولكن الاكتشاف الأعظم مـن كـل ذلـك عـلي الإطـلاق هـو أنـه كانت هناك أقسام طبقية داخل الولايات والمدن ذاتها.

وغالبية هذه الولايات المدنية كانت القيادة الحكوميـة منهـا بواسـطة النـبلاء من أصحاب الأراضي والملاك، ثـم جـاءت بعـد ذلـك قـوي اقتصـادية، والتـي أتـت بأرستقراطية الثروة التجارية التي أطاحت بالأرستقراطية التي كانت بالبلاد، وبيـنما كانت الوطنية أوجب الفطن بالنسبة للنبلاء القدماء هم بـالطبع بسـيطة أو حـتماً بسيطة، فإن رجال التجارة قد استطاعوا استحسان وتحسـين تلـك التجـارة وتجويـد فرضها المقدمـة، وبشـكل واضـح فإنـه كـان مـن مصـلحة الفُـرس أن تكـون المـدن اليونانية محكومة بواسطة مستبدين أو طغاة.

بابليونيا Babylonia في قلق:

وتحت حُكم الطغاة والمستبدين الأصدقاء ظل اليونانيون الذين تم غزوهم بواسطة الفُرس هادئين، بينما يقوم قورش (Cyrus) بسرعة بتوسيع سلطان إمبراطوريته، وفي هذا الوقت كان نابونيد Nabvu- Naid قد قام بعمل تحالف مع كروسوس Croseus ، وأن قورش (Cyrus) ربما يستمر بشكل علني في الاتجاه نحو البابليونية، وفي أثناء عودته من سارديس Sardis ، يجب أن نتوقع، أنه سوف يأخذ الأجزاء الباقية من سوريا والتي ما زالت يسيطر عليها جنود نابونيد Nabu- Naid وربما يطلب بعض تعبيرات الولاء من العرب بطول الحدود، وإذا تعرضت تما Tema إلي مثل هذه العمليات، فإن ذلك سيكون سبباً لإعادة ظهور نابونيد في وقت ما بعد عام 545 في بابليون Babylon .

وقد كانت هناك أسباب أخري قوية، نتيجة زيادة المركزية في حُكم نبوخذنصر Nabuchadnezzar ، فبابليونيا كانت بشكل متزايد لا تتكامل تحت الحكم المتأرجح لبليشازر Belshazzar ، حيث كان هناك عدم انتظام وتكامل في الحكم، وكان المزارعون يتم منحهم حقولاً مكان حقولهم تظل بدون زراعة، و في عام 546 بدأت بابليونيا الخصبة في مواجهة مجاعة حقيقية.

وفي هذا العام نفسه، نجد أن نابونيد Nabu- Neid قد عاني من خسارة أخري فظيعة، فمنذ أيامه الأولي والأسرة الملكية الحاكمة الشالدينية Chaldaean قد كانت مسيطرة بأمان علي الأكروبوكيس (قلعة) صوصا Susa ، وهي المدينة الأهم في إيلام Elam .

ومن بين أهم قادة نبوخذنصر البارزين، الجنرال جوبرياس Gobryas والذي تم تعيينه حاكماً علي جوتوم Gutium (كما استمر البابليونيون في وصفه)، والآن نجده يتمرد علي قورش (Cyrus) ، وكان نابونيد قادراً فقط

علي الحفاظ علي آلهة صوصا Susa عن طريق نقلهم إلي بابليون، وفي 9 يونيو عام 546، قامت القوات الخاصة بإيلام Elamite بالدخول إلي آكاد Akkad ، وكانت تهاجم الحاكم الملكي في يوروك Uruk .

فتوحات قورش (Cyrus) إلي الشرق:

وفي هذه الأثناء، قام قورش (Cyrus) نفسه بتحويل انتباهه إلي الإيرانيين من غير الخاضعين له في النصف الشرقي من هذا المسرح، وهوتشجال وشرق الصحراء المركزية العظيمة، حيث يقع فاركانيا Varkana أو الهيركانا Hyrcania في جنوب البحر الهيركاني والخصوبة قد تم توكيدها بواسطة المدي أو القدر ناحية الجنوب الشرقي لهيركانيا Hyrcania ، وتوجد الأرض المرتفعة بارثافا Parthava ، حيث إن المدينتين تتحدان تحت قيادة هيستاسبيس Hystaspes (أوفيشتاسبا (Vishtaspa وهو ابن أرساميز Arsames ، والذي كان سعيداً باستبدال اللقب الأصغر لكافي Kavi والتي تعني الملك المحلي وذلك بكلمة المرزبان.

ومن الناحية الشرقية من بارثيا Parthia ، تمتد هارافا Haraiva أو آريا Aria ، والتي أخذت اسمها من نهر الآريوس Areius الذي تقع علي ضفتيه العاصمة آرتوكونا Artocoana ، والتي هي مثل هيرات Heart الحديثة قد حافظت علي اسمها القديم، وفي الناحية الجنوبية من آريا Aria توجد الزارنكا Zaranka أو الدرانجيانا Drangiana وذلك بطول نهر إيتي ماندراوس Etymandrus .

ونجد مدينة الآرياسبي Ariaspi علي نهر الآيتي ماندراوس قد دعمت قورش (Cyrus) بالطعام الجيد، وبالتالي فقد تم تحريرها من الجزية، وتم وضعها ضمن قائمة المحسنين إلي الملك، وفرع الأراكوثاس Archachotas من نهر الآيتي ماندراوس قد أعطي اسمه إلي هورافاتيش Haravatish أو آراشوسيا Arachosia ، والتي كانت عاصمتها تحمل الاسم

نفسه حتي قندهار Kandahar الحديثة ومن آريا Aria في أعمال الإقليم الإيـراني، ونجد أن قورش (Cyrus) ربما يكون قد تابع بعينـه وضـع أكـوس Oxus وذلـك في حدودها العليا التي ما زالت معروفة باسـم «واكـش آب» Wakshab » والمنـتشرة أو الممتدة علي السهول الصفراء في وسط آسيا، وبالنسبة للغالبيـة أو الجـزء الأكـبر، فإن هذه السهول كانت جافة، ولكن هنا وهناك كانت هناك مساحات مزروعـة أو قابلة للزراعة بطول الأنهـار، والتـي تسـمح بـالري، وبالتـالي التربـة الخصـبة للـترف والوجود الإنساني الكامل والمحترف، وفي هـذه المسـاحة اسـتقر الإيرانيـون بالفعـل، وحدد أو صمم قورش (Cyrus) أن يقوم بإضافة هـذه المسـاحات إلي إمبراطوريتـه الممتدة».

ومـع اتبـاع وتتبـع أوكسـس Oxus ، نجـده ينـزل إلي سـوجديا Sogdia (أو شـوجودو Sugudu) وهـي الأرض الموجـودة بـين أوكـوس Oxus وبـين جاكسـارتيز Jaxartes ، وعاصمتها كانت ماراكاندا Marcanda ، وهي التي كانت سـباقة لمدينـة سمرقند Samarcand الذهبية الخيالية، حيث كانت توجد الحدائق الغنـاء، وحيـث توجد آثار وبقايا الاستقرار الأصلي والإقامـة التـي مـا زالـت في الـذاكرة، وذلـك حتـي أوقات المسلمين والأوكوس Oxus ذاتها كانت في هذا الوقـت وعنـد هـذا الحـد مـن الصعب العبور إليها وبدون شك فإن قورش (Cyrus) قد مر بهـا وعـبر إليهـا، وذلـك بأسـلوب أو طريقـة قديمـة عـلي الجلـود المنتفخـة، وقـد كـان هنـاك الكوراسـماينز Charasmians وذلك في واحة الخيفا Khiva بطـول مدينـة الأوكـوس Oxus الأدني، وقد تم إخضاعها، وقام قورش (Cyrus) أو واحد ممـن أتـوا بعـده مبـاشرة، بتقـديم أساليب ري علمية مبتكرة، كما كانت معروفة لدي الفُرس، وكل الأرض أو التربة كـان يُعلن أنها أرض ملكية، وذلك عند الحد الذي يقوم فيه الأسيس Aces بالانفصال عـن التلال من خلال خمس قنوات منفصلة، وقد تـم بنـاء بوابـات سـلوس خـلال Sluice

(وهي بوابات للتحكم في المياه)، حيث كان يتم فتحها من أجل توزيع كميات المياه الثمينة، وذلك للحقول التي تروق للملك فقط وبعد دفع الضريبة المحددة.

وربما لم يكن قورش (Cyrus) يتوقع من الكوراسماينز Chorasmians أن يدفعوا طول هذه الفترة الضريبة المفروضة (ونحن سوف نري ذلك في وقت آريريكس الأول، حيث نجد أن الكوراسماينز يبدون وكأنهم قد انفلتوا من كل التحكم والسيطرة الملكية الفعالة، وأنه قبل نهاية الإمبراطورية، نجدهم قد قاموا بامتلاك ملكهم)، حيث إن قورش (Cyrus) قد حدد وصمم علي جعل الجاكسارتز Jaxartes هي حدوده الدائمة في الشمال الأقصي، وحتي تتم حماية وتأمين الأراضي الغنية في الجنوب من الهجمات المستقبلية عبر النهر، نجده قد قام ببناء خط من سبقه بطول الضفة الجنوبية، وجازا Gaza وهي «الكنز» سوف تصبح مركز إمداد، ولكن مفتاح الدفاع أو نقطة الدفاع سوف تكون هي سيرا Cyra وهي «مدينة قورش (Cyrus) » والكل كان قائماً علي أساس ماراكاندا Maraconda في المؤخرة، وفي طريق عودته من الرحلة وفي إعادة عبور Oxus ، ربما يكون قد قام باحتلال الواحة الخصبة في هذا الوقت، والتي كانت يُطلق عليها مارجوش Marjush ، وهي معروفة بهذا الاسم نظراً لنهرها الرئيس، وتم عملها مرزبانية فرعية، ليست تابعة لـ سوجديا Sojdia في الشمال الشرقي وإنما إلي باكترا Bactria في الجانب الشمالي في الأعلي».

وباكترا Bactria (باكتريش Bakhtrish) قد حصلت علي اسمها من اسم نهر باكتروس Bactrus ، والمدينة الرئيسة كان أيضاً اسمها باكترا Bactra بالرغم من الاسم الإيراني الأقدم والذي يطلق عليها زارياسبا Zariaspa وهو الاسم الذي كان متعلقاً طويلاً بالقلعة، حيث كانت المعاملة الخاصة بأهل ميجا Magia ، وذلك للموتي وغير ذلك من

العادات التي وضع الإسكندر (Alexander) حدًّا لها، وكانـت هنـاك مدينـة أخـري مهمة وهي درابساكا Drapasaca .

ومن باكترا، كانت أكثر الجزر الإيرانية من الناحية الشرقية، والتي تطلع قورش (Cyrus) لعبورها، هي الكوفين Cophen وهي الأرض أو مقاطعة أولاد عمـومتهم وهم الهنود، حيث ظل الإيرانيون حتي هذا الوقت يطلقون عليها بلغتهم الخاصـة اسـم باروباريسـانا Paruparesanna ، وهـي الأرض الموجـودة خلـف الجبـال «أو مدينة ما وراء الجبال» بـالرغم مـن أنهـا كانـت معروفـة للسـكان الأصـليين باسـم جاندارا Gandara ، وفي هذا التاريخ نجد أن هـذا الجانـب البعيـد مـن الهنـد قـد خضع للسـيطرة الإيرانيـة لأول مـرة، والمنحـدرات البسـيطة والخاصـة بهنـدوكوش Hindukush هي المنحدرات الخاصة بالجبال، وذلك كما كان يُشار إليهـا بواسـطة الإيرانيين (وهو اسم إيران).

غزو بابليونيا:

ومع توالي هذه الفتوحات، قام قورش (Cyrus) بالتقليـل مـن شـأنها بـالرغم من وجود الثروة والسكان في إمبراطوريته، فهو قد تمت تقويتـه وتدعيمـه بواسـطة هذا القدر الهائل من الدخول في المعارك، وأولئك الذين يدخلون للالتحاق بالجيش، حتي قرر في النهاية غزو بابليونيا وأولئك الأصوليين (السكان الأصليين) كانوا قادرين علي الترحيب بأي خارجي، وهو ما دعا نابونيد إلي القيام بالإصلاحات، وأيضاً ضـبط الصورة الكنهوتية لماردوك Mardouk ، وقـد تـم عمـل كـل تلـك الإصـلاحات عـلي نفقته، ولكن كان هناك بعض الكهنة غير مرتاحين وراضين عن ذلك، وأنبياء اليهـود كانوا يتنبأون بسقوط بابليون علي يدي قورش (Cyrus) وهو الـذي سـوف يسـمح بعودة صهيون حيث كانت الأرض كلها في فوضي.

والطريق أصبح الآن ممهداً، وذلك بواسطة عوامل عدم الرضا المتوافرة لدي السكان، وهو ما جعل قورش (Cyrus) جاهزاً لغزو الطمي بمجرد عودته من الحملات الشرقية، وقبل ثلوج الشتاء في عام 539- 540 وقبل أن علأ الممرات والطرقات، كان قورش (Cyrus) علي الحدود، ونجد أن نابونيد Nabu- Naid قد أحضر آلهة آيشنوناك Eshnunak وزامبان Zamban ومي تيرنو Me Turnu ودير Der إلي العاصمة قبل الحصول عليها، حيث يعاني من هزيمة في تيجريس Tigris ، ولكن الدفاع الوحيد الذي استطاع التفكير فيه كان هو إحضار إيشتار Ishtar إلي مساعدته في فارس، ونابونيد ربما يكون قد حاول شرح وتفسير الترحيل الخاص للأجانب وغير المرغوب فيهم، وذلك علي أنه إجراء وقائي للعاصمة ضد الغرباء، وقد اشتكي المواطنون من الصوت العالي الصادر من المعابد التي يتم هجرها والتخلي عنها بواسطة اللاهوت والتي ترزخ في الدمار.

وفي هذا الوقت كان يجب علي ماردوك Mardouk وكهنته أن يتصالحوا، وفي عيد السنة الميلادية الجديدة في الرابع من أبريل عام 539 «تم الاحتفال بالمهرجان»، وقد كان هناك قدر كبير من النبيذ فيما بين الجنود، ولأنه لا يزال يعتمد كثيراً علي الوجود الطبيعي للآلهة، فإن نابونيد بعد ذلك قام بإحضار اللاهوت الخاص بمارادا Maradda وزاماما Zamama وآلهة الكيس Kish والنينليل Ninlil وآلهة الهورتساكلاما Hursag Kalama ، وحتي نهاية أغسطس كانت آلهة آكاد Akkad الذين كانوا جميعهم فوق وتحت الأرض يدخلون إلي بابليون، حتي بلغ صبر المواطنين مداه، ولم يعد في قوس الصبر منزع، لم تدخل آلهة الكوتو Kutu والسيبار Sippar وحتي البورسيبا Borsippa وإبارا Ebarra وهو معبد إله الشمس شماش Shamash في سبار Sippar والتي قد تم استيفاؤها واستعادتها، بينما كان الكهنة متخفين عندما قام نابونيد من خلال واحد

من أحلامه المستمرة، بتغيير شكل غطاء رؤوس الآلهة، وعاد نابو من يورسيبا لمقابلة والده ماردوك في السنة الجديدة، ولكن الكهنة استطاعوا رؤية خط اليد علي الحائط، ومع بداية أكتوبر نجد أن قورش (Cyrus) قد قام بالمحاربة في معركة أخري في آونبيس Opis علي نهر التيجريس Tigris وقام بحرق الناس الموجودين في الأكاد Akkad بالنار، وبعد كل هذه الحروب المثمرة، نجد أن معارضيه فقدوا شجاعتهم، وفي الحادي عشر من أكتوبر تم الاستيلاء علي سيبار Sippar بدون حرب أو قتال، وهرب نابونيد Nabu- Neid ، وفي الثالث عشر من أكتوبر عام 539 يقوم جوبرياس Gobrayas وهو حاكم جوتيم Gutium وقوات قورش (Cyrus) بدخول بابليون بدون قتال، وبعد ذلك، وعندما عاد نابونيد Nabu- Neid إلي بابليون تم أخذه كأسير.

واللوحة الأخيرة بواسطة نابونيد هي منذ الرابع عشر من أكتوبر، وهو اليوم التالي للاستيلاء علي بابليون بواسطة جوبرياس Gobrayas ، ولكنها تمت كتابتها في التوارة Uruk ، والتي تم خترقها أخبار الترحيب، وفي العاصمة نفسها، كان العمل يسير بشكل طبيعي، حيث إنه بالنسبة للمعارضين لم يكن هناك إدراك أنه مع سقوط بابليون، سوف تنتهي فترة، وسوف تبدأ فترة أخري، وفي أكتوبر (26) علي الأكثر، فإن هذه المخطوطات يتم تأريخها بواسطة الملك أو الحاكم الجديد وهو «ملك الأراضين»، وهو اللقب الذي ظل طوال بقية عام التتويج ولجزء أو لفترة حوالي سنة من العام الجديد للحاكم.

لقد تمت معاملة بابليون جيداً بواسطة جورايس وحتي نهاية أكتوبر، كانت «دروع» جوتوم تحيط بيبوات إيزاجيلا Esagila ، حيث لم يُرفع سلاح رجل في إيساجيلا أو في أي من المعابد الأخري، ولم يتم إلغاء أي احتفال ديني كان مُخططاً له، وفي التاسع والعشرين من أكتوبر، دخل قورش (Cyrus) نفسه إلي بابليون.

وانتشرت أخبار مروره، وأعلن قورش (Cyrus) السلام والأمان لكل شخص في المدينة، وأصبحت جوبرياس Gobrayas مرزبانية مكونة من إقليم جديد وهو بابيروش Babirush ، وقام بتعيين موظفين فرعيين، والوثائق والمستندات الإدارية توضح لنا ذلك، وأيضاً أوضحت لنا كقاعدة، أن الموظفين الأوائل قبل الفتح تم الاحتفاظ بهم للعمل بوظائفهم بعد الفتح.

الدعاية الفارسية:

في عيون المرؤوسين والرعية من البابليونين، فإن قورش (Cyrus) لم يكن ملكاً أجنبيًّا لفارس، ففي خطابه لهم بلغتهم هم، نجده يستخدم الألقاب القديمة، حيث يقول: «أنا قورش (Cyrus) ملك الكون، الملك العظيم، ملك بابليون، ملك سومر Sumer ، ملك الأكاد Akkad وذلك في ربوع الأرض، وهو منبع الملكية منذ الصغر ويفضل حُكمه كل الناس، ويخضعون لسيادته في قلوبهم، وأثناء عامه الأول بين الحكم، نجد أن «ملك بابليون» يأتي بانتظام في صيغته الرسمية وهي ملك الأراضين.

والكهنة تمت مكافأتهم علي عدم ولائهم لنابونيد، ومن ديسمبر وحتي فبراير من العام التالي، وبالصدفة، وجدنا الخطاب الفعلي الذي يُسجل الارتجال من بورسيبا Borsippa إلي إيزيدا Ezida ، وقد تزامن مع هذا الوقت قيام الآلهة باستعادة معابدهم، حيث تم التوظيف في بناء الحجارة في يوروك Uruk ، حيث تقول المخطوطة إن قورش (Cyurs) جاني إيساجيلا Esagila وإيزاد Ezida هو ابن قمبيز (Cambyses) الملك العظيم، ثم قام بمدح ماردوك Mardouk ونابو Nabu وذلك بواسطة استخدام اللقب السابق لنبوخذنصر Nebuchadnezzar ، حيث لم يتم تقديرة بواسطة الطقوس، وكانت هناك إنشاءات جديدة، تقوم بإصلاح الخسائر وسمحت لقورش (Cyrus) بأن يكون هو «ملك الكون وملك

آنسان Anshan »، وأن يقوم بتذكير المواطنين كيف أن الآلهة العظيمة قد قامت بتسليم كل الأراضي إلي يدي وهذه الأرض التي قمت بدخولها في سلام.

وهناك أعداد كبيرة من آلهة الأسري الأجانب والتي أعطت فرصاً للولاية الملكية، حيث إن آلهة صوصا Susa قد تمت إعادتها إلي إلام ElamK ، وتلك الآلهة الخاصة بآشور Ashur تمت إعادتها إلي العاصمة القديمة، وهناك آلهة أخري من الأرض القديمة بين آسيريا Assyria وبابليونيا، وسكان هذه المدينة تم جمعهم وإعادتهم إلي منازلهم وأنبياء اليهود قد رحبوا بقورش (Cyrus) باعتباره الملك الذي سوف يُعيدهم إلي صهيون؛ لأنه ليست لديهم أية صور إلهية بعد، وكان من المنطقي أنهم يجب أن يعودوا إلي معبد أورشليم.

وخطاب قورش (Cyrus) إلي البابليونيين وضع بلغتهم الخاصة، وكان نموذجاً من الدعاية المقنعة، وبعد أن أوضح قورش (Cyrus) أنه هو الوريث الشرعي للملوك القدامي نجد أن قورش (Cyrus) تأكد من أن ذكري نابونيد لم يعد لها صدي، وأخذ يروي القصة لهم.

وكان يقوم قورش (Cyrus) يوميًّا بالتخطيط في أمر عبادة ماردوك Mardouk وهو ملك الآلهة، فهو كل يوم كان يؤكد علي العداوة مع مدينة ماردوك Mardouk حيث إنه قد قام بتدمير رجال ماردوك من خلال الخدم والسحرة بدون راحة.

وبسبب شكواهم، أصبح سيد الآلهة مغتاظاً جدًّا منهم، وقام بترك وهجر دولتهم، والآلهة التي أوت معهم قد تركت منازلها لإحضار آلهة غريبة إلي بابليون، ولكن عاجلاً يُعطي ماردوك الرحمة لكل الأراضي والأقاليم الخاصة بالإيواء والتي أصبحت فخرية أو خربة ولشعب سومر Sumer ولشعب آكاد Akkad والذين كانوا مثل الجيفة».

وقام بالبحث في كل مكان في كل الأراضي، فهو كان يبحث عن الأمير الصالح أو المستقيم والذي أخذه باليد قورش (Cyrus) ، ملك آنسان Anshan ، والذي يتم تعيينه علي الأرض كلها وأرض جدوتو Gutu أو إيلام Elam ، وكل الميديين خضعوا تحت قدمين، والشعوب ذات الرؤوس السوداء وهو المصطلح المعتاد للتعبير عن البابليونيين والذي حرص عليهم من العدل في الرعاية والمعاملة، وماردوك وهو السيد العظيم وحامي الشعب بدا سعيداً.

وفي مدينة بابليون، نجد أن ماردوك جعله يذهب وأمره أن يأخذ طريق بابليون، ويذهب كصديق ورفيق لجامتير، وجنوده التي لا تُحصي مثل ماء الأنهار قد تقدمت وهي مُسلحة إلي جانبه وبدون قتال، سمح له بأن يدخل بابليون ونابونيد، هذا الملك الذي لم يخافه (أي لم يخاف قورش (Cyrus تم تسليمه إلي يدي قورش (Cyrus) بعد عودته.

وكل الشعب البابليوني وشعب سومر Sumer وشعب آكاد Akkad والأمراء والموظفين خضعوا أمامه وقبلوا قدمه، حيث تشرق وجوههم في مملكة قورش (Cyrus) والسيد الذي بسلطته وقوته قد أعاد الحياة إلي الموتي والذي قام بحمايتهم من الدمار والتعب، وبعد ذلك بسعادة يقومون بطاعة أوامره، حيث يقول قورش (Cyrus) : «عندما قمت بدخولي الرحيم إلي بابليون بسعادة وسرور، قمت بعمل إقامتي الملكية في القصر الملكي، وقام ماردوك - السيد العظيم- بجمع الجيش النبيل أو مجموعة النبلاء من البابليونين معي، وقد كنت أقوم برعايته يوميًّا، حيث تحركت قواتي الواسعة بسلام إلي بابليون، وفي كل من مدينتي سومر Sumer وآكاد Akkad لم أسمح بأية معاملة سيئة، وكان الذي يتعامل بدون شرف، أقوم بالتخلص منه.

وماردوك - السيد العظيم- كان يبارك خطواتي، ويرحم مباركتي، أنا قورش (Cyrus) الملك الذي يعيده، وقمبيز (Cambyses) ابني، وكل

الجنود، بينما نحن في إخلاص وبكل سرور نرفع رأسه ونقدسه، كل الملوك التي تأوي وتسكن القصور من كل ربوع الأرض من أعالي البحار إلي أسفلها، وكل الملوك الذين يوجودون حاليًّا في الخيام (العرب) قد أحضروا لي هداياهم الثقيلة وقاموا في بابليون بتقبيل قدمي».

ثم يقول قورش (Cyrus) بعد ذلك ويحكي كيف قام باستعادة الآلهة الأسيرة حيث يقول: «ربما كل الآلهة، التي قمت بإحضارها إلي مُدتهم تصلي يوميًّا أمام بيل Bel دنابو Nabu حتي يطول عمري، وهم يتحدثون عني بكل رفق ورحمة، ويقولون لماردوك سيدي «لنبارك قورش (Cyrus) الملك الذي يعبدك وقمبيز (Cambyses) ابنه».

وهذا الخطاب الذي ألقاه قورش (Cyrus) هو للمتعلمين ولغير المتعلمين بلغة بابليونية شعرية، والتي سوف ترن في آذان من يسمعها طويلاً بعد نسيان الخطاب، ونابونيد كان ملكاً ضعيفاً لم تصاحبه الجودة، حيث إنه أغلق الطريق علي التاجر، وكان الفلاح في عهده محروماً من أرضه، ولم يسمح بالحصاد، ونظام الري كان مسموحاً به فقط ليسقط في الإهمال، فعندما قام بحفر قنوات الري تركها مفتوحة وتناثرت الحياة الغالية هنا وهناك بدون نظام، وبالتالي تم إهدار الثروة، والناس والأشخاص ذوي الحكمة كان يتم اعتقالهم، وتم حل مجلس المواطنين، ولم يسمح للناس بالتجول في الأماكن المفتوحة، ولم ترَ المدينة السعادة حيث إن الشيطان استولي علي نابونيد ولم يراه أحد في أرضه، وفي حران Harran الأجنين نجده قد قام بعمل بُغض شديد تسبب فيه، ومن أجله قام بعمل صورة، والتي أطلق عليها اسم سين Sin أو الخطيئة، وهي لم تكن صورة إله القمر الشائعة لبابليون، ولكنها كانت مثل القمر وقت الغروب، حيث قام لنفسه بينما أن أقوم بعمل ذلك وأنا أكمل فترة النحيب وذلك علي الدمار، فإنني سوف أقوم بإلغاء الاحتفال وسوف أسمح بعيد السنة الميلادية الجديدة.

وبعد أن أكمل العمل في العام الثالث في مدينة أخري (ليست بابليونيا) نجده يترك المعسكر في أمانة ابنه الأكبر، حيث يأخذ بيد ابنه الأكبر ويتعهد له بمسؤولية الملكية والحُكم، بينما هو قام بنفسه بأخذ الطريق إلي المدينة البعيدة، وقد أخذ معه جيشاً من كل المناطق والمدن التي كان يحكمها، ونجد أن قوات الآكاد Akkad تتقدم معه، وجعل وجهه تجاه تيما Tema في الـ Amurra ، وأمير تيما قاموا بذبحه بالسيف، وتم عمل مجزرة لكل سكان المدينة، وقام بجعل المدينة هي المقر الخاص به، وقد كان جيش الأكاد Akkad معه؛ ولأنها المدينة التي يعشقها نابونيد فإنه قام ببناء قصر هناك مثل قصر بابليونيا.

وعندما نشبت الحرب مع قورش (Cyrus) كان نابونيد يتفاخر بانتصاراته، ولكن التي بدون تبرير، حيث يقول عن قورش (Cyrus) تحت قدمي سوف ينحني، وسوف أقبض عليه، وسوف أحصل علي كل ما يملك، حيث يقوم تابعو وجنود وقوات نابونيد بالوقوف في مجلس المدينة.

وبالرغم من أن نابونيد قد قام أخيراً بإعادة الاحتفال بعيد السنة الميلادية الجديدة في العام الأخير من حُكمه، فإنه استمر في تغيير الطقوس الدينية وطمسها، وهو قد تحدث بشكل مُضاد للأوامر الآلهية المقدسة، بواسطة أيدية ثم تمزيق الرموز الإلهية المقدسة من المعبد المقدس، وتم إنشاؤها مرة أخري في قصره الخاص به، وكان يقول أنه لدرجة ما يعتبر نفسه إلهاً، وكان هناك اثنان من الغرباء الذين تم تعيينهم علي المكتب العالي، الأول هو زيرا Zeria وهو مدير المعبد والثاني هو ريموت Rimut وهو القائم بعملية المسح قد قاموا بالانحناء أمامه، فقد كانوا يطيعون أوامر الملك ويقومون بتنفيذ تعليماته، فهم كانوا علي قدم وساق مع بعضهم حيث يحلفون قائلين: «إنهم ينصرفون حسب مشيئة الملك فقط ولا يعرفون سوي ذلك».

ويدخل قورش (Cyrus) إلي بابليون ويُعلن السلام منها للجميع ويقوم قورش (Cyrus) بالتضحية بحمل وذلك للعرض، ثم يقوم بعد ذلك بزيادة الذبائح والقرابين للآلهة.

وأمام الآلهة يقوم بوهب نفسه ويضع وجهه مقابلاً للأرض، ويقول بأنه سوف يتصرف طبقاً لمصلحة الآلهة التي يضعها في قلعة، ويقوم باستحضار قلبه من أجل البناء حاملاً ما تقوله الطقوس، حيث يقوم بإكمال بناء سور مدينة بابليون والذي قد قام نبوخذنصر Nebuchadnezzar من قبل ببنائه.

والآلهة، الذكر، والأنثي، والخاصة بالآكاد Akkad ، والذين قد تم نقلهم من قداسهم، قام قورش (Cyrus) باستعادتهم إلي أماكن إيوائهم، حيث تم تأمين قلوبهم وحياتهم وأعادهم إلي الحياة مرة أخري، ويتم وضع الطعام علي طاولاتهم، وتمت إعادة بناء أسوارهم وجدرانهم التي قد تم تدميرها، وتمت إزالة المخطوطات والنقوش الملكية الخاصة بنابونيد والتخلص منهم بإحراقها، وقامت الريح بحمل رفاتها وأشلائها وبقاياها، وقاموا بتقطيع وتمزيق تمثاله ومحو اسمه من الحرم أو القداس، وكل شيء تركه نابونيد تم حرقه والتخلص منه، حيث قام قورش (Cyrus) بإطعامه للثيران؛ لأنه أصبح في قلب بابليون، وبما أن نابونيد كان هو المُذنب، وقد تسبب في حدوث العديد من الآثام، فإنهم قد رموا نابونيد في السجن في العالم الآخر (علي أساس بعض الطقوس الدينية كما يُخيل إليهم ذلك).

وفي الوقت نفسه، نجد ماردوك في فرح وابتهاج يقوم بتحية قورش (Cyrus) ويباركه في مملكته.

ونتائج هذه الدعاية المقصودة كانت مختلطة بشكل غريب، حيث إن محاولة طمس نابونيد من ذاكرة الشعب البابليوني لم تنجح، حيث إنه لم يتم نسيان نابونيد، وفي الجيل الثاني نجد أن بابكيون قد ثارت مرة

أخري، وهناك اثنان من الأشخاص تظاهرا بأنهما هما نبوخـذنصر Nabuchadnezzar ابن نابونيد.

ولكن الدعاية كانت لها تأثيرات مستقرة بشكل كبير، حيث إن التنبؤات التـي كانت بواسطة اليهود كانت مماثلة لتلك اللغة الخاصـة بالخطـاب، والتـي تتسـاءل حولها وما إذا كان قورش (Cyrus) قد قرأها بالفعل، والصورة التي قدمها الإغريـق أو اليونانيون حـول الملـك الأخـير لبـابليون توضـح عـدم التعامـل في المحتـوي غـير الخاص بالآلهة، حتي عيد السنة الميلادية الجديدة والملئ بكميات من النبيذ، والتي كانت تستهلك بواسطة الجنود المخمورين، بدت كظهر من حديد.

وفي القصـة أو الروايـة اليهوديـة الخاصـة بـدانيا Daniel نجـد أن شخصـية نابونيد قـد تحولـت إلي نبوخـذنصر Nebuchadnezzar المعروفـة بشـكل أفضـل، حيث كان أكبر موظفيـه أجانـب، والـذين تحولـوا بالطبيعـة إلي يهـود وأسـماؤهم تـــذكرنا بزيريـــا Zeria ، وريمـــوت Rimut ، حيـــث نجـــد أن نبوخـــذنصر Nebuchadnezzar قد قام ببنـاء تمثـال، والـذي يجـب عـلي العـالم كلـه أن يقـوم بعبادته، حيث إن عقوقه كملك جعله مثل الوحش الذي يأكل الحشائش والعُشب في البرية، وكما كانت الأحلام تملأ حياة نابونيد، فـإن نبوخـذنصر كانـت لـه أحلامـه أيضاً، حيث إن نابونيد كان مجبراً علي مناشدة والتماس المسـاعدة في تفسـير هـذه الأحلام أيضاً، ونجد أن دانيال اليهودي قد قام بتفسـير الحُكـم الـذي يتحـدث عـن المسـتقبل، حيـث إن بليشـازر Bleshazzar كـان يـتم تخـديره بواسـطة الكتابـة الموجودة علي حائط القصر».

قورش (Cyrus) في بابليون:

بالنسبة إلي معتادي المعالم الجبلية، فـإن مشـهد الـوادي المـنخفض

لا بد أنه كان محزناً إلي درجة كبيرة، حيث كانوا يعانون من الحرارة الحارقة للشمس وحر الصيف، حيث كانوا يتوقون بشدة إلي أراضيهم المرتفعة ذات النسيم البارد مقابل المعاناة الشديدة من الحمي القاتلة التي استنفدت قواهم مقابل تربة بابل عالية الخصوبة والهضاب العالية جيدة الصرف والثروات المتوافرة في بابل، وكان فلاحوها مجتهدين ويدينون بالولاء والطاعة، وفي الشتاء كان المناخ يميل إلي البرودة، ونادراً ما يصل إلي درجة البرد الشديد، وعندما يتحول الطقس إلي البرودة ويهطل الجليد من فوق المنحدرات الجبلية، يقوم السادة الفرس بالفرار من هذا الطقس داخل بابل، حيث يتمتعون بالرفاهية التي لاشك في تمتعهم بها هناك.

وأثناء الإقامة في بابل، استمر قورش (Cyrus) في استقبال ملوك سوريا الذين وفدوا لتقديم الولاء بشخصهم، وإظهار الولاء بتقبيل قدمي الملك، وكانت السيطرة علي فينيقيا تعني لقورش (Cyrus) أنه كان لديه وتحت تصرفه أسطول حربي ثانٍ يساوي أسطوله الأول في العدد والمهارة الحربية، ويضارع القوة البحرية الإغريقية، وكان أكثر اعتمادية وتفضيلاً للدولة الفارسية، وبالتالي واجه التجار الإغريق داخل الإمبراطورية الفارسية منافسة شديدة من كبار التجار الذين يحكمون المدن المستقلة التي هي مصدر ثرواتهم.

وفي أثناء المحاولة التي لم تستكمل من أجل تكوين إمارة عربية نبطية تحت اسم الجزيرة العربية وسوريا وفينيقيا وفلسطين التي انضمت إلي ولاية بابل تحت إمارة جوبرياس Gobryqs الذي كان يُلقب رسميًّا بالبابلي، وكانت تسمي إمارة بابل وابير- ناري Ebir- nqris ، وهي كلمة آشورية تعني «عبر النهر» والمقصود به نهر الفرات، وكان جوبرياس يحكم هذه الولاية الشاسعة ذات الأراضي الخصبة، ويحكم إقليماً ذا حكم ذاتي.

بعد فلسطين توجد مصر، التـي كـان ملكهـا أماسـيس Amasis متحالفـاً مـع كرويوس Croesus ؛ ولذلك كان يتوقع الغزو، وكان ما يسهل غزو وادي النيل هـو رؤوس الكباري عبر الصحراء في فلسطين، وكان الطريق عبر مصر تسيطر عليه قلعة القدس المدمرة، حيث إن الطبقات العليا المؤيدة لمصر كان قد تم ترحيلها إلي بابـل بواسـطة نيوخـذنصر Nebuchadnezzar ، وكـان ابنـه أميـل- مـاردوخ Amel- Marduk قد حاول كسب ولائهم تلاعباً بأمل استرداد الملك القديم، وقد تم اغتياله من قبل المصريين، وبالتالي بقي اليهود في المنفي في حالة عداء مرير مـع الحكومـة، وفي أثناء إحباطهم تنبأ أنبياء بني إسرائيل بتدمير بابل علي أيدي الميديين Medes ، وعندما فشل اليهود في تحقيق آمـالهم في العـودة اسـتحثوا قـورش Cyrus ليكـون محرراً لهم.

وبالرغم من تأثير هـذه التنبـؤات النبويـة في بابـل، فـإن اليهـود قـد أظهـروا تعاطفهم مع الحكم الجديد، وبابل التي كانت بعيدة عـن احـتمال التـدمير كانـت خاضعة للغزاة، وقد تنبأ أيضاً إيزايه Isaih الثاني بالعودة المجيدة إلي جبل صهيون، وكان هذا غير متوقع من أن يترك اليهود ثراءهم في أرض بابل الخصـبة للعـودة إلي التلال القاحلـة في القـدس، ولكـن هنـاك احـتمال بفعـل شيء تجـاه هـذه العـودة المجيدة لهم، حيث إن غالبية اليهود كانوا ما يزالون في فلسطين بعيداً عن قـادتهم، ومن المتوقع أن يكونوا قد فقدوا ولاءهم لمصر، وكان قورش (Cyrus) قـد عـاد إلي الولاء للآلهة التي يمثلها نابو- نابد Nabu ليس فقط في بابل، بل في أسـبيريا وإيـلام Naid- Elam ، بل قـد أعـاد بنـاء معابـدهم المـدمرة، وبنـاءً عـلي هـذه السياسـة الجديدة أمر بإعادة بناء معبد في القـدس، وقـام بالتـالي اليهـود مبـاشرة باسـتبدال الآلهة بالمعبد بمقدساتهم الخاصة.

وبصرف النظـر عـن التفاصـيل التـي صـحبت التنظـيم في الولايـة بواسـطة جوبريـاس Gobryas في أواخـر عـام ارتقائـه الحكـم، عـاد قـورش (Cyrus) مـن

بابـل إلي إكباتانـا Ecbatana ، حيـث تـم تبنـي اللغـة الآراميـة كلغـة رسـمية للإمبراطوريـة الفارسـية في المراسـلات مـع الولايـات الغربيـة، وهنـاك أقـام قـورش (Cyrus) قصره في إكباتانا Ecbatana أثناء السنة الأولي في الحكم، وأصدر المرسـوم التالي «بالنسبة إلي منزل الرب الذي يقع في القدس، فليبني المعبد، وهو مكان كانوا يقدمون فيه القرابين للنار باستمرار، وترتفع هذه النار تسعون قدماً مع اتسـاع 90 قدماً أخري، مع وجود ثلاثة مسارات إليه من الأحجار، ومسـار مـن خشـب الـزان، وتكون التكلفة مقدمة من المنـزل الملـكي مـع وجـود أدوات مـن الـذهب والفضـة لبيت الـرب، وقـد اسـتولي عليهـا نوباخـذنصر Nobchanezzar ، حيـث يجـب أن نضعهم في بيت الرب.

وعنـد أخـذ هـذه الأدوات مـن المعبـد البـابلي بواسـطة إيسـاجيلا Esagiya سلمت إلي الحكم الجديـد ليهـودا واسـمه شيشـبازار Sheshbazzar ، وهـو بـابلي بالرغم من اسمه الوثني، وقد أطلق عليه الأمير اليهودي الذي بدأ في تأسيس معبد الفرس، ولم تقع نبوءة إيسايه Isaiah بالهجرة الثانية الكبيرة لأرض صهيون المستردة حتي إن المتحمسين لم يصحبوه في ذهابه إلي القدس، وبعد جيل آخـر كـان اليهـود المقيمون في القدس يُطلق عليهم «بقايا الشعب» أو «شعب الأرض».

ويزعم أحد الألواح البابلية أن قورش (Cyrus) كـان لا يـزال في إكباتانـا لمـدة عام، وفي سبتمبر من عام 537 أقرض أحد السكان رطلاً ونصف من الفضة في مقابل قطع نصف شيكل (عملة) علي أعلي معدل سائد في ذلك الوقت، وهـو يسـاوي 29 صاعاً من أفرع النخيل المجففة، بالإضافة إلي شيكل من الفضة و12 صاعاً من التمر البابلي، وهذه الوثيقة كتبت في إكباتانـا Ecbatana ، وكـان في هـذا الوقـت إيتـي-ماردوخ Itti- Mard رئيس دار الصرافة البابلية، وهو يسمي شركة إيـجسي وأولاده Egibi ، وقد وفدوا إلي البلاط الملكي إما لاستدعائهم، أو لتقـديمهم التماسـات، وقـد

تحملوا نفقات عديدة من أجل رشاوي مـوظفي الـبلاط، وقـد طلبـوا قرضـاً لبدايـة قيامهم برحلة، وهنا نترك قورش (Cyrus) ، حيث انقطعت المعلومات فجأة بـدون سابق إنذار.

الفصل الرابع

المعسكر الفارسي

التنظيم الإقليمي:

كان قورش Cyrus في ذلك الوقت حـاكم أعظـم إمبراطوريـة شـهدها التـاريخ، حيـث بسـط سـلطات حكمـه عـلي أراضٍ مترامية الأطـراف، وقـد تبنـي في الأسـاس التنظيم الذي ابتدعه الأسيزيون، حيث قـاموا باسـتبدال نظـام حكـم الولايـات التـي فتحوها بنظام رسمي يقـوم عـلي المقاطعـات التـي يقـوم الحكـم فيهـا للـوالي الـذي تعاونه هيئة كاملة من الأتباع، وفي الوقت نفسه كان كل منهم علي اتصال وثيق مـع السلطة المركزية عن طريق تلقي الأوامر وإرسال التقارير، ويعد الفارق الـرئيس بـين نظام المقاطعات الآشورية والولايات الفارسية التي أسسها قورش Cyrus في أن الـوالي الفارسي يحكم ممالك أكثر اتساعاً واستقلالية، وكانت تقع كل منهـا تحـت حكـم والٍ فارسي، وترجمة معني لقبه حرفيًّا «حـامي المملكـة»، وباعتبـاره واليـاً يخلـف ملكـاً سابقاً، وحـاكماً لأراضٍ شاسـعة، فقـد كـان يعـد مـن الناحيـة الواقعيـة ملكـاً محاطـاً بحاشية ملكية مصغرة، فلم تكن مهمته قاصرة عـلي الإدارة المدنيـة، بـل تعـدتها إلي قيادة الجيوش، والمسؤولية عن الضرائب والجزيـة الإقليميـة، وفي حالـة كونـه شـاغلاً لهذا المنصب بطريقة وراثية، فإن تهديد تدخل السلطة المركزية كان وضـعاً لا يمكـن

تجاهله، وفي سبيل مواجهة هذا التهديد كانت تتم مراجعات عديدة، حيث يقبع كل من نائبه، والمسؤول المالي الأول، والقائد العام المسؤول عن الحامية العسكرية في قلعة عاصمة كل من هذه الولايات، وهم جميعاً يخضعون للأمر المباشر من الملك العظيم، كما يرسلون التقارير المباشرة له شخصيًّا، إضافة إلي السيطرة الكاملة التي يمارسها من يعد بمثابة «عين الملك وأذنه»، وهو مندوبه الذي يقوم بمهمة التفتيش الدقيق علي كل إقليم.

تاريخ الإمبراطورية الفارسية:

موقع بارساجادي:

عندما فتح الفرس وطنهم الجديد الذي أسموه باسمهم «بارسا» كانوا لا يزالون بدائيين في بداية مسيرتهم الحضارية، وكما روي فإن قبيلتهم كانت من البارساجادي Parsagadae ، وعندما نعلم أن اسمهم قد نسب إلي عاصمتهم الأولي - كما تعارف عليه معظم الكتاب الإغريق- فإننا نستنتج أن العاصمة قد اكتسبت اسم القبيلة، ومع ذلك، فإن أحد المؤرخين يطلق علي المدينة بارساجادا Parsagada ، بينما يفسر آخر أن هذا الاسم يعني باللغة الفارسية «معسكر الفرس»، وهذا التفسير يتضمن في طياته معني أن الاسم المشار إليه لم يكن هو الاسم الأصلي للمدنية، وفي الحقيقة فإن آثار المستوطنة تدل علي كونها معسكراً نمطيًّا إلي المرحلة الأريانية، ولا يوجد أثر لوجود حوائط.

وتقع العاصمة الأولي للفرس علي الطريق المهم الواصل من الشمال إلي الجنوب من الهضبة من إكباتانا Ecbatana إلي الخليج الفارسي، وما زال بالإمكان تتبع معالم الطريق في الصخور المنحوتة في الجوانب الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية من السهل الضيق، وتبلغ مساحته

9×15 ميلاً، وتحيط به من الجهة الغربية والجنوبية الغربية وكذلك الشمالية الغربية جبال متوسطة الارتفاع مع انخفاض أكثر من التلال الشرقية، ويقع تحتها نهر ميديان Median الذي ينساب خلال هذا السهل باتجاه الجنوب الغربي، وارتفاع الهضبة كبير يصل إلي 6300 قدماً فوق مستوي سطح البحر، وفي الشتاء تكون الرياح باردة بدرجة قاسية، ويظل الشعور بهذه البرودة مستمراً طوال منتصف العام في الصباح الباكر، كما يسقط جليد الشتاء علي السهول والجبال، مما يضيف إلي مخزون الماء المتاح في فصلي الربيع والصيف، مما يمثل بعداً مهماً للري في التربة الخصبة خلال فترات الجفاف وحتي الحصاد.

وفي الركن الشمالي الشرقي، وفي حماية التلال العالية كان يوجد الاستيطان البدائي، وفي عصرنا الحالي، فإن الموقع يعرف بكتل من الفخار المائل للحمرة التي يرجع لونها إلي العصر الأخميني، وكذلك توجد قواعد صخرية لأعمدة صغيرة تلك التي ينسبها المؤرخون إلي عصر قورش (Cyrus) ، وهذا يبين أن تلك المنازل كانت مصممة علي الطراز الإيراني المعماري التقليدي، وفي الإمكان أن نستكمل الصورة بفرض أن القواعد الحجرية كان يبني فوقها بناء وأعمدة خشبية، ويتم ربط هذه الأعمدة مع تثبيت السقف بواسطة ألواح خشبية.

معسكر الفرس:

المقدسات:

تقع المنطقة المقدسة علي بعد ميل ونصف من الجهة الجنوبية الشرقية التي تمتد من الجهة الجنوبية الشرقية إلي الشمال الغربي، وهي تحتل مساحة صغيرة عبر مجري مائي أصغر يطلق عليه اسم قورش (Cyrus) ، وهذا الرافد الذي يصب في المرتفعات جنوباً في نهر ميديان

مضيفاً إليه وفرة في المياه، وهـذه الميـاه النقيـة البـاردة التـي تتـدفق مبـاشرة مـن منبعها شبه الصخري سوف تقر عين أناهيتا التـي انحـدوت كـذلك مـن المرتفعـات نفسها، وقريباً من الضفة الغربية للنهر يقع محرابها المقـدس ذو المـذابح المقدسـة التي لا يعلوها شيء إلا السماء، والمحراب مبنـي مـن الحجـر الجـيري الأبـيض عـلي أساس من الحجر الجيري الأسود ذي المداخل المؤدية إلي جهة النهر، وهـي من عـلي اليمين عبارة عن صخرة مفردة وضعت فوقها صخرة أخري منحوتة بسـبع درجـات مؤدية إلي أعلي المحراب الذي يدور علي شكل ثلاثي العتبات، وعـلي اليسـار توجـد صخرة أيضاً مغطاة بحجر ضخم علي شكل عمود، وهنا كان يوجـد المـذبح الأصـلي للآلهة القبلية وهي أناهيتا وأهورا- مازدا.

وفيما بعد أقيم محراب أكثر حداثة وجمالاً في الجهـة الجنوبيـة الغربيـة مـن هذه المنطقة المقدسة، ومعظم البناء كان خارج هذه البقعة مع ثلاثة مبانٍ مدعمة له؛ لأن الصخرة المقام عليها هذا المعبد جعلت من المحتم إقامة هذه المبـاني تجـاه الجنوب الغربي حسب قمتها، بينما تكون وجهة المعبد الأصلية نحو الشرق، وحـول هذه الصخرة الأساسية بنـي مرتفـع يبلـغ حجمـه 133×240 قـدماً، ويرتفـع بسـتة ممرات مؤدية إليه، وكأنه يقلد البرج البـابلي في صـورة معبـد، ويبلـغ ارتفـاع هـذه الممرات إجمالاً عشرون قدماً، وتم حفظ الممرات الثلاثة الأولي بحوائط من الحجـر الجيري، ووراء هذه الحوائط توجد أحجار صغيرة مدعمة لها، أما أعـلي ثلاثـة منهـا فقد شيدت بـالطوب اللبنـي (الطمـي) وكسـيت بـالحجر الجـيري، وعـلي كـل مـن البوابات الشرقية يوجد سلم مدرج يؤدي إلي الطـابق التـالي، ولم يـتم العثـور عـلي باقي المبني أو آثار له، ولكن كل الاحتمالات ترجح أن أعلي المبنـي كـان لـه مـذبح واحد فقط، وهذا المعبد لأناهيتا الذي شهد تطهير حلفاء قورش Cyrus بـالطقوس القديمـة قبـل ارتقـائهم العـرش، والـذي في كنفـه تـواري قـورش Cyrus الأصـغر

ليغتال أخيه أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، ويجب أن يتم التنقيب عنه في أحد هذه المباني شمال المرتفع المدرج أو خارج نطاق الحوائط.

حديقة قورش (Cyrus) ومقصورته:

خلف التلال المنخفضة، وعلي بعد نصف ميل أفقيًا تقع منطقة أخري مسورة، وقد كانت أيضاً منطقة رباعية الشكل تلتزم باتجاهات البوصلة، ومحاطة بسور من الطوب اللبني بعرض ثلاثة عشر قدماً قابعة علي أساس من الصخور، وداخل هذا المحيط كانت القصور وملحقاتها متجهة نحو الشمال الغربي والجنوب الشرقي، وكانت واقعة في وسط حديثة غناء ومحاطة بالجداول العذبة، ومسبح وبقايا ما كان مرصوفاً وممهداً، وهذه البقايا ما زالت متناثرة هنا وهناك مع وجود فراغات بينها، وفي الغالب كانت مظللة بالأشجار.

وقد كان المدخل الرئيس للحديقة باتجاه الركن الجنوبي، حيث تبرز بوابة رباعية مزخرفة من السور المحيط بها، ويستند سقفها علي صفين من أعمدة صخرية عملاقة تلتصق ككتلة واحدة من الحجر الجيري، وهي بدورها ترتكز علي كتل مستديرة من الحجر الجيري الأسود، ويقوم ذلك أيضاً علي أساس كتل الحجر الأبيض، كما يقوم بحراستها من علي جوانب البوابة عند المدخل ومكان الخروج أزواج مصطفة من الثيران المجنحة المنحوتة من الحجر الجيري الأسود أو الرمادي، حيث تستقر هذه التماثيل علي كتل حجرية سوداء اللون، والملاحظ أن الثيران المطلة علي الحديقة ذات رؤوس آدمية، وفي هذه الردهة توجد علي الجانبين أبواب تؤدي إلي حجرات صغيرة.

وهناك اثنان من الأعمدة التي تحمل الحجرة الرابعة في مواجهة المدخل، وقد تم عمل حفر بارز عليها لاثنين من الجن الذين يقومون بحماية المكان، ويصل ارتفاعها إلي قدمين، ويقومون برفع أيديهم

علامة علي حلول البركة في المكان، وهذا يماثل تراث الأجداد الآشوريين، ويلاحظ أن هذه الجنيات ذوات أجنحة، وملفوفة من العنق إلي الكعبين كأنها مقيدة، وكانت حافة الفتحة الجانبية مزينة، وكذلك فوق الكوع، بينما كانت القدم مقيدة علي الطريقة القديمة للإيلاميين، واللحية خفيفة مجعدة، وقد تلي الشعر حتي الرقبة في خصلات رقيقة معقودة بالحلي التي تتدلي من علي الأذن، ومن علي قرون عريضة تشبه قرون الكباش يتضح الرمز المصري الذي استخدمته الشعوب في غرب آسيا اقتباساً من الفن المصري وهو عبارة عن ثعابين وثلاثة أقراص معتادة للشمس مع ريش النعام والكرات التي تحيط بها لفائف من البوص، وفوق هذه الرموز توجد الكلمات المنحوتة باللغات الفارسية والإيلامية والأكادية، وكان نصها «أنا قورش (Cyrus) الملك الأخميني»؛ ولأن هذا الشعار يتسم بالبساطة، فهذا يعني أن قورش (Cyrus) قد شيد هذا البناء عندما كان لا يزال ملكاً لآنسان Anshan ، وقبل قيامة بالثورة ضد أستياجيس Astyages .

وترجع هذه التركيبة من النقوش إلي نقش زين قاعات استقبال الجمهور التي تقع علي بعد حوالي 200 ياردة في الاتجاه الشمالي الغربي، وعبر جدول صغير من الماء داخل أسوار من الطوب اللبن، ويبلغ سمكها عشرة أقدام، وترتكن علي أسس من الحجر الجيري الأبيض الذي يتم تقويته وتدعيمه لتحمل الجدران الثقيلة والسميكة، وعندما تم صنع الأبواب الحجرية والكوات في هذه الجدران كان يستبدل الحجر الجيري بالخشب الموجود في البناء القديم، حيث يظهر - إضافة إلي تحمله ضغط الجدران- تباين لوني يسر الناظرين، كما كانت بلاطات الرصف سوداء اللون، كذلك - ورغم ضخامتها وعدم تناسقها- فقد كانت شديدة التماسك والتلاصق.

واتجاه صالة الجمهور كان إلي الجنوب الغربي من المقدمة،

وامتدادها يناهز 178 قدماً خصص من هذه المساحة أكثر قليلاً من المائة قدم للسقيفة الرئيسة، وباقي المساحة خصصت لحجرتين صغيرتين في ركنيها، كما وجدت سقيفات مشابهة ذوات حوائط مزخرفة، ومن ناحية المساحة كانت السقيفة الخلفية أكثر طولاً، وذلك لاختفاء الحجرات الجانبية، وعلي جانبي الممر الرئيس المؤدي إلي وسط القاعة يوجد صفان من الأعمدة البيضاء المصقولة ترتفع علي قواعد حجرية بيضاء بارتفاع عشرين قدماً، ويصل ارتفاع هذه الأعمدة إلي منتصف جدران القاعة ذات النوافذ التي تعلو هذه الأعمدة الحجرية.

وكانت عضائد الأبواب في المقدمة والخلف مزدانة بالرسومات، وهذا التقليد المعماري يرجع إلي التراث المأخوذ من معماري آشوري هو هيتيتي Hittite ، حيث وجد في النقوش المحفورة لهذه الفترة، ومن بين هذه الرسومات المشار إليها آنفاً: ثلاثة كهنة حفاة الأقدام، ولكنهم يرتدون ملابس ضيقة، وهي عبارة عن ثوب يمتد إلي الكعبين، ويقومون بقيادة ثور لتقديمه قرباناً للآلهة، ووجدت رسومات محفورة عند أبواب الحجرات الصغيرة، وهناك رسومات متشابهة في موضوعها علي البوابات الجانبية، ولكننا نصل إلي موضوع مغاير بتناول الآلهة الحارسة التي تماثل الطراز الآشوري، إما في شكل آدمي تماماً له رأس النسر ومخالب مثبتة في سرة آدمية، وبناءً علي تراث الأجداد الآشوري، فهذه الآلهة مجنحة وملتفة برداء قصير.

وفي داخل الممر المتجه إلي الباب يوجد الضلع الطويل من حجرة الجمهور ويقود الممر إلي كوة من الصخر الأسود في نهايته، وهنا تكون الأعمدة دقيقة الحجم إلي أقصي حد؛ لأنها رغم الارتفاع الذي يصل إلي أربعين قدماً فلم يصل محيطها إلي أكثر من ثلاثة أقدام ونصف، وكانت القاعدة عبارة عن قرص حجري أسود، وهي جزء متداخل في الأساس المقام عليه البناء، وعلي العوارض البيضاء الملساء أُقيمت كتل حجرية

محفور عليها رسومات تمثل تماس اثنين من الحيوانات في وضع معكوس - ظهـراً إلي ظهر- ومن بـين هـذه الحيوانـات تـري الخيـول والثـيران والأسـود، والأسـود ذوات القرون المقوسة، وعلي رأسها تاج آشوري يعلوه ريش النعام، ولهـا رأس عـلي هيئـة آدمية، والفارق بين طول الأعمدة مـع صـغر حجـم محيطهـا وكونهـا ذوات نقـوش محفورة مع وجود السقيفة يشير إلي كون حجرة الجمهور مضاءة بنوافـذ منتظمـة ومرتفعة، حيث غطتها صفائح ذهبية من الحواف، وذلك من أجل التـألق والبريـق في ضوء الشمس.

وعلي عمق 400 قدم كان يقع القصر الذي يشـغل مسـاحة 250 × 140 قـدماً، وقد كانت واجهته سقيفة ذات عشريـن مـن الأعمـدة الخشـبية في صـفين يبلغـان في الارتفاع 20 قدماً، والأعمدة المزخرفة علي طرفي السقيفة تحمل نقش قورش (Cyrus) المعروف، وكانت مؤخرة هذه السقيفة أقصر؛ لأن القصر كان وضعه عكسـيًّا بالنسـبة إلي قاعة الجمهور، مع وجود حجرتين جانبيتين في المؤخرة، وهنـاك شـقوق عميقـة في جوانب الأعمدة حتي يتم غرسها وتثبيتها في الحوائط المبنية من الطوب اللبن، وهنـاك أيضاً حفائر في أعلي هذه الأعمدة حتي تستقر عليها العوارض الخشـبية التـي تحمـل السقف وكذلك الشرفات، وهناك باب منزوٍ عن يمين مركـز القاعـدة وذلـك مـن أجـل تجنب استراق النظر غير المرغـوب فيـه مـن الـداخل، وهـو يوصـل إلي داخـل القاعـة العظيمة التي تبلغ مساحتها 73 ×80 قدماً، وقد كان السطح محمـولاً بسـتة صـفوف من الأعمدة، ويبلغ عدد كل صف خمسة أعمدة، وقد كانت الأعمدة المنخفضة تدعم كتلة أخري من الأعمدة المزدانـة بـاللون الأسـود والأبـيض، حيـث كانـت العليـا منهـا سـوداء اللـون، ثـم تلتقـي هـذه مـع عـوارض أفقيـة بـاللون الأبـيض، وكانـت القمـة مغطـاة بـالجص (الطمـي المحـروق)، ومزينـة بـألوان زاهيـة وهـي اللـون الـلازوردي (النيلي) والأزرق والأخضر واللون الأحمر بكل درجاته من النحـاسي إلي الزاهـي، ومـن

الألوان الداكنة إلي اللامعة وعكس هذه الألوان غير المتجانسة فهناك الأرضية ذات اللون الأسود الموضوعة في إطار أبيض من الجص والكتل الحجرية الملساء.

وتمثل الأبواب الخلفية والأمامية المشهد نفسه أربعة مرات، وهنا المشهد المتكرر هو: الملك يرتدي رداءً طويلاً مجروراً علي الأرض، وهذا هو الرداء الملكي مع وجود ثنيات بين رجليه، وينتعل الحذاء الملكي، ويحمل الصولجان بيده، وهو الرمح الذي يرمز للملك، وهو هنا يغادر القصر في جولة في الحديقة، وقد كانت الحواجب والجفون في الرسومات مغطاة بالذهب، إضافة إلي الثنيات الموجود في ردائه، ويتبع الملك ويمشي خلفه خادم صغير حسن المظهر (الهندام)، وهو بلاشك حامل غطاء الرأس والمظلة، وتلك مقصورة علي استخدام الملوك منذ عهد سارجون الأسيري Sargon ، وفوق مشهد المغادرة الملكية يوجد نقش ثلاثي اللغة الذي يقدم الألقاب الملكية، ويبتهل بالبركة لأهل منزله وهيئته ونقشه، وعلي ثنيات الثوب أضاف باللغة الأكادية والإيلامية «قورش (Cyrus) الملك الأكادي العظيم».

ويفسر التغيير من مجرد «ملك آشور» إلي لقب الملك العظيم أنه عندما حان وقت حفر هذه الرسومات فقد كان قورش (Cyrus) قد قام بثورته، وبدأت مسيرته كملك فاتح، وقد توافق بالمثل تاريخ افتتاح معبد النار الشمالي بالرغم من أنه اليوم في حالة يرثي لها من الهرم، ويمكن وصفه بناءً علي الوثائق المحفوظة أنه نسخة طبق الأصل من معبد دارا (Darius) ، وهو يتماثل معه حتي في الأبعاد والمقاييس مع وجود فرق وحيد، وهو أنه بني من حجارة أشد تحملاً، وهو كما تبين الرسومات الأشورية بني علي تل مرتفع كقلعة حارسة لسهل ميديا، وهو محاط بحرم مقدس علي شكل مستطيل، ويمثل سوره حوائط مستوطنة ومبني، فالجدران قائمة علي كتل مكعبة من الحجر الجيري في الأساس

والأعمدة، وتبدو المرتفعات الجبلية التي يطل عليها الـبرج كسلسـلة مـن الوديـان، ويوجد خارجه ساحات ممهدة مـع درجـات سـلم توصـل إلي بـاب صـغير بارتفـاع متوسط، وفي الطابق الأول الذي يمثل نصف الارتفاع الإجمالي ولا يظهر فيه كل من المدخل ونافذة فقط، ويوجد انخفاض طويـل ضـيق، وهـو كـان موضـوع لتخـزين السهام، وفي الطابق الثاني كان يوجد الباب، وقد حل الحجر مكان الخشب بالبـاب، وفي تكوين نافذة ضيقة كانت من أجل مراقبة السهل الممتد وخلـف المـدخل تـري فتحات صغيرة كانت معدة لاستقبال الرسائل، ثم غلق الأبـواب عـلي المـدخل بعـد تسلم الرسائل، وتغلق الأبواب عن طريق صمامات حديدية، وهناك ثلاثـة صـفوف من النوافذ الوهمية، وكل صف له حجم مختلـف مـع إطـار مـزدوج مصـنوع مـن الحجر الأسود، وهو ما يظهر حالة الطوابق التالية المماثلة، وكـان السـقف مسـتنداً علي أعمدة زوايا، وهي أعمدة عادية، وهنـاك رؤوس بـارزة في السـقف مـن هـذه الأعمدة، مع وجود ألواح ضخمة ذات منحنـي هرمـي مصـطفة لتكـوين السـقف، وقد أصبحت النوافذ والفجوات مجرد شكل للزينة، وذلـك مـن أجـل حمايـة النـار المقدسة من هبات الهواء المفاجئة، وهذه النار نفسها تكفي للإضاءة.

وهناك نتوء بارز من التل في ركـن شـمالي شرقـي تطـل عـلي الطريـق الصـخري المنبسط والذي شوهد عليه جيش ميديا المنهزم يتراجع هارباً إلي إكباتانا Ecbatana ، وقـد بـدأ قـورش Cyrus منصـة مـن أجـل بنـاء جديـد يشرف عـلي هـذا الطريـق الاستراتيجي وفوق الطريق كانت بوابة المبني 775 قدماً، وارتفاع المنصة نفسها كان 40 قدماً، حيث يمتـد ملـتحماً مـع التـل، وحيـث وضـع المبنـي في مسـارات أفقيـة بارتفاعات متباينة، وذلك لتجنب الشعور بالملل مع وجود نتوء للزينة في كـل ركن، وقد تم تثبيت الأحجار والكتل الحجرية المكونة للمبني بدون استخدام الملاط (المونة)، وذلك عن طريق الشدات الحديدية المتداخلـة، وخلـف هـذا

يوجد حائط من الحجر المصطف بشكل جمالي بالغ العناية، وبعده وضعت كتل مدعمة، وقبل استكمال المبني غادر قورش Cyrus لمحاربة المساجيتا Massageta ، ولم يعد إليه قط، وبالتالي توقف العمل، وقد تهاوت بعض الأحجار التي انتشرت بالمكان مخلفة وراءها فقط مكان الحفر، وتعود الطبقات الحجرية في أصلها إلي هذا المبني، وحالتها كما كانت عليه منذ وفدت من المحاجر، وتوجد معالم نتوءات حجرية بارزة تحدد المبني القديم.

وجنوب مجموعة المباني المكونة للقصر وملحقاته أعد قورش Cyrus لمستقره الأخير، وهو مثل معبد النار يستقر علي منصة ذات أبعاد 48 × 24 قدماً في الأساس، وترتفع ستة عتبات ذوات ارتفاع متباين مجموعها يبلغ 17 قدماً، وعلي العتبة السابعة وضع القبر، وهو بناء من مكعبات مشيدة بعناية من الحجر الجيري الأبيض مربوطة بإحكام من شدات حديدية، وهو نفسه علي شكل منزل له سقف مرتفع، كما في إطار المنازل الشمالية، وتختلف عنها في وجود صبات حجرية علي شكل زهور أفاريز حول القاعدة مزينة بالنقوش الملكية المحفورة، وطبقاً لما أورده أونيسيكيرتوس Onescritus الذي شهد أثناء وجوده مع الإسكندر (Alexander) هذا الأثر، وكان النقش باللغة اليونانية والفارسية نصه كما يلي: «وهنا أرقد، قورش (Cyrus) ، ملك الملوك»، وقد زاد أرسطوبوليس Aristobulus قائد الإسكندر (Alexander) العسكري في قراءة ما كتب علي القبر، وتبعاً للتقاليد الإغريقية يعتبره أسلوباً سامياً «أيها الإنسان، أنا قورش (Cyrus) الذي اكتسبته الإمبراطورية من أجل الفرس الذين كنت ملكاً عليهم؛ لذا لا تصغر من شأن أعمالي».

موت ودفن قورش (Cyrus) :

كان موت قورش (Cyrus) مفاجئاً ، فقد كانت المساجيتا

Massagetae وهي قبلية شبه بدائية متنقلة من أهل ساكا Saka التي تقبع عبر نهر أراكسيس Araxex تهدد الجبهة الشمالية الشرقية؛ ولذلك كانت الحرب الانتقامية لا مفر منها، وقرر قورش (Cyrus) أن يقود هذه الحرب بنفسه تاركاً قمبيز Cambyses ولي العهد كملك علي بابل، وقد انطلق الملك المسن في المعركة، وتم بناء جسر علي النهر، وهو آخر حدود الإمبراطورية، وغزا قورش (Cyrus) العدو، وفي بداية الأمر حقق نصراً محدوداً، ثم أوي إلي الراحة بجانب الملكة توميريس Tomyris ، وقد هزم في معركة عظيمة وجرح، وبعد ثلاثة أيام مات الملك الفاتح العظيم، وقد كان ضحية موت غامض من الملكة التي تنتمي إلي الساكا، وقد استرد قمبيز (Cambyses) جثمان والده، وقام بإجراء مراسم الدفن كما يليق في معسكر الفرس، وقد انتحي الجمع الحاضرون للجنازة لدخول بوابة الدفن شبه الخشبية الضيقة التي تبلغ 31 × 54 بوصة، ودفع الباب الحجري المتحرك، ولكنهم وجدوا أنفسهم في ظلام دامس؛ لأن الباب الأول يجب غلقه قبل سحب الباب الثاني، وقد تزاحم الحضور في مقبرة عديمة النوافذ تبلغ مساحته 10.5 × 7.5، وارتفاع 8 أقدام إلي السقف، وقد أجروا مراسم تشييع الجنازة علي ضوء المشاعل الخافتة، وقد وضعت الجثة في تابوت صغير ذهبي يستقر علي أريكة جنائزية، وكانت أقدامها من الذهب المجدول، وقد وضعت منضدة من أجل تقديم الهدايا للمتوفي، وقد شملت هذه الهبات سيوفاً فارسية وعقود، وكل أنواع الزينة والأحجار الثمينة المرصعة في إطار ذهبي، والحلي والأثواب الفاخرة من الصناعة الفارسية والبابلية والثياب المحلية المصبوغة بالألوان الزاهية، وكذلك الأقمشة البابلية بأنواعها، وقد كرست كل هذه المنتجات والهدايا من أجل أن يقبل الملك الراحل علي العالم الآخر مع أجداده بالأبهة والعظمة التي تليق به، وقد تم بناء منزل صغير قريب من أجل حراس المقبرة من المجوس الذين يشغلون هذه المكانة عن طريق

التوارث، وقد خصصت لهم المؤونة، وهي أحد الأغنام يوميًّا، وكذلك الدقيق والنبيذ وحصان مرة كل شهر كقربان للبطل، وقد أُحيطت المقبرة بحديقة غناء تسقي قنواتها العشب في السهول المحيطة، وقد زرعت الأشجار من كل الأنواع حتي تظلل علي المستقر الأخير للملك قورش (Cyrus) .

عناصر من الفن الفارسي:

حتي في الحالة المدمرة تماماً، فإن مكانة عاصمة قورش (Cyrus) تقدم ثقافة قومية متطورة إلي حد كبير، وقد كانت هذه الحالة مستلهمة من الدولة الأشورية عبر صوصا مثل النيران المجنحة والجنيات، وكذلك المنصات في القصور البابلية والأشورية، ومن الرموز المصرية أخذت الأعمدة فلم يكن الفرس أول من استخدموها في العمارة ومع ذلك، فإن كل هذه المؤثرات قد اختلطت ومزجت في فن جدي يجب الكشف عنه وعن أصوله في مواقع لم تكتشف بعد، وهذا الفن ناضج تماماً بالرغم من اختلافه التام عن البداية المحفوظة جيداً في بيرسيبوليس، وبالنسبة إلي سماته المميزة يمكننا أن نستشهد بجمع تراث الأسلاف في فن العمارة الخشبية لأهل الشمال مثل السقوف العالية والسقيفات ذات الأعمدة والمسطح الأرضي وتفردها باستبدال حوائط مقامة بالطوب اللبن والحجر الجيري والتناقض المبهج بين اللون الأبيض والأسود، ووضع إطار من الحجر الأسود حول الأبواب والنوافذ ذات اللون الأبيض، وتكرار مشاهد توزيع المساحات بين الأبواب والنوافذ، وتدل القطع الباقية من النحت علي إدراك الفنانين الذين نحتوا هذه الأعمال أن هذه الرسوم البارزة يجب أن تدعم وتقع ضمن تصميم معماري عام، كما تدل علي شعور الإيرانيين بالإيقاع الفني كما يثبته تكرار كل مشهد أربع مرات، ومن الفريد لهذا الفن استخدام النقوش علي الكتل الحجرية المستوية

الذي لم يعد يتطلبه التصميم الفني والتماثيل التي لم تصنع بالنحت، ولكن تغـوص في سطح عضادة الأبـواب، وهـي تقـوم بـدور الحليـة (الزينـة) المعماريـة، وكإطـار للأبواب؛ ولذلك فإن هذه الأشكال ليست مجسمه ولكنها مسـتوية، أي أنهـا تنمـي للفن ذي الأبعاد الثنائية وليست الثلاثية، وهي تقـع داخـل المسـاحة المحـددة، ولا تمتد خارجها، ومن الغريب أن الأقمشة كانت قصيرة قبل أن يعرفهـا الإغريـق لمـدة قرن من الزمان.

وهذه العناصر الفنية المختلفـة سـواء مشـتقة مـن مصـادر وطنيـة أو العـالم الخـارجي قـد تـم دمجهـا وانصـهارها في الـروح الإيرانيـة، ويجـب الإعجـاب بهـذه الكفاءة الفنية، وإذا أعـدنا بنـاء هـذه الأعـمال بالخيـال المـدرب مـع روح الجـمال الوقور يمكننا تقدير هذا الحس الفني، وبخاصة في بارساجاردا Parsagarda بالرغم من تدميرها بدرجة شديدة، والتي كانت أكثر فخامة من بيرسيبوليس.

الفصل الخامس

الحياة بين الشعوب الخاضعة

الحياة بين الرعايا:

كانت الحياة في الأراضي الميدية Median والفارسـية Persian بسـيطة إلي حـد ما، وكان سياكساريس Cyaxares ، وآستياجس Astyages وقورش Cyrus يجمعـون الضرائب من أحرار شعبهم ويشيدون بها القصور والمحاكم الملكية، وكانـت الصـناعة الرئيسة للسكان في السهول والقطاعات الكبيرة رعي الأغنام والماعز في أودية الجبـال، وأيضاً رعي الأبقار التي كان يمارسها البدو، في حين استقر الـبعض في الأرضي المسـتوية واشتغلوا بحرفة الزراعـة البدائيـة بمسـاعدة قنـاة Qanat للـرأي، أمـا الأمـاكن التـي قُسمت إلي منازل أو إلي قطع زراعية فيتم دفع رسوم بسيطة لهـا مـن قبـل سـاكنيها للقائمين علي الدولة.

أما ما يتعلق بالسجلات البابلية Babylonian والإيلاميـة Elamite فبمجـرد غـزو إيلام Elam وبابليون Babylonian اتصل قورش Cyrus بحضـارة أكـثر قـدماً وتعقيـداً، ولقد عرضت هذه الدول آثارها القديمة وخاصة في أعمال كتابة الوثائق التاريخية، ولقـد عرفت الحضارة البابلية Babylonia منذ قرابة خمس وعشرين قرناً تسـجيل الصـفقات والمعاملات التجارية، بل وطورت أشكالاً عديـدة لهـا، والتـي عـلي أساسـها يـتم تحديـد

المعاملات الأكثر أهمية وتسجيلها علي ألواح طينية، وبعد مرور بضع قرون قام الإيلاميون Elamites بتعديل الرموز الوتدية المستخدمة في الكتابة البابلية واستخدامها في لغتهم وتقليد صيغ الكتابات الإدارية والتجارية لجيرانهم البابليين Babylonians ، وعلي الرغم من أن الفرس Persians قاموا بدورهم باختراع أبجدية للرموز الوتدية لكتابة مخطوطاتهم الملكية إلا أن هذه الأبجدية لا تصلح لأي غرض آخر سوي كتابه المخطوطات، ولكي نتعرف علي حياة الرعايا أثناء الفترة الأخمينية Achaemanid يمكن أن نكشفها من خلال مصادرنا الموجودة علي الألواح الطينية المكتوبة لـ Elamite ، واللغة الاتحادية Akkadian ، واللغة الآرامية Aramic ولحسن الحظ، فإن هذه الألواح راجعها الآلاف من العلماء، وعندما نسخنا كافة المعلومات وقمنا بسردها وتحليلها أصبح لدينا قاعدة معلوماتية ضخمة فلدينا تاريخ اجتماعي واقتصادي كامل لفترة مهمة من تاريخ الشرق الأدني القديم، الذي يرجع تاريخه إلي ثلاثة آلاف عام، أي ما يزيد عن نصف سجل الأحداث التي مرت بالبشرية.

الأرشيف التاريخي يقع في صوصا Susa :

بمجرد أن قام قورش Cyrus بغزو إيلام Elam أصبح الوريث الوحيد لحكم العاصمة القديمة صوصا Susa ، والتي تقع علي حافة الغرين البابلي Babylonian والذي استخدمت تربته كثيراً في صناعة الألواح التي تدون عليها الأحداث التاريخية، وعلي الرغم من أن معظم المعلومات الموجودة علي الألواح الإيلامية Elamate متعلقة بالحكام التالبين لقورش Cyrus ، إلا أننا سعداء لامتلاكنا أكثر من ثلاثة آلاف لوحة يمكن ضمها لعهد الملك قورش Cyrus بمزيد من التحري والاستقصاء، والتي تتحدث إحداها عن قورش Cyrus وتذكر الثانية Alydian والتي من المؤكد

أنها كتبت بعد غزو ساردیس Sardis عـام 547، وتتحـدث الثالثـة عـن ملـك مصر Egypt ومن الواضح أنها كانت قبل عام 525.

وهذه الألواح جزء من أرشيف المسؤولين الحكـوميين الـذين يطلـق الكاداكاكـا Kaddakaka هيـوبن- هـولنتش Huban- haltash ، وهـم رعايـا تـابعين لإيـلام Elamite وموجودين بفارس Persia ، وقد ذكروا أكثر مـن لمحـة عـن تـاريخ صوصـا Susa الحديثة، وكـما هـو متوقـع، فـإن الفـترة الأخـيرة للغـة الإيلاميـة Elamite قـد أشارت إلي الاستخدام الكبير لرمـوز الكتابـة البابليـة Babylonian ، وفـيما يشـير إلي استعارة كلمات مـن اللغـة الفارسـية Persian أو اللغـة البابليـة Babylonian ، وفي حين تكون تلك الألواح موثقة بختم دلالة علي صحتها، وتعتبر هذه الأختام المنقوشـة مخصصة لشخصيات الآلهية البابليـة Babylonian مثـل مـاردوك Marduk أونـابيو Nabu في حين أن أحد هذه النقوش تمثـل فكـرة دينيـة شـائعة لـدي الفـرس، وهـي صورة لملك يرتدي حلة الحرب عليها تاجه وهو يطعن وحشاً مفترساً.

الـ Elimates من معظم أسماء الأفراد المذكورين سلفاً، وبمـا أن صوصـا Susa تقع بين Persia فارس و Babyon وبابليون، فإنها تجمع بين اسم الدولتين وتطلقـه علي مواطنيها.

ولقد أضيفت علي الوثـائق الصـيغة البابليـة Babylonian ، ويمكـن أن نشـير إلي مثال نموذجي، كتب هيوترايرا Son of Hutrayara علي لوح هيوبان ناجاش Huban- nagash ريشـاكيدن Rishi- kitin تلقـي عشر قطـع نقـود فضـية ترجـع إلي يومينـو Ummanunu مكتوبة في شهر مارس، وهي صيغة مثالية لطلب لشخص يطلـب قرضـاً من موطن بنك، وموظف البنك هذا عضو من الطبقة الجديدة التي ظهرت علي سـاحة الهيمنة في بابليون الجديدة، وهناك صيغ مشابهة لصيغة هـذا القـرض، ولكـن الصـيغة مكتوبة بدون ذكر الفائدة، وهناك صيغة قريبـة للصـيغة المـذكورة سـلفاً نصـها كالتـالي «تلقـي هـابن أبي Huban- api سـتة قطـع ذهبيـة» وإذا لم يـرد هـذا المبلـغ الشـهر

القادم، فستزداد الفائدة المتفق عليها»، كما تثبت الألـواح المـدون عليهـا الحقـائق التاريخية أن موظفي البنك الإيلاميين Elamite علي دراية بالحيـل التـي يقـوم بهـا سكان بابل Babylonia ، وعلي الناحية الداخلية للوح المدون عليـه القـرض تكـون الفائدة بمقدار جنيه واحد فضي، وتكون نسبة حدوثها مـن سـتة عشر إلي واحـد في الحدوث ولكن عند كتابة القرض في ظـرف غـير معلـن عـن الفائـدة يكـون الـدفع بمقدار جنيه ذهبي واحد وتكون نسبة الحـدوث بمقـدار اثنـي عشرة إلي واحـد، في حين تتناول بعض الألواح الأخـري مسـائل متعلقـة ببـائعي الأغنـام أو نقـل ملكيـة بعض الأغنام للرعاة.

وفي حين أن معظم ألواح الأرشيف عبارة عن قوائم يدون بها (أسـماء الرعايـا الذين يدفعون للموظفين القائمين علي إيرادات الدولة، إلا أن تلـك القـوائم مدونـة بطريقة غريبة كأنها تضيف شيئاً لنا من طرف خفي.

ولقد كانت إيـرادات المنسـوجات أول شيء يجـذب الانتبـاه لكثرتـه مـن بـين الإيرادات التي تم جمعها، والتي ظهرت في شـكل متنـوع بألوانهـا المبهـرة، وتحـدد أزياءها الوطنيـة، وكانـت تنسـج مـن ضـمنها الأزيـاء الإغريقيـة الميديـة Median وتعـرض عـلي أبـواب الـقصر عـلي أنهـا حكـر ملـكي أو كـان سـكان شـمال سـوريا والمعروفين بالحيثيين Hitetes يقومون بصناعتها، كـما نسـمع عـن مائـة وعشريـن نوعاً من الثياب المنسوجة للتجارة والمصبوغة باللون الأرجواني الثمين والـذي يصـل ثمنه إلي قطعتين من النقود.

وتظهر الألواح الأخري قوائم لمؤن الجيش، حيث تظهر عليها أشكال مثل الأقـواس تشبه الأقواس الآشورية Assyrian فيها أوتار وأسهم، كـما تظهـر أشـكال البـوص الـذي صنعت منه ورماح ودروع وصور لجوارب كانت تحفـظ بـداخلها، وقـد ذكـر أن الآلهـة كانت تضع بعضاً من هذه المؤن، ومن بينهم هوترن Hutran وأشنوشنك Inshushinak الإلهين العظيمين لصوصا Susa ، وطبقاً لمصادر أخـري فـإن مصـدراً مـا كـان يـزود

الآلهة بهذه المؤن بمثل ما كان يستقبله برج المعبد لأحد الآلهة، فقد استقبل مائة وعشرين قطعة من الأقطان المصبوغة وأحد المشغولات الحديدية التي تصل قيمتها إلي سبعة جنيهات ونصف، ومعها بخور تصل قيمته إلي خمسة جنيهات، وهو كل ما توصلنا إليه من معلومات عن الحياة اليومية التي كان يعيشها سكان صوصا Susa أثناء هذه الفترة القصيرة.

نظم الإدارة في بابل:

وعلي مدار الثلاثة آلاف سنة من التاريخ الاقتصادي الاجتماعي لبابل لم يكن لدينا إلا الأدلة القاطعة الدالة علي تلك الأوضاع كما هو الحال في القرنين الخامس والرابع عقب عام 625، فقد تم نشر وتحليل أكثر من عشرة آلاف وثيقة تجارية وإدارية تكاد تكون مقسمة بالتساوي بين الفترة الكلدية Chaldaean وأوائل الفترة الأخمينية Achaemenid .

وبإضافة ستمائة خطاب إلي كبار المسؤولين منهم والتي أرسلت أثناء السنوات الأولي التي شهدت تحول الحكم السياسي من الساميس Semites إلي الإيلاميين Ilamians ، فإننا نجد أمامنا مادة تفسر لنا التغييرات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية التي شهدتها تلك الحقبة، والتي لا تتفق تماماً مع الحقب التاريخية السابقة له.

ومن ضمن الوثائق التي تناولتها قروض البذر والطعام والفضة والعقود العادية للتجار وبيع العقارات غير المنقولة سواء كانت منازل أو حقول، والعقود الإيجارية التبادلية، ووصلات دفع الإيجار، وأعداد كبيرة من بيع الرقيق وقوائم من الريفيين العاملين بالعقارات والمعاملات التجارية التي كانت بينهم وغيرها من القوائم التي تحوي المسؤولين البيزنطيين الأحرار العاملين معهم، كما ضمت الاتفاقيات التجارية وتقارير المسؤولين الصغار والكبار وسجلات المحاكمات والقرارات

القضائية، وقد يظهر جزء جديد يتناول تاريخ الأسعار مكتوبة توضحه الصور التوضيحية، بحيث يمكنك أن تري حياة البابليين بكافة أشكالها من نبلاء وعامة علي حد سواء وهي تمر من أمام عينيك بما فيها من أحداث متنوعة.

وقد أصبح قورش Cyrus بتعامله مع الرعايا البابليين Babylonian « ملك بابل Babylon وملك الأراضين»، ولهذا السبب استطاع قورش Cyrus أن يحتفظ بحقه وحق أتباعه في الإرث بعد أن أطري علي البابليين، وفاز بولائهم، وأخفي حقيقة تبعيتهم له، ولقد تضمن إظهار ولائهم له عودة تمثال الإله الذي تم أخذه منهم، في حين كان جوبريس Gobryas المرزبان Satrap هو الذي يمثل السلطة الملكية بعد رحيل الملك، ومع ذلك فقد ذكر في الوثائق التي لدينا أن المرزبان Satrap كان يحل محل الملك، حيث يؤدي المتعاقدون القسم أمامه، وهو الذي يحدد خطأ أحد الطرفين في حالة انتهاكه للعقد، ولقد ظهر في الوثائق أن المرزبان Satrap يتدخل بطريقة مباشرة في الإدارة المحلية وتحول الطعون المقدمة في قرارات القضاة المحليين مباشرة إلي محكمته، وبوجه عام، فإن السيطرة التامة علي شؤون الدولة الداخلية كانت تخول «لرسول الملك»، والذي يقوم بزياراتة التفتيشية لمده ساعات يصاحبها القلق لمسؤولي الدولة في حين تم دفع منصب الرقابة علي الوضع المالي للمتحف إلي مسؤولين ملكيين، وبطريقة أخري يمكن أن نقول إن قورش Cyrus استطاع أن يهدئ البابليين، وذلك بتبني سياستهم المألوفة لدرجة أنه أبقي علي المسؤولين البابليين في وظائفهم في بداية توليه الحكم.

وعلي الرغم من أن الخطابات الوثائقية تظهر الأحكام الشديدة للدولة أثناء النظام الجديد والضروري لقيامها، إلا أن الأيام الأخيرة لحكم نابونيد Nabu- Naid تعرض صوراً لانتشار الكسب غير المشروع،

كما أن هناك وثيقة لخطاب يحوي شكوي من نابوماكن زير Nabu- Makin- zer إلي نادنو Nadinu يعاتبه قائلاً: «هل تصرفك هـذا تصرف أخـوي؟ «لقـد أخبرتنـي أنني أستطيع أن أطلب منك أي طلب صـغيراً كـان أم كبـيراً، لي «وعـلي الـرغم مـن ذلك فإنك تعلم أنني بحاجة إلي أربعة أغنام كهبة»، وأنني أرغب في فرض ضرائـب علي شعب رازوبتا Rasibtu ، ومع ذلك لم تفعـل مـا طلبتـه منـك، ألـيس هـذا مـا يجب عليك كصاحب سلطه القيام به؟ فبادر به الآن وابدأ بتنفيذ مهامك ولا تتأخر ليلة واحدة»، وهناك وثيقة لخطـاب آخـر مـن بيـل- زيرابنـي Bel- zer- ibni إلي المذكور نفسه سابقاً نابوماكن زير Nabu- makin- zer يقـول فيـه: «عنـدما يـأتي رسول الملك كل شهر للتفتيش عن الوظائف لا يجد بها المسؤولون عنها، وما يلبـث أن يأتي مسؤولو المعبد ليتفقدوا الأمر الذي لم يرفعه رسول الملك إلي ملكه بعد، ثـم يأمر بوضع الرجال المسؤولين عن قطيـع الماشـية بـأن يوضـع في الأصـفاد، ويـحضر لمحاكمته لانشغاله عن وظيفته.

أما عن الميكانيكية العملية للنظام القانوني فيمكن توضيحها عن طريق تناول قضية السرقة الكبيرة التي تعرض لجاميلا Gimillu ، والتي أدت إلي تحسين الوضع الإداري المتعطل، فلقد قرر جاميلو Gimillu أن يسلمهم الراعي الذي استولي عـلي الأغنام، والذي لم يذهب إلي المعبد منـذ عشر سـنوات؟ وبعـد الحصـول عـلي عشر حبات من الشعير، وقطعتين من النقود وشاة كضمان لجامليو تقـرر وضـع الراعـي في الأصفاد وتسليمه إليهم.

وقـد أثـرت الإصـلاحات التـي كانـت تنـذر بالتهديـد عـلي أعصـاب المسؤولين، مما دفع أردي جولا Ardi- Gula إلي نصيحة شامث -Shamash Vballit بعـدم التغـاضي عـن الأعـمال السـيئة التـي يقـوم بهـا جـامليو Gimillu ، كما جذب انتباهه إلي فشله في أداء المهمة التي أوكلت إليـه، وأن

يدفع ما عليه من هبة العام الجديد، وكذا حصته من الفاكهة، فها هـو الراعـي قـد أتي يسدد ما عليه من ديون قديمة فدينه كبير وأن يعطي لجاميلو Gimillu مـا لـه من دين، وقد حذر شاماش زيرأكوشا Shamash- zer- liqisha جـاميلو Gimillu من أن المسؤول عن الإدارة قد حضر وطلب من المـتهم الـذهاب معـه بهـدوء، وفي شهر سبتمبر من عـام 538 أُحضر جـاميلو Gimillu للمثـول للمحاكمـة بـين يـدي المجلس والمسؤولون بإروك Uruk وقائمة بأسماء الشخصيات البارزة في المدينة، مما يستلزم وجود ما لا يقل عن أربعة كتـاب مـن المتحـف ليـدونوا أحـداث المحاكمـة وأقـوال الشـهود الـذين يـدخلون الواحـد تلـو الآخـر، وعنـدما اعـترف نـادينتم Nidintum بأنه تلقي ثلاثة نقود معدنية ثمناً للشاة التي سرقها، وقد دون الكُتاب أثناء حضور مجلس المحاكمة الوثيقة التـي تقـول: «حصـل جـاميلو Gimillu عـلي حقه من النقود»، وقد أدلي الشاهد الثاني بقوله فيما يتعلق بجريمـة سرقـة أغنامـه ومعزة له والتي قام بها أخو جاميلو Gimillu's brother ، في الوقت الـذي يقسـم فيه الشاهد الثالث «أن نادينا Nadina أخو جاميلو Gimillu قد أخذ المعزة أثنـاء وجـوده»، ويعـترف جـاميلو Gimillu بنفسـه قـائلاً: «لقـد أرسـلت أخـي «نادينـا Nadina »، مـما يعنـي عـدم إنكـار جـاميلو Gimillu للجريمـة قـائلاً: «إن ذلـك الخروف الذي أخذته، بسبب ظروف قاهرة، تركت شاتين بدلاً منه للتقرب بهـما في اليوم المقدس» وفي اتهام آخر وجه لجاميلو Gimillu الذي اعترض عليه قـائلاً: إنـه رفض الفرصة التي عرضت عليه لسرقة قطعتين من النقود ومعزة صغيرة، ومع ذلك فقد جاء القرار النهائي للقضاة بتعويض المتضررين عن الخسائر التـي لحقـت بهـم، مما يساوي ستين واحداً من النوع المسروق، ولقـد وصـل التعـويض إلي عـدد اثنـين وتسعين بقرة وثلاثمائة واثنين من الأغنام، وجنيه وعشرة نقود معدنية من الفضة.

وقد طعن جاميلو Gimillu في الأحكام التي صـدرت ضـده، ورفـع

استئنافاً في المحكمة المرزبانية Satrapal Court راجياً براءته، بل وفي الوقت نفسه مدعماً موقفه دون أن يشعر الآخرون، باستمراره في ارتكاب السرقات، وقد أمر القسيسين الموجودين بمعبد إنا Eanna والمسؤولين البارزون في إيرك Uruk بالظهور أمام حضور المحاكمة مع الشاهد الذي يجبر علي الإدلاء بشهادته بعد تعرضه لعقوبات شديدة بارتكاب جرائم السرقة متأخرة الحدوث، وبناءً عليه تم رفض الاستئناف الذي قدمه جاميلو Gimillu ، وبحلول أبريل عام 534، وكما كتب «القس، من إيرك Uruk ، أنه لن يسمح لجاميلو Gimillu بمغادرة بابل Babylon ، مما دفع جاميلو Gimillu إلي أن يعقب قائلاً للقس: «ألا تري يا سيدي أنني مقيد بهذا القرار، ومع ذلك فقد قام نابوتارز Nabutaris الذي يعمل لدي السيد بيل ماردك Bel Marduk العامل بمعبد إساجلا Esayila بإخراج خمسة نقود معدنية ودفعها لثلاثة من الرجال ذوي المناصب المؤثرة، وقد أصر جاميلو Gimillu علي نفي التهمة المنسوبة إليه قائلاً: «إنه غير مدين للضرائب بشيء ما عدا 1.100 وهو الذي عليه لمعبد إنا Eanna »، وعلي ما يزيد عن عشر سنوات وهو يطالب بالحصول علي حبوب الشعير، وفي الوقت نفسه يجيبه المسؤولون بأنهم ليس لديهم ما يقدمونه له؛ لأنهم مقيدون الأمر الذي دفع جاميلو Gimillu للكلام قائلاً: ما الدور الذي يقوم به معبدا إنا Enna إجشونجا Egishungui ؟ فأنت سيد الاثنين؟ فما هو المناسب لي، الذي تصنعه الآلهة لأجلي، فيا إلهي حرر عبيدك وارجعهم إلي ديارهم، فالإله ونابو Nabu يعلمان مسبقاً أنني موقن بوجودها، وأنني مدين بخمسمائة Kur من الشعير؛ لذا أرسلت نابوتاريز Nabutaris لتداول الأمر مع سيدي رفيع المقام.

وسواء بسبب المجاملات التي قدمها جاميلو Gimillu لمن هو أعلي منه منصباً، أو بسبب القطع الخمس من النقود الفضية التي كان لها التأثير الكبير، وتسببت في عودة المتهم لسرقة منزله، وقرر إعفاءه من تقديم

الثيران لعامه الخامس، واحتفاظه به مع الأخذ في الحسبان الصعوبة التي واجهها جاميلو Gimillu في المحافظة علي عدم تورطه في التهم الموجهة إليه، فإننا مصابون بالدهشة عقب اكتشافنا أن نابو- ماكن- آبل Nabu- mubin- apal أمر بوضع قضيب من الذهب في القارب التابع لجاميلو Gimillu ، مما اضطرهم لاختطاف ابن جاميلو Gimillu علي الشاطئ قائلين: لن نسمح بمغادرة أي أحد إلا بعد عودة جاميلو Gimillu .

وقد أحضر جاميلو Gimillu وأداد شيوم يوجر Adad- Shum- Uger القائد الأعلي لمقاطعة المرزبانات Satrap الرقيق الموجودين بالمعبد أمام آلهة إيرك Uruk وأولي قيادتهم إلي نابو- ماكت- آبل Nabu- mulin- apal ونابو- آه- إندينا Nabu- ah- inddina ، وطلبوا من جاميلو Gimillu ألا يخبرهم عن أوامر المرزبانات Satrap حتي يتمكنوا من تنفيذها بمجرد علمهم بها، فرد عليهم جاميلو Gimillu قائلاً: «لم يأمر جوبريس Gobryas بأي شيء يفعله بهم، أما عن الأشخاص الذين أحضرتهم وأطلعتك عليهم فدعهم يؤدون ما أوكل إليهم من عمل في إنا Eanna إلي أن نتلقي معلومات من جوبرس Gobryas تتعلق بهم، أما ما يتعلق بالأشخاص الذين حررتهم من الأصفاد بعد الرجوع إلي ألواح عشتار Ishtar إيرك Uruk فإنني أتحمل مسؤولية عدم هروبهم».

الحياة الاجتماعية في بابل:

في أثناء القرون السابقة كان السكان البابليون Babylonia يعانون من تعدد في الطبقات، ففي بداية هذه الطبقات كان الملك وأعضاء محكمته الذين كانوا بمثابة أصدقائه مثل المرزبانات Satraps وأعضاء محاكمهم، فهم عبارة عن دخلاء فرض وجودهم الاحتلال الأجنبي، مما أثر علي سكان بابل الأصليين، ويمكننا أن نضم النبلاء البابليين إلي طبقة الفرس

ذات المناصب المرتفعة، وفي الوقت نفسه فهم يدينون بالولاء لمناصبهم الجديدة، مما يجعلهم من صدارة الطبقات البابلية.

ويعد أفراد الطبقة الأرستقراطية رفيعي النسب وذوي ثراء، مما مكنهم من اعتلاء المناصب المهمة في الدولة، وظهور أسمائهم علي أية وثيقة تصدر، وغالباً ما يتم التعرف علي أفراد الطبقة الأرستقراطية من خلال أسمائهم، أما عامة أفراد الشعب فيعرفون بأسمائهم وأسماء آبائهم، وأما النبلاء فيذكرون أسلافهم، وهؤلاء السلف قد يكونون شخصاً واحداً ذا شهرة أو لقب لعائلة مثل النساج، القصار، البناء، السماك، الحداد، ومربي الماشية أو الطبيب، ويمكن أن تتواصل أنساب هذه العائلات طوال القرون السبعة بدءًا بإروك Uruk والفترة الآشورية Assyrian والكلديين Chaldaean والأخمينية والـ Seleuid ، ووصولاً إلي Parthian ، حيث انتهت إليها مصادرنا، وهناك المزيد من الدراسات التي تتناول علم الأنساب التي من المتوقع أن تزودنا بمعلومات قيمة عن هذه العائلات العريقة.

وهناك عائلات أخري ذات أصل عريق مثل إجيبي Egibi ، وكانوا يحوزون أكبر رعاية في بابل Babylain ، والتي سنذكر مراحل سقوطها وانهيارها المفاجئ، وبعد موت قائدها أتي ماردوك بلاتو Hi- Marduk وكذا يطلق علي بعض العائلات لقب العلماء مثل عائلة نابوراميني Nabu- Rimani عالم الفلك المشهور الذي يعرف لدي الإغريق باسم نابورانس Naburians ، والذي يعد إحدي العلامات الشاهدة علي عصر الملك دارا Darius ، وأحد سلالة القس القائم علي خدمة آلهة القمر، في حين تنحدر بعض العائلات من أصل ذي مكانة بالدولة، مثل عائلة صانعي الملح أو ما يُسمونهم جامعو ضرائب الملح، وحقيقة لم يتم تحديد أعمال العائلات العريقة، فكل مجال من المجالات الإدارية والتجارية يعد شاهداً علي أنشطة أفرادها.

أما عن النبلاء فقد كانوا مواطنين، ويطلق عليهم ماريانيو Marbance ويعيشون في المدن البابلية الواسعة، حيث تحمي غيرتهم حقوقهم كما ينص عليه الميثاق الآشوري Assyrian ، وقد شكل النبلاء حدوداً للأماكن العمرانية القاطنين بها وحدود ممتلكاتهم التي حصلوا عليها مقابل رسوم قليلة، والتي يبيعونها ويشترونها بعقود عادية، وفي حالة ادعاء عائلة ما ملكية أملاك زراعية يتم النظر في ادعائها، ولكن في حالة التعدي علي هذه الأراضي يخضعون لعقوبات قاسية، وكانت الأراضي الزراعية الواقعة خلف أسوار المدينة ملكاً لحاكم الدولة ينفق من أموالها علي صناعة الأقواس، والتي تعد من الأسلحة المهمة التي يجب أن يزود الجيش بها، ولكنه غير سياسته إلي دفع الأموال بدلاً من صناعة الأقواس.

كما يلتقي هؤلاء المواطنون النبلاء في الاجتماع الرسمي الذي يسمي بيبرو Bubru ، حيث يتم اتخاذ القرارات القضائية المهمة، ويترأس الاجتماع «رئيس المجلس ومساعديه» وبحضور «نائب الملك» كمدعٍ عام في حين كانت الإجراءات الروتينية الإدارية العادية من اختصاص المجلس، والذي يشغله أحد الشباب البالغ عمره خمساً وعشرين عاماً، وصاحب شخصية قيادية، ويشغل منصباً رفيعاً في المعبد المحلي، والذي غالباً ما يذكره المجلس، ويطلق اسمه علي اسم أحد المعابد، فأحدهما الجزار والآخر الخباز، ومما لاشك فيه أن الألقاب كانت تمثل في هذا الوقت لأصحابها عزة وكرامة، وبعد وصول رئيس المجلس إلي رتبة أعلي من الرئاسة، ويصبح مندوباً للملك، وكأن رئيس المجلس هو الذي يمارس السلطة الملكية كما يمارسها المسؤولون الملتفون حول الملك، وكان المعبد تحت إدارة «المدير» شتاموي Shatamma ، والذي عين له مندوباً خاصًّا ينوب عنه، وقد كان هذا المندوب تابعاً «للمدير» في الوقت الذي تثبت فيه سيطرة النائب علي الأمور، ولقد أصبح القس شانجو Shangu مسؤولاً إداريًّا كما رفعت الضرائب عن العمال العاملين

لدي حقول الملك أو المعبد أثناء جمعهم الثمار في الوقت الذي قام فيه مندوبو الملك بجولات تفتيشية ليطلعوا أعضاء المحكمة علي مستجدات الأمور.

وقد أبقي علي معظم الأمور التي نجمت من جمع الضرائب للقيام بأعمال شاقة، واستخدمت للمحافظة علي القنوات المالية، والتي بدونها لا تستطيع الدولة أن تعيش، وقد تم تسجيل أسماء العاملين بهذه الأعمال الشاقة وتسجيل الفارين منها والمتوفين فيها بمنتهي الدقة، وكذا تسجيل حصص الطعام التي كانت تقدم للعاملين من شعير وبلح، ومع ذلك فقد استخدمت طرق حديثة لدفع أغنياء القوم لبذل أموالهم وجعلهم علي اتصال مباشر لما يحدث كما أن معظم هذه المهام قد أنجزها القائمون علي المعبد سواء كانوا أرقاء أم أحرار.

ويعتبر جزء كبير من الضرائب التي يتم جمعها من الضرائب العينية، حيث يتم جمع جزء ضخم من المعبد، ويطرح في خزانة الدولة، والذي يقوم بجمعه أحد المسؤولين الماليين، وهو «الشخص القائم بأعمال الملك داخل معبد إنا Ganna ، حيث يستقبل المعبد «القرابين» التي لـ Niau ، والتي تعد من وجهة نظرهم هبة للآلهة، وهي عبارة عن حيوانات جانيو Ginu أو منتجات ساتيكو Sataku ، كما يحضرون مع القرابين أشياء من المحتمل استخدامها أو تركها ترجع في النهاية إلي القائمين علي المعبد، وقد دفع الآن عشر الدخل السنوي لأحدهم كضريبة لدعم رجال الدين من الدولة، في حين كان ناتج الضريبة المفروضة علي المنتجات يتراوح ما بين عشرين إلي ثلاثين بالمائة من إجمالي الضرائب المفروضة، كما تدفع ضريبة أخري لمفتش الرأي ويسمي جوجالو Gugallu ، ولمحصل الضرائب والذي يسمي ماكسيو Makuesu والمكلف بجمع الضرائب، كما أن هناك ضريبة مباشرة تفرضها الدولة وتجمعها من ملاك الأراضي في صورة نقود فضية، كما

يتم تحويل الرسوم من راغبي المدود عبر القناة، في حين تفرض ضرائب أوكتوريا Octroi لراغبي المرور من بوابات المدينة.

ويشكل عامة المواطنين من عمال بالبنوك وتجار وقساوسة وعمال رسمين بالمعابد والحكومات يشكلون الطبقة المتوسطة في حين يشكل الخبازون وعاملو الحانات والجزارون والنجارون عمال المصابغ وعمال النحاس والحرفيين يشكلون الطبقة الدنيا، وبوجه عام، فإن جميع المذكورين يعملون في المعبد، ولقد رأينا أنه يجب توفير كافة الوظائف، في حين أن بعض أفراد الطبقة الدنيا يتلقون رواتب جيدة نظير القيام بمهام خاصة، وفي معظم الحالات، ويستحيل أن نفرق بين الأموال التي يحصلون عليها بمهارتهم والأموال التي يحصل عليها عديمو الخبرة.

وقد تسببت الزيادة الكبيرة لعدد العبيد أثناء هذه الفترة في مزيد من الضيق لأفراد الطبقة الدنيا، فقد كان العبيد يحتلون أماكن النساء داخل الأعمال الصناعية، مما تسبب في نقص دخل الأسرة، كما تسبب العبيد الذين كانوا يؤجرون لأداء مهام التجار التي كان يقوم بها سلفاً رجال أحرار في نقص الدخل لدي السكان، وقد برز الحلاقون والخبازون الأرقاء في أداء أعمالهم، وقد سمح للعبيد بالاشتغال بتجارة خاصة بهم وسمح لهم باحتلال مكانة التجار الصغار.

وقد امتد الخطر المتمثل في تنافس العبيد ضد الأحرار إلي الأعمال الحرة ولكن ليس بالدرجة نفسها، وعلي الرغم من أن الأعمال الشاقة والمتمثلة في حفر القنوات وإعادة إصلاحها، إلا أن الشيء الغريب الذي حدث أثناء هذه الفترة هو تسريح معظم العاملين بالقناة في الوقت الذي تشير فيه الألواح إلي أن العاملين كانوا يتلقون أجورهم بالنقود الفضية أو المنتجات العينية، وقد استخدم بعض العمال للعمل في الحقول في الوقت الذي نسمع فيه الشكاوي بأن المؤن كانت غير كافية فلا عجب أن يكون هناك مواسم يتم فيها حصد الثمار، وتزيد فيه.

ونظريًّا، فإن مكانة الأرقاء شركيو Shirku أدني من مكانة العمال الأحرار ولـن يكون حظهم أوفر، فالرقيق لا يتلقي راتباً شهريًّا، ولكن هـذا لا يميـزه عـن العامـل الأجري الذي كان راتبه قطعة نقود واحدة شهريًّا، تلك مقارنات تعقد مـع ماسـكي الدفاتر، فمثل ما يحدث اليوم في الجـزء الجنـوبي لبلادنـا أن يقـدم مسـتأجر الأرض جزءاً من المحصول لصاحب الأرض بدلاً مـن الإيجـار، ويحصـل العامـل مـن سـكان بابل Babylonian علي راتبه الشهري نظير عمله، والذي دائماً ما يكون حسابه مـع المستأجر حساباً مكشوفاً، ومن الممكن أن يقوم أحد الأرقـاء بتـأجير مزرعتـه نظـير حصة منها أو وعد بدفع كمية ثابتة من المحصول لصاحب المزرعة، كما من الممكن أن يطمع الرقيق في الحصـول عـلي منصـب رفيـع ذي تـأثير في ملكيـة معبـد كبـير، ويكـون لـه القـرار في تنفيـذ الاتفاقـات لصـالحه حتـي إننـا لا نكـاد نصـدق أصـله الاستعبادي، وقد تكونت طبقة الأرقاء من الأطفال الأحرار الـذين أوقفهـم آبـاؤهم لخدمة الإله لكي ينعموا بحيـاة رغـدة، كـما تكونـت أيضـاً نتيجـة لأن يوقـف أحـد الرجال الأغنياء أرقاءه لخدمة الإله بعد موته.

وفي نهايـة الطبقـات الاجتماعيـة يـأتي العبيـد الـذي كـانوا في الأصـل رجـالاً أحراراً، وتم اسـتعبادهم لعـدم وفـائهم بـدين أو كعقـاب لارتكـابهم جريمـة مـا، ونتيجة بيع الآباء للأبنـاء نظـراً للظـروف القـاهرة، كـما أن بعـض أسـماء العبيـد توحي بأنهم أسري للحرب، أو تم جلبهم من خارج الدولة، فمعظم العبيد نشـأوا وتربوا في زواج بين عبد وآمة، ويعيش عبداً ما لم يهرب من سـيده أو يـدعي زوراً أنه حر، وليس عبداً حتي يعامـل معاملـة الأحـرار، وفي بعـض الأحيـان توكـل إلي العبد بعض المهام التي يكون مسـؤولاً عنهـا، وفي حالـة تنفيـذها فنـادراً مـا يـتم إعتاقه، فكما ذكرنا من قبل، فإن العبيد تنافسوا مراراً وتكراراً مع الأحرار؛ ولـذلك فإن بيع الأرقاء وانتشارهم يمثل أكـبر شريحـة مـن السـكان، وهـذا يـبرر الزيـادة

الفعلية لعدد العبيد في حين أن الأرقاء غالباً ما يشاركون في الأعمال لدي المعابد، كما أن الطبقة الدنيا هي أكثر الطبقات امتلاكاً للعبيد.

الحياة الاقتصادية في بابل:

لم يزعزع الغزو الفارسي Persian الوضع الاقتصادي البابلي Babylonian ، فبعد مرور ما لا يزيد عن اثني عشرة يوماً انقضت علي موت نابونيد Nabu-naid قبل تاريخ الوثائق التجارية وفقاً للملك الجديد قورش Cyrus استمرت العائلات نفسها في السيطرة علي الأنظمة التجارية للدولة والإدارة، واستمرت الفوائد في الزيادة حتي وصلت إلي عشرات بالمائة سنويًّا، وقد شوهدت زيادة في الأسعار أثناء فترة الحكم الأخمينية التي وصلت إلي زيادة مرتفعة، كما تحتوي الوثائق علي الصيغ والمعاملات نفسها في مجال القروض وبيع الأراضي والعبيد وعقود الزواج والإيجار.

النظام المالي في فترة الحكم الأخميني:

شهدت بابل وجود وفرة من الفضة، فقد أشرنا بالفعل إلي وجود المشغولات ذهبية التي يضعون كحلي من الذهب، ويعدونها للمعبد، ولكن لم نشر إلي سك العملات المعدنية، فلقد استخدم الرصاص في بداية الحكم الآشوري Assyaria بدلاً من الفضة، ولم يطل استخدام الرصاص كوسيلة للبيع والشراء بسبب اختفاء العلامة الدالة علي قيمتها بعد سكها عليه، وعندما ذكر استعمال الذهب كعملة معدنية تسك عليها القيمة كانت نسبة استخدام الذهب في العهد الكلدي Chaldaean تتراوح من عشرة إلي أربعة عشرة إلي واحد.

ولقد كان سك العملات باستخدام الفضة أمراً شائعاً، فهناك الكثير من الوثائق توضح استخدام المصطلحات المالية، وتذكر الفضة في جزء

كبير منها، خاصة ماسكي الدفاتر الـذين يـدونون العمليـات التجاريـة، ولقـد كانـت المصطلحات المالية المستخدمة في بادئ الأمر تدون وفقاً للوزن، فقد كانت السـتون قطعة معدنية «الشيكل» Shiqlu تزن جنيهاً واحداً يسمي مانا Mana ، والسـتون جنيهاً تزن طالن Talen يسمي بالدو Biltu والطـالن Talent مـا يقـرب مـن سـتة وستون جنيهاً؛ لأن الجنيه البابلي كـان أخـف قلـيلاً مـن وزن جنيهاتنـا، ولقـد كـان الشيكل Shekel هو الوحـدة الفعليـة للتعامـل بـين عامـة النـاس، أي وحـدة ذات قيمة، ومع ذلك فكان نصف الشيكل Half- ashekel هي العملة الأكـثر سـكاً، وفي هذا العصر تم إحياء عمله «الشي She »، وهي عملة تزن حبة الشعير مـن الفضـة كان قد بطل اسـتخدامها منـذ مـا يقـرب مـن أربعـة عشر قرنـاً، ولتحديـد القيمـة النقدية للشيكل الفضة Silver Shekel من الممكن أن يقدر ثمنه بما يسـاوي ربـع دولار من عملة اليوم، ولكن يجب ألا ننسي أن قيمة البيع للمعادن الثمينة الأثرية كانت أكثر من قيمتها اليوم، وتكمن القيمة الحقيقية لدراسـة الأسـعار «العمـلات» في أنها تسمح لنا بتحديد اتجاهات الأسعار، فعندما نتذكر أن راتب العامل الشهري هو واحد شيكل نستطيع أن نقدر البضـائع المختلفـة التـي كـان يشـتريها، وبالتـالي نستطيع أن نعلم تكلفتها.

الإنتاج:

في الوقت الذي كانت تباع فيه المنتجات الزراعية بالوزن كانـت الحبـوب التـي تعتبر وسيلة عيش للدولـة تبـاع بالمكيـال؛ ولـذلك نجـد أن ثلاثـة وسـتون Qa's ، مـا يساوي بابنت ونصف، والبابنت وحدة حجم وسعة تستخدم للحبـوب، تسـاوي بـاي واحد Pi ، والباي Pi يساوي جبر Gur ، وهو ما يساوي أربعة وربع بوشل - «وحـدة حجم وسعة»- وعلي الرغم من أن الجا ga وحدة حجـم صـغيرة جـدًا، والجـار Gur وحدة حجم كبيرة جدًا، إلا أن غالبية السكان يميلـون لاسـتخدام المكيـال بـدلاً منهـا،

وعلي الرغم من أن وحدة الكيل المألوفة هي الباي Pi والتي تساوي خمسة وثلاثون كيوس Qa's إلا أنها عرفت من بعض الأماكن أنها تساوي سبعة وثلاثون أو خمسة وأربعون كيوس Qa's ؛ لذلك نجد أن وحدات الشيكل العادية قليلة جدًّا، بل وأقل من الباشلن، وعليه فإن استخدام الأشخاص العاملين في المعابد لهذه الوحدات أنذر بحدوث تلاعب في هذه الوحدات، وفي بداية فترة حكم نبوخذنصر Nebuchadnellar قام بتوحيد وتعريف وحدة باي Pi للقياس - التي تم تنحيتها واعتبارها وحدة قياس قديمة من عهد الدولة الأخمينية، والتي عادت أثناء تدهور الوضع الإداري للدولة.

ولقد كانت خصوبة التربة من أدعي الأسباب لجعل بابل صالحة للسكن، وكان من منتجاتها الرئيسة الشعير الذي كان يدفع النصيب الأكبر منه إلي المعابد، ونحن علي دراية بمعبد إنا Eanna ، ومعبد الآلهة بشتار Ishtar في إيروك Uruk ، فعندما نسمع عن وزن ما يقرب من خمسين ألف بوشل - وهو وحدة حجم أو سعة- وهذه الكمية لمزرعة واحدة توزن هذه الكمية في وقت واحد في معبد إنا Eanna ، فهذا يجعلنا نفكر في حقول القمح الكبيرة في الغرب الأوسط لأمريكا.

وفي موسم الحصاد يقوم القائمون علي المعابد بتوظيف عدد كبير من العمال للحراسة لحماية المحصول من السرقة مقابل ما يسد رمقهم؛ ولذلك فهم يعاملونهم مثل الأرقاء، وبمقارنة مع الرواتب العادية نجد أنها مرتفعة جدًّا، حيث كانوا يعاملونهم بالأسعار المألوفة للعاملين في بابل، وبطبيعة الحال، فإن الشعير يصبح أرخص الحبوب أثناء حصاده، وتزداد قيمته بعد ذلك، ويختلف سعره تبعاً لمدة وجوده، هل هو جديد أم قديم؟ أما القمح فقليل الزراعة ويعرف بطعام الأغنياء.

ولحسن الحظ وطوال هذه القرون، كان البلح أرخص من الشعير، فإذا أنهي أحد الفلاحين طعامه من خبز الشعير وشعر بجوع، فعلي الأقل

يستطيع أن يشتري صاعاً من البلح يزود جسمه بالنشاط، وقد تسببت الأنهار والقنوات في نمو بساتين لنتخيل علي ضفافها التي أضفت لمسة جمالية علي منظر لطالما كانت أرضاً قاحلة رتيبة، وينتج البستان الواحد من هذه البساتين أربعين ألف بوشل.

في بداية الفترة الأخمينية كان الشيكل يعادل قيمة شراء جير Gur ، وبناءً عليه، فإنه يجب توفير خمسة أو ستة بما يعادل قيمة الباشل كراتب شهري للعاملين، ويقوم العامل بتقسيم هذا الراتب بشراء بلح وشعير، فيشتري شعيراً باثنين من البوشل ويشتري بلحاً بالثلاث الباقية، وتكون هذه حصة شهرية من الطعام له ولأسرته، ثم أخذت الأسعار في الارتفاع، ومن قرن آخر تضاعفت الأسعار، ولكن دون زيادة لرواتب الفلاحين.

ولقد كان شيئاً موسميًّا للفقراء في هذا الوقت بأن يشتروا حزمة من الثوم تضيف لهم نكهة للطعام، ونسمع قبل تولي قورش Cyrus الحكم بوقت قليل أنه تم بيع ما يقرب من 395.000 من هذه الحزم، ولقد كان استخلاص الزيت من السمسم هو البديل الوحيد لشحم الحيوانات في المناطق الحارة جدًّا غير الصالحة لزراعة الزيتون، أما الفلاح فلا يستطيع الاستفادة من هذا البديل لأية درجة؛ لأن حصوله علي بوشل واحد من السمسم سيكلفه دفع راتب من ثلاثة شهور؛ لأن وزن البوشل زيتاً يقدر بشيكل، وفي ظل ارتفاع الأسعار للمواد الغذائية وثبوت رواتب الفلاحين نستطيع أن نقول إن الطبقة العليا هي التي تستطيع استخدام الزيت في الطعام لتحسين نكهته، وكذا استخدامه كمرطب للجلد أو كعقار للرجال، أو قليلاً ما يستخدم الدراب، ولقد كان العاملون بالمعبد هم الذين ينعمون ويهدرون تلك الزيوت.

ويأتي الشراب بجانب الطعام، فلقد كان الخمر للأثرياء فقط،

وكانت تمثل أهمية كبيرة لهم مثل «قائمة النبيذ» التي طبعها نبوخذنصر Nebuchednezzar ، أما الأفراد الأقل ثراءً فكانوا يشربون الخمور القادمة من التلال الشمالية القريبة لآشور Assyria ، وكذا من المقاطعات الآشورية «عبر النهر» الموجود بشمال سوريا Syria ، أما الكزمة فقد كانت تزرع في بابل نفسها وهي مصدر للخمر الأردني والذي ذكر سلفاً.

أما عامة الناس فيجب أن يشبعوا أنفسهم بأنواع مختلفة من المشروبات القوية، وأكثر هذه المشروبات انتشاراً هي خمر التمر في حين كانت القلة القليلة تفضل البيرة، وتتحكم عدة عوامل في أسعار المشروبات القوية منها إذا كانت صافية أو خفيفة حديثة أو مغلفة، فكان سعر الإبريق الصغير من الخمر الخام بأقل من الشيكل، وقد أفاد زائر أجنبي للدولة بأن الخمر المصنوع من التمر مذاقه جميل ولكنه يسبب الصلع لشدته، أما الطبقة العليا من القوم فيستطيعون دفع ما يزيد علي ثمانية قطع من النقود بالشيكل مقابل الحصول علي إبريق من نبيذ العنب.

أما عن فصل الصيف الحار الطويل الذي يحتاج إلي استغلال الأراضي البابلية، والذي يدفع أحد الغرباء القادمين من الشمال البارد إلي أن يلتجئ إلي شقة بباطن الأرض فارين من الشمس المحرقة نهاراً ويخرجون منها عند دخول الليل في الوقت الذي يكون فيه العامل من سكان البلدة واقفاً تحت الشمس بملابس خفيفة أو بدونها لكي تحميه من أشعة الشمس القاتلة أما في الشتاء القصير، حيث يتوقع نزول الجليد فإنه يصاب بالرعاش، ما لم تسطع أشعة الشمس وتذهب هذا الرعاش، ولم يكن هناك أي حطب يستخدم في الوقود، وغاية ما يتمناه الفرد منهم أن تظهر زوجته بعد بحث طويل حامله حزماً من النباتات الشوكية علي رأسها والذي ينشر فيها النيران بمجرد اقترابه منها، وسرعان ما يحترق؛ ولذا أصبحت الملابس الثقيلة شيئاً ضروريًّا، وقبل أن تدون هذه الأحداث التاريخية، وكانت القطعان الكبيرة من الأغنام والماعز تتجول في

الصحراء للرعي تحت أعين الرعاة البدويين، ويضمن هؤلاء الفلاحون الحصول علي ملابس فصل الشتاء من قص صوف الأغنام وأوبار الماعز، ولقد عُني بالثروة الحيوانية من ماعز وغنم وأثناء فترة حكم دارا Darius حين كان القائمون علي المعابد يحتكرون هذه القطعان الكبيرة، يدونون لها إحصائيات تحدد ميعاد ولادتها وهلاك بعضها، إما من قبل الحيوانات البرية أو السرقة، كما كانوا يلزمون الرعاة بتسليم الأغنام للمعبد كل يوم.

وهناك لوحة أثرية تذكر داخل المعبد من أصواف الأغنام، فقد ذكرت تسليم خمسة أطنان من الصوف وعدة مئات من البوند «وحدة وزن» من أوبار الماعز، ولقد تلقي أحد المعابد الأخري ما يقرب من سبعة آلاف رأس من الغنم في مجموعة واحدة، وقد تسبب احتكار المعابد لهذه الأصواف والأوبار في زيادة الأسعار، حتي في حالة شراء كميات كبيرة بسعر الجملة، فإن الشيكل يقدر باثنين بوند من الصوف في الوقت الذي يشتري فيه الأغنياء البوند الواحد من الصوف الأرجواني الأزرق الغالي الثمن بما يزيد علي خمسة عشرة شيكل، والتي تساوي دخل أحد الفلاحين لمدة عام كامل، ونظراً لهذه الظروف وما صاحبها من ارتفاع للأسعار فسيكون من حسن الحظ لأحد الفلاحين أن يشتري ثوباً واحداً من القماش سنويًّا.

ولقد كانت زراعة الكتان في بدايتها في الوقت الذي عرف المصريون فيه زراعته منذ أمد بعيد، ولقد كانت شتلات الكتان في مشتلها، ولم يتم غرسها في الحقول بعد، كما لم يتم فرض ضرائب علي الصناعات الجديدة مثل صناعة الكتان، ثم فرضت الضرائب علي الكتان، وكانت تقدر بخمس وعشرين بالمائة، كما حدد سعر المائة شتلة من الكتان بشكل واحد، وبناءً علي هذه الأسعار نستطيع أن نتخيل قيمة تكلفة ثوب واحد من الكتان أو من الواضح أن بابل Babylonia

أدركت قيمة هذه الصناعة الكبيرة «صناعة القماش من الكتان» وسعت إلي بنائها في المستقبل.

ولقد حافظ أفراد الطبقة الدنيا علي صحتهم في القرون الأولي بتناول كميات كبيرة من اللبن وأكل الجبن بمختلف أنواعه وأشكاله، ويشير استخدام قلة من الناس لمنتجات الألبان أن الصحة العامة للسكان أخذت في التردي نظراً لامتلاك المعابد لأعداد ضخمة من الأغنام والماعز، حيث كان من الممكن أن توفر معزة واحدة اللبن لكثير من الأطفال، وتوفر شاة اللبن المخرات المناسبة لجميع المسافرين كلبن Labben أو يارت Yaurt في حين أن تكلفة شراء مخرة واحدة ستكون شيكلين في عهد قورش Cyrus ، ثم ارتفعت الأسعار تدريجيًّا في عهد الأخمينيين لدرجة أن تناول لحم الضأن أو الماعز أو الخراف أصبح نادراً ما يحدث في الطبقة الدنيا.

ولقد كانت معظم الحيوانات التي تستخدم لحرث الأرض تمتلك من قبل المعابد الكبيرة، حيث كانوا يقرضون الأبقار وما يلازمها من محاريث تستخدم لحرث الأراضي، وأرقاء يعلمون كيفية قيادتها يقرضونها إلي أحد المتعهدين الذي يقوم بتجهيزها واستخدامها، وعادة ما يتطلب وجود رقيق واحد ومحراث واحد لكل ثور، حين يقوم الرقيق (العبد) بتوجيهه، أما المزارعون العاملون لدي أنفسهم في أرضهم فيتحتم عليهم شراء محاريث لهم، أما الفترة الكلدية فكان سعر الثور فيها أقل من سعره الذي ظل ثابتاً قرابة أربعة عشر قرناً إلا أن سعره كان يتراوح من عشرة إلي عشرين شيكل للحيوان الجيد، ثم أعقبه زيادة في أسعار الحيوانات في الفترة الأخمينية، ومما دفع المزارعين المستقلين للضجر تنافس المعابد الذي نتجت عنه زيادة أسعار الحيوانات للضعف أو الضعفين للحيوانات الناشئة في جو به طقوس دينية، وبعد زيادة الأسعار نسمع أن سعر الحصان قد وصل إلي أربعة جنيهات من الفضة، أي ما يساوي الراتب الشهري لرجل عامل لمدة

عام، حتي شراء الحمار قد يكون مكلفاً، وأصبح شراؤه بسعر يتراوح بين خمسة إلي عشرة شيكلات أمراً نادراً، ومن الممكن أن يصل سعره إلي اثنا عشرة ضعفاً للسعر الثاني، ويتم تمييز الحمير بعلامات في الأذن مثلها مثل الأغنام والماعز، كما تدل نجمة عشتار في إيروك Ishtar of Uruk لإثبات امتلاك أي حيوان أو عبد تظهر عليه هذه العلامة.

المباني والعقارات الجديدة:

عادة ما يتم بناء المعابد والقصور بالطوب الأحمر، ولقد كان الوقود نادراً وغالياً، ويجب ألا نصاب بالدهشة عندما نعلم أن الشيكل الواحد لا يشتري ما يزيد علي خمسين أو مائة طوبة حمراء، أما بناء قصر بنوخذنصر Nebuchanduezzr في بابل والذي بني بالطوب الأحمر بعد وضعه في القار الذي أحضره القارب من آيد Ieds هيت Hit حين كان نصيًّا، ويكفي شيكل واحد لكل ستمائة باوند من القار لأن أخشاب الأرز والسرو التي كانت تستخدم كألواح كانت تستورد من سوريا بأثمان مرتفعة، فلوح الخشب السروي يكلف شيكلاً واحداً، والذي يقل ثمنه عشرة جنيهات عن سعر خشب الأرز الثمين الذي يستخدم لصناعة الأبواب الكبيرة، والذي كان يباع بأسعار خاصة للمعابد تصل إلي جنيهين ونصف من الفضة، وكانت البيوت العادية تبني بالطوب اللبن، وفي معظم الأحيان يقوم صاحب المنزل أو المستأجر بتحديد شكل قالب الطوب، أما في صفقات شراء الطوب، فيتم بيعه بسعر الجملة مثل التعاقد علي تسليم خمس وعشرين ألف طوبة من الطوب اللبن، وعدها وتسليمها داخل حظيرة المشتري.

وعلي الرغم من أن جميع المعادن يتم شراؤها من الخارج إلا أننا يجب أن نلفت النظر إلي أنها تباع بأسعار رخيصة، ولدينا إحصائيات للمستورد إدن أهو Iddin- Ahu الذي كان يتاجر بالمعادن عام 550، حيث ترك لنا إحصائيات تؤكد ما ذكرناه، فقد كان النحاس يشتري بكميات

ضخمة من جزيرة قبرص ويصل سعر الشاتل إلي أربعة جنيهات إلا ثلث، كما يتم شراء الحديد من جزيرة قبرص أو لبنان بسعر أرخص، فمقدار ما يشتريه الشيكل يساوي ما يشتريه أحد عشر جنيهاً، وهذه الأسعار المنخفضة للمعادن تجعلنا متأكدين من التحسينات التي شهدتها الثروة المعدنية وصهر المعادن، والتي كانت مسؤولة عن حدوث هذا الانخفاض الملفت للنظر في الأسعار، كما ذكر المستورد إدن أهو Iddin- Ahu بعض المواد المستورة الأخري مثل الخمر والعسل والخشب الرصاص والأصباغ والأصواف المصبوغة والشبة يستوردهم من مصر.

وقد حدثت تغيرات مهمة جراء بيع وتأجير المستكات الزراعية، ولتقدير حجم هذه التغيرات يجب أن نحلل أنظمة قياس الأرض لدي البابليين إلي وحدة مشهورة يتم التعامل بها، ففي هذا النظام نجد أن كل أربعة وعشرين أصبعاً يكونون ذراعاً، والذراع يساوي ما يقرب من ثمانية عشر إنشاً في حين أن الثمانية أذرع تساوي قصبة التي تساوي عشرة أقدام ونصف، كما أن القصبتين تكونان وحدة تنتمي جور Gur ، ويمكن حساب قطعة أرض عن طريق تقسيمها إلي أذرع مربعة الشكل أو إلي قصبات مريحة أيضاً، ويمكن قياس مساحة الأراضي الكبيرة عن طريق معرفة كميات البذور التي تنشر فيها، فالبحار جور Gur وهو وحدة مساحية تتطلب أربعة وربع من البوشل كوزن للبذور اللازمة لزراعتها في حين أن مساحة الباي Pi تتطلب وزن بوشل واحد من البذور، ونجد أن القا ga يعادل عشرة جار Gar من حقل، أو يساوي 675 قصبة مربعة في حين أن البحار gar الباي Pi ، جا Ga ، جار Gar وحدة قياس للأراضي مستخدمة في العصر البابلي فقط.

ويصل سعر قطعة الأرض التي تتراوح مساحتها من أحد عشر جا ga إلي أربعة وعشرين جا ga من الأراضي غير المزروعة إلي سعر واحد شيكل، أما في بداية فترة الحكم الكلدية، فإن مساحة قطعة الأرض

المزروعة التي تتراوح من اثنين إلي أربعة جا ga ، فقد وصل سعرها إلي واحد شيكل، أما في عهد نابونيد Nabu- naid فكان السعر يتراوح من واحد شيكل إلي اثنين، أما بحلول عهد دارا Darius الأول فارتفعت الأسعار إلي اثنين أو ثلاثة شيكل مقابل جا ga واحد، أما بالنسبة للأراضي المزروعة بساتين أو حدائق فإنها تكلف مزيداً من الأسعار، فقد وصل سعر الجا ga في أثناء الفترة الكلدية إلي شيكل الصنف وإلي شيكلين في عهد دارا Darius مع زيادة في أسعار الأرض ذات المواقع المميزة الخصبة.

وقد وصل سعر القصبة الواحدة من المنازل أثناء الفترة الكلدية إلي أربعة عشر شيكل، أما في عد دارا Darius فقد وصلت إلي أربعين شيكل، أي ما يعني الزيادة بمقدار ثلاثة أضعاف، أما ما يتعلق بتأجير المنازل فقد كانت تؤجر أثناء الفترة الكلدية بعشرة شيكل، ووصلت في عهد قورش Cyrus إلي خمسة عشر شيكل، ووصلت إلي عشرة نابل ويزيد في عهد دارا Darius ، كما وصلت إلي أربعين شيكل في عهد أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول، وفي الغالب كان يدفع ثمن الإيجار مقدماً وعلي دفعتين؛ الأولي في بداية الشهر الأول، والثانية في بداية الشهر السابع، كما يتفق المستأجر علي أنه سيحافظ علي السقف في حالة جيدة، ويدعم المشغولات الخشبية من أدوات داخل المنزل، وسد الشقوق في الجدران، وإذا أراد المستأجر أن يشتري باباً جديداً للمنزل فيشتريه من حسابه.

الدعم المالي:

مما لاشك فيه أن من أهم الظواهر الاقتصادية التي ظهرت كان موظفي المصارف وما تبعه من صلاحيات، فلم تشهد السنوات الماضية مثل هذا الاستخدام واسع النطاق للاعتمادات المالية، ثم جاءت فترة الازدهار وتولي المعبد كوحدة اقتصادية ضخمة التصرف في القروض

التجارية، وكانوا يعطون أولويات الحصول علي هذه القروض للتابعين للمعبد، وقد قام أحد ملاك الأراضي الآشوريين Assyarian بمنح الفلاحين العاملين لديه حبوباً علي هيئة قروض بدون فائدة، ولكن مشروطة بوقت معين لسدادها، وفي حالة تأخرهم في السداد، فستراكم عليهم فائدة التأخير، والتي قد تصل إلي خمس وعشرين بالمائة كعقوبة لتأخرهم عن السداد، وليست كمنفعة من القرض، وكانت هذه السياسة ذات منفعة خاصة لصاحب الأرض، وإذا كانت تمنع الفلاحين من الوقوع في فخ الاقتراض إلا أنها تجعلهم في دين دائم لصاحب الأرض.

وما ذكرناه من قبل يشبه ما حدث في الفترة الأخمينية، حين قام القائمون علي المعبد بإقراض الحبوب مثل الشعير والباج والمنتجات الغذائية النادرة الأخري للفلاحين العاملين لديهم، وكان يشترط عليهم أن يردوا الدين أثناء فترة الحصاد ودفعها في مخازن المعبد، ووفقاً لمكاييل الآلهة التي يحددها المسؤولون، وفي بعض الأحيان كان يتم الاقتراض دون ذكر فائدة معينة، ولكن في معظم الأحيان كان يتم فرض فوائد قليلة علي هيئة هبات مقدمة للآلهة، حتي في حالة عدم وجود ربح من وراء الإقراض فإن مالك الأرض لا يستبدل الشعير أو البلح الذي أقرضه العام الماضي ببلح أو شعير من هذا العام، ولكنه يسعي إلي إضافات بجوار الشعير لكون أن هناك قش الشعير، والذي يعتبر طعاماً جيداً للماشية، وكذلك البلح فيحضر بجواره الأفرع الجافة والسعف أو البراعم، وكذا البلح غير الناضج حين تستخدم جميع الأشياء المذكورة من أرض لا يهمل فيها أي شيء، ولقد استعار ملاك الأراضي البابليون من الآشوريين فكرة فرض عقوبات، وهي منفعة يتم أخذها من المقترض في حالة تأخره عن سداد قرضه في موسم الحصاد، وهناك الكثير من هذه القروض تجني أموالاً كثيرة كمنفعة نتيجة للتأخر، والتي غالباً ما

تكون عشرين بالمائة، وتكون نسبة الفائدة بمقدار الخمس في القروض الأقل من سنة، والحقيقة أن المنافع التي يتم جمعها تكون كبيرة.

وأول ما ظهر الدعم المصرفي الخاص كفكرة اقتصادية تجارية كان في دولة بابل، وبالتحديد في عهد كاندالينو Kandalanu عام (626- 648)، ففي بداية الأمر اشترك في هذه الفكرة أفاد من كبري العائلات الثرية في بابل وهم إيجيبي Egibi وإيرانيو Iranu ، وبعد اتفاقهما علي عقد الشراكة اكتشف الأول Egibi أن الثاني Iranu كان يهوديًّا، وأن اسمه الحقيقي جاكوب Jacob ، مما أدلي إلي فض الشركة بين الطرفين، إلا أنه يجب علينا أن نبحث عن أسباب أخري من المحتمل أن تكون أدت إلي فض الشركة.

وقد كان الاعتماد يعطي لراغبيه مثله مثل أية صفقة تجارية تتم بين طرفين طالما كان موقف المقرض جيداً، ويتم كتابة رقيقة بسيطة بين الطرفين، وغالباً ما تكون نسبة الفائدة المتفق عليها عشرون بالمائة، بالإضافة إلي «دفع شيكل من الفضة شهريًّا»، وقد مال الناس إلي تغيير قيمة المنفعة المنخفضة، وفي بداية الفترة الكلدية تمت المحافظة علي هذه القيمة، وطوال النصف الأول من فترة الحكم الأخمينية ظلت هذه الأسعار معيارية أي ثابتة لا تتغير.

وكلما كان موقف مقترض الائتمان مثيراً للشك، فسيتم توقيع عقوبات حادة عليه في حالة عدم سداد الدين في الوقت المحدد له، كما يجب أن يقر الاتفاق بين الطرفين شخص ثالث يكون مسؤولاً في حالة عجز المقترض عن سداد القرض، وفي غالبية القروض التي يكون فيها الشخص المقترض شاكاً في الشخص المقترض لا يطلب منه فائدة، ولكن عوضاً بأخذه من رهن مثل منزل أو قطعة أرض أو حتي عبداً، وتكون صيغة القرض بينهم كالآتي: «عند رد النقود سيتم استرداد الرهن!

ولكن لا يدفع المقرض إيجاراً لاستخدامه الشيء المرتهن في مقابل عدم أخذ فائدة من المقترض.

وعلي ما يبدو أن لتخفيض المنفعة العائدة للدائن ربما يُظهر أنها تنال استحسانه وبناءً عليه، فإننا تناولنا الإدانة اليهودية للمنفعة، وفي الحقيقة فإن قيام الدائن بتغيير الفائدة وأخذ شيء علي سبيل الرهن يعود بمنفعة عليه، فإذا استطاع المدين أن يرد أموال الدائن كاملة بطريقة ما فيسترد مع دفعة للمال الشيء المرتهن ويكون الدائن قد تمتع بالعين المرتهنة سواءً كانت عبداً أو داراً، أو منتجات من الحقول مع ثبات ماله الأصلي الذي أقرضه، وفي الوقت نفسه فإن للدين ضمانات كثيرة للشيء الذي يقوم بتأجيره حين يوقع عقداً بينه وبين المدين ينص علي بيع العين المؤجرة له في حالة عدم دفع الدين في تاريخ استحقاقه، إن الفكرة التي نادت بتغيير الفائدة وإحلال الرهن بدلاً منها لا ندري إلي أي مدي تحمي حقوق الفقراء حين نقرأ في نصوص المشرعين اليهود قولهم بأن هناك تنازلات غير عادية بأن يرد ثوب الرجل الذي أخذ منه كرهان في الليل حين ينام قلبه.

كما أن هناك قروضاً تتطلب وجود منفعة عائدة ورهان يضمن القرض الأصلي والفائدة، فهناك قاعدة تقول: «أي شيء ينتمي للمدين في قرية أو مدينة يرجع إلي الدائن»، وعلي الجانب الأخر نري ديناً لا يتطلب رهناً أو منفعة، كما أننا لا نجد أيًّا من المصرفين المتخصصين يقوم بقرض لمدة قصيرة إلا مع أحد الأصدقاء أو الأقارب.

وشدد الفائدة المتفق عليها عادة كل شهر، وقد تصبح هذه الفائدة فائدة مركبة، وعادة ما يتم دفع الفائدة إلي أن يتم دفع المال الأصلي المقترض، ولقد انتشرت فكرة رد القروض علي هيئة أقساط، ويتم الحصول علي وصل بعد تسليم كل دفعة من المال، وعند رد الدين كاملاً يتم تدبير عريضة الدين بين الطرفين حتي لا تظهر بعض الإدعاءات مع مرور الوقت، وبناءً علي هذه الفكرة نستطيع أن نقول إن كافة العرائض

الموجودة لدينا توضع الديون التي لم يتم سدادها؛ لأنها لو سددت لتم تدميرها.

وكلما قرأنا عن كثب وملاحظة ما يتعلق بهذه الوثائق كلما تأثرنا بالاستخدام واسع النطاق لهذه الائتمانات أثناء هذه الفترة حين يتم شراء الممتلكات الزراعية والمنازل والحيوانات، بل حتي العبيد باستخدام الائتمان، بل إننا بدأنا نفكر في ما حدث من ارتفاع من الأسعار كان بسبب التضخم الائتماني، فعندما نعلم أن أحفاد أحد النجارين يدفعون آخر دفعة كانت علي جدهم لمزرعة فيمكننا أن ندرك أن الشراء بالتقسيط كان يسبب صعوبات في الماضي كما يسببها الآن.

ولقد شهدت الحياة الاقتصادية المعاصرة في تلك الفترة تغيراً ملحوظاً، ففي السنوات الأولي حصل موظفو المعابد علي امتيازات تجعلهم يجددون القرابين وأيام تقديمها، ولقد أصبحت هذه الامتيازات تباع وتشتري في الأسواق المفتوحة ليس ليوم واحد بل لبعض اليوم، وأصبح المعبد مؤسسة تجارية ضخمة بها أسهم تم تحويلها والاتجار فيها كما يحدث في البورصة في أيامنا هذه.

ومن وجهة نظر رجال الأعمال فهم يؤكدون أن البابليين أنشأوا نظاماً عصريًّا ملفتاً للنظر لإتمام العمليات التجارية، كما تجدر الإشارة إلي هيئات الائتمان، أما من وجهة نظر المؤرخين المهتمين بالجانب الاجتماعي فلديهم الكثير ليحذروا من عواقبه، وتتناول الفصول الأخيرة من هذه الكتب الأسباب التي أدت إلي نجاح الطبقة العليا وكيف أن هناك قوي تسعي إلي تدمير هذه الأنظمة الناجحة وتحويلها إلي أطلال.

الفصل السادس

قمبيز (Cambysis) وفتح مصر

مكانة قمبيز (Cambysis) في بابل:

قمبيـز (Cambysis) هـو الابـن الأكـبر لقـورش (Cyrus) مـن كاسـنداني ابنـة فارناسبيس الفتي الأخميني، حيث كان فتي يانعاً (راشـداً) عنـد فـتح بابـل، وقتهـا لم تكن العلاقات الغرامية السرية مع النساء تقلـق الـبلاط الفـارسي، والتـي ربمـا تكـون معروفة في القريب العاجل، ومن أجل تحاشي أية أخطـار، فـإن قمبيـز (Cambysis) كان معروفاً بصورة قاطعة علـماً بأنـه ابـن الملـك، ففـي الـتصريح الـذي تـم إعلانـه للبابليين، فإن قـورش (Cyrus) قـد عـرفهم بـأن كبـير آلهـتهم مـاردوك (Mardoch) العظيم، ولم يبارك الملك قورش (Cyrus) فقط، ولكنه بارك ابنه قمبيـز (Cambysis) كذلك، بينما نحن من قبله - وبكل صدق وإخـلاص نثنـي بكـل سرور عـلي تمجيـده للإلوهية أو الربوبية، فعندما يتوسل إلي آلهة كل البابليين أن يصـلوا أمـام بـل (Bel) ونابوه (Napoh) من أجل الحياة المديدة له، ولكي يتحدثوا بالسمو والشرف لماردوك (Mardoch) ، فإن قمبيز (Cambysis) كان ملزماً بأداء ذلك في صلواته.

وقبل أن ينتهي عام القبول بالنسبة لقمبيز (Cambysis) عاد قـورش (Cyrus) إلي إكباتانا تاركـاً قمبيـز (Cambysis) ممـثلاً شخصـيًّا لـه، لـكي

يؤدي الشعائر الموصوفة للملك، مع اقتراب احتفال العام الجديد، وفي الرابع من نيسان السابع والعشرين من مارس عام 538، يمضي قمبيز (Cambysis) - كابن لقورش (Cyrus) - إلي معبد نابوه (Napoh) في بابل، وذلك في الشارع المقدس في إيشتار بين بيت أو مكان الاحتفال وإيساجيلا، وهناك تم استقبال قمبيز (Cambysis) عن طريق رئيس الكهنة في نابوه (Napoh) ومعه مرافقيه من الكهنة، ويقوم بإعطائهم الأشياء الجيدة من الهدايا بالنسبة للعام الجديد.

«عندما أخذ يد نابوه (Napoh) فقد أعطاه الإله صولجان الصلاح والاستقامة»، وبعد ذلك يبدأ ابن الملك في السير صاعداً الطريق المقدس إلي إيساجيلا، وهو محاط بالرجال حاملي الحراب، والرجال حاملي الأقواس من جونيوم، ثم يتم تجهيزه وإعداده لأداء الطقوس والشعائر جميعها، كذلك فإن نابوه (Napoh) يسير معه.

إن الحاجز بين ماردوك (Mardoch) وولده كان يتم إزالته وكان ابن الملك يقدم الصولجان إلي ماردوك (Mardoch) حتي يقوم بأخذه بعد ذلك عندما يمسك بيد ماردوك (Mardoch) ويقدم له انحناءً واحتراماً، وذلك فقط وبعدما تسلم قورش (Cyrus) بالوكالة أو التفويض الذي لديه موافقة كبير الآلهة لبابل علي المغامرة أو المجازفة بتغيير لقب ملك بابل إلي لقب عام هو ملك الأراضين، وكقاعدة، فإننا لا نعرف شيئاً عن حياة ولي العهد (أمير التاج) قبل أن يتولي العرش، فهو يبقي مختفياً في جناح الحريم، ولكنه بفضل مكانته الفريدة في بابل فقد كان قمبيز (Cambysis) استثناءً من ذلك، فلم يكن مقر قيادته كما يجب أن نتوقع في بابل، ولكنها كانت بعيدة إلي الشمال في سيبار، وهنا يمكن أن نجد مستنداً يعود إلي العشرين من فبراير عام 535 (مدير) أو مسؤول المنزل في بيت ابن الملك.

والاسم دليل بالنسبة للأب الذي يقول عن ابنه: « أتمني أن يحمي

نابوه (Napoh) ابن الملك»، وهنا ربما يتبادر إلي الأذهان أنه بلشازا (Pelshsa) ، ومن جهة أخري فإن قمبيز (Cambysis) لم يحتفظ فقط بالموظفين الذين كانوا يعملون تحت قيادة نابوه (Napoh) ، ولكنه كذلك احتفظ بالمقامات الرفيعة السابقة في القصر، وبازازو - رسول بين ابن الملك، والذي ظهر في سيبار في العاشر من أغسطس عام 534- رسول آخر بأن آشور لومور - والذي ظهر في مارس أو أبريل من عام 532- وأخيراً، وفي نفس ماردوك (Mardoch) بلاتو - المصرفي العظيم- والذي أقرض ثلاثة جنيهات وستة عشر شيكل من الفضة لرئيس العمال لدي قمبيز (Cambysis) في الثالث من مارس عام 530، فإن ماردوك (Mardoch) بلاتو هذا نفسه قد درب ولمدة أربع سنوات خادمه الخاص - أي خادم ابن الملك- علي قطع الحجارة، وذلك من أجل أن يتعلم كل هذا الفن في يوم ما.

إن تلك النظرة السريعة توضح لنا كم كان ابن الملك مجداً في عمله، وذلك بالنسبة لمهامه الروتينية، فثماني سنوات من الإقامة في بابل والتي عمل خلالها ممثلاً عن أبيه في الاحتفالات التي تقام بمناسبة العام الجديد، ذلك الذي حدا بالمواطنين إلي أن ينظروا إلي قمبيز (Cambysis) علي أنه حاكمهم الخاص، ولقد كانت العادة الفارسية تقتضي أن يترك الملك من يحمي المملكة في غيابه عندما يذهب إلي الحروب الخارجية؛ لذلك كان لا بد من أن يحدد أو يعين من يخلفه؛ لذا فإن مقابل أن يخرج قورش (Cyrus) في الحملة العسكرية ضد الماساجيتا فقد قام بتعيين قمبيز (Cambysis) حاكماً أو وصيًّا، وذلك بالسماح له باستخدام اللقب الرسمي (ملك بابل) مع الاحتفاظ بالادعاء الكبير في أنه ملك الأراضين.

وبشكل مباشر، وبعدما أمسك قمبيز (Cambysis) بيد ماردوك (Mardoch) في احتفال العام الجديد يوم السادس والعشرين من مارس

عام 530، فإن وثائق الأعمال كانت تؤرخ بالشرف المزدوج لكلا الطرفين، وبحلول سبتمبر من عام 530 وصلت أنباء موت قورش (Cyrus) ، وأخذ قمبيز (Cambysis) علي عاتقه بذلك شرف تولي مكان أبيه كملك لبابل، وملك للأراضين، وكما تقضي العادة الإيلامية، فقد تزوج بأخته آروسا (Arossa) ، وأخته روكسانا (Roxana) ، ثم بدأ في الإعداد لغزو مصر، الإمبراطورية الأخيرة من الإمبراطوريات الأربعة العظمي التي لم يغزوها بعد.

الحملة العسكرية علي مصر:

لقد اعتمد آماسيس (Amasis) علي المرتزقة الإغريق لكي ينفذوا وينجزوا برنامجه المناهض للفارسية، والمناهض للقومية، وكذلك فقد كان هناك الكثير من عدم الرضا، ولقد وضع نخت- حور- محب حاكم البوابات الداخلية البرية والبحرية نقشاً لولائه المشكوك فيه إلي درجة كبيرة، وقد حدد الفينيقيون العهد بالولاء إلي والده وإلي مدنهم في قبرص، وأرسلوا خضوعهم بصورة رسمية، حيث كان امتلاكهم أسطولاً يعني التحكم في البحر المتوسط، وكذلك في الغزاة؛ ولهذا فإن ذلك يجعلهم في المقدمة.

ولقد لقب آماسيس (Amasis) - العجوز الحذر- نفسه بسيد أجيان بوليقراط المستبد في ساموس، والمكائد التي كان يدبرها النبلاء قد جعلت بوليقراط يبعد هؤلاء المواطنين غير الراضين، ويرسلهم إلي العمل في خدمة قمبيز (Cambysis) ، لكن فانيس - كبير المرتزقة- تشاجر مع صراف الرواتب المصري؛ لذلك هرب إلي قمبيز (Cambysis) حاملاً معه معلومات حربية قيمة، حيث أخبره بأن الجمال التي تستخدم في سقاية الحقول عندما تقوم باختراق الصحراء كانت تستأجر من ملك العرب - كما تقول مراجعنا الأولية- وهو ناباتينس الذي امتلك الساحل من غزة حتي إينيسوس.

وقد وصل قمبيز (Cambysis) إلي الفرع البيلوسيكي للنيل بجوار المستنقع الصربوني وهو المكان الذي يختبئ فيه تايفون الشرير، وحيث يوجد جبل كاسيان، وهناك علم أن آماسيس (Amasis) قد نجح بسبب ابنه أبسماتيك (Psmatic) الثالث، وقد كانت هناك معركة في بليوسيوم تم إيضاحها ومناقشتها جيداً، حيث كان الإغريق في كلا الجيشين، وانتهت تلك المعركة بانتصار الفرس، ولجيلين تاليين ذكر هيرودوت عظام الموتي الذين لم يدفنوا وقد تمت الإشارة إليها، وقد قام قائد البحرية إدجاهوريش بالخيانة، وسلم المدينة الاستراتيجية في سايس من خلال الحصار، وقد ألقي أبسماتيك (Psmatic) عابراً النهر لكي يلجأ إلي ممفيس.

في البداية عام 525 كان هناك ترحيب بأبسماتيك (Psmatic) ، وكان يعامل معاملة حسنة، ولكنه في النهاية اتهم بالتآمر والخيانة وتم إعدامه، وفي المحطة التجارية في نوكراتيس الواقعة تحت الحكم الفارسي كانت التجارة الإغريقية الناجحة في مصر بسبب تعاطف قمبيز (Cambysis) ، ولحسن الحظ أنه كان كريماً؛ لذا فإن التجار الإغريق قد ملأوا البلدة، وعندما كتب عن الليبيين والإغريق في سيرين وبرقة عن طريق أرسيليوس، وعن خضوعهم كنصف جيد من العالم الإغريقي من المؤكد الأكثر غني والأكثر تقدماً كان تحت حكم فارس.

لقد تم إحباط حملة عسكرية مخططة ضد قرطاج عن طريق رفض الفينيقيين غزو إحدي مدنهم، ولقد صعد قمبيز (Cambysis) إلي أعالي النيل، وكانت الواحات الخارجة محتلة من قبل أصل طيبة المصرية، ولكن عندما حاولت تلك المفرزة الاعتداء علي واحة آمون (Amoun) آملين أن يحرقوا كاهن الوحي غمرتهم العاصفة الترابية، ولقد تم إرسال رجال من الإيليفانتيين للتجسس علي الأثيوبيين الذين أقاموا حول ناباتا في مملكة نصف ثقافتها مصرية، وجاء التقرير مليئاً بالعجائب، فلقد سجلوا أن الأثيوبيين يعيشون حتي مائة وعشرين عاماً، والبعض يعيش لما بعد

ذلك أيضاً، وطعامهم هو اللحم المقدد، وكانوا يشربون اللبن بدرجة كبيرة جداً، وكان رؤساء المدن يضعون اللحم المقدد في مكادو، وهو مكان خارج العاصمة حتي يأكله أي شخص في اليوم التالي، وكانت هذه ما يطلق عليها الطاولة الشهيرة للشمس.

وكان الملك هو أطول شخص بين الرجال، وأكثرهم استقامة، وحتي السجناء كانوا يضعون قيوداً من الذهب، أما البرونز فقد كان نادراً وثميناً، وكانت توابيت الموتي تصنع من الزجاج الذي يمكن من خلاله رؤية الجثة، وكان يتم الاحتفاظ بتلك الجثث لمدة عام في البيت، حيث تقدم القرابين بعد ذلك، ويتم نشر تلك الجثث حول المدينة، وكذلك فإن من الأشياء غير المألوفة التي يمكن مشاهدتها في أثيوبيا هي الأفيال والأبنوس، وقد قام قمبيز (Cambysis) بضم الأثيوبيين علي الحدود، ولكن علي الرغم من أنها كانت المخزن أو المستودع، وذلك عندما انقطع المد عن السد الثاني، وكانت مصر تعتبر ولاية لمودرايا وكأنها عاصمة لممفيس.

وقد ظلت الحملة العسكرية تحمي الحدود في دافنة في شرق الدلتا، وذلك عند الحائط الأبيض لممفيس (يقال إنه وجد بواسطة مينا عندما وحد القطرين، وعبر النهر من العاصمة، وذلك في موقع القاهرة القديمة، بابل المصرية)، وكذلك عند الإلفانتين أسفل السد الأول، حيث كان يقيم هناك عدد كبير من اليهود المرتزقة.

مصر تحت حكم قمبيز (Cambysis) :

إن الأفعال الجنونية لقمبيز (Cambysis) في مصر لا بد أن تهمل، فالشائعات المغرضة المتكررة غالباً عن قتله لأحد الثيران المصرية المقدسة هي محض افتراء بحت، ففي العام السادس (524)، عندما كان قمبيز (Cambysis) غائباً بسبب حملته العسكرية علي أثيوبيا، فإن

الثور المقدس قد مات، ولقد ولد الثور المقدس الثاني في العام الخامس من حكم قمبيز (Cambysis) ، وعاش حتي العام الرابع لدارا (Darius) ، ومن جهة أخري، فإن قمبيز (Cambysis) قد تبع آماسيس (Amasis) الذي سبقه، وكان أول من وضع اسمه علي تابوت الثور المقدس (أبيس)، وكان أول من وضع كساء من الجرانيت الرمادي الرائع لهذا التابوت، وتم النقش علي غطائه بالصيغة الملكية التي اعتاد عليها المصريون كما يلي: «حورس سامتوي ملك مصر العليا والسفلي ميستيو ابن رع، قمبيز (Cambysis) الخالد إلي الأبد، لقد صنع هذا الأثر لأبيه وهو أوزوريس المقدس تابوتاً كبيراً من الجرانيت، والذي تم إهداؤه إلي ملك مصر العليا والسفلي ميستيو - ابن رع- قمبيز (Cambysis) الذي أعطي كل الحياة وكل الاستقرار والحظ الوافر، وكل الصحة وكل السعادة يبقي ملكاً لمصر العليا والسفلي إلي الأبد».

وعلي اللوح الحجري الجيري المجاور يظهر قمبيز (Cambysis) بالزي الملكي الرسمي واضعاً الأفعي، ويظهر راكعاً في احترام وتوقير أمام الحيوان المقدس، فالنقش يخبرنا كيف إنه «وتحت حكم ملك مصر العليا والسفلي سليل رع المحمية حياته إلي الأبد من قبل الإله، أباه هو أوزوريس المقدس أتي بسلام إلي الغرب الجميل، واستراح إلي الأبد في مدينة الموتي في المكان الذي حفظت له جلالته فيه بعدما قام الرجال بعمل كل المراسم في قاعة التحنيط، وآخرون قاموا بعمل المنسوجات والتعاويذ والزخارف، وكل ما هو نفيس من الأشياء، كل هذه الأشياء تمت كما أمر جلالته في العام السادس لقمبيز (Cambysis) ، فالفتي الفارسي آتياواهي ابن أرتاميس وكوانجو أغا فارسي وحاكم القبط الذي قاد جماعة من الجند إلي مناجم الصحراء في وادي الحمامات كي يبحثوا عن مواد بناء جديدة من أجل إعادة ترميم المعابد.

إن قصص الوحشية أو الهمجية لا تعكس رأياً معاصراً، وإن ذلك قد

تـم إثباتـه في تعليـق أدجاهوريسـبين - أدمـيرال الأسـطول الملـكي أيـام آماسـيس (Amasis) وأبسماتيك (Psmatic) - وكذلك فهو كاهن الآلهة نيث من سايس، إن الكتابة في عهد دارا (Darius) لا تعني الإلزام أو القسر من أجـل الـتكلم بأسـلوب متعـاطف عـن سـيده السـابق، وإن مجيـئهم إلي مصر المملكـة العظيمـة بـين كـل البلدان الأجنبية، فبينما كان كل الأجانب في كل الأراضي الأجنبية مع كامبوجيا فقد امتلك كل هذه البلاد، ولقد أقام الأجانب مقر إقامتهم، وقد كان هو حاكماً عظـيماً لمصر وسيداً عظيماً لكل البلاد الأجنبية.

إن جلالته قد أعطت الأدميرال السابق والذي تغلب علي الغزاة مكتـب كبـير الأطبـاء، فلقـد كـان يعـيش كمرافـق للملـك، وكـان يعمـل في خدمـة الـقصر، وإدجاهورسنتين قد أعد التشريف الرسمي لقمبيز (Cambysis) كملك لمصر العليا ومصر السفلي وسليل رع، فلقد جعـل إدجاهورسـنتين قمبيـز (Cambysis) يفهـم ويعي عظمة سايس، وإقامة نـيس العظيمـة الأم التـي ولـدت رع، وكـذلك عظمـة مقار أوزيريس، رع، وآروم، ولقد اشتكي إلي جلالته من هؤلاء الأجانـب المقيمـين في معبد نيس، وأصدر جلالته أمراً بطردهم خارجـه، كـذلك فقـد كانـت هنـاك أوامـر بتدمير بيوت المرتزقة الإغريـق، وتـدمير بضـائعهم، وكـذلك تطهـير المعبـد وإعـادة عبيده جميعاً إليه، وكذلك لكل الآلهة الأخري، وكذلك له مـن الـدخل، والمخصصـة كذلك لكل الآلهة الأخري، وكذلك إعادة تجديـد أعيـادهم وطـوابير السـير الخاصـة بهم كما كانت من قبل، فلقد قام قمبيز (Cambysis) نفسه بزيارة سايس، ودخل المعبد، وقدم الاحترام والتقـدير إلي نـيس، وقـدم القـرابين كـما كـان يفعـل الملـوك المحسنون.

وليست كل المعابد علي غـرار معبـد نـيس سـعيدة الحـظ هكـذا، ولقد اكتشفنا ذلك من خلال القائمة الخاصة بالقضايا التي يجب فرضـها بالنسـبة للمعابـد في بيـت القضـاء، إن الـدخول إلي كـل مـن ممفـيس

وبارفابهيرموبوليس وبابل المصرية يجب أن يتم توزيع حصصها كما سبق، في المقام الأول فإن كهنة المعابد كان يتم إعطاؤهم أماكن في أراضي السنجات الساحلية والأراضي الجنوبية التي هم أنفسهم يحصلون منها علي خشب النار وعلي الأخشاب التي يصنعون منها المراكب، وعدد الماشية الموجودة لدي الفرعون آماسيس (Amasis) قد قل إلي النصف، كما أن قمبيز (Cambysis) قد أمر بألا يعطوا ما كانوا يعطونه من قبل «دع الكهنة يرفعون الأوز ويعطونه لآلهتهم».

إن قيمة هذا الدخل المنعزل كانت تقدر بنحو 60530 دبن، وثماني مكاييل من الفضة و170210 مكيالاً من الحبوب و6000 من الأرغفة، بالإضافة إلي الماشية والطيور والبخور وورق البردي والكتان، بالاتفاق مع هذا المرسوم فإننا لا نجد أن هناك هدايا أخري من المنتجات الطبيعية تعطي من قبل حكام الفرس إلي المعابد، وهذا وحده كان كافياً لكي تبدأ الإشاعة بأن قمبيز (Cambysis) كان ملكاً قاسياً علي المصريين، وبعد ذلك ذكر تباهي اليهود في إلفانتين كيف أن معبدهم الخاص لم يمس بينما كل المعابد الأخري للآلهة المصرية تم هدمها عندما قام قمبيز (Cambysis) بالغزو، وفي النهاية، فإن تدمير هليوبوليس وطيبة يرجع إلي غضب قمبيز (Cambysis) .

وبالاقتراب من نهاية القرن الثامن وجدت أوراق بردي متنوعة تنتمي إلي الحقبة الهلينية والحقبة الرومانية، وقد تمت الاستفادة منها واستخدامها بصفة عامة، وبالتوازي مع تلك الوثائق المسمارية، فإن الاقتراح الذي يقول إن النظام الجديد في حفظ الكتب والوثائق تم إدخاله في عهد الآشوريين قد بات قريباً، وقد ظهرت طريقة أخري جديدة وأكثر سرعة بالنسبة للكتابة، كانت تسمي باللغة الديموطيقية، أو اللغة الشعبية كما يسميها الإغريق، وعلي النقيض من النظام الهليني أو الفارسي الأكثر صرامة والذي كان قاصراً من الآن وصاعداً علي نسخ

الكتب المقدسة، فإن هذه البرديات الديموطيقية تظهر سير الحياة بصورة طبيعية بعد الغزو، وللدقة فمنذ سنوات، وأخيراً ليكوبوليس فقد علمنا أن هناك اثنين من أبناء العمومة في العام الثامن لقمبيز (Cambysis) وافقوا مرة أخري علي ترتيب الممتلكات التي تم تقسيمها بين والديهما في عهد آماسيس (Amasis) ، بالإضافة إلي الأملاك الثابتة وحقوق المياه، فقد سمعنا أيضاً عن تقسيم الدخول التي تأتي من حق رئيس الكهنة في وولفنوم، وكذلك لكي يستمتع براتب الكاهن في المعبد للعديد من الأيام خلال العام أو خلال العديد من الأعياد، وبرديات أخري من سيوت تسجل الحصص الشهرية من الخمر والزيت والمخصصة لرأس مدينة الموتي وإلي كبير الكهنة وإلي محافظ نوم.

اغتصاب العرش عن طريق بارديا (Bardia) :

بعد أن ترك قريبه أرياندیس كحاكم للولاية بدأ قمبيز (Cambysis) في الاستقرار في أجبتانا بالقرب من جبل كارمل، وهناك وصلته أنباء عن اغتصاب بارديا (Bardia) للعرش، وهناك أيضاً قد مات، لقد قيل إن ذلك قد تم علي يديه، وقد عرف بارديا (Bardia) بالنسبة للإغريق بأسماء كثيرة مثل ماردوس وسمرديس وماروفيوس ومرفيس وتانوكسارس أو تانوكسركسيس، وقد كان أخاً شقيقاً لقمبيز (Cambysis) ، وعند موت أبيه تولي حكم مدين وأرمينيا وكادوسيا، وفي الحادي عشر من مارس عام 522 نصب نفسه ملكاً في مكان يدعي بيشيوفادا علي جبل أركادرش، وفي الرابع عشر من أبريل تم قبوله في بابل، ولقد أصبح ملكاً مؤخراً في العام الذي تم قبوله فيه، والتي كانت في السنة الأولي.

لقد كان المؤرخون البابليون في حيرة كبيرة من أمرهم، فإلي أي عام يجب أن يؤرخوا ذلك، والذي سوف يربك خلفاءهم المحدثين، وفي الأول من يوليو كان بارديا (Bardia) معروفاً في كل الإمبراطورية، ولقد

رحب السكان الخاضعون بارديا (Bardia) بكل السرور، حيث إنه قد أوقف الضرائب العامة وضرائب الحرب لمدة ثلاث سنوات، ولكن الإقطاعيين من النبلاء لم يحبوا تركيز العبادة الدينية من خلال تدمير أماكن العبادة المحلية الخاصة بهم، ولقد أعطي وقتاً قليلاً من أجل دمج الأجزاء المنفصلة، وفي التاسع والعشرين من سبتمبر عام 522 بعد ثمانية أشهر من حكمه ذبحه دارا (Darius) في سيكيافاتيش في نيسايا بمدين.

الفصل السابع

النبي زورواستر (Zoroaster)

لقد بدأ زورواستر (Zoroaster) مهمته كنبي في منتصف القـرن السـادس في الركن الشمالي الغربي للهضبة، حيث تسلم الآشوريون (السوريون) الجزية في بارشوا (Parsua) منذ ثلاثمائة عام مضت، إن اسمه يعني «مع الجمال الذهبيـة» (With Golden Camels) ، أبوه كان بوروشاسبا (Pourushaspa) ، وتعني «مع الخيـول السمراء» (With Gray Horses) ، وأمـه هـي دوغـدورا (Dughdhora) وتعنـي «التي لديها أبقار بيضاء تدر اللبن» (Who has milked white cows) ، كل هذه الأسماء أخذت من الحياة الرعوية البسيطة، ويرجـع أصـله إلي الجـنس الاسـبيتمي (Spitama) (الأبيض)، إلهـه كـان أهـورا- مـازدا (الإلـه الحكـيم) الحـاكم الرسـمي لمجمع العظماء القومي في فارس منذ أيام أريارامنس (Ariyaramnes) .

إن اهورا مازدا يبدو في نظر زورواستر كما يلي: إنـه الأقـدس فـيمن يمكـن أن تصل إليهم معرفته أهورا- مازدا.

إنه أول من شاهدته منذ بـدء حيـاتي، إنـه هـو الـذي يكافئـك عنـدما تقوم بعمل صنيع أو إيثار الشر لـلشر، وعاقبـة الحسـني مـن أجـل الخـير، ومن خلال حكمتك عـلي سـطح الأرض تكـون نقطـة التحـول، ومـن خـلال نقطة التحول تلك تأتي الروح المباركة إذا كان مازدا مع المملكة، فإنـه سـيكون

هناك عناية جيدة، إن امتلاك مآثره يزداد من خلال الاستقامة، إن أحكامهم وعدالتهم صريحة وواضحة، ولا يمكن أن يخدعوك إذا ما استشرتهم، إنني أعرفه فهو المقدس، إنه أهورا- مازدا، وهو الذي يمدني بالأفكار الجيدة. وإذا سألت من أنت؟ من أنت؟ فيما عساي أجيب؟ ما العلاقة التي أستخدمها لمعرفة الأيام؟ للاستفسار عن ماهيتك وعن ملكك الخاص؟

عندئذ سوف أقول له: أولاً : إنني زاراشستر (Zarathushtra) ، إنني أفضل الإغراء لمن يكذبون، أما بالنسبة للمستقيم فإنني خير معين حتي تتحقق المباركة الدائمة في المستقبل بالنسبة للمملكة، إنني أمجده، مازدا، فهو إله الزواج، وكشخص مقدس، أنا أعرفه إنه أهورا- مازدا عندما تأتيني إحدي أفكار الإله، وفي سؤاله يقول: لمن تقرر أنت أن تذوي؟ فأجيب عندما أعطي البيعة للنار خاصتك، إنني سوف أفكر باستقامة، وبصلاح علي طول الدوام، وبعد ذلك أرني الاستقامة التي استشهد بها، إنني أطيعه طاعة عمياء، اسألنا كما يجب أن يسألنا هو، حيث إن الحاكم يمكن أن يجعلك قويًا وسعيداً، كشخص مقدس لم أعرف مثله من قبل، إنه أهورا- مازدا أذكرك فتأتي الأفكار الجيدة إلي نفسي، لقد أخذت تعليماتي وأوامري من كلماتك أنت، فهل يمكن أن يكون إخلاصي سبباً في تعاستي وبلائي، وهل ذلك يتفق مع عملي لكل ما تأمرني به علي أكمل وجه؟ عندما تأمرني بالاستقامة، وتدلني عليها فلا أستطيع أن أخالف أوامرك، وإنني أطيعك، وأرضي بقدري المغني بالكنوز، فمن يرضي بنصيبه وقدره يضاعف له الأجر والجزاء.

كشخص مقدس أنا أومن به، إنه أهورا- مازدا الذي يعطني الأفكار الصالحة لكي أعرف بغيتي، هو الذي يدلني علي ذلك، لا أحد يجبرك علي الفعل علي المدي الطويل، وهذا ما تتمني حدوثه في المملكة، ما الذي يستطيع الرجل العارف أن يعطيه لأصدقائه كلما كان مستطيعاً لذلك،

إنه المانح، مـازدا الـذي يسـاعدهم إذا مـا أداروا المملكـة باسـتقامة، وحققـوا فيهـا العدل.

دعني أقول إن المبعدين هم الذين يـزدرون تلـك العقيـدة، ويحتقـرون هـذا المذهب، إن كل ما يحمله في عقله هو كلمات مقدسة، وإنه المقـدس الـذي أومـن به، إنه أهورا- مازدا الذي يمدني بالفكر المستنير، مثلاً إن الصمت أفضل مـن الكـلام فيما لا يفيد، فليس من المستحب أن يبحث المرء عن كيـف يـرضي ويسـعد الكثـير من الكاذبين؛ لأن هؤلاء عدوهم هي الاستقامة والطريـق القـويم؛ لـذا فقـد اختـار زراشوسترا (Zarathushtra) لنفسه أهورا- مازدا مهما تكن روحك فهـي مقدسـة، إن العدالة يمكن أن تتجسـد بقـوة وتظهـر بضـخامة في تقويـة الحيـاة، إن تحديـد الأقدار للرجال يكون علي قدر أعمالهم الجيدة وعلي قدر مآثرهم.

صفات آهورا- مازدا:

إن يكن هذا التقديم أو لم يكن يمثل بدقة التصورات التي يراها زورواسـتر (Zoroaster) لوظيفته الكهنوتية، إنها تقدم الملامـح الرئيسـة لوعظـه وتبشـيره، إن الاستخدام المتبادل للنبي لكل مـن أهـورا- مـازدا ومـازدا- أهـورا يعيـد إلينـا الأيام التي كان فيها كل من أهورا ومازدا إلهـين منفصـلين، منـذ نحـو قـرن مضي قدم أريارامنيس (Ariaramnes) لنا أهورا- مازدا علي أنه إلـه واحـد بـين آلهـة كثيرة، أما بالنسبة لزوروستر فإنه يعتبره إلهاً وحيداً منفرداً، إن هناك آلهة أخـري منذ العصور الهندية الأوروبية المظلمة مثل إله الشمس ميثرا (Mithra) كمثـال يتعلق بالملوك، وكذلك بالناس، ولكن بالنسبة لزروسـتر فـإن هـذه ليسـت آلهـة، ولكنها أرواح حارسة أو أنصاف آلهـة مجـدها مـن يتبعـون الكـذب، إن أهـورا- مازدا لم يكن في حاجة إلي روح حارسة ولو حتي ضئيلة لكي يكـون ملكـاً مقدسـاً إلي جانبه صفاته الشخصية الغامضة فإن سـبنتا وهـذه الصـفات هـي القداسـة،

العدالة، والاستقامة، التفكير القويم، أو أفضل الفكر، البصيرة كاشترا، الحكمة، الخلاص، الخلود، توزيع الأقدار، بالإضافة إلي النفوذ والسلطة والإلهام.

النداء:

بعد ما تأتي البصيرة يكون النداء، إليك أتعلق بروح الثور، وتصرخ: علي أية هيئة خلقتني؟ من الذي خلقني؟ إن القوة والسعار يعوقاني، والوحشية والقسوة كذلك، ليس لي من راعٍ سواك يوفر لي الطعام والشراب وأسباب الحياة الجيدة، بعدئذ يسأل خالق الثور الاستقامة والصلاح: هل أنت أيها الثور الحاكم؟ لأنك تمنح الكلأ لمن يراعونك، ومن هم في خدمتك من الحاكم الذي في استطاعته أن يتفادي السعار والقوة الغاشمة مع من يكذبون، ومع من هم في ضلال؟ أجاب الصلاح: ليس هناك مساعد للثور دون ضرر، ليس هناك فهم لدي الرجال الذين عالجهم الصلاح، إنه يكون أقوي ما يكون عندما ينادي لقد أتيت بالمساعدة، إن مازدا يتذكر المؤامرة التي بالطبع قد تمت عن طريق كل من أهل الشر والتدمير، وكذلك المؤتمرات التي يمكن أن تتم في المستقبل، أما أهورا فهو المقرر الذي تتم الأشياء وفقاً لرغبته، عندئذ بالطبع دعنا نصلي لأهورا وأيدينا مرفوعة لأعلي، إن روحي والبقرة الحامل نحن الاثنين نتقرب إلي مازدا بالتضرع والتوسل ونقول: «نرجوك أن تحمي هؤلاء ممن يعيشون علي صواب من التدمير، أو هؤلاء ممن يرعون الماشية، وتحميهم من أهل الكذب والضلال».

بعد ذلك يتكلم أهورا- مازدا نفسه والذي يعرف القانون والحكمة فيقول: ليس هناك حاكم أو سيد موجود مع العدالة، ولكن بالتأكيد هناك خالق قد صنع هذا من أجل مربي الماشية ومن أجل القرويين، هذه القاعدة تخص الصفوة بالنسبة لأهورا - مازدا، والذين تمتلئ عقولهم بالصلاح

والاستقامة، الذين عملوا من أجل الماشية وقدموا الألبان لمن يحتاجون إلي الطعام تبعاً لتعاليمه المقدسة، من الذي لديه الفكر القويم لكي يرعانا؟ هذا الرجل معروف لدي ها هنا، إنه الوحيد الذي يسمع مطالبنا، زراثوشترا سبتما (Zarthushtra Spitma) ، إنه مازدا الذي يعرف منذ وقت طويل أفكارنا، ويعرف هؤلاء الذين هم علي صواب؛ لذا دعنا ننشئ الثناء الجميل عليه، ولكن عندئذ كانت روح الثور تنوح: إنني يجب أن أكون محمية من قبل الحامي، مع الكلمات غير النافعة من الرجل الضعيف الذي ربما يحكم لفترة طويلة، متي سيكون هناك أي إنسان يعطي مساعدة فاعلة؟ إن هذا الشك كان نادراً يشبع الرغبة لدي النبي الجديد، حتي الآن فإن زوراستر لم يتردد: «هل أنت يا أهورا ترعاهم وتدعمهم وتقوي عزائمهم وتحفظ لهم الفكر المستنير في المملكة ومن خلالك يعم السرور والسلام؟ إنني علي الأقل أصدق أن مازدا لا يمكن أن يدع ذلك يمر في أي مكان آخر يمكن أن يوجد فيه الفكر القويم وتلك الاستقامة؟

في النهاية فإن الثور والبقرة كانا راضيين، الآن إن أهورا يساعد خاصتنا، نحن قد تم إعدادنا من أجل خدمة هؤلاء ممن هم مثلك، وليعاني هؤلاء المغيرون من البدو الذين أعطوا المناسبة لنداء النبي من خلال تلاوته للخلافات الأبدية بين الرجال المتجولين في السهل، والفلاحين المسالمين في الأرض، إن الزراعة مهنة مقدسة، حيث يقع عبء العمل كله علي تلك الحيوانات البكماء؛ لذا فهي مقدسة.

مفهوم الشر:

إن أهورا- مازدا محاط بثوب محكم من الجنة، إنه إله واحد، ولكن الصراع الأبدي معه هو روح الشيطان، منذ البداية فإن هناك روحان توأم هما الخير والشر، إنهما يقيمان الحياة واللاحياة، إن أسوأ وجود لأصحاب

الكذب هو أفضل مقام لاتباع الحق والعدل، إن آلهة الشر يتشاورون معاً، إنهم هم الذين يضلون من يتبعهم، إنهم يختارون الأفكار السيئة، وهم معاً يندفعون إلي السعار، إنهم يمرضون حياة الأموات، ولكن بالنسبة لمن ستأتيه المملكة فإن الأفكار القويمة والعدالة والتقوي تحافظ علي الوجود وتحفظ الجسم من كل تخريب؛ لذا ففي نهاية الحكم يكون له الأسبقية وبصدارة، إن للمرء إرادة حرة فكل فرد يجب أن يقرر لنفسه ويختار لها الاكتمال العظيم، إن الشياطين هم نسل الفكر الشرير ونتاجه، ونتاج الكذب والغرور، ومن المعروف منذ زمن بعيد أن أعمالهم توجد في الطبقة السفلي من الأرض - مقر الإنسان- إن الرجال الذين يفعلون السيئات يجلبون السعادة للشياطين الذين يسلبون حياة السعادة والخير من الإنسان ويسلبون منه الخلود، إن تعليم الشيطان - الروح الشريرة- الفكر الرديء يخرب حياة البشرية، لقد كان ابن يمافيفاهفانت (Yima Vivahvant) هو الذي قدم لحم الثور إلي الإنسان، وهو الذي أحضر الشر إلي العالم، وعلي عكس ما كان يفعل زورواستر فإن ابن عمه مايديوي (Maidyoi) ماونجا (Maongha) بالرغم من كثرة معارضيه فإنه كان معلماً للكذب، ومعلم الكذب يدمر تعاليم الحياة وغايتها، إنه يمنع تقدير الفكر المستنير، لقد صرح بأن الثور والشمس هما أقبح وأسوأ ما يمكن أن تنظر إليه العين، إن النبي يشجب ويستنكر التقرب بالليل والتضحية فيه بالثور لمن يؤلهون ميثرا (Mithra) ، لقد حول الحكماء إلي كاذبين، إنه يدمر الأخضر واليابس، ويرفع السلاح ضد العدالة والاستقامة، إن الكذابين والمخادعين يدمرون الحياة، ويحاولون منع العقلاء من الرجال ومن السيدات في أقوامهم من أن يؤدوا دورهم، ومن أخذ ميراثهم، إنهم يذبحون الثور بصيحات الفرح، إنهم يفضلون جرهما (Grehma) كاهن القرابين بالنسبة للشياطين وزعيم من يبحثون عن الكذب بدلاً من الصدق والاستقامة، إن جرهما سوف يحقق

مملكة الشر والفكر البغيض؛ ولذلك فإنني أقول لمن يريدون تدمير الحياة إنه يجب عليهم أن يتنحوا عن رغبتهم في مخاطبة بني أهورا- مازدا، ولكنه يجب أن يحرمهم من رؤية العدل والاستقامة.

إن جرهما وكافيز (Kavis) الملوك الضعفاء والخاصين بالعبودية في المدينة قد حاولوا طويلاً أن يطيحوا بالنبي، لقد ساعدوا أهل الكذب، وقالوا: لندع الثور يذبح، فإن هذا سوف يهيج من يتجنب الموت ويجعله يساعدنا، إن زورواستر يشجب ويدين شرب (البوما) المسكرة؛ ولهذا فإن القربان (Karaons) وكيفيز (Kavis) سوف يتحطمان بصفة عامة، إن بندافا (Bendava) والذي ربما يعتبر أعظم الملوك الصغار كان دائماً يعارضه في المحكمة، وربما إنه سوف يتحطم من خلال الفكر الصالح! إن النبي قد منع وحجب عن طريق معلم بندافا هذا، وهو كاذب حرم من الصلاح، وهناك آخرون أيضاً يبحثون في كيفية قتل النبي، الأبناء الذين خلقهم الكذاب والادعاء، إن زورواستر يستدعي إلي الأذهان الإهانة والتحقير اللاذع الذي تم توجيهه إلي أصدقائه الذين فقدوا القدرة علي الكلام (الخرس)، إن الأسلوب الغاشم لكافيز قد أثار سخط واشمئزاز زراشسترا (Zarathustra) ، وذلك عند بداية الشتاء، حيث إنه قد منعه من التوقف هناك عندما كانت خيوله ترتجف من البرد.

إن كهنة القرابين رفضوا أن تطيعوا مراسيم وقوانين الكلأ والعشب، وذلك من خلال ما فعلوه بقطعان الماشية والتعاليم التي اتبعوها، وأدت بهم في النهاية إلي الوقوع في زمرة الكاذبين أو غير المؤمنين ودخول بيتهم.

أسئلة دينية:

مثل كل الأشياء، فإن زورواستر كانت لديه أوقات للشك بأهورا- مازدا، إنني أسألك فأنبئني وأخبرني بالحقيقة، كيف تكون الصلاة بالنسبة

لمن هو مثلك؟ بالنسبة لصديق فإن مازدا قد علمني هذا بهذه المقدمة نفسها، وقد سأل كل الأسئلة التي جعلت عقله في متاهة، من الذي خلق أبو الفضيلة والاستقامة؟ من الذي حافظ علي مسار الشمس ومسار النجوم؟ من الذي يقف وراء ظهور القمر واختفائه؟ من الذي يمسك السماء ويحفظها من أن تقع؟ ومن يمسك الأرض من أن تزول؟ من الذي خلق الماء وخلق النباتات؟ من الذي أعطي السرعة والرشاقة للرياح والسحب؟ من الذي خلق الفكر الصالح؟ من الصانع البارع الذي صنع النور والظلام والنوم واليقظة والفجر والقمر والليل التي تذكر الإنسان وتجعله يفهم ويعي واجبه؟ هذا ما أسألك إياه أجبني بصدق يا أهورا: هل ما أصرح به وأعلنه حقيقي؟ هل الطاعة تساعد في الأعمال الصالحة؟ هل الفكر المستنير يرمز إلي المملكة؟ من الذي جعل القدر السعيد يهب البقرة حملها؟ هل من الممكن أن تكون واثقاً من المملكة؟ هل سوف تستطيعون بدونه أن تلحظوه بالقول والفعل؟ إن دينه فيه الخير لكل البشرية! هل الطاعة تمتد إلي من تم التصريح له بدين مازدا؟ لهذا كان موضوعاً علي مسافة ما علي طريق مازدا، وفي البداية كان من يكرههم ولا يحبهم، من بين هؤلاء؟ ومع من يمكنه أن يتكلم في الحق؟ ومن يتكلم في الكذب؟ إنه يشك في نفسه وفي أسباب ذلك، وهو لا يعرف في أي جانب يوجد العدو؟ هل الكاذب الذي يعارض تعاليم مازدا يجب أن يعامل كعدو؟ كيف يمكنهم أن يستخرجوا من هؤلاء العصاة؟ هل الكذب يجب أن يوضح في يد الاستقامة والصلاح لكي يتم تدمير هذا الكذب من خلال كلمات مازدا وتعاليمه؟ هل لدي مازدا القوة والقدرة علي حماية نبيه عندما يلتحم الجيشان في المعركة؟ لمن يضمن النصر والفوز؟ افرض أن هناك علامات لمعرفة الحكم الشافي، كيف يمكن أن نصل إلي هذا الهدف وهو التلاحم مع مازدا نفسه؟

والآن وبعد تلك الغزوة في التصوف، فإنه قد أصبح إلي حد ما من

الطبيعة العملية للإنسان، هذا ما أسأله لك فأجبني بصدق يا أهورا، كيف يمكن أن أفوز بجائزة الاستقامة؟ عشرة من أنثي الخيل بمرابطها وجمل، والتي وعدني بها مازدا هذا ما أسأله لك فأجبني بصدق يا أهورا، من الذي لن تعطيه الجائزة أو الجزاء الذي يستحقه؟ من الصادق في كلمته الذي سوف ينجزه له ويؤديه؟ وما العقاب الذي سوف ينزل به في البداية؟ إنني أعرف عقابه النهائي كيف يكون، هل أهل الشر أبداً كانوا حكاماً صالحين؟ هذا هو ما يسأله لمن يبحث عن الشياطين وعن الشر وهما كهنة القربان واليسج (Karapan, Usij) اللذين تسببا في سعار الماشية وجنونها، اللذين جعلتهما المسكرات (الكافي) يندبان ويتفاجعان باستمرار بدلاً من أن يزيدا الإنتاج والكلأ من خلال الاستقامة والصلاح.

ما بعد الحياة:

إن المضطهد والمعذب يركز بصره دائماً ويتطلع إلي المستقبل، يتطلع إلي المملكة الإلهية المرتقبة، يتطلع إلي تمام الاكتمال، إلي تجدد العالم أو إلي العالم الجديد، إن هذا الاكتمال سوف يتحقق عن طريق المنقذين والمخلصين، زوروواستر وأتباعه: والذي يتمني النبي ألا يتأخر إلي وقت طويل، في يوم الحساب الأخير فإن الحق والاستقامة سوف تهزم الكذب والفجور وسوف ينتصر الخير علي الشر، إنه يتمني أن يعرف هل الحق ربما ينتصر علي أتباع الباطل قبل ذلك اليوم أم لا؟ كيف يمكنه أن يعرف أنه مازدا؟ وأنه الحق؟ في الواقع لديهم القوة التي تعلو فوق أصحاب الباطل الذين يهددونه، فليكن هناك تأكيد لرؤيته من الفكر الصالح، ليكن المخلص علي علم بما يستحقه وكيف يكون، متي سيتعلم المحاربون منهم الرسالة؟ متي سوف يضرب مازدا بقوة ويرد علي القذارة والفحش الذي في الشراب المسكر (بوما) الذي يستخدمه كهنة القربان في خداع الحكام الأشرار الذين يحكمون الأراضي؟ من الذي

يستطيع أن يقيم سلاماً مع المتعطشين للدماء من الكاذبين؟ لمن سوف تأتي المعرفة بالفكر القديم؟ إنهم هؤلاء المخلصون بالنسبة للأرض الذين يكافحون ويجاهدون من أجل تحقيق تعاليم مازدا، إن ضمير المرء سواء كان علي هدي أو علي ضلال سوف يحدد ما هو صائر إليه في المستقبل، مع زورواستر المصاحب للقاضي أهورا-مازدا نفسه سوف يفرق بين من هو حكيم ومن هو غير حكيم، وذلك من خلال مستشاره للخير، فيما بعد فإن زورواستر سوف يقود هؤلاء الذين هم مؤمنون بمازدا خلال (Chinvato Peretav) الجسر الفاصل الذي يفصل بين الحق والباطل، فهؤلاء الذين اختاروا بحكمة الطريق المستقيم سوف يقودهم إلي بيت النعيم، إلي الجنة، إلي مملكة الخير التي يصل إليها الإنسان عن طريق الخير الذي بناه من خلال الصلاح والتقوي والذي تمر منه ضمائر المخلصين إلي نيل الجزاء والجائزة، هناك سوف يشاهدون عرش أهورا ومنطقه نفوذ مازدا، وكذلك السعادة والهناء بالأنوار السماوية، ولكن الأغبياء سوف يذهبون إلي دار التعاسة، بيت الكاذبين ومقرهم، بيت الفكر الضال، بيت الشياطين، أسوار ثابتة، إن قرينه الشيطاني سوف يجلب لهم التعذيب في يوم الحساب علي الصراط، وسوف يقودهم إلي مستقبل ملئ بالظلمة والحسرة والتعاسة والطعام العفن والكرب والبلاء، إن هذا الذي يتبع هواه، يجعل فكره غير صالح، ولكنه يكون أسوأ، بينما من يتساوي لديه عمل الخير وعمل الشر فإنه في النهاية سوف يقضي فترة في بيت وسط بين هذا وذاك.

إحسان فيشتاسبا:

مرفوض ومعارض في وطنه، لذا فقد فكر زورواستر في الطيران، ولكن إلي أي أرض يطير؟ إلي أي مكان يمكنني أن أطير؟ إلي النبلاء وزملائهم؟ أم إلي الكهنة الذين عزلوني؟ أم إلي الفلاحين القرويين

الذين يسعدونني؟ أم إلي أمراء الكذب في الأرض؟ كيف يمكنني أن أسعدك أنت، مازدا- أهورا؟

إنه يعرف الأسباب وراء احتمالات نجاحه الضئيلة، وهي أن لديه القليل من الماشية؛ ولهذا فلديه عدد قليل من التابعين، لقد بكي مازدا من أجل أن يساعده ويدعمه كما يفعل، الصديق مع صديقه، متي سوف تأتي الشمس المشرقة لتنصر الحق وتنشره في العالم؟ متي يمكن أن يظهر المخلصون المنفذون مع النبوة؟ إن الكذاب سيئ السمعة قد حجب الصالح المستقيم من أن يجعل الماشية تنمو وتزدهر، إنه هو الذي يحرم الكاذب من القوة ومن الحياة سوف يعد طرق العبادة الصوتية، إنه هو الذي يحول الكاذب ويغيره إذا كان واثقاً ويدعه يعلن ذلك لأقاربه، إن هذا يحميه أهورا- مازدا من إراقة الدماء، من ذا الذي يمكن للنبي أن يثق فيه ليحميه من محاولات الكاذب لكي يصيبه؟ لا تجعل شيئاً من الأذي يأتي من خلال الرجل الذي يفكر في إصابة ممتلكات زوروواستر بالأذي، لتجعل أفعاله تنقلب علي نفسه، إنهم وبقادتهم كربان (Karopons) وكافيز (Kavis) جعلوا الناس يعتادون علي الأفعال الشريرة لكي يدمروا الحياة، إن أرواحهم وضمائرهم سوف تعذبهم عندما يأتون عند الصراط، إنهم سوف يبقون إلي الأبد في بيت الكاذبين، من موطنه في الجبل بشمال غرب إيران بدء زوروواستر مع أقربائه في البحث عن أرض يمكنهم فيه نشر عقيدتهم، ويمكنهم أن يجدوا استجابة تلقائية، بينما كان النبي يعمل جاهداً لكي يعدل بين جيرانه، فإن وجه العالم كان يتغير، فبينما كانت الإمبراطورية القوية في مدينة تتفكك وتنقسم كان رجال قورش (Cyrus) في فارس في حالة ثورة ضد أستياجيس (Astyages) ، بينما كان فيشتسبا (هيتسباس) ابن أرشاما (Arshama) من الخط الأخمنيدي المنافس يحكم بارثيا وهيركانيا، فإنه قد اقتنص الفرص كي يتملص من الروابط التي تربطه بالحاكم المطلق في المدينة.

ها هنا النبي المرهف الحزين قد وجد الترحيب، وعاجلاً فإن زوجة فيشتسبا أتوسا (Atossa) قد تتحول إلي الإخلاص والولاء، وبعد ذلك تبعها زوجها تبعها زوجها، وأصبح فيشتسبا الراعي والنصير للدين الجديد.

ما الجزاء الذي وعد به زارشسترا جموع المصلين الذين هم في بيت الغناء الذي أحرزه أهورا- مازدا أولاً بهذا، هل أنا قد وعدت نفسي من خلال مباركتي وموافقتي للفكر القويم والذين يسيرون علي الطريق القويم، إن فيشسيا قبل أن يقود جموع المصلين، ويعطي الفكر الصالح القويم والتعاليم التي قد أوصي بها أهورا- مازدا المقدس أيما كان الابتهاج العظيم الذي يمكن أن يشعر به فإن زارشسترا الشريف يستحق أن يهبه أهورا- مازدا الحياة، ويجعل ممتلكاته تزداد وتزدهر من خلال الفكر الصالح القويم، تسأل زاراشوستر (Zarathushtra) أهورا- مازدا من هو الرجل الصالح خاصتك الذي يكون صديقاً للجموع الحاشدة للمصلين؟ أو من الذي يستحق أن يكون مشهوراً؟

أجاب زورستر أنه كافي فيشتسبا (Kavi Vishtaspa) في يوم الحساب، هؤلاء هم أنت مازدا- أهورا سوف توحدهم في بيتك، هل سأدعي للاجتماع من بعد أجل الفكر القويم، ومن أجل الإصلاح، في عام 550، وبعد وقت قصير من تحوله ولد الابن الأول لفشتسيا الذي يعد شاهداً علي الدين الجديد، لقد تمت تسمية هذا الابن باسم داريا فومانه (Darya Vohumanah) ، أي الذي يؤازر ويساعد الفكر القديم، داريافوش (Darayavaush) باللهجة الغريبة ودارا (Darius) بالنسبة للإغريق.

بعد مرور خمسة أعوام وصل قورش (Cyrus) إلي الجزء الشمالي الشرقي من إيران وفشتسيا فوجد أن الحالة غير الحالة بالنسبة لولاية كافي الصغير إلي الإمبراطورية الفارسية العظيمة، لقد أمضي النبي سنوات عديدة سعيدة؛ وذلك في حماية فشيتسبا، لقد أثني علي ابن عمه وأول المهتدين وهو مايديوي (Maidyoi) ماونجه (Maongha) أقرباءه،

وأبناء هاتشات آسيا (Haechat) أسلاف سبيتاما (Spitama) ، حيث أفهم أنهم استطاعوا أن يفرقوا بين الضلال والهدي، والحكمة وغير الحكمة، الحق والباطل في أفعالهم، لقد فازوا بالصلاح؛ وذلك حسب أول قوانين لأهورا، لقد أصبح فراشوشترا (Frashaoshtra) وأخوه جامسبا (Jamaspa) من عائلة هفوجفا (Hvogva) ومن مؤيديه المخلصين، ولقد وعد فراشوشترا ابنته هفوفي (Hvovi) للنبي (واسمها يعني المثيران الجيدة) كزوجة، «إنها الصورة الجميلة لشخص عزيز، والتي أعطانيها فراشوشترا، ليت السلطة التي يضمنها مازدا- أهورا يضمن لها بها الحصول علي وامتلاك العدل والصلاح، وذلك بسبب نفسها الطيبة.

العديد من الأبناء تم تسميتهم مثل أيساتفاسترا، أورفاتاتنا ناتا، كافارتشترا (Khvarecgitha , Isatvastra, Urvatatnata) ، والعديد من البنات قد ولدوا أو كبروا، إن أفضل مكانة قد عرفت بالنسبة لزارثوشترا سبيتاما (Zarathushtra Spitama) ، إن أهورا- مازدا قد أعطاه إلي جانب معرفة الصلاح والعيش فيه طول عمره الحياة السعيدة، ولهؤلاء الذين تعلموا وطبقوا الصواب في أقوالهم وأفعالهم، بعد ذلك فلتجعلهم يبحثون بسعادة وبسرور بالفكر والقول والفعل عن إسعاده، وكذلك المصلين من أجل تأليهه، فإن فيستسبا ومع ابنه زارشتر وفراشوشترا يفعلون الصواب، وذلك بالنسبة لعبادة وتعاليم المخلص الذي عينه أهورا.

لقد تزوجت ابنته من جامسبا (Jamaspa) هذا الرجل بوروتشيستا (Pouruchista) الذي ينحدر من هيتشات أسبا (Haechat Aspa) وسبيتاما الأخت الصغري لزاراشتر (Zarathushtra) ، والتي جعلها معلماً لاتحاد الفكر القويم والطريق المستقيم ومازدا؛ لذا فقد كانت مستشاره الخاص الذي يفهم الأداء الحكيم والأفعال المباركة في الطاعات، لقد وعد جامسبا « إنني سوف أحبها بحماس؛ لأنها تخدم الأب بورع وتقوي،

وتخدم زوجها والقرويين والنبلاء امرأة صالحة لرجل صالح؛ ليحفظها أهورا- مازدا، وليحفظ لها إرثها المجيد.

الأزمة:

بسعادة وسرور يمكننا أن نترك النبي عند هذه النقطة محاطاً بأسرته التي تحبه، وبأصدقائه، ولكن تلك الصورة الجميلة اسودت وأظلمت بعدما زحف الشيب، إن البدو كانوا يهددون، وكان لا بد من إلقاء الوعظ من أجل الحرب المقدسة، إذن من كانت أفعاله شريرة فليعش مخدوعاً ومنبوذاً، وليبكوا كلهم بصوت مرتفع، وعن طريق الحكام الصالحين، فإن أهورا سوف يجلب لهم الذبح، ويأخذ منهم السلام ويعطيه للقرويين المبتهجين؛ ليجلب الدمار كذلك عليهم، وليكن ذلك دماراً كبيراً ومصاحباً بالموت وليكن ذلك سريعاً جدًّا! كل الرجل الذين يتبعون عقدية الشر ينتمون إلي موقع الخراب لا يؤمنون بالقانون، ويفكرون في التخلي عن القيم.

أين الحاكم الصالح الذي سوف يسلب منهم الحياة والحرية؟ هذه المملكة خاصتك فلتعط الفقراء حياة أفضل، الأزمة أصبحت أكثر حدة، هذه هي المسألة التي أتضرع بها في صلاتي لمازدا ويداي مرفوعتان لأعلي، بادئ ذي بدء الاستقامة، عمل الروح المباركة والتي من خلالها يمكنني أن أسعد مستشار الفكر الصالح وأسعد روح الثور، يمكنني أن أخدم مازدا- أهورا من خلال الفكر الصالح، احفظني من خلال الاستقامة وأبهج حياتي وباركها ماديًّا وفكريًّا، وذلك من خلال مباركة من يدعم ذلك ويؤازره، إنني ربما أثني عليه كما لم أفعل من قبل الاستقامة، الفكر المستقيم، مازدا- أهورا، وهؤلاء الذين زادت طاعتهم كل ذلك يحفظ المملكة من الدمار.

زوروواستر يشعر أنه يقترب من نهاية الحياة:

إنني من هو بأفكاره الصالحة قد جعلت قلبي يراقب روحي، إنني من عرف الجزاء من مازدا- أهورا بالنسبة لأعماله، فبينما أملك القوة والكفاءة؛ لذا فسوف أعلم الناس أن يبحثوا عن الاستقامة، متي سوف أستطيع كواحد ممن يعلمون أن أري الاستقامة خاصتك والفكر الصالح، وكذلك عرش أهورا والمكانة المحترمة لمازدا؟ من خلال تلك الكلمات المقدسة علي ألسنتنا يمكننا أن نحول قبيلة من لصوص البدو إلي الأفضل، مازدا هيا تعال بالفكر القويم والاستقامة التي تضمنتها الكلمات الصالحة، وكهبة نهائية دعم زراثوشترا، وبالنسبة لنا أمنحنا الأدوات التي نستطيع أن نتغلب بها علي ثرواتنا، أضمن الاستقامة التي تستحق الجزاء، بارك الفكر القويم، أضمن الطاعة لقشتبا، ولي أيضاً كما نتمني، أضمن القوة والسلطة يا مازدا التي يستطيع نبيك أن يتلو بها الكلمات المقدسة والتعاليم التي وضعتها أنت.

إنني أسألك يا أهورا الأفضل بالنسبة للمحارب فراشوشترا ولنفسي ولهؤلاء فمن تريد أن تعطيهم العطايا من الفكر الصالح مدي الحياة؟ إننا باستخدامنا لهذا السخاء من قبل أهورا ربما أننا لن نغضبك: مازدا، الاستقامة، التفكير القويم، نحن نجتهد ونناضل من أجل تقديم التراتيل والترانيم المليئة بالثناء عليك، حيث إنك أفضل من يستطيع أن يدفع المملكة إلي الأمام بعد ذلك لهؤلاء الذين هم خاصتك المعروفين من خلال استقامتهم وصلاحهم وإخلاصهم لمازدا- أهورا، وما أحرزوه منذ وقت طويل، هذا أيضاً بالإضافة إلي أنني أعرف أن الصلوات تؤدي إلي نهاية طيبة، وتلك الصلوات فاعلة معك؛ ولهذا فربما أستطيع أن أحتفظ بالاستقامة والتفكير القويم إلي الأبد كما علمني مازدا- أهورا، بالتلاوة من خلال روحك لكي أصرح كيف ستكون الحياة الأولي بهذه الصلاة الأخيرة تنتهي كلمات زروستر ياشتس (Yashts) والتي هي في شكلها الحالي تعتبر

متأخرة إلي حد ما، ولكنها تحتوي علي مواد قديمة بنسبة أكبر (بعضاً منها من قبل زوروواستر).

صلوات القوط (Quote) لفشتسبا أو للخيال ذيريفاري (Zairivari) ضد أعدائه مثل تاثريافانت (Tathryavant) ، بشانا (Peshana) هوماياكا (Humayaka) ، دارشينيكا (Darshinika) ، سبنخورشكا (Spinjaurushka) ، وكذلك أشتارفانت (Ashtarvant) ابن فيسبا زورفوشتي (Vispa- Thourvoashti) ، كذلك فهي تعود إلي الحروب مع أريجات- أسبا (Arigat- Aspa) من هيونا (Hyaona) .

لا تزال العادات المتأخرة تخبرنا أن أريجات- أسبا أخذ بلغة (Balkh) بالهجوم والانقضاض عليها، وقتل زوروواستر وأتباعه عند المذبح، إن النبي يجب أن يكون قد مات خلال الفترة التي قامت فيها سلسلة الثورات العظيمة ضد دارا (Darius) ، وإذا كان هناك صدق في تلك النواميس فإن السفاح أو القاتل المأجور سيكون هو فرادا المرجوشي (Frada of Margoush) أو المجوسي، والذي غزا بكترا أو ربما واحدة من بلدانها التابعة.

الأفكار الدائمة لديانة زورستر:

ولكن نحن نحتاج إلي أساطير متأخرة عن الميلاد المحكوم بعلامات الألوهية والحياة المليئة بالمعجزات والاستشهاد علي يد البدو الرحل لكي نثبت عظمة زوروواستر، ويمكن أن نورد بعضاً من كلماته التي تصف حياته والتطور الذي حدث في فكره، يمكننا أن نلاحظ علو همته والحدود التي تجعله إنساناً أكثر وتجعله محبوباً أكثر، إن تعاليمه توضح أنه ليس هناك تأثير من الاتجاهات الشرقية القديمة، إنها خالصة وأصيلة من تربته ومن جنسه، فلقد نمت تلك التعاليم وترعرعت من العبادات الآرية القديمة،

ولكنها علت فوق ذلك وفوق تلك الأحكام والتعـاليم الآريـة البسـيطة إلي مـدي لم يستطع الفكر الآري أن يصل إليه من قبل.

لقد سئل النبي وهو حديث في مهنته: هل يمكـن لأتباعـه أن يفهمـوا تعـاليم دينه وعقيدته؟ لقد كان دارا (Darius) العظيم ابناً لنصيره فيشتسبا، وبلا شك قـد تكلم مع النبي وهو في بلاط أبيه في الولاية، إن نقوشـه الخاصـة مليئـة بالـذكريات بلغة العـالم العظـيم والتسـجيلات الموجـودة عـلي مقبرتـه ربمـا في الحقيقـة تكـون مقتبسة، وبالرغم من لغته الرفيعة فإن دارا (Darius) لم يرقَ إلي مستوي النبي في التعليم واستخدام الثابت للمصطلحات مثل الكـذب والكـذاب، لكـن فقـط بعـض الكلمات المتعددة من الحقيقة.

بصعوبة مات زورواستر، وبعدها بدأ تفاعـل محتـوم بيـنما زوسـتر التـاريخي الذي كان يتلاشي أكثر فأكثر في غيهم الماضي، فبينما كان هو مكتشـف للـدين، فإنـه قد أصبح أكثر تأليهاً وكذلك فإن أتباعه (حتي هؤلاء الذين كانوا يشتكون من شـكه وخوفه وأمنياته من أجـل العطيـة التـي تشـمل عشرة مـن الرفـاق ونحـل وجمـل، وكذلك تعاطفه مع خيولـه التـي ترتعـد) كـانوا ينشـدون الترانـيم ويواظبـون عـلي التصوف ويحافظون علي الخصائص المؤثرة فيها، أما بالنسبة إليه، فـإن ذلـك يعـزو إلي موافقـة الآلهـة، وكـذلك التـدريبات والعـادات التـي أتـت مـن الوثنيـة الآريـة القديمة.

فيما بعد فإن الوثيقة الآرية غرقت جزئيًّا في المجوسية، وهـي صـورة حيـة مـن كلام غير فصيح من العصور القديمة، وإذا كان أهلـه وخاصـته لـديهم شراب مقـدس هو البوما، فإنه بالنسبة إلي زوستر فهذا شراب مسـكر وقـذر، إنهـم إذا مـا اسـترجعوا عباداتهم الليلية لميثرا، وقاموا بتقديم القرابين عن الماشية مرة أخـري والتـي أمـر بهـا بشدة، إذا ما قاموا مرة أخري بحفـظ المقـام الرفيـع لأم الإلهـة آناهيتـا (Anahita) ، لقد كان هناك آخرون يجدون ترانيمه وتراتيله أكثر تجانساً، وعندما تحللت وتلاشت

الديانات القومية القديمة، فإن العقـول الممتـازة وجـدت في تعاليمـه الدينيـة شـيئاً جديداً، طازجاً، ومنشطاً، والذي يمكن أن تشـاهد آثـاره في حركـة معظـم الـديانات اللاحقة، إنه ليس من المصادفة أن تعاليم زورواستر أكثر شهرة وصيتاً مثـل العهـود والمواثيق الجديدة.

الفصل الثامن

دارا (Darius) مغتصب العرش

زاراثوشترا (Zarathushtra) الضيف المبجل في بلاط ويشتاسـبا (Wishtaspa) ، دارا (Darius) ابن هيستاسبيس (Hystaspes) كما نسميه نحن الإغريـق، إنـه وفي قصة حياته يفتخـر بسـلالته، حيـث ينحـدر مـن ويشتاسـبا (Wishtaspa) ، أرشـاما (Arshama) ، أريارامنا (Ariyaramna) ، وشيشبيش (Chishpish) مـن المكتشـف هاخامانيش (Hakhamanish) ، ولهذا فنحن نسمي الأخمينيين منـذ القـدم، ونحـن الأمراء، ومنذ وقت طويل كانت عائلتنا هي العائلـة الملكيـة، حيـث كـان ثمانيـة مـن عائلتي كانوا ملوكاً رسميين، وأنا التاسع، فنحن تسعة في خطين.

إن هذا يعتبر صحيحاً إلي حد كبير لأن دارا (Darius) في الحقيقة قد يجعلنـا نصـدق ذلـك، حيـث إن خطـه في الواقـع هـو الأقـدم، وكـذلك فإنـه تحـت حكـم أريارامنيس (Ariyaramnes) قد استمتع بالأسبقية، ولكن فـتح مـدين قـد سـاوي بين كلا الخطين في التبعية المشتركة.

إن الثـورة الناجحـة ضـد أسـتياجيس (Astyages) أدت إلي تقويـة الخـط الأصفر الذي يمثله قورش (Cyrus) وقمبيز (Cambyses) وبارديـا (Bardiya) ، بينما نجد أن جد دارا (Darius) أرساميس (Arsames) كـان في أحسـن حالاتـه كملك، وهيستاسبيس (Hystaspes) كان محظوظاً بما يكفي لأن يصـبح واليـاً

علي كل مـن بارثيـا (Pathia) وهيركانيـا (Hyrcania) ، وبهـذا فقـد رافـق قـورش (Cyrus) في حملته الحاسمة، فلقد أخذ قمبيز (Cambyses) هذا الابن الصـغير في خدمته شخصيًّا في عام 522، وعندما كـان سـنه ثمانيـة وعشريـن عامـاً، أصـبح دارا (Darius) حـاملاً ارمـح الملـك في مصر، وقبـل أن ينتهـي هـذا العـام أصـبح دارا (Darius) هو الملك.

كيف يمكن لفتي صغير أن يصل إلي تلك المكانة التي لا تدانيها مكانة ولا زال كل من أبيه وجده علي قيد الحياة؟ يمكن أن يتم شرح هـذا وتوضـيحه مـن خـلال السيرة الذاتية كما يلي: لقد كان هناك رجل في عائلته، إنه قمبيز (Cambyses) بن قورش (Cyrus) الذي كان ملكاً، وكـان لـه أخ هـو برديـا (Bardiya) ، وهـذا الأخ شقيق لقمبيز (Cambyses) من الأب والأم نفسيهما، وبعد ذلك بفترة فـإن قمبيـز (Cambyses) قـام بـذبح أخيـه، ولكـن ذلـك لم يكـن معروفـاً للنـاس أن برديـا (Bardiya) قد تم ذبحه بعدما ذهـب قمبيـز (Cambyses) إلي مصر فقـد أصـبح الناس ثائرين، وأصبح الكذب كبـيراً جـدًّا في الأراضي الأخمينيـة، وبعـد ذلـك بفـترة ادعي أحد المجوس ويدعي جوماتا (Gumata) أنـه برديـا (Bardiya) ، وقـد جـاء من بشيوفادا بجبل أراكادرش في الحادي والعشرين من مارس عام 522.

وكان كل الناس قد هجروا قمبيـز (Cambyses) ، والتفـوا حـول هـذا المـدعي، والذي قام في الأول من يوليو بأخـذ المملكـة لنفسـه، وبعـد ذلـك بفـترة مـات قمبيـز (Cambyses) علي يديه، والآن أصبحت تلك المملكة تخص عائلة دارا (Darius) كـما كان الوضع في الماضي، ولم يكـن أي رجـل حتـي، ولا أي فـرد مـن عائلتـه يسـتطيع أن يسترد المملكة من هذا المـدعو جوماتـا (Gumata) ، فالنـاس كـانوا يخشـون القائمـة الطويلـة ممـن تـم ذبحهـم؛ لأنهـم عرفـوا برديـا (Bardiya) الحقيقـي، وبالتـالي يستطيعون إثبات كذب ادعاء جوماتا (Gumata) ، وفي الحقيقة أنه لم يكن أي واحـد

يجرؤ علي قول أي شيء ضده حتي وصول دارا (Darius) ، ومنذ أن سمعنا آخر مرة عن أنه أصبح حاملاً لحربة الملك قمبيز (Cambyses) في مصر.

ومن الواضح أن دارا (Darius) يجب أن يكون قد ترك الجيش في فلسطين بمجرد أن علم بموت الملك السابق، وأسرع من فوره إلي مدينة ميديا لكي يطالب بالعرش، إنه وبمباركة من أهورا- مازدا (Ahura- Mazda) ، وبمساعدة ستة من المتآمرين استطاع دارا (Darius) أن يذبح هذا الجوماتا (Gumata) وحلفاءه في حصن سيكايوفاتشن في مقاطعة نيسايا بمدين، وذلك في التاسع والعشرين من سبتمبر عام 522 بمباركة من أهورا- مازدا (Ahura- Mazda) أصبح دارا (Darius) ملكاً.

وفيما بعد في السيرة الذاتية أعطي دارا (Darius) أسماء المتآمرين السبعة الذين اشتركوا في عملية القتل، وهم: فيندافارنا بن فايسبارا، وأوتانا بن توكارا، وجوباروفا بن ماردونيا، وفيدارنا بن ياجنجا، وباجابوشكا بن ذاتويا، وأردومانش ابن فاهوكا «أنت يا من ستصبح هنا ملكاً بعد، احفظ جيداً عائلات هؤلاء الرجال».

الصراع من أجل الشرعية:

لقد استعاد دارا (Darius) القوة التي سلبت من عائلته، ولقد أقامها علي أسسها السابقة، فلقد أعاد بناء المعابد التي دمرها جوماتا (Gumata) واستعاد المراعي الخصبة مرة أخري، وأعطي النبلاء قطعان الماشية التي أخذت منهم، وكذلك أعاد لهم الفلاحين الذين أخذهم المجوس عنوة، ولقد عمل بجد واجتهاد حتي بدا وكأن هذا الجوماتا (Gumata) لم يأخذ مطلقاً بيت العائلة، وهذا هو الشكل الرسمي المقدم في السيرة الذاتية، والذي تم إعلانه للعالم علي الحجر البشتوني، ولقد كان مقبولاً لدي أبو التاريخ ستيسياس (Ctesias) ، ومقبولاً كذلك لدي من خلفوه حتي الآن، وليس هناك ولو دليل ضعيف علي أن هذا بعيداً عن الحقيقة في أن دارا

(Darius) الذي نراه ينتهي بالفعل إلي الأسرة الإمبراطورية فقط في خط متوازٍ، وليس هناك من سبب في أن نعتبره تابعاً أو تالياً بالنسبة لخط العرش، وأن مكانته هي التالية بالنسبة إلي الممالك،، فبالنسبة لخط الملك الخاص به تأتي من أن جده وأبوه هما الذين سبقاه في الملك.

إن دارا (Darius) يدعي أن بارديا (Bardiya) الأخ الأصغر لشقيق قمبيز (Cambyses) قد قتل علي يد قمبيز (Cambyses) ، ولكن حتي الآن ليس هناك اتفاق في مصادرنا، حيث المكان والزمان والكيفية التي تم بها هذا القتل، ولقد وضع دارا (Darius) الإيبزود أو التراجيديا قبل غزو قمبيز (Cambyses) لمصر، وهيرودوت (Herodotus) أثناء الغزو وستيسياس (Ctesias) بعد الغزو، إن الترجمة الرسمية تبعها للوم من هيرودوت (Herodotus) لبركاسيس في جريمة القتل الحقيقية، ولكن كان هناك بعض الشك في هل سمرديس قد قتل أثناء الصيد بالقرب من صوصا، أو أنه غرق في بحر إريتريا.

وبعد موت قمبيز (Cambyses) من المتوقع أننا سوف نصدق بأن بركساسيس قد أنكر قصته علانية معلناً للناس السر في مقتل بارديا (Bardiya) ، ونحن جميعاً نعرف أن توبة فراش الموت هي إحدي الأدوات التي يستخدمها الداعية، حيث إنه بعد الانتحار، فإن الشخص الميت لن يدلي بأية حكايات أو قصص، والأكثر من ذلك أن سمرديس المزيف كان مزيفاً فقط في ادعائه بأنه ابن قورش (Cyrus) ، ولقد كان اسمه الحقيقي هو سمرديس.

إنه لمنتهي السخف والمنافاة للعقل فيما يتعلق بسمرديس الحقيقي والمزيف أن تكون أم سمرديس الحقيقي وأختيه هما أيضاً غير حقيقيتين، متزامناً مع ذلك أن أستشيلس لم يكن لديه شك في أن ماردوس - كما يسميه هو- ملك شرعي، وأنه قد ذبح علي يد المتآمرين، ليس من دارا (Darius) ولكن من أرتافرنيس أحد السبعة الذين كانت أسماؤهم الهلينية

هي دافرنيس، ولقد أوضح زينوفون أنه بمجرد موت قورش (Cyrus) بدأ ابنه في الدخول في صراعات مدنية.

إن هناك حاجة ضرورية من أجل المناصرة وبشأن زيجاته إلي أتوسا وأرتيستون بنات قورش (Cyrus) ، وإلي فاديم ابنة واحد من السبعة أوتانيس الذي أحب أن تكون أتوسا زوجة لقمبيز (Cambyses) ، وبعد ذلك لبارديا (Bardiya) ، وكذلك إلي ابنة بارديا (Bardiya) الوحيدة بارميس، وأخيراً وليس آخراً كان دارا (Darius) يصر دائماً علي أن كل معارضيه وخصومه وخاصة بارديا (Bardiya) المزيف كانوا جميعاً كاذبين رغم اقتناعنا بهم، وفي السيرة الذاتية لدارا (Darius) ، ومباشرة بعد البروتوكول أو الوثيقة التي تقول إن أهورا- مازدا (Ahura- Mazda) قد أعطاه وأسبغ عليه السلطان، فقال: «هذه هي الأراضي التي تتبعني بفضل من أهورا- مازدا (Ahura- Mazda) ، لقد كنت ملكهم»، بعد ذلك سجل قائمة بالولايات الثلاثة والعشرين، لقد جعلنا دارا (Darius) نصدق أنه أثناء قبوله كانت كل هذه البلدان تدين بالولاء، ولم تقم بالثورات، ... الخ، والأكثر من ذلك أنه وفي قصته يضيف أنه عندما قتل المجوسي، فإن إيلام وبابل قد ثارتا، ولكنه لا يزال مصراً علي أنه إذا لم يحدث حتي احتلال بابل أن الثورات الأخري قد حدثت في بلده الأم وهي بارسا في إيلام، ومرة ثانية في مدين، ثم سوريا، ومصر، وبارثيا (Pathia) ، ومارجيانا، وستاجيديا، وساكا، والآن دعونا نختبر صدق ادعائه هذا.

ثورة الشعوب المحتملة:

في عائلته الخاصة نجد أن جده أراسميس، ووالده هيستاسبيس (Hystaspes) عندما كانا صبية، فإن الأول لم يشغل أي منصب أو يتولي أية مسؤولية، أما الثاني فقد كان والياً علي بارثيا (Pathia) ، وعلي هيركانيا (Hyrcania) ، ولكنه لم يقدم أية مساعدة سواء قبل الاجتياح أو بعد ذلك،

وولايتان هما دادارشيش في باكترا، وفيفانا في القوقاز كانت لدارا (Darius) ، ولكـن الأراضي الباقية كانت إما تعج بالثورة، أو علي الأقل علي غـير اتفـاق معـه، بيـنما - كما أوضح دارا (Darius) نفسه- تقبلت الإمبراطورية كلها بارديا (Bardiya) دون أي سؤال، وقد جدد اغتياله الآمال نحو تحقيق الاسـتقلال الـوطني، والـذي نتجـت عنه الطقوس الغريبة للثوار بين الشعوب الخاضعة (المحتلة).

إن الولايات الفارسية الطامحة كذلك استعدت للمزايدة عـلي العـرش الحـالي، حتي في ولاية أبيه في بارثيا (Pathia) وهيركانيا (Hyrcania) كان هناك نزاع حزبي، والذي رفض أن يتقبل الابن كملـك، وعنـدما أعلنـت كـل مـن دادارشـيش وفيفانـا تأييدهما لمغتصب العرش كانت باكترا قد تم غزوها من قبل مارجيان فرادا، وكانت هناك كذلك معارضة مسـلحة في أركوزيـا (القوقـاز)، وكانـت سـوجديانا قـد مزقهـا الثـوار المارجيـانيون، وهوجمـت عـن طريـق المغـيرين مـن السـاكي، وعـرف دارا (Darius) علي أنه المخلص للدولة، ولديه ولاء لهذه البلاد التـي تطـل عـلي البحـر، وهي سردينيا وسارديس وكونيا، وهـذه الولايـات الثلاثـة لم يطلـق عليهـا أبـداً أنهـا متمردة، وذلك في السيرة الذاتية، ولكن هناك قصة إغريقية تعطـي صـورة مخالفـة لذلك: «تولي أوروستيس ولاية سردينيا في السنوات التالية لقورش (Cyrus) ، وقبيل نهاية عهد قمبيز (Cambyses) ادعي أنـه جلـب لنفسـه السـأم الملـكي، وقـد دعـا أوروستيس بوليقراط لزيارته في ماغنيسيا أعتي الطغاة وأكثر المستبدين في ساموس؛ ولهذا تم خداعه وقتله وتم صلب جثته في الفترة التي حـدث فيهـا تـداخل وعـدم فهم، والتي أعقبت بارديـا (Bardiya) ، فـإن أوروسـتيس ذبـح ميتروبـاتيس حـاكم داسيليوم.

ولقـد أرسـل دارا (Darius) رسـولاً ملكيًّـا إلي أوروسـتيس، وفي طريـق عودة هذا الرسول كان هناك كمين معد له، وتم الهجوم عليه وقتلـه، وبعـد

ذلك فإن دارا (Darius) لم يزل ضعيفاً جدًّا، وكذلك قد تم تتويجه حديثاً من أجل نضال مفتوح، ولقد أرسل دارا (Darius) باجيورس، وهو ابن أرتونتس إلي سردينيا، ومعه خطابات مغلقة، والتي من خلالها يختبر مدي ولاء الكاتب، وكذلك الحراس ممن يحملون الحراب، فعندما يطيع هؤلاء الأوامر المعطاة لهم من أجل موت أوروستيس، ولهذا أصبحت سردينيا وداسيليوم ولونيا معافين، وبالرغم من أن دارا (Darius) قد قتل بارديا (Bardiya) في مدين، فإنه لم يستطع أن يضم تلك البلدة، وبالجيش الصغير ممن استطاع إقناعهم بدأ يستعيد بابل.

وللعلم فقط، فإن مدين نفسها قد نشأت تحت اسم وطني وهو فرافرتش أو فراورتس، ولقد افترض الثوار مع ذلك اسماً للبطل العظيم في مدين كاشاتريتا، وألمحوا إلي أنه كان أصل أوفاكاشترا أو سياكساريس بالرغم من حقيقة أنه كان أي شيء إلا أن يكون آريًّا، فرأسه المستدير، وأنفه الأفطس، وعيناه الغائرتين، وعظام خديه البارزة كانت كلها ذات تناقض حاد مع لحيته الطويلة وقصة الشعر في مقدم رأسه، والكعكة من الشعر خلف رقبته، والحذاء ذي الرقبة الطويلة، والتنورة القصيرة، والحزام الرفيع يجعلنا نعرف أنه زي أصلي من مدين.

ولقد فازت قوات القصر في إكباتانا علي القوات الأخري في مدين من راجا، والتي خضعت واستسلمت، وتبعتها في ذلك كل من سوريا، و- ظاهريًّا- أرمينيا وكابادوكيا، ولقد تم إرسال جيشين إلي كل من بارثيا (Pathia) وهيركانيا (Hyrcania) ، وكذلك فإن هيستاسبيس (Hystaspes) لم يكن قادراً علي منح مميزاتهما، ويبدو أن فرفارتيش أعاد إنشاء الإمبراطورية السابقة في سياكساريس.

بارسيا .. الأرض الأم بالنسبة لدارا (Darius) كانت قد فقدت من أجل اسم بارديا (Bardiya) المقتول فهو فايازداتا الذي ترعرع في ترافا في يوتيا من أعمال كارمينا، وكانت طبيعته ارتداء الروب الطويل المنسدل

علي الأرض، وحذاءه ذا الرقبة الطويلة، وشعره المجعد الذي يظهر في الرسم أو اللوحة التي بها شبيهه المزيف، إن الفرس في قصر قورش (Cyrus) في باسارجاداي أعطوه الشرعية بالرغم من أنفه البارز المسطح، ورأسه المستدير، وذقنه الخالية من الشعر، والتي تصرخ بشدة وتقول إنه أيضاً لم يكن من الآريين.

لقد أرسل فايازداتا جيشاً ضد أركوزيا (القوقاز)، وقبل أن يصل إلي البلدة كان لا بد له من تأمين آريا ودرانجيانا، ولقد أعلنت إيلام استقلالها تحت قيادة هاشينا ابن أوكوبترنما، هذا القائد تم تصويره بأنه له أنفاً مدبباً وقصيراً وعظام خديه بارزة بشكل ملحوظ، وله شارب ثقيل، وذقن محددة لا تشبه بالمرة أيًّا من المتمردين الآخرين، وعندما وصل دارا (Darius) إلي دلتا بابل بعد الخروج من مضيق زاجروس أرسل رسولاً ملكيًّا إلي إيلام، والذي يكفي مظهره لأن يخيف ويرعب المواطنين، ويقومون بتسليم حاكمهم الجديد إلي دارا (Darius) الذي أمر بقتله، ووصلت الأنباء سريعاً جدًّا - بالنسبة إلي إعدام بارديا (Bardiya) - إلي بابل في الثالث من أكتوبر عام 522، وذلك بعد أربعة أيام فقط من حدوث الإعدام، وذلك قد أسرع من ثورة البلدة ضد الأجانب.

وبالنسبة إلي رعاياه الراغبين، فإن الملك الجديد الذي يؤرخ إليه هذه المستندات كان نبوخذنصر الثالث بن نابوه- نيد وآخر الملوك المستقلين لبابل (تبعاً لدارا (Darius) وبالرغم من أن اسمه الحقيقي هو نيدينتو بل بن أنيري، ويتم تصويره علي أنه رجل عجوز ذي وجنتين غائرتين - كما تبدوان- وشفته العليا القصيرة، وذقنه المليئة بالنتوءات ذات الشعر الخشن، وأنفه المنتفخ البارز، وعلي جبهته يظهر شعره المموج الذي يسترسل إلي الخلف علي هيئة مروحة، وتحت أذنه تتدلي خصلة من الشعر، والجزء الخلفي من رقبته محلوق، ويرتدي قميصاً واحداً نصفه السفلي مرفوع لأعلي ليكشف عن ركبتيه العاريتين، وحول

خصره مجدول بإحكام مكوناً حزاماً، وعمره يعطي تصديقاً لادعائه بأنه ابن نـابوه-نيد الذي مات منذ سبعة عشر عاماً مضت.

إلي أي مدي يمكن أن يكون هذا دارا (Darius) الذي وجد كاذباً عندما أدخل بابل ضمن الولايات التي كانت تـدين بـالولاء في بدايـة فـترة حكمـه، ولقـد أوقـف نبوخذنصر القوات في القصب الكثيف المزروع علي طول التيجريس لكي يقبض علي كل القوارب، ولكي يقبض علي كل القوارب، ولكي يحرس المعـبر، ولقـد طـوقهم دارا (Darius) عن طريق نقله لجنوده علي القرب المنفوخة - تماماً كما يظهـر بوضـوح في الصور الموجـودة في النقـوش الآشـورية، وكـذلك كـما رأينـاه نحـن بأنفسـنا مـن استخدامها في العصر الحديث، ولقد تم إحباط وهزيمة هذه الفصـيلة مـن الجـيش في الثالث عشر من ديسمبر.

وكانت هناك معركة ثانية استمرت لمدة خمسة أيام بعد ذلـك في زازانـا عـلي إيوفراتيس وذلك مع نبوخذنصر نفسه، والـذي تـم خداعـه، فـالقوات البابليـة تـم سـحبها إلي المـاء، وفي الوقـت نفسـه قامـت قـوات المتمـردين بالـدخول إلي بابـل، وبسرعة تم أسره وذبحه، وفي الثاني والعشرين من ديسمبر عام 522، فإن بابـل قـد أرخت بداية عهـد دارا (Darius) ، وذلـك مسـجل عـلي الألـواح فيهـا: «عهـد دارا (Darius) ملك بابل، ملك الأراضين»، بينما هناك يبـدو دارا (Darius) وقـد احتـل الـقصر الشـمالي لنبوخـذنصر، وكـذلك فإنـه وأثنـاء وجـوده في بابـل يوضـح دارا (Darius) أن كلاً من بارسا وإيلام وستاجيديا وساكا كانت ثـائرة، بيـنما أريانـديس بقيت كولاية تحت حكم قمبيـز (Cambyses) ، والـذي أبعـد المصريـين بقسـوته، ولهذا تم إقصاؤه، وقد أخرج معه الفارسي السابق إدجوريسـين الـذي قـام بالـدفاع التالي: «لقد كنت رجلاً صالحاً في مدينتي، وقد تسلمت سـكانها وقاطنيهـا وهـم في حالة فوضي عظيمة واضطراب هائل، والذي كان سارياً في كل الأرض، ولكن مثله لم

يحدث في هذه الأرض، ولقد حميت فيها الضعيف من القوي»، وهناك رجع متأخر للصدي لكتاب «القانون لحمورابي»: «أنا حافظت علي الخائف من ضرر الشرير، لقد فعلت لهم كل شيء نافع في الوقت الذي كانوا فيه يحتاجون إلي ذلك، لقد أعطيت مقابر فارسية لمن لم يكن لديه مقبرة، وقد دعمت أطفالهم جميعاً، وساندتهم، وقد أنشأت لهم كل منازلهم، وفعلت لهم كل ما هو نافع ومفيد كالأب الذي يفعل ذلك من أجل ابنه، وذلك عندما حدث الاضطراب والفوضي في تلك الولاية وعمت كل الأرض».

انتفاضة الأراضي الخاضعة (المحتلة):

لكن المد قد بدأ في الدوران، لقد قام دادرشش من باكترا في التاسع من ديسمبر بطرد قائد مارجيانا فرادا ذي الأنف المسطح واللحية الطويلة المدببة، والذي ربما يكون قد اغتال النبي زوروستر، وفي وقت لاحق، فإن مارجينيا نفسها قد عادت إلي الحياة من جديد، ففي التاسع والعشرين من ديسمبر، وفي حصن كابشاكانش هزمت فيفانا الغزاة، والذين أرسلوا عن طريق فايزداتا من بارسا ضد القوقاز، وفي اليوم الأخير من العام ربح فوميسا الحرب، وانتصر في إيزالا التابعة لسوريا، مجمع التلال في طور عابدين، وبالرغم من أن الجيش الفارسي والميدي الذي مع دارا (Darius) قد أصبح صغيراً، إلا أنه استنفذ قواته أكثر وأكثر من خلال إرساله جيشاً بقيادة فيدرنا - أحد السبعة- ضد ميديا.

ولقد حدثت مناوشة أو مشادة كلامية في ماروش، وذلك في الثاني عشر من يناير عام 521، حيث أكد دارا (Darius) علي أن المعارضة العامة لم تكن قادرة علي أن تأخذ مكانه، حيث إنه قد أجبر فيورنا علي وقف تقدمه حتي يستطيع سيده دارا (Darius) أن يدعمه؛ ولهذا فقد عسكر في

كندبادا في السهل الكبير في كرمنشاش، والذي تم احتلاله مرة عن طريق القبيلة الإيلامية في هامبان.

إن استسلام هاشسنيا قد أعطي الفرصة فقط للفارس الحقيقي (الأصيل) مارتيا ابن تشيكريش من كوجاناكا لكي يهبط بالطريق المباشر من بارسا إلي صوصا، ويعلق أومانيش نفسه - وهذا هو اسم ملك إيلام الذي كان يخشاه السوريون موبانيجاش- علي النقش (نجد أن وجهه مشوهاً، ولكنه يرتدي روباً يخفي ذراعيه، ومرفوع لأعلي ليعطي انطباع القميص، وتظهر كذلك التنورة)، ولقد ترك دارا (Darius) بابل مبكراً في فبراير وقبل أن ينطلق باتجاه بوابات زاجروس، حيث انعطف سريعاً إلي صوصا؛ لذا فقد قام الإيلاميون من الخوف بقتل مارتيا.

والآن يستطيع دارا (Darius) أن يرسل قوة بقيادة أرتافارديا، والذي كانت قواته في القوقاز قد تم سحقها في مقاطعة جاندوتافا في العشرين من شهر فبراير، ولقد كان الفرار العام إلي حصن أرشادا، حيث تم أخذه وذبحه هناك علي يد فيفانا، وفي السادس من مارس استطاع هيستاسبيس (Hystaspes) أن يهزم الثوار المتمردين البارثيين، والذين ينتمون إلي فرافارتيش بمدين، وذلك في فيشبوزاتش، ولكن دارا (Darius) نفسه مع الجيش الفارسي الرئيس مر مرة أخري بزاجروس، واتحد مع قوات فيدرانا في كانبادا، وفي الثامن من مايو استطاع أن يهزم فرافارتش في كوندوروشن، وقد كانت تلك هي المعركة الحاسمة، وبملاحظة هذه الحقيقة، فإنه بعد ذلك بقليل اختار تلك البقعة من أجل نحت النقوش التي تحيي ذكري انتصاراته.

ولقد هرب فاردتيش مع عدد من الخيالة إلي راجا في ندين الثانية، ولكن تمت ملاحقتهم وإعادتهم، وتم قطع أنفه وأذنيه ولسانه، وفقأت عيناه، وتم عرضه أمام أعين الناس حتي أصبح دارا (Darius) مستعداً لكي يعدمه علي الخازوق، وقام بشنق أعوانه في حصن إكباتانا، إن

القسوة في العقاب، والتفاصيل التي تم سردها بها تـدل عـلي مـدي الخطـورة لهـذا الميدي (المقصود هنا هو دارا (Darius)).

وفي العشرين من مـايو كـان هنـاك دادرشـش هـذه المـرة مـن أرمينيـا، وقـد استطاع أن يهزم الرجـال مـن أهـل بلـده في زوزو، وبعـدها بأربعـة أيـام وفي راخـا ببارسا هزم أرتافارديا المدعو فايزداتا، والذي بالرغم من ذلـك هـرب وجمـع جيشـاً آخر في بشيوفادا، وبعد ذلك بستة أيام حقق الأرميني دادرشـش انتصـاره الثـاني في حصن تيجرا.

وفي الحادي عشر من يونيو حقق فوميسا انتصاره الخـاص الثـاني في مقاطعـة أوتيارن في جبال تيران، وحتي يومنا هذا، فإن المسيحيين السوريين قد حافظوا عـلي استقلال مشكوك فيه في الثلاثين من يونيو، حيث أعلـن انتصـاره الثالـث في حصـن يواما، كيف يمكن لتلك الانتصارات المزعومة أن يتم ملاحظتها في الوقت الذي كـان فيه كل من فوميسا ودادرشش يجب أن ينتظروا قدوم دارا (Darius) شخصيًّا؟

مباشرة، وبعد إعـدام فارفـارتش، وفي الوقـت الـذي كانـت فيـه بارسـا في أوج ثورتها، فإن دارا (Darius) ترك جزءاً من جيشه في حصن إكباتانا، وأخيراً، وفي أبريل أسرع شرقاً إلي راجـا، ونـري هنـا أنـه لا زال يسـتنزف قواتـه عـن طريـق إرسـالهم لمساعدة أبيه، وحتي ذلك لم يقلل من ولاء الرعية في بارثيا (Pathia) وطاعتهم لـه، فلقد وصـلت الأنبـاء عـن المعـارك الحاسـمة في سـوريا وأرمينيـا، حيـث اتجـه دارا (Darius) ناحية الغرب باتجاه بحيرة أروميا وجورج رواندا، ووصل إلي أربيلا أخـيراً في السابع والعشرين من يوليو.

ساجارتيا الجزء الشرقي من إمبراطورية مدين قـد تمـت اسـتعادتها عن طريق فرافارتش، والذي اغتنم فرصة النشأة في كنـف تشـيثراتاخاما الساجارتي الأصل، والذي أحب فرافارتش الـذي يسـتحق أن يكـون مـن عائلة سياكساريس، إن القوات الفارسية وقـوات مـدين التـي تركـت في

الخلف في حصن إكباتانا تمت قيادتها ضده عن طريق المدني تاكماسباد، وقد تم أسر هذا المتمرد في المعركة، وأحضر إلي دارا (Darius) في أربيلا، وهناك لقي مصير فرافارتيش نفسه، وقد استطاع هيستاسبيس (Hystaspes) بمساعدة الجيش الفارسي الذي أرسله إليه ابته من راجا في الحادي عشر من يوليو أن ينجح في هزيمة معارضيه في الحكم الجديد في باقي جرابانا وبارثيا (Pathia) ، والتي أصبحت أخيراً آمنة، وبعد مرور أربعة أيام أمسك أرتافارديا بفايزداتا وجيشه المنشأ حديثاً عند جبل بارجا، حيث وصلت أنباء ذلك إلي دارا (Darius) الذي أصدر أمراً ملكيًّا، فتم وضع المطالب باسم بارديا (Bardiya) وقادته الرسميين علي الخازوق، وذلك في أوفادايشايا.

إن اللوح البابلي الأخير المعروف لدينا، والذي يذكر دارا (Darius) كان مكتوباً في سيبار، وذلك في الثامن من سبتمبر، وفي اليوم الذي يليه كان هناك لوح آخر يؤرخ بواسطة نيبوه أن نبوخذنصر كان يتم إعداده في أوروك، ولقد بدأت ثورة أخري في قرية أخري غير معروفة في دوبالا علي ما يبدو في جنوب بابل، وبالغم من مرور بعض الوقت قبل أن يستطيع المطالبة بلقب ملك بابل، وعندما تم احتلال العاصمة، والذي تم في الحادي والعشرين من سبتمبر، وبالرغم من مناداة دارا (Darius) بأنه أرميني، فإنه بم يكن من قبائل البدو الرحل الآرية الحديثة، والذي أعطي الأرض اسم أرمينيا، واسم والده هو هالديتا، هالديش المقدس - كبير الآلهة بالنسبة لشعوب هالدينا- بينما نجد أن أنفه المفلطح، وعينيه الصغيرتين شبه المغلقتين، وشعره المنسدل، وذقنه ذات الشعر النافر تعطي دليلاً أكبر علي أنه في الحقيقة يمثل اللبنة الأقدم.

وفي السابع والعشرين من نوفمبر عام 521، فإن نيبوه نبوخذنصر الرابع المزيف مثل الثالث الذي عرف علي أنه ابن نيبوه- نيد، وقد تم أسره بواسطة فيندافارنا وهو واحد آخر من السبعة، وبأمر ملكي قد تم أخذه هو

وريس حكومته الذي كان يدعمه ووضعهم علي الخازوق في بابل، ولا يزال السكان الأصليون يتذكرون النهب الذي حدث للمقابر الملكية، وخاصة مقبرة الملكة نيتوكريس، وأنه أثناء الثورات اختفي المرزبان جوبرياس - حاكم الولاية- وفي الحادي والعشرين من مارس عام 520 عين حاكم جديد في بابل وهو هيستانيس - كما يسميه الإغريق- ولكن بالنسبة للسكان الأصليين كان يعرف علي أنه أوشتاني حاكم بابل، وبالطبع حاكم النيل.

السيرة الذاتية وآثار دارا (Darius) :

مع نهاية سبتمبر عام 520، فإن هناك كاتباً خفيًّا قام بإعداد السيرة الذاتية للملك، وفي كل فقرة كانت تستهل بـ: «يقول دارا (Darius) الملك ...»، إن القصة كانت تخبرنا كيف أن الكذب في عهد أسلاف دارا (Darius) قد جعل الأراضي تثور، وكيف حارب هو وخاض تسعة عشر معركة، وقبض علي تسعة ملوك، وفي قضائه الناجح علي تلك الثورات يقول: «هذا ما صنعته خلال عام واحد بعدما أصبحت ملكاً، فإنه وفي الحقيقة قد أخذ القضاء علي تلك الثورات وقتاً طويلاً نسبيًّا من السابع والعشرين من نوفمبر عام 522 وحتي التاسع والعشرين من سبتمبر عام 521، إن إحصاء عدد الأعداء الذين قتلوا أو جرحوا أو أسروا، وكذلك أماكن المعارك وتواريخها الدقيقة باليوم تدل علي دقتها، وحتي لا ندع قارئ المستقبل يعتقد أن هذا الحساب كان كاذباً، فإن أهورا- مازدا (Ahura- Mazda) هو الشاهد علي صدق ذلك»، وفي الحقيقة فإن هناك الكثير مما قد تم إنجازه، ولكنه غير مسجل هنا.

إن الخشية في المستقبل هي أن يكون ذلك أكثر من اللازم «أهورا- مازدا (Ahura- Mazda) جاء بي للمساعدة، وكذلك الآلهة الآخرين الذين لم يكونوا علي غرار زوروستر»، إن دارا (Darius) لم يكن موحداً خالصاً،

«بسبب الاستقامة التي كنت أسير بها ليس بالضعف الشديد، ولا بـالقوة المفرطـة، فهل ارتكبـت أنـا خطـأً مـا؟» لـيس فقـط أنـه كتـب باللغـة المسـمارية والفارسـية والإيلامية والأكادية، ولكنه أيضاً قد عمل نقوشاً بطرق أخري باللغة الآرية، والتي لم يكن معمولاً بها من قبل.

لقد ظهرت اللغة الآرامية كلغة طبيعيـة يتعامـل بهـا السـفير الأخمينـي مـع الولايات الغربية، كما تم إثباته باستفاضة في المراسيم الملكية إلي اليهـود منـذ عصر قورش (Cyrus) وما بعده، وقد ورد ذلك في عـزرا، إن الحـروف الأبجديـة الآراميـة تستخدم اليوم في الكتابة الفارسـية، واللغـة المسـمارية لبابـل كانـت تكتـب بكـثرة بالصور والرموز، حيث إن علامة واحدة يمكن أن تعبر عن كلمة كاملة.

إن القليل من الصور والرموز عاشت في الكتابة الفارسية المسـمارية، أمـا الآن فهناك العديد من الكلـمات الآراميـة تسـتخدم بـدلاً مـن ذلـك؛ لهـذا فـإن النظـام البهلـوي (البهلويـة هـي لغـة الفـرس الساسـانيين) ذا الكتابـة التـي نصـفها رمـوزاً ورسومات تم اسـتخدامها «لقـد كانـت تكتـب وتقـرأ لي» هـو المفهـوم ضـمناً مـن الكاتب الخفي، والسيرة الذاتية استمرت في كل الأراضي بعد ذلك.

إن هناك عموداً حجريًّا من بابل قد حفظ جزءاً من الترجمة الأكادية، كذلك فهناك ورقة بردي من إلفانتين تدل علي أنه كانـت هنـاك نسـخة آراميـة قـد تـم إعدادها لكي يستخدمها معسكر المرتزقة اليهود، وبعدما بلي هذا نتيجة المداولات الكثيرة فإنه لا تزال هنـاك نسـخة أخـري قـد تـم عملهـا، والـنص الكامـل للسـيرة الذاتية باللغات الثلاثة الرسمية التي تم اسـتخدامها، وهـي المسـمارية والفارسـية والإيلامية والأكادية كانت قد نحتـت فـوق البقعـة، حيـث كانـت هنـاك المعركـة الحاسمة التي حارب فيها كوندوش، وتحتها يجري الطريق الرئيس من بابل خـلال بوابات زاجروس، وبعد ذلك علي طول الهضبة حتي إكباتانـا سـتة وخمسـين مـيلاً

في الاتجاه الشرقي، ويختفي خلف سلسلة الحواجز العالية وبجوار الوادي الجـانبي من سهل كرمانشة، حيث خط الجبال التي تغلق السـهل فجـأة في نهايتـه الشرقيـة بمهماز ضخم، وعلي ارتفاع نحو 500 قدماً إلي أعلي حيث توجد بركة تتجمع مياهها من عين متفجرة من خلال شق في الصخور، والذي أدي إلي وجـود منحـدر صـخري شديد الانحدار، وينتهي ذلك بنقش كبير مصاحبة له قائمة يصـل حجمهـا إلي عشرة أقدام عرضاً في ثمانية عشر قدماً طولاً.

وقبالة المنصة الملكية العائمة لأهورا- مـازدا (Ahura- Mazda) ، نجـد الإلـه ذا اللحية، حيث يرتدي قبعة اسطوانية الشـكل تشـتعل مـن أعـلي بضـوء سـاطع، ويمكن ملاحظتها وتمييزها من الملك عن طريـق قـرون الإلوهيـة، وكـذلك الثمانيـة أقراص الشمسـية المشـعة، وكلهـا تنتمـي إلي الأصـل السـوري، ورداؤه هـو الـروب المتدلي الذي أكمامه بالكامل تنحنـي إلي أسـفل حتـي المعصـم ذي السـوار، ويـده اليسري تقبض علي الخاتم الذي يمنح السلطة والقوة للملوك، وراحـة يـده اليمنـي ممدودة بالبركة، وهو مرفـوع إلي أعـلي فـوق حلقـة ضـخمة عـلي جانبيـه يتصـل جناحان طويلان علي شكل مستطيل، ممتلئة بخطوط متوجـة ومقسـمة إلي ثلاثـة أجـزاء بواسـطة تجاعيـد، كـذلك فهنـاك ذيـل مـا معـالج بالطريقـة نفسـها مثـل الجناحين، ومقسم إلي قسمين، وتتـدلي مـن الحلقـة أجسـام تـم وصـفها عـلي أنهـا بقعتان مضيئتان كل منهما علي شكل شوكة، ولكـن مـن الأرجـح أن يـتم وصـفهما علي أنهما رجلان مخلبيتان للنسر المصري الذي يرمز إلي الإلـه المصـدق، وبالنسـبة لتمثال دارا (Darius) فهو نوع آري رفيع ذو حـاجبين مـرتفعين، وأنـف مسـتقيم، واقفاً بطوله الطبيعي خمسة أقدام وعشر بوصات، وعلي رأسـه التـاج، وقبتـه بهـا شرفة ذهبية ذات فتحات مرصعة بجواهر ذات شكل بيضاوي ولون وردي، وشعره مجعد بعناية، وشاربه متدلٍّ مبروم، وشعره الخلفي يكون كعكة كبيرة علي رقبته من

الخلف، والتي تقريباً تصل إلي شحمة أذنه، ولحيته المربعة مرتبة في أربعة صفوف مجعدة بالتبادل مع خصلات مستقيمة بالمثل كما كان الحال مع أسلافه من الآشوريين، والرداء الطويل يغطي جسمه القوي القصير، وأكمامه قصيرة جدًّا حادة ومدببة تسمح فقط للمعصم السمين والأيدي أن تظهر، وتتدلي تلك الأكمام إلي الأسفل علي الجانبين، وتسمح بملاحظة السروال من أسفل، ومن ثم حذائه ذي الرباط القصير، ويد الملك اليسري تقبض علي قوس مشدود، وفي طرفه رأس بطة، ويده اليمني مرفوعة في سيادة وعظمة ومقام رفيع كأهورا- مازدا (Ahura-Mazda) ، وخلفه يقف حامل القوس الملكي بجعبة السهام، وكذلك حامل الصولجان فيما يبدو أنه جوبرياس وأسباثين، وهما يرتديان الزي نفسه تقريباً مثل سيدهما، ولكن الفارق هو اللحية المستديرة، والعصابة المحلاة أو المزينة بثماني وردات مدببة.

وفي أسفل الطريق عند بوابة آسيا، فإن الفاتحين الأوائل أعطوا لأنفسهم رتباً يفتخرون بها، ويجعلون أعداءهم يرتعدون منهم خوفاً، وهذه الصورة نفسها كان عليها دارا (Darius) ، فتحت القدم اليسري للملك يستلقي جوماتا (Gumata) علي ظهره وإحدي قدميه مرفوعة من شدة الألم، وهو مقيد بالحبال، ويمد يديه متوسلاً، ويقف الفاتحون ممسكين بالثوار والمتمردين، واضعين الحبال حول أعناقهم، وكذلك فإن أيديهم مقيدة خلف ظهورهم.

وعالياً، وفي النقش البارز أعلي الطريق الذي يتضاءل ويتقزم بالنسبة لما حوله من مهابة وجلال، إننا نتعجب كيف أن دارا (Darius) توقع سيرته الذاتية بالغم من أنها قد نقشت حول الرسم البارز باللغات الثلاثة وبالطريقة المسمارية لكي تتم قراءتها عن طريق المسافر في الأسفل، إن المنظر الأول لهذا الأثر الشهير بلا شك يوحي بأنه مخيب للآمال.

وما كاد ينقضي قرن عندما قام واحد من الفيزيائيين اليونانيين بزيارة

واحد من السلالة الملكية لدارا (Darius) ، وستيسـياس (Ctesias) يعـرف أن هـذا الجبل كان يسمي باجيستانوس، وأنه كان مقدساً بسبب الإله الأسمي لدي الفـرس ويسمي زيـوس، فلقـد رأي الحديقـة وهـي تسـقي عـن طريـق عـين كبـيرة للـماء، والمنحدر الصخري الـذي يقـدر ارتفاعـه بنحـو أكـثر مـن ميلـين، والـنقش والنحـت بالحروف الآشورية، ولكن بالنسبة لدارا (Darius) فيبلغ ارتفاعه أربعة عشر قدماً، إن أسلافه لم يحفظوا ذكري موتاهم أو حتي أسماءهم.

الفصل التاسع

المشروع الجديد

بعد عامين من العمل الشاق، حصل دارا (Darius) علي الإقرار بكونـه ملكـاً يبسط ملكه علي معظم غرب آسيا، وقد مكنته لحظـة التقـاط الأنفـاس مـن تأمـل ومراجعـة حالـة الإمبراطوريـة الضـخمة التـي أصـبحت تحـت حكمـه بالفتوحـات العسكرية وانتصاراته المتعددة، وقد جلبت هذه السنوات من الثورات فوضي كبيرة في معظم المناطق، وأظهرت بالتالي ضعفاً غير متوقع في التركـب الإمبراطـوري، وقـد كان دارا (Darius) - علاوة علي كل ذلك- إداريًّا بـالفطرة، وخـلال بـاقي حكمـه المزدهر كان عليه أن يكرس القـدر الأكـبر مـن طاقاتـه إلي المهمـة الحتميـة، وهـي إعادة تنظيم الإمبراطورية.

وكانت أولي القضايا التي تحتاج إلي حسم هي موقع عاصمة الإمبراطورية، وبيـنما كانـت بارسـا Parsa في حالـة ثـورة، فقـد قـرر الملـك أن يؤسـس مركـزاً إمبراطوريًّا جديداً في أرضه الوطنيـة، وفي الوقـت نفسـه، بمجـرد اسـترداد مدينـة إيلام Elam استقر دارا (Darius) مؤقتاً في صوصا، حيـث بـدأ في تشـييد قصره، وقد كان يشغله بنهاية العام الحاسـم 521، وفـور اسـتقراره، حـول اهتمامـه إلي أول إصلاح مقترح، وهو إصدار قانون جديد يكون ساري المفعول، ومطبقـاً عـلي كل أرجاء الإمبراطورية، وقد أشار في سيرته الذاتيـة التـي كونهـا في عـام 520 إلي

أنه «بفضل أهورا- مازدا، فإن هذه الأراضي تدين لقانوني بالولاء والطاعة، وكلما أمرتهم بشيء يؤدونه تماماً»، وهذا لم يكن تفاخراً أجوف، ففي أوائل عام 519 - وكان العام الثاني لحكمه- نجد أن كتاب القانون قد تم تطبيقه بين أهل بابل «تبعاً للقانون الملكي فسوف يقومون بكل ما هو خير»، وهو الذي استبدل الكفالة العادية للمقيم الذي يسجل لديه ببيع العبيد.

ولفظ «القانون» هو لفظ حديث حل محل اللفظ التقليدي «الحكم»، ولدينا الكلمة الإيرانية Dat ، وعرفت طويلاً في اللغة العبرية Datb من كتاب إيسثاري Esther ، بينما يتطابق معني Data Sba Sharri في النصوص البابلية مع Datba Di Malka ، وهو معروف جيداً من مرسوم الملك أرتاكسركسيس Artaxerxes الأول المسجلة في كتاب عزرا Ezra .

وهذا هو القانون الذي يكون «قانون التعاليم الصالحة» والتي جمعت وروجعت وتم دمجها في كتاب القانون الجديد تحت عناية دارا (Darius) نفسه، وهذا لا محل للشك فيه، ويتضح أيضاً من سرعة إصدار القانون وتفعليه أنه كان مبنيًّا علي أصول قانونية سابقة له.

المصادر البابلية:

اعترفت بابل التجارية منذ بداية التاريخ المدون بسيادة القانون، والقانون السائد في بابل الذي قدمه القضاة لم يكن قانوناً عرفيًّا فهمه القانونيون الأوروبيون، ولكنه كان أقرب إلي القانون العام لشعوب الأنجلوساكسون Anglosaxon الذي يقوم علي أصول قديمة سابقة له، وهذا يعني «أن ذاكرة الإنسان لا ترجع إلي الوراء»، ومما قد سبقه - كما توضح كل حالة لكل تخصصات القانون- فالقاضي يحكم في قضية منظورة أمامه بناءً علي سوابق قانونية مطابقة، ومن أجل مساعدته كان هناك ما نعرفه حاليًّا بسجل الحالات المماثلة الذي تطبقه المدارس

القانونية في عصرنا اليوم، وبالرغم من أن هذا السجل قد تم الترويج له عن طريق السلطة الملكية وصرح به بموافقة الآلهة، وهو بهذا المعني لا يصبح قانوناً عرفيًّا.

وفي أوقات متنوعة من الثلث الأخير من الألفية السابقة توافرت كتب الحالات القانونية باللغة السومرية الحديثة، وكان الاصطلاح المعتاد لكل حالة كما يلي «إذا فعل الإنسان ذلك فسوف ..»، وتتبعه نتيجة محددة، وهذا الاصطلاح كان مستخدماً عند حمورابي الذي لدينا كتاب كامل في القانون له، «وهو يطلب إقامة العدل والحق في لغة الأرض»، وهذا الكتاب يترجم الحالات السابقة من اللغة السومرية إلي اللغة الأكادية الحديثة، وبالفعل توجد دلائل كافية عن حدوث تطور مطرد لتبني هذا الكتاب في إجراءات قانونية متقدمة حتي يتكيف مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية في حالات جديدة.

وقد دونت مجموعة القرارات في ص121، وقد حفظت علي الطمي كوثائق محفوظة، وفي أرشيفات إيساجيلا Esagila ، وهو معبد عظيم لماردوخ Marduk المعبود البابلي، وإذا أردنا أن نعرف كيف تبدو فعلينا مطالعة النسخ الحديثة المصنوعة في وثائق مستطيلة كبيرة من خمسة أو ستة أعمدة قد تم استرجاع تلك الوثائق من أنقاض إيكور Ekur معبد إله قديم لنيبور Nippur من أجل الاستخدام الميسر لهذا الكتاب، فقد قدم في شكل مخروطي بترجمة حرفية للنص القديم واللغة التي ما زالت تستخدم في الكتابات الأثرية، وقد نقش علي أعمدة أثرية من الصخور النارية الصلبة في إيساجيلا Esagila ، حيث يمكن للقاضي والخصوم علي حد سواء الاطلاع عليها، وقد وضعت القوانين تحت رعاية إله الشمس شاماش Shamash ، وكان المشرع المقدس الذي يصور علي الأعمدة الأثرية هو حمورابي كواهب للسلطة اللازمة لهذا القانون.

تم في عصر أحد الغزاة الإيلاميين Elamite قطع ونقل الأثر الحامل

للقانون إلي عاصمته في صوصا، حيث أعاد إقامته في معبد إله الخاصة، وهذا لم يعني فقدان هذا الكتاب في بابل، حيث كان قد تم نسخ هذا الأثر في مناطق متعددة ومكتبات أخري تتبع المعابد، ومنه عرف الآشوريون بهذا الكتاب، وقد استعانوا به لاستكمال قوانينهم أو إدخال نصوصهم القديمة فيه، وقد فسر سارجون Sargon إحدي عبارات حمورابي المشهورة التي تنص علي أنه: «يجب علي القوي إعانة الضعيف»، وتلك العبارة نسخت حرفيًا بواسطة حفيده العظيم وهو الملك العالم آشور بانيبال Ashurbaniapal ، وقد تمت كتابة نسخ عديدة لهذا الكتاب إحداها علي التقاليد الأكادية، وتم ترجمته مرة أخري إلي اللغة الآشورية، وهي تحمل علامة مكتبة عظيمة لمجموعة كبيرة من التراث القديم، جمعت بواسطة الملك نفسه المشار إليه سابقاً، وهو شمس بانيبال Shamsbaniapal ، وهو ما يثبت أن عنوان الكتاب في آشور كان «أحكام حمورابي»، بالرغم من أن أول الكتاب في بابل كان «عندما قام أنو Ano الإله المجيد»، وكان هذا الإله غير خاص بالآشوريين، ولكن النص كما هو من أجل الاستخدام العام.

وقد استمر استخدام قوانين حمورابي لما يفوق الألف عام؛ لأنه لم يكن قانوناً تفصيليًا يتطلب التعديل المستمر، ولكنه فقط قائمة القرارات العامة التي قد تعتبر خالدة، وبناءً علي ذلك، فقد تم تبني هذا القانون حتي يطبق من قبل الغزاة الفرس وقد قام دارا (Darius) بإعلان اللغة الأكادية للبابليين بالإشارة بتوقير إلي هذا الكتاب العظيم، واقتباس ألفاظه وعباراته، وهذه لم تكن مجرد إشارة لفظية عابرة في وثيقة تصدر عن الملك في عامه الثالث من الحكم الملكي، وهي تؤسس للحكم بناءً علي «الأحكام الملكية».

وقد أراد دارا (Darius) أن يوضع في مصاف المشرعين العظام مثل حمورابي، ولم يكن القدر رحيماً به، فبينما كان يماط اللثام عن قوانين

حمورابي من الألواح المكتوب بها، فإن «قانون التعاليم الصالحة» قد فقد تماماً، وأصبح الآن في حاجة إلي إثبات وجوده أصلاً، وهناك مصادر معاصرة جديدة تؤكد وجوده، وتشهد بعض المصنفات التي كان يحتويها، ولكن لا يوجد ما يكفي من الأدلة للمقارنة مع المعالجات التي سجلت في القوانين السابقة عليه، ومع ذلك نقارن النصوص الأكادية في بعض المجالات التي تحمي نقوش دارا (Darius) مع مقدمة وخاتمة حمورابي في كتاب القانون، ونكتشف بعض التوازي في استخدام العبارات والمصطلحات (كما في الفكر والنظام)، لدرجة أننا نقتنع بأن رجل الدولة الصغير قد افتدي بمن يكبره، وأنه من الممكن أن نعيد تكوين هذه الأجزاء التي كونها دارا (Darius) بنفسه إلي حد كبير.

يستهل حمورابي تقديمه بعبارة «عندما قام أنو Anu المعظم وإنليل Enlil سيد السماء والأرض، وولاء لماردوخ Maruk أول المواليد الذكور لإنكي Enki سيد كل البشر عندما أعلنوا الاسم المبجل لبابل، وأعلوا شأنها في كل أنحاء الأرض، وهي التي في جوهرها أُقيمت لتكون مملكته الأبدية، حيث إن أسس بنائها متينة بقوة الأرض والسماء.

وفي تناقض حاد مع بابل الوثنية كان دارا (Darius) غالباً - إلي درجة ما- غير مشرك، حيث يقول: «الملك العظيم أهورا- مازدا خالق الأرض وخالق السماء البعيدة، والذي خلق الإنسان وجعل دارا (Darius) ملكاً، ملكه ملك كبير ساد الكثير والكثير، الإله العظيم أهورا- مازدا الذي وهبني هذا العمل الرائع الذي اختص به الإنسان، والذي وهب الحكمة والمحبة لدارا (Darius) الملك».

يزعم حموارابي أن هذه القواعد كانت بناءً علي رغبة الآلهة، وهي «في هذا الوقت قام Anu وأنهيل بتسميتي، حمورابي، الأمير المبجل عابد الآلهة لأجعل الحق يسود في الأرض، وأن أقمع كل من هو شرير وخبيث، وأن أمنع القوي من الإضرار بالضعيف، وأن أعلو

مثل الأسماء التي تضيء العقول المظلمة، وأن أنير الأرض وأزيد من سعادة البشر».

«أنا دارا (Darius) الملك العظيم، ملك الملوك، ملك أرض كل من هـو بشري، ملك الأراضين المترامية الأطراف، ابـن هيستاسـبيس Hystaspes الأخمينـي الفـارس ابن الفارس أرياني Arian من أصل إيراني أفتخر بنسبي ومن يخلفنـي»، ودائمـاً مـا يقول دارا (Darius) الملك «عندما علم أهورا- مازدا أن هذه الأرض كانت معاديـة وتقاتل بعضها البعض، ثم أعطاني هـذه المهمـة لأني بوصـفي الملـك الـذي أعطانيـه الملك، وهي حماية أهورا- مازدا حتي أُعيد ترتيب الأوضاع فـما أمـرتهم بـه، قـاموا بأدائه فور صدور أمري».

«كثير ممن كان سيئاً قـد حولتـه للخـير، وكانـت هنـاك أراضٍ تعـادي بعضـها البعض، ويقتل رجالها بعضهم البعض، وهذا ما صنعته حماية لأهورا- مازدا حتي لا يقتل كل منهم الآخر، فقـد أقمـت كـل إنسـان بمقامـه، وبنـاءً عـلي حكمـي كـانوا مطيعين حتي لا يقوم القوي بقتل وإيذاء الضعيف»، وهنا لا يقـوم دارا (Darius) فقط بإعادة صياغة العبـارة المشـهورة في كتـاب القـانون السـابق الـذي تكـرر مـن حمورابي في المقدمة والخاتمـة، بـل هـو يسـتخدم ألفاظـاً ركيكـة بالنسـبة لمصـطلح «العبد»، وهو لفظ غير معروف في المصادر البابلية، بـالرغم مـن شـيوعه في كتـاب القانون الذي كانت فيه الطبقات الاجتماعية غير متساوية في نظر القانون.

وضع حمورابي مواثيقه تحت رعايـة شـماش Shamash ، وبالمثـل جعـل دارا (Darius) إلهه هو المشرع الحقيقي: «يا أيها الإنسان مـا أمـر بـه أهـورا- مـازدا لا تدعه يثقل عليك، ولا تحد عن الحق ولا تتذمر أو تثور».

وبعد أن قام بالتقديم، شرع حمورابي في إعطاء قائمة طويلة بالمدن والمعابد داخل وخارج بابل تلك التي استردها أو التي أنعم عليها، ومـن حين إلي آخر، يشهد مضمون القائمة علي اتسـاع رقعـة حكمـه، وكـذلك

يصر دارا (Darius) «تحت حماية أهورا- مازدا، هذه هي الأرض التي استحوذت عليها وراء فارس، وأنا حاكمهم الذي يدفعون له الجزية، وكل ما أمرتهم به قاموا بأدائه، وقد ألزمتهم بأحكامي»، وعند هذه النقطة - كما هو المعتاد- قائمة بالولايات التي تتم مراجعتها من أجل تحديثها حتي إن القائمة كلها يمكن استبدالها «بارسا وميديا وأراضٍ أخري من مختلف اللغات والجبال والأراضي من هذا الجانب من البحر، وذاك الجانب، ومن هذا الجانب من الصحراء وذاك الجانب».

ومن هذه الجوانب المتوازية في مقدمتي دارا (Darius) وحمورابي نعود إلي جوانب مشابهة أخري مع خاتمة حمورابي «هذه هي الأحكام الفاضلة التي أسسها حمورابي الملك الحكيم، ودعمها كما دعم أراضي ملكه الحكم الرشيد حمورابي الملك الكامل هو أنا فلم أكن مهملاً أو متقاعساً عن العقول المظلمة التي قدمها بيل Bel لي، والتي خولني ماردوخ Marduk إياها، وقد نشرت عليهم السلام في كل المناطق، كما تغلبت علي كل الصعاب، كما جعلت الضوء يشرق عليهم، وبالأسلحة القوية التي وهبتني إياها زاماما Zamama وإينانا Inanna مع اتساع الرؤية التي منحتني إياها إيا EA وبقوة ماردوخ قمت بطرد العدو شمالاً وجنوباً، وأنهيت عاداتهم، ووعدت شعوب الأرض بالرخاء، حيث استقروا في أوطانهم في أمان، ولم أسمح لأي فرد أن يكدر معيشتهم».

«لقد رشحتني الآلهة لأكون الراعي الحارس الذي صولجانه ورمحه هو الحق، وقد انتشر ظل خيري في كل أرجاء المدينة، فقد حملت الشعوب وضممتها إلي صدري في أرض سومر Sumer وأكاد Akkad ، وجعلتها تحت حمايتي حتي قدتهم للأمان، وسترتهم بحكمتي، وأن القوي لا يجب أن يؤذي الضعيف، وأن يعامل اليتيم والأرملة بالعدالة في بابل التي رفعت الآلهة أنو Anu وإينليل Enlil رأسها شامخة، وكذلك تمت مباركتي في معبد إيساجيلا Esagila ذي الأسس الراسخة رسوخ

الأرض والسماء، وكذلك أصبح لي أن أصدر الأحكام في الأرض، وأقوم بتنفيـذها، وأن أعطي العدل للمضطهدين، وتلك العبارة المهمة قد كتبتها في ألواحي وعلي أعمدتي في ضوء صورتي كملك للحق الذي أسسته».

«إن الملك البازغ بين الملوك هو أنا، وكلمات ثمينة، وحكمـي لا يبـاري، وبـأمر Shamash شـاماس أعطيـت حكمـة السـماء والأرض، يشرق الحـق عـلي الأرض، وبكلمة الإله ماردوخ Marduk لا تهمل تماثيلي في إيسـاجيلا Esagila التـي أحبهـا فلتبقي ذكراي الطيبة إلي الأبد».

«دع كل مضطهد له قضية يحضر أمـام صـورتي - ملـك الحـق- ولتقـرأ عليـه كتابات آثاري، ويعمل علي كلماتي الثمينة، فسوف تضيء لـه الألـواح طريقـه حتـي يفهم قضيته ويريح قلبه، وليصرخ عالياً «إن حمورابي بالفعل هو الحاكم الـذي لـه حنان الأب لشعبه الذي وقر إلهه ماردوخ الـذي نصره شـمالاً وجنوبـاً، وقـد أسـعد قلب إلهه ماردوخ، حيث رسخ لرخاء شعبه وكل الشـعوب، وقـاد الأرض إلي الحـق، فليصلي بقلبه كله أمام ماردوخ».

«إلهي، زاربانيت Zarpanit إلهتـي، وأدعـو الآلهـة الحاميـة الـذين يـدخلون إيساجيلا Esagila أن يجعلوا نتـاج فكـره متقـبلاً في كـل يـوم أمـام مـاردوخ إلهـي وزاربانيت إلهتي».

يقـول دارا (Darius) الملـك: «بحمايـة أهـورا- مـازدا قـد اكتسـبت هـذه الشخصية، وهي أن كل ما هو حق فأنا أحبه، وكل ما هو باطل أبغضه، ولم يحـدث قط أن عبـداً يجلـب المتاعـب لمـواطن، كـما لم يحـدث أبـدا أن مواطنـاً قـد سـبب المتاعب للعبد، فأنا أحب كل ما هو حق، فلم يحدث أن غضـبت أو غضـب قلبـي، فأنا أعاقب كل مخطئ بقدر خطيئته، فلم يفلت مجرم بجرمه، والذي يكذب يفقد ثقتي في كل ما يقوله».

وبمجرد أن تبدأ وقـائع الحـالات في كتـاب القـانون، فـإن حمـورابي يستشهد بتلك الحالات التي ترتبط بالأدلة، وكـذلك دارا (Darius) هنـا

يوجه اهتمامه بقواعد الأدلة التي وضعها بنفسه، وهـذه المجموعـة مـن السـوابق تنتهي بحالة القاضي الـذي يعكـس قراراتـه، ويـزعم دارا (Darius) أنـه هـو أيضـاً محايد يعاقب الرذيلة، ويكافئ الفضيلة، ويبـدو هـذا في النسـخة الفارسـية بقولـه: «ما يقوله إنسان ضد إنسان لا يقنعني حتي يلتزم بقـانون التعـاليم الصـالحة، ومـا يفعله الإنسان أو يؤديه للآخرين تبعاً لقدراتـه أرضي بـه بـالغ الرضـاء وتعظـم بـه سعادتي».

ومثل حمورابي، لا يـتردد دارا (Darius) في مـدح نفسـه: «وبهـذه الشخصـية يكون فهمي وأمري، فعنـدما تـري أو تسـمع مـا فعلتـه بيـدي سـواء في الـقصر أو المعسكر، وفي السلم أو الحرب فسـوف تعـرف قـدرتي التـي تعمـل بنـاءً عـلي قـوة فكري وفهمي وهكذا يكون عملي».

«وإلي هذا الحد فإن جسمي لـه القـوة؛ لأننـي في الحـرب مقاتـل بـارع، ولأن لدي الفهم بميدان المعركة لمن هو العدو أو غير العدو، وبعقلي وإحكامي، فأنا أول من يفكر بالأعمال الودية، وكذلك عندما أتبين العدو وأقدم الحسنة أولاً».

لقد أحسن تدريبي باليد والأقدام، فأنا أجيد الفروسية، وكذلك أحسن الضرب بالنبال سواء كنت مترجلاً أو ممتطيا فرساً، كما أجيد رمي الرمح في كل حال، فلـدي المهارة نفسها في القوس ورمي الـرمح والفروسـية، وكـل هـذه المهـارات مـن أنعـام أهورا- مازدا علي، ولدي القوة لاستخدامها بفضل أهورا- مازدا فعلت كل ما فعلتـه بالمهارات التي منحتها إياي».

وهذه الفقرة مـن نقـوش دارا (Darius) عـلي قـبره قـد ترجمـت للإسـكندر (Alexander) الأكبر في شكل مختصر: «لقد كنت صديقاً لأصدقائي، وأثبت نبـوغي في الفروسية ورمي الرمح عن الآخرين، وكصياد كنت سيداً أستطيع فعل كل شيء».

وينهي دارا (Darius) تحذيره بتعليمات جديدة لأتباعه: «والمهـم أن تقومـوا بحماس بالتعريف بعظمتي وعظمة مهاراتي ومدي تفوقي، فلم يكن هذا بالهين مـا تسمعونه بآذانكم، ثم اسمعوا ما أقوله لكم لا تجعلوا هذا يمر عابراً مـا قـد فعلتـه ولا تكونوا عرضة لعقاب الملك».

ومن البابليين إلي خلفائه توجه حمورابي بخطابه «في الأيـام القادمـة، وفي كـل العصور فلا بد للملك الذي يقوم بالأمر أن يضع نصـب عينيـه كلـمات الحـق التـي كتبتهـا في آثـاري، ولا يحيـد عـن الأحكـام التـي أصـدرتها وقـرارات الحكـم التـي اضطلعت بها حتي لا يعكر صفو صورتي، فلو كـان لهـذا الرجـل حكمـه ويسـتطيع هداية قومه للحق فليصغِ إلي كل ما قلته وكتبته، حتـي تضيء لـه بصـيرته للقيـادة والحكم والأحكام التي أصدرتها، وكل مـا قررتـه في أرضي لـيضيء العقـول المظلمـة، فليهتدي بهديها، ولينبذ الشرير والمخطئ من أرضه وليقدم الرخاء لشعبه».

حمورابي الملك العادل الذي استقي قوانينه من شاماش Shamash هو أنا، إن كلماتي غالية وأفعالي لا مثيل لها حتي إن الأحمق لا يعيها، ولا تصعب علي اللبيب، وضعت لتوقر، فيا من تقرأ كلماتي في ألواحي، وعلي أعمـدتي، لا تفسـد صـورتي، ولا تخالف كلمتي، ولا تتلف آثاري حتي يمد الإله في حكمـك كـما امتـد بي، وأصـبحت الملك العادل، ولو لم تراعِ كلماتي فإذا لم تنالك لعنتي نالتك لعنة الآلهة، لـو ضـيعت الأحكام التي أصدرتها، ومن غض الطرف عن كلامي أو أتلف آثاري أو بـدل اسـمي باسمه فلعنة الآلهة ستحل به».

لم يكـن دارا (Darius) خائفـاً مـن هـذه الآلهـة الغريبـة، ولم يـتردد في استبدال اسمه لكن بإيمان راقٍ إن لعنة أهورا- مازدا أشد وطـأة مـن لعنـات آلهة بابل المتعددة، حيث إنه بالفعل ألغي لعنة حمورابي وطوع مصطلحاته إلي استخدامه الخاص، بينما في مواضع أخري يقلـده مـن ناحيـة البلاغـة، يقول دارا (Darius) الملك: « أنت يا من سيؤول لـك الملـك مـن بعـدي،

احذر من الكذب، فالكاذب شديد التدمير، وإذا سمعت ذلك فقل: «سوف تظل أرضي موحدة».

يقول دارا (Darius) الملك: «هذا ما قمت به برعاية أهورا- مازدا فُعِلَ في العام نفسه، وأنت يا من ستقرأ ما قمت به مكتوباً علي آثاري وألواحي صدقني لأني لا أقول الكذب».

ويقول أيضاً «استدعي أهورا- مازدا للشهادة بأن ما أقوله هن الصدق وليس الكذب، فقد أديت هذه الأعمال في عام واحد، وفي حماية أهورا- مازدا قد فعلت الكثير ليس مكتوباً بالآثار، ولم أدونه خشية أن يظن قارئه أنه كذب، وحتي يصدقه الناس».

يقول دارا (Darius) الملك: «هل تصدق ما قمت به؟ وكلمه الصدق التي أقولها للناس؟ إن لم تخفِ انبهارك أنبئ به القوم من أجل أن يكون أهورا- مازدا إلي جانبك، وحتي تزدهر زراعتك، وتطول أيامك، لكن لو أفسدت هذه الكلمات ودنستها فقد يذبحك أهورا- مازدا ويدمر بيتك».

يقول دارا (Darius) الملك: «هذا ما قمت به في عام واحد وبرعاية أهورا- مازدا قمت بعملي، فليكن هو معيني، وكذلك كل الآلهة الأخري».

يقول دارا (Darius) الملك: «من أجل هذا أعانني أهورا- مازدا مع كل الآلهة؛ لأنني لست شريراً ولا مخادعاً، ولم أُلحق الأذي بأحد، لا أنا ولا أهل منزلي تبعاً للقانون الذي فرضته، ولم ألحق الصبر سواء بالعبد أو بالقوي».

«عندما تري هذه الأعمدة ذات النقوش والتصاوير إياك أن تتلفها، وطالما بقيت بك قوة، عليك أن تحفظها حتي ينعم عليك أهورا- مازدا بحفظه، ويزيد من نسلك، ويطيل من عمرك، وتنجح في كل شأنك».

يقول دارا (Darius) الملك: «إذا رأيت هذه الآثار وأتلفتها، ولم تقدم

أيًّا من القرابين، ولم ترمم ما أتلفت، فلتحل بك لعنة أهورا- مازدا، ولـن يكـون لـك نسل، وما تبنيه سوف يهدمه أهورا- مازدا».

في ضوء كل هذه السطور المتوازيـة، لا يوجـد هنـاك مجـال للشـك في أن دارا (Darius) ومستشاريه القانونيين كانت أمامهم نسـخة فعليـة مـن كتـاب القـانون لحمورابي، ومن الممكن تماماً أنـه قـد اسـتعان بـالعمود الـذي نقشـت عليـه هـذه النصوص، وقد كان محفوظاً في معبد أنشوشيناك Inshushinak في صوصا، أو ربمـا في الوثائق التي كتبت باللغة البابلية، حيث تـم التعـديل بهـا، وإضـافة واسـتكمال الفراغات، وعلي أية حال، فالإشارة إلي عمود أثـري ليسـت قويـة مقارنـة بالحفـائر البارزة علي الصخور أو النقش علي الأحجار، وهذه «الصورة» المشـار إليهـا ليسـت لتمثال دارا (Darius) أو صورة له، وهو يقهر أعداءه علي الصخور البابليـة، وعـلي صورته المرسومة له شخصيًّا مقتدياً بحمورابي، تلك التي كانت تعلو العمود الأثـري، ويمكننا فهم هذا الأثر المشار إليه والذي يحمل قانون التعاليم الصالحة الذي قـدم للبابليين في ضوء النسخة الأكادية للسيرة الذاتيـة المكتشـفة عـلي لـوح مـن الحجـر الناري في شمال قصر في بابل.

وهناك قطعة تفسيرية تنتهـي بـالنقش التـالي: «هكـذا يقـول دارا (Darius) الملك بمشيئة أهورا- مازدا صنعت أعمدة من أنواع أخري لم تحدث من قبـل، وقـد قمت بتجهيز الألواح علي الجلد المناسب لها، وقـد أمـرت بطباعـة اسـمي وختمـي عليها، وكذلك أشرفت علي الكتابة وتنسيقها، وقرأت لي، ثم حملـت هـذه الأعمـدة والألواح إلي أراضٍ بعيدة من أجل رعيتي»؛ لأن هـذا الكتـاب موجـه لكـل شـعوب غرب آسيا وليس أهل بابل فقط، وقد كانت الوثائق باللغة الآراميـة، وكـذلك أُتـيح هذا الكتاب لجميع من يتعاملون بلغة الأعمال التجارية والدبلوماسيين.

تقديم قانون دارا (Darius) :

بينما تمكنا من إعادة بناء كل المقدمة والخاتمة من كتاب القانون لدارا (Darius) عن طريق النقوش المتعددة، فإننا لا نعلم الكثير عن مختلف أقسامه بالتفصيل، فقد ترددت بعض الأخبار عنه من إشارات عرضية في الوثائق البابلية أو الآرامية أو من قصص يرويها الإغريق أو اليهود، ويروي هيرودوت (Herodotus) «أن المثمنين الملكيين هم رجال اختيروا من بين المثمنين الفرس ليظلوا كذلك قائمين بهذا الأمر حتي موتهم، أو حتي يثبت عليهم عمل مخالف للقانون، وهم يقررون القضايا في مجال التعويضات، ويفسرون المفاهيم القانونية المتوارثة، وكل شيء يحال إليهم»، وكما قال كاتب يهودي إن هؤلاء القضاة الملكيين كانوا «الحكماء الذين اكتسبوا الخبرة ويفهمون القانون ويتسمون بالتمييز، وهم سبعة أمراء من فارس وبابل، ويقابلون الملك وجهاً لوجه، وأول من يجلس في المملكة».

وقد وضع دارا (Darius) مثل حمورابي أهمية متزايدة علي قواعد الأدلة ومثل سابقيه، فقد أصر علي شموخ القضاء الملكي، ولهيرودوت (Herodotus) حكاية في هذه النقطة: «كان أحد القضاة ويسمي سيسامنيس Sisamnes قد أصدر حكماً ظالماً في مقابل رشوة، وقد ذبحه قمبيز (Cambyses) مثل الشاة، وقام بنزع جلده، وعلي هذا الجلد صبغ الحكم الفاسد، ثم غطي كرسي القاضي بهذا الجلد حتي يتذكر من سيجلس علي كرسي القضاء ما حل بالقاضي المرتشي، وأول من جلس عليه ابن القاضي المذبوح أوتانيس Otanes حتي لا ينسي علي ماذا يجلس»؛ ولذا لا يدعو للعجب ما وصفه اليهود «عن قانون الميديين Medes والفرس الذي لا يتغير»، وأضافوا إنه «لا يتغير قانون ملكي تماماً ما لم يتبدل موضع تمثاله».

ومن القضاة كان ساندوسيس Sandoces ابن ثاماسيوس Thamasius ، وقد أخذ رشوة أيضاً، وقد أمر علي الفور بصلبه، وكان علي الصليب عندما أنقذته زوجته بتغير طارئ للملك، وفي كتاب القانون أوضح دارا (Darius) أنه كان محايداً يعاقب المسيء، ولكنه يوازن الخير والشر في أعمال الإنسان، وهذا الشرط الفعلي يقدمه هيرودوت (Herodotus) الذي يعتبر ذلك أكثر ما يستحق عليه الإشادة، «وبالنسبة للجريمة لا يستطيع الملك نفسه أن يذبح أحد، ولا يستطيع أحد الفرس أن يعرض حياة عبده للموت علي جريمة واحدة حتي يتم حساب أعماله الصالحة ومقارنتها بالجريمة التي ارتكبها، وإذا وجد أفعاله السيئة أكثر فهو يطلق العنان لنفسه ويصب عليه غضبه»، ولذلك بعد أن تم تعليق ساندوسيز Sandoces علي الصليب قام دارا (Darius) بحساب ما عمله من خير مع الجرم الذي أمر به، واكتشف أن ما أداه من خدمات للبيت الملكي يفوق سيئاته، فقد أطلق سراحه بل جعله والياً علي أحد أقاليم أيوليان Aeolian .

وتحكي لنا الوثائق البابلية شيئاً عن تقديم وإدارة القانون، وفي إحدي الوثائق التي تعود إلي عام 512 هناك رواية عن الموظف الأعلي رتبة، وهو القاضي، وهو ليس بابليًّا، وقد يعود أصله إلي إيران، وفي وثيقة أخري ترجع إلي عام 486، هناك تقرير عن اثنين من الموظفين الذين فرضا رسوماً علي الشعير والقمح والخردل الذي يرد من المخازن عبر قناة بابل، ورداً علي استجوابهم قررا «لقد تقرر ذلك أمام القاضي، وقد سجل ذلك بناءً علي قانون الملك أن الرسوم تدفع لبيت الملك».

وفي لغتنا الحديثة كان الاستفسار عن مشروعية ضريبة جديدة يتم أمام المحكمة، ويصدر الحكم تبعاً للسوابق القانونية في القضايا المماثلة، وكان طبيعيًّا في صالح الحكومة كانت العقوبات شديدة بخصوص الجرائم، وهي بالطبع تعدٍ علي الدولة، وعلي الذات الملكية

أو أسرته أو الممتلكات، كل هذه الجرائم تستوجب عقوبة سالبة للحياة- الموت، وعن هذه السمة في معظم الطرق العقابية التي وصفها الكتاب الإغريقي «كانت العقوبات مروعة»، وتوجد معلومات قليلة عن العقوبات بخصوص الجرائم العادية، ولكن قطع الأيدي والأقدام أو إحداث العمي كانت عقوبات شائعة».

وتشير المراجع الأولي للقانون الجديد إلي أنه احتوي علي تنظيمات ولوائح لبيع العبيد، وقد بين مرجع لاحق أن أحد التشريعات قد أشار إلي الخروج من السجن بضمان مالي - كفالة- «تبعاً للقانون الملكي بوجود إيداع مالي مكتوب»، وبالنسبة للباقي لا يوجد دليل علي المستندات التي تتناول العمل التجاري منه أو من سبقه، وهو كتاب القانون لحمورابي، وحتي إن وجد فهو لا يصلح كدليل.

بقاء قوانين دارا (Darius) :

استمر دارا (Darius) في التباهي بقانونه طوال حياته، وقد بقيت ذكراه بعد موته مرتبطة بالتشريع، وبالنسبة لأفلاطون «كان دارا (Darius) هو المشرع الذي حفظت قوانينه الإمبراطورية الفارسية حتي عصرنا الحالي»، وفي أواخر عام 218 في العصر السيليوسيدي Seleucid كان قانون الملك ما زال ملزماً وسارياً.

وإذ كان هذا هو كل ما نعرفه عن قانون دارا (Darius) الذي جاء من الألواح المخروطية الشكل، فربما في المستقبل نكتشف مراجع أو وثائق أخري، أو حتي بقايا عمل متداخل مع القانون الإيراني في القرن الثاني الذي يسير علي نهج سابقيه، ويطلق اسم Dat علي القانون، وكان يسمي Videvdat ، ونعيد القول ثانية بأن المقارنة مع كتاب حمورابي حتمية ومفيدة.

يبدأ حمورابي استشهاده بالقضايا والأحكام السابقة بتلك التي ترتبط بدليل، ويستخدم أسلوب المحنة لاختبار مصداقية الشاهد المشكوك في

أمره، حيث يلقي في النهر، ويأمر قانون أنتيديمونيك Antidemonic بالماء المغلي، ثم يقوم بالابتهال إلي أحد آلهة الشمس وهو ميثرا Mithra وليس شاماش Shamash الذي يضمن في الاتفاقيات أن ينقذه، وفي قضية كبيرة يعاقب الشاهد الزور بواسطة حمورابي بعقوبة الموت، وكتاب القانون الأخير يعاقب شاهد الزور بما يعد مناسباً له، وهو 700 ضربة سوط، وفي العالم الآخر بالألم الشديد الذي يتجاوز ألم قطع الأعضاء بالسكين أو غرس المسامير في الجسم أثناء عملية الصلب، وأشد من إلقائه من علي جبل أو الحرق والعقوبات القاسية التي تصدر علي الحلف الغموس (شهادة الزور) التي أصدرها القاضي الملكي الأخميني قد تحولت الآن إلي عقوبات في العالم الآخر.

هناك عقوبات أخري علي الاعتداءات والضرب وهي درجات كما بينها قانون حمورابي، وهي كلها تبدأ بـ«إذا الإنسان»، وهذا يوحي بأنه قد جري تعديل في النص بواسطة كتاب دارا (Darius) ، وهناك أولاً تعريف للجريمة «إذا قام الإنسان ممسكاً بسلاح في يده فإنه يكون مستحوذاً»، «وإذا حركه فهو مهاجم»، «وإذا ضرب به أحداً فهو معتدٍ»، «وإذا أحدث به جرحاً أو قتله فهو آثم ومعتاد الإجرام»، وعقوبة الاستحواذ هي خمس جلدات بالسوط، وعشرة للجريمة الثانية، وهكذا حتي تبلغ التسعين، وإذا تكرر هذا الفعل تضاعفت العقوبة حتي تصل إلي المائتي جلدة إلي حد إسالة الدماء وكسر العظام، وحتي الموت، وهناك مجال آخر للتوازي مع كتاب حمورابي، وهو ما يتعلق بالأطباء، حيث يقول حمورابي إنه إذا أجري الطبيب عملية علي مريض بسكين من البرونز أدت إلي موته أو فقد فيها بصره فسوف تقطع يده، وهكذا يمنع الطبيب من القيام بأي عمل جراحي آخر، وطبقاً لقانون الطب الإيراني الذي لاشك في اقتباسه لعمل دارا (Darius) فإن موت ثلاثة أثناء تعلم الطبيب لعمله يمنعه من ممارسة العمل، وإذا أصر علي مواصلة القيام بالجراحات

فإن عقوبته هـي عقوبـة القتـل العمـدي، ويحـدد حمـورابي تعريفـه لكـل عمليـة جراحية بناءً علي قدرة متلقي العلاج المالية علي الدفع، وهـذا هـو الاتجـاه نفسـه الذي تبناه دارا (Darius) في كتاب القانون الخاص به، والذي اقتبس هنـا في شـكل قانون أنتي ديمونيك Antidemonic ، فصاحب البيت يقدر عليه ثمن ثور رخـيص، ورئيس القرية يقدر عليه ثمن ثور متوسط، ورئـيس المدينـة يتحمـل ثمـن ثـور مـن النوع الفاخر وسيد الإقليم يتحمل ثمن عربة ذات أربعـة ثـيران، وإذا عـالج النسـاء فأجره يقل وهو سعر أتان (أنثي الحـمار)، أو مُهـر، أو ناقـة، وعـلاج وريـث منـزل عظيم يتطلب سعر ثور مرتفع الثمن، وبنـاءً عـلي مـا قـرره حمـورابي، فـإن طبيـب الماشية - البيطري- الذي ينقذ حيـاة ثـور أو حـمار يجـب أن يفـع لـه مـن المالـك سدس الشيكل (عملة قديمة)، ولكن لـو أدت العمليـة إلي المـوت فيجـب أن يـدفع الطبيب للمالك ربع ثمن الحيوان، وكذلك أيضاً في كتـاب القـانون المنسـوب إلي دارا (Darius) : «إن من يشفي ثوراً غالي الثمن يحصل علي واحد (ثور) رخيص القيمة كأجر له وكأجر لشاة يأخذ شاة تساوي ثمن قطعة من اللحم».

وقد تم الانتهاء من كتاب القانون Antidemonic المخروطـي الشـكل أيضـاً في عهد ميثراديتيس Mithradates العظيم ملك الملوك حـاكم بارثـا Partha ، وطبيعيًّا كان اهتمامه منصباً علي ميثرا Mithra كحارس للكلمـة الحاكمـة، وقـد بـدأ تعرضـه للقانون المدني بالعقود، ومن المثير في أحد المصادر القديمـة أن يوجـد عنـده تصـنيف لسـتة أنـواع مـن العقـود، وأن ينسـب هـذا العمـل لأهـورا- مـازدا الـذي أعلـن دارا (Darius) منذ وقت طويل أنه كان مصدر الإلهام والمؤلف الحقيقـي لهـذا القـانون، وهذه الأنواع الستة هي: الاتفاق الشفوي، والاتفاق باليد، والاتفاق علي كمية الأغنام أو علي ثـور أو عـلي إنسـان أو عـلي حقـل، وبـالقطع فـإن المؤلـف لم يفهـم مـا هـو المقصود بالضبط بهذا الاتفاق من بابل الأخمينية قبل أن يذكر عقود تسليم البضـائع

لشراء زوجة، وفي قطعة بدون أي إطار يـذكر المؤلـف تعهـداً بثـور أو ملابـس تـم الإخلال به، وبالنسبة للسـتة عقـود التـي ذكرهـا فهـو يفهـم فقـط أنهـا تتـدرج في أهميتها تبعاً للترتيب بالقائمة، وأن الاتفاق الأدني يلغي إذا تم تنفيـذه، وإذا لم يـتم تنفيذ الاتفاق فإن الضرر يحسب طبقاً للاتفاق الأعلي، وما يحيره هو سـؤال: إلي أي مدة يعتبر تنفيذ الاتفاق سارياً من عدمه، أي بعد كم مـن الوقـت يعتـبر المتعاقـد غير ملتزم بتنفيذه، أو مخلاً بالاتفاق، وذلك لأنه منذ 300 إلي ألف عام، وبينما كان المذنب يتحمل من 300 إلي ألف ضربة سوط تبعاً لجسامة جرمه، فهو لا يسترد مـا أقرضه إلي المقترض الذي يسرقه كل ليلة، وكل يوم يحتفظ بما اقترضه ويتصرف فيـه كما لو كان ملكه الخاص.

فهو يكرر الذنب الذي يقترفه، وفي كتاب القانون لدارا (Darius) كانـت تـتم معاقبـة السـارق تبعـاً لتعـاليم حمـورابي بـالقطع المـزدوج أو بالقتـل، ويستشـهد حمورابي بسابقة الإغواء الجنسي بامرأة متزوجة مـا زالـت تعـيش في بيـت والـدها وهي في حال العبودية، وفي حالة الاتصال الجـنسي إذا بـدأ مـن الرجـل فهـو يقتـل وتحرر الأمة، وينظر المشرع الإيراني إلي الموضوع من زاوية مختلفة، إذا أغري رجـل امرأة سواء كانت تقيم في منزل والدها وتعتمد عليـه أو لا، وسـواء كانـت مرتبطـة برجل أو خلاف ذلك، وتحمل من ذاك الرجل فلا يجـب أن تقـوم بإجهـاض الجنـين خوفاً من العار أمام الناس، فهي وأبوها سوف يواجهون عقوبة القتل العمدي، وإذا أبلغت من أغواها بـذلك الحمـل ونصـحها بتنـاول مـا يجهـض الجنـين عـن طريـق العقاقير يصبح الأطراف الثلاثة في هذه الحالة مذنبين، ويجب عـلي مـن أغواهـا أن يلتزم بطعامها وراحتها حتي تضع مولودها، ومع ذلك لا يوجد ما يشـير إلي معرفـة العامة واعترافهم بهذا الوليـد، أو عـن زواج ينـتج عـن هـذه الواقعـة، وإذا لم يقـم بتوفير المأكل وإعاشتها ومات الطفل فهذا يعد قتلاً عمديًّا.

ومن الوثائق البابلية المعاصرة، ومن بيانات سجلات رسمية في الحقبة الأخمينية، ومن الكتاب الإغريق، ومن كتب الإيرانيين القانونية اللاحقة قمنا بتجميع مختلف الدلالات عن اهتمامات دارا (Darius) القانونية التي كانت في مجملها تمثل اتفاقاً مع أو إعادة صياغة متعمدة للكتابات القانونية السابقة لحمورابي Hammurabi ، وهذا الاختبار وضح ما يسمي «القانون القديم- التقليدي» للعبرانيين الذين يعتمدون علي حمورابي في قانونهم، وكذلك أجري الاختبار نفسه علي دارا (Darius) ، وقد يتم اكتشاف مادي فيما بعد يثبت عكس ذلك، وأن يستطيع إلقاء الضوء علي المجهود الذي بذله الملك العظيم دارا (Darius) في إعداد هذا القانون.

تدعيم الإصلاح:

كيف تنظر الوثائق البابلية إلي الإصلاحات الجديدة التي تمت؟ لقد ترك قورش (Cyrus) الإدارة الداخلية بدون تغيير، وظل الموظفون المحليون محتفظين بمواقعهم السابقة، ولكن هذه المحاولة كانت لبث روح جديدة في أنماط قديمة قد باءت بالفشل، لكن دارا (Darius) قد استهل بإصلاحات شاملة، فبحلول 21 من مارس عام 250 - كما رأينا- فإن جوبرياس Gobryas قد استبدل والياً علي بابل، وعبر النهر بهيستانيس Hystanes ، وفي وقت قصير ظهر الفرس في مركز أدني، وقد جالس الوطنيين الذين وضعهم علي منصة القضاء، وقد ظهر دورهم واضحاً بضرائب جديدة يقوم علي تحصيلها موظفون جدد، ويمكن توضيح هذه الإصلاحات عن طريق معرفتنا بأحوال جيميلو Gimillu ابن أنينا- شوم- إبني Innina- Shum- Ibni الوغد - كما نعرفه الآن- والذي لم يكن إلا عبداً موهوباً لخدمة الإلهة يوروك Uruk ، وأثناء العام الأول من حكم دارا (Darius) الذي بدأ من التاسع من سبتمبر إلي السابع والعشرين من نوفمبر عام

521 كانت بابل في حالة ثورة تحت قيادة نبوخـذنصر Nibochadnezzer الأخـير، وقد استغل جيميلو Gimillu هذا الموقف الـذي أدي إلي زوال سـيطرة الحكومـة، فقد كان قد أعطي ألف قدح مـن بـذور الشـعير ومـائتي ثـور لتـدوير آلات الـري والحديد لصناعة هذه الآلات، وقد كان عليه أن يـزور معبـد الإلهـة يـوروك Uruk بعشرة آلاف قدح من الشعير، واثني عشر ألفاً من التمر، وفي مواسم الحصاد التالية توقف قائلاً: إنه لن يدفع أي شيء إذا لم يعطي 400 فلاح إضافي، و600 ثور، وألـف إضافية من بذور الشعير، وفي هذه الحالة فهو يعـد في المسـتقبل بتقـديم 10 آلاف قدح من الشعير، و12 ألف قدح من التمر، «وإلا لن أعطيهم امتيـاز هـذا الإيجـار، وإذا كنتم تريدون ذلك عليكم بالدفع لي»، لكن الـزمن قـد تغـير، حيـث قـام عبـد زميل له بتقديم عرض أفضل منه، وفي 12 من شهر يوليو عـام 520 وقـع العقـد في حضور ممثلين عن بابل وعن الإلهة يوروك Uruk ، بثلاث من كبار المـوظفين: بيـل إيدينا Bel- Iddina مدير معبد Eanna ويرجال- شار وسـور- Nergal- sharu- sur الوكيل وباريكيلي Bariki- ili مندوب الملك.

وخوفاً من القبض عليه، لاذ جيميلو Gimilla بـالفرار، ولكنـه كـان قـد سـلم مستندات تخص تواريخ ومستحقات متعلقة بالحقول الخاصة بالمعبد لأخيه إيدينا Iddina ، وقد قامت زوجة أخيه أندينا Andina بإيداع المسـتندات في منـزل عبـد استولي عليها، وقد كاتب كبار الموظفين بهذه المستندات، وقد برر الأخ ما فعله من إخفائها بتحذير أخيه جيميلو Gimillu مـن تسـليمها «لا تسـلم هـذه المسـتندات لأي فرد»، ومع هذا التحدي للسلطة هرب جيميلو Gimillu ، وتواري عن الأنظار، لكن تم استرجاع هذه المستندات في الثالث من سبتمبر عام 520 بعد عام بالضـبط من كتابتها، فلدينا مستند عن يوم تسلم جيميلو Gimillu لهـذه المسـتندات التـي أكسبته السلطة.

الفصل العاشر

من الهند إلى اوروبا

الاتصال بالإغريق في أوروبا:

حتي قبل استعادة مصر، كان دارا (Darius) يفكر في غزوات جديدة لحماية جبهاته، ومن الأسري الذين تم جلبهم إلي صوصا كان يوجد من بين حاشية أورويتس Orates طبيبه الخاص الشهير بإيموسيديس من إيطاليا، وكان قد فقد في البداية، وضل الطريق بين جموع العبيد، وقد تم تذكره عندما فشل المصريون في علاج قدم الملك، وبالرغم من العرض السخي المقدم له بالهبات وبمقعد خاص في مائدة الملك كان يُفكر فقط في الوطن، ومن خلال التدخل الجراحي في جسم الملك قام بإقناعه أن يصرفه في صيدا إلي منطقة عبوره إلي أرض الوطن، وبالرغم من هروبه هناك فإن رفاقه الفرس قد عادوا إلي دارا (Darius) بأول تقارير عن الإغريق الأوروبيين.

ولحسن حسن دارا (Darius) ، كان يوجد في هذا الوقت في صوصا إغريقي آخر وهو سيلوسون Silos أخو بوليكراتيس Polycrates الذي كان منفيًّا من مصر، وقد أعطي عباءته الحمراء إلي حامل الرمح قمبيز Cambysis ؛ ولأن دارا (Darius) كان الملك في هذا الوقت، فقد كان سيلوسون Syloson يقدم نفسه كأحد المتبرعين الملكيين، ولم يكن يتمني

أية عطية إلا العودة إلي موطنه في مصر، وقد كان أوتـانيس Otanes مسـؤولاً عـن الحملة العسكرية، وقد وافق خصوم سيلوسون Syloson عـلي أن يتركـوا مـوقعهم بدون حرب، لكن هجوماً غادراً جعل القائد أوتانيس Otanes يأمر بإخلاء سـاموس Samos ربما لأنه في وقت لاحق أمر بإعادة توطينها مع سيلوسون، وقد كانـت أول خطة في هذا الاتجاه هي القيام بغزوات للولايات الإغريقية في أوروبا.

إثارة النعرة الوطنية في جودا Judah :

كانت مصر في حالة ثـورة، ويجـب أن يـتم غزوهـا، وكانـت أول خطـوة هـي غزوها من جهة الأرض التي تتحكم في الطريق الصـحراوي الموصـل إلي نهـر النيـل، وكانت سوريا جزءاً من ولاية «عبر النهر» التي وحدها غزو قورش Cyrus مع بابـل من الناحية الإدارية، وهما ولاية بابل وعبر النهـر، وكـان ولاؤهـا منقسـماً إلي بابـل وسوريا، وقد شهدت اضطرابات في بابل تحت عهدين من عهود ملـوك نبوخـذنصر Nebu- Chadnezzar ، واسـتطاعت فلسـطين التـي كـان يقـوم عـلي أمرهـا أحـد الأمراء اليهود الاحتفاظ بهذا المركز بناءً علي إنعام من البلاط الملكي، وكان غزو مصر لا بد له أن يتم من بوابة فلسطين مثلما فعل قمبيز Cambysis .

وفي بلاط الملك دارا (Darius) كـان يوجـد الشـاب زيروبابيـل Zerubbabel ابن جيهوياشين Jehoiachin الملك السابق لجـودا Jodah ، والـذي خطـط أميـل-مـاردوخ أن يسـترد عرشـه، وقـد اختـير إميـل مـاردوخ Amel Marduk أن يكـون حاكماً لجودا بعد وقت قصير من احتمالات العام الجديد في الثالث من أبريل عـام 520، وقد انطلق من وجوده في حضرة الملك، وبعد رحلة قاربت الأربعة أشـهر إلي القدس في بدايـة أغسـطس، وقـد شـجع ظهـوره في إنعـاش آمـال الـوطنيين، وفـور وصوله في التاسع والعشرين من أغسطس قابله أحد أنبياء بني إسرائيل وهو يُسـمي

هاجاي Haggai الذي أعطاهم «كلمة الرب»، وبعد 18 عاماً من وضع الأساس للقدس كان الناس لا يزالون لديهم الغدر، حيث لم يحن وقت إنشاء بيت الرب، وقد وبخهم النبي «هل يطيب لكم الاستقرار في منازلكم بينما بيت الرب ما زال مهدماً؟»؛ ولهذا السبب أعلن «لقد رفض الإله أن يهبكم البركة والرخاء: آمرهم أن يصعدوا فوق الجبال ويقطعوا الأشجار ويجمعوا الخشب لبناء البيت، وحينئذ سوف يسعد بكم الرب ويظهر لكم مجده».

وهذه العبارة توحي بالثورة في آخر جملة، ومع ذلك بدأ العمل في بناء البيت في الواحد والعشرين من سبتمبر، لكن البناء الجديد كان من الواضح أنه أقل من البيت القديم، وبعد ستة أيثام تم النحر في المذبح وتقديم القرابين، وقد بكي العجائز - الذين شهدوا في أيام شبابهم البيت القديم- علي دنو حالة البيت الجديد؛ ولمواجهة شعورهم بالإحباط أعلن هاجاي Haggai في السابع عشر من أكتوبر أنه جاءه وحي جديد من الإله: «يا من قد رأيتم بيتي القديم كيف ترونه الآن ألا يعني في أعينكم شيئاً ومع ذلك، كونوا أقوياء واعملوا لأني معكم وروحي تقبع معكم، هكذا يقول الرب».

بينما أبدل السماء والأرض والبحر والأرض الجافة فسوف أبدل الأمم، وسوف تجيء إليكم كنوز كل الأمم، وسوف أملأ هذا المنزل بالثروات، فإني أملك الذهب والفضة، وسوف يكون مستقبلكم أفضل من ماضيكم، وفي هذا المكان سوف أضع السلام.

وكان من عارض هذا المشروع الجرئ لاستقلال اليهود يستشهد بانتصارات دارا (Darius) واحداً تلو الآخر علي المتمردين الذين يعلنون أنهم مستقلون، ويعينون ملوكاً خاصين لهم، ومن بينهم كبار الكهنة الذين يكونون أكثر ارتباطاً بالأحداث اليومية للشعوب، وهم الذين تم

الإقرار بإمارتهم علي اليهود - منذ عهد بعيد- ولذلك لم يكن من المتوقع أن يعترف الكهنة أو يرحبوا بإعادة خضوعهم الرسمي لأي ملك أرض.

وبعد عدة أيام من نبؤة هاجاي، وبالتحديد بعد السابع والثلاثين من أكتوبر كان يؤيد زكريا Zachariah ، وعند هذا التاريخ كانت الكتابات التي صدرت عن الأنبياء الذين عاشوا في العهد الملكي ناقدة حتي إن زكريا Zacharia توسل باسم الإله إلي اليهود قائلاً لا تكونوا مثل آبائكم الذين كانوا يعظمون الأنبياء السابقين، يقول لكم الرب انقلبوا من طرقكم وأفعالكم الشريرة إلي الخير، ولكن اليهود لم يلتفتوا إلي: أين آباؤكم؟ وأين الأنبياء؟ هل يحيون خالدين؟ ولكن كلماتي وتماثيلي التي أمرت بها خدامي من الأنبياء لم يلحقوا آباءكم، لقد ندموا وقالوا: كما وعدنا الرب بالثواب والعقاب علي أفعالنا، وهذا ما قد حل بنا يجب أن يستمع نسلهم إلي كلمات هاجاي Haggai وكل الأنبياء السابقين الذين تحدثوا باسم الرب.

وفي الوقت نفسه استعمر ممثلو شعوب مختلفة منطقة فلسطين، حيث عرضوا المشاركة في إعادة بناء بيت الرب، وكان العرض مقدماً بيقين كامل، وبصدق نية، بدون أهداف توسيعه؛ لأنه منذ الترحيل قام المستوطنون بعبادة آلهة اليهود مع الاحتفاظ بالعبادات السابقة، وقد كان جوشوا Joshua يميل بوضوح إلي قبول هذا العرض للمساعدة طوال العصر الأخميني، حيث كان كبار الكهنة علي علاقة وطيدة بجيرانهم السومريين، وعلي العكس كان هاجاي Haggai غير حذر في الإدارة مع كونه متحمساً كتابيًّا، وشديد التمسك بالوحدانية، ووطنيًّا شديد الحماس، وقد أصدر في الثامن عشر من ديسمبر تحذيراً شديداً ضد التدنيس الذي سوف يُصيب المعبد في حالة قبول العون الذي تقدمه الشعوب المجاورة في بناء بيت الرب، وفي اليوم نفسه حدثت نبوءة أخري، وكان قد أعلن من قبل أن السماء والأرض سوف تتبدل، وأنه قد حان الوقت لأن يُضيف

إلي ذلك إزالة العروش والممالك الهشة، وربما تدمير شعوبها ومحو قوتها، وانقلاب أوضاع المنطقة، حيث تنقلب العربة علي الحصان وينقلب الحصان علي راكبه الذي سوف يطرح أرضاً، وكل سيقاتل أخاه، ومن أجل إيضاح تخلي الرب عنهم استخدم جيرمياه Jermiah أسلوب خلع الخاتم من اليد، وقد أوضح أنه «في اليوم ذاته، يقول الرب، سوف آخذك يا زيروبابيل Zerubabel وسوف أجعل منك عبرة».

كان تدمير بابل يعني أمل الشعوب في الاستقلال، وكان موت نبوخذنصر Nebuchadnezzar قد زاد من آمال الوطنيين من اليهود، وعند قرب نهاية العام انطلق أربعة من الرجال من بابل إلي القدس، وكانوا يعملون هدايا من الذهب والفضة، ومنها صنع تاج لملك اليهود المنتظر، وقد أعلن زكريا Zakariah وصولهم في الخامس عشر من فبراير عام 519 نبوءة طويلة ملأت الخيال المتطلع لذلك، وقد تمت الإشارة إلي اسم زيروبابيل Zerubabbel ضمنيًّا بالقول «بذور بابل»، لكن اسم الملك المقصود كان قد تمت الإشارة إليه بطريقة واضحة»، انظر إلي الرجل» يقول الرب: «الذي اسمه كالشهب؛ لأنه سوف يفوق الجميع، وسوف يبني بيت الرب»، وسوف يكون له مهابة الحكم، ويبسط ملكه علي عرشه، وقد صدرت نبؤات عديدة بواسطة أنبياء غير معلومة أسماؤهم بها مناوشات بليغة ونبوءات تعلن سلطان هذا الملك القادم.

من خلال حياته في البلاط الملكي تعرف زيروبابيل Zerubbabel علي قوة الجيش الفارسي، وقد علمته الرحلة الطويلة إلي القدس الكثير عن شؤون الامبراطورية، وبالنسبة له لم توجد هناك أية احتمالية لإغراء التاج المفترض، ولكن المتحمسون رغم أنهم ذوي اتجاهات عملية لم يكونوا متوحدين في آرائهم، وبفضل الأنبياء في القدس كانوا قد وضعوه في مكانة غامضة، وهذا قد يعرضه إلي اتهام بالخيانة العظمي

كونه مخلصاً لملكه، حتي إن الكاهن الأعظم كان لسبب ما غير متحمس له ربما بسبب الأنانية وزيادة قدر منافسه، مما دعاه إلي زيادة حذره.

وبرغم أن المتحمسين كانوا يعدون زيروبابيل Zerubbabel لدولة مستقلة، وبالرغم من إدراكه أنه كان حاكماً في المرتبة الثالثة من الحكم، وكان مناصره في ذلك الوقت تاتيناي Tattenai حاكم ولاية عبر النهر الذي كان بدوره تحت سلطة هيستانيس Hystanes حاكم بابل وولاية عبر النهر، وقد وصلت أنباء بوادر تمرد إلي علم الملك، وهنا لا نعفي الكاهن الأعظم من اللوم في هذه المسألة، فقد كانت وشاية منه، وبينما كان كل اليهود مشغولين بأعمال البناء والترميم ظهر تاتيناي Tattenai فجأة متسائلاً من أعطاه الإذن لبناء هذا البيت وإكمال هذا الأساس؟ ومما أدهشه أن الكبار أجابوه بجرأة «نحن خدام رب السموات والأرض»، إننا نعيد بناء البيت الذي كان مبنيًّا منذ سنوات عديدة مضت، فقد كان أحد ملوك إسرائيل العظام هو الذي بناه وأكمله، ولكن بعد أن قام آباؤنا باستثارة غضب الرب الذي أوقع بني إسرائيل في يد نبوخذنصر Nebuchanezzar ملك بابل الكلداني الذي قام بتدمير البيت وهجر أهله إلي بابل، ولكن في أول أعوام حكم قورش Cyrus الملك البابلي، أصدر قانوناً لإعادة بناء بيت الرب وإعادة أواني الذهب والفضة إلي بيت الرب، تلك التي قد أخذها نبوخذنصر Nebuchadnezzar من المعبد الذي كان موجوداً في القدس إلي معبد بابل، وقد أخذ قورش Cyrus هذه الآثار من معبد بابل وقام بتسليمها إلي رجل يدعي شيشبازار Sheshbazzar الذي عينه الملك حاكماً، وأمره أن يأخذ تلك الأشياء ويضعها في معبد القدس، وتم بناء بيت الرب في القدس في موضعه، وقد قام شيشبازار Sheshbazzar بوضع الأساس لبيت الرب في القدس، ومنذ ذلك الوقت حتي الآن ما يزال البناء مستمراً ولم ينتهِ بعد.

وكان من الواضح أن تاتيناي Tattenai لم يصدقهم بالرغم من

الإشـارة التركيـة إلي نبوخـذنصر Nebuchadnezzar ، وهـو فـايزكر باشـنين مـن المتمردين الذي يحملون الاسم نفسه، وهم الـذين تـم قمـع تمـردهم، ولم يسـتطع بالتالي رفض الادعاء بأن إعادة بناء المعبد في القدس كـان قـد تـم بنـاءً عـلي أوامـر ملكية من مؤسسي الامبراطورية الفارسية.

وبناءً علي ذلك أعد تقريراً قال فيه: «من تاتيناي Tatianai حاكم عـبر النهـر وكذلك شاثرابورزانار Shathraburzana (ربما كان النائب الآرامي ذا الاسم الإيراني) والموظفين المعينين بإدارة عبر النهر إلي دارا (Darius) الملك له كل السـلام، فلـيكن معلوماً أننا قد انتقلنا إلي مقاطعة جوداه Juda ، وإلي منزل الرب العظيم الذي يتم بناؤه بالأحجار الضخمة والأخشاب الفاخرة التي توضـع في الحـوائط والعمـل يـتم علي قدم وساق».

وقد كان هذا البناء قويًّا لدرجة أنه يمكن أن يستخدم معبـد الجـدبل كقلعـة حصينة في وقت الثورات، وقد ألمح الحاكم إلي أن البناء يجب أن يعطـل، وقـد بـدأ بالفعل في تسجيل أسماء الكبار الذين كانوا يقومون بالإشراف علي البناء اسـتعداداً لعقابهم إذا لم تثبت صحة قولهم بأن قورش Cyrus كان قـد أمـر بهـذا البنـاء، وفي نهاية خطابه قال: «إذا سمح الملك، فليتم البحث عن المرسوم الملكي الآمر بـذلك في المحفوظات الملكية والمراسلات السابقة الموجودة في بابل للتأكد من أن الملك قورش Cyrus قد صور ذلك المرسوم من عدمه والذي يأمر بإعادة بيـت الـرب في القـدس ونحن في انتظار أمر الملك تجاه هذا الأمر.

وفي المسار العام للأعمال الإدارية فقد مر تقرير تاتيناي Tattinai في الدوائر العليا الإدارية حتي وصل إلي بابل، وقد تم البحث في دار الكتـاب في بابـل وفي بيرسـيبوليس الملحـق بهـا الخزانـة ودار المحفوظـات، ولمـا لم يجدوا هذا التقرير تذكروا جدهم، وهذا من حسن حـظ كبـار اليهـود أن

قورش في عـام حكمـه الأول كـان قـد عـاد إلي إكباتانـا Ecbatana ، وبالتـالي امتـد البحث إلي قلعة هذه المدينة حتي تم إثبـات صـحة إدعـائهم، وبـالرغم مـن عـدم إيجاد المرسوم الفعلي، فقد وجد في أحد السجلات تلخيصاً لمحتـوي المرسـوم الملـكي الذي كان مؤرخاً في العام الأول مـن حكـم قـورش (Syrus) ، حيـث كانـت إحـدي الفقرات التي تأمر بإعادة تدعيم معابد مختلفة وكان محتوي الفقرة «بالنسـبة إلي بيت الرب الموجود في القدس فليبنـي البيـت في المكـان الـذي تقـدم فيـه القـرابين باستمرار، وليكن ارتفاعه 90 قدماً، والعرض تسعون أيضاً والذي بـه ثـلاث طرقـات من الحجر وطرقة من الخشب، وتقدم مصاريف البناء مـن البيـت الملـكي، وعـلاوة علي ذلك فلتدخل الأدوات الذهبية والفضية إلي بيت الرب في القوس، تلك الأدوات التي نقلت في بابل من قبل من المعبـد الواقـع في القـدس؛ ولتجلـب هـذه الأدوات وترجع إلي مقرها القديم كل في موضعه في منزل الرب.

وكانت نتيجة التقرير تبرئة كبار اليهود، والتصريح بإعادة بناء المعبد بواسطة مرسوم من مؤسسي المملكة، وهـذا الأمـر لا يمكـن التغـاضي عنـه خاصـة بواسـطة مغتصب للملك، وفي الوقت نفسـه، كـان عرضـه غـير مسـتقر، وقـد كـان مجتمـع اليهود صـغيراً ويحكمـه ممثـل الملـك الشـخصي الـذي كـان عليـه أن يمتلـك رؤيـة صحيحة للموقف بدلاً من تمرد غـير مجـدٍ يدفعـه في ذلـك عـدد مـن الأنبيـاء ذوو الجرأة بصورة عامة، كان دارا (Darius) ينوي زيارة أرض القدس بنفسه قبل مرور عام آخر من الحكم، وإذا ظهر بنفسه بعظمته الملكية فسوف يدرك في الأنبيـاء أن الثورة كانت غـير محتملـة في الوقـت ذاتـه وكانـت في عـام 519 نفسـه انتصـارات جديدة لدارا (Darius) متلازمـة في الوقـت، وعنـدما بـدأ أتامايتـا Atamita مـن إيـلام Elam ثورتـه، قـام جوبريـاس بالقضـاء عليهـا في مهـدها، حيـث قـدم المتمـرد إلي دارا (Darius) الذي أمر بقتله، وفي أواخر العام قام دارا (Darius) بغزو أرض سـيثز Cyths

بنفسه وعبر بحر كاسبيان Caspian لأعدائه فألحق بهم هزيمة قاسية في ساكا Saka ، وقد ألقي القبض علي الهاربين وقيدوا واقتيدوا إلي البلاط الملكي كما تم مع قائدهم شونخا Shonkha ، وتم أيضاً الانتقام لقتلي السجيتاي Sagetae لقورش Cyrus ، ولكن لم يكن الوقت مناسباً لتنصيب والٍ ثاني لسيزا Sythia ، وهنا وبناء علي رغبة الملك قسمت الولاية إلي ساكا Saka الأحراش وساكا Saka السهول، وقد تم استغلال المساحة علي صخرة بيهيستام Behistam إلي أقصي حد، وقد زاد استخدام الرسم الشخصي؛ ولذلك أزيل جزء من النقش القديم لإضافة المتمرد التاسع شونخا Shonkha ، وعلي رأسه وضع في الرسم قبعة الأغبياء وهي تحتل نصف طوله، وقد أطلق الناس عليه لذلك «حامل القبعة المدببة»، وقد وضع شعره في مؤخرة رأس بالتفاف شديد ينتهي بعقدة، وقد كان شعره طويلاً ومسترسلاً بطريقة غير معهودة، حيث يرتدي سروالاً قصيراً وحذاءً طويلاً، وقد أضيفت للصخرة إضافة أخري في عمود خامس، وبعد هذا التحسين والتطوير تم صقل الصخرة بالكامل من السطح وتلميعها لمنع وصول المتطفلين إليها، وقد أنقذ هذا التحسين النقوش واللوحات البارزة من العبث بها، ولكن ذلك أيضاً قد أخر من وجود نسخة دقيقة لهذا العمل في عصرنا هذا.

السلام في مصر وفلسطين:

في شتاء عام 519- 518، كان دارا (Darius) متجهاً إلي جهة الغرب، وكانت فلسطين في الطريق، وقد توقف هناك من أجل تسويق بعض الأمور، وربما تعطينا نبوءة زكريا Zacharia بعض الأفكار عن ذلك الوقت الذي لم يوجد به أي مرتب لإنسان أو حيوان، حيث كانت الخدمة العسكرية إلزامية وبدون أجر، ولم يكن هناك أمان لأي شخص يقوم بالعمل والحركة من أجل قمع الأعداد، والدليل علي ذلك أن زيروبابيل

Zerubbabel قد تم استدعاؤه ومحاكمته، وقد أعدم باعتباره متمرداً حيث لم يعد لاسمه أي ذكر في أي مصادر بعد ذلك.

وبعد تسوية المشكلة اليهودية، اتخذ دارا (Darius) طريقه عبر الصحراء الغربية ووصل إلي ممفيس بدون أية حوادث غير عادية، وقد وجد السكان المحليين ينتحبون من أجل موت معبودهم عجل أبيس المكتشف في عهد قمبيز Cambysis ، ومات في 31 من شهر أغسطس عام 518، وقد قرر استمالتهم حتي يظلوا رعاياه المهادنيين، وأمر الملك بمائة تالنت Talent من الذهب لتقوم إلي اكتشاف أبيس جديد، ومع مراسم سابقيه وضع أبيس الميت في 8 من نوفمبر بالرغم من عدم وجود اسم مقدس أو لقب خاص بدارا (Darius) علي الأعمدة المنقوشة، وبعد ذلك غادر دارا (Darius) مصر بعد أن قام بتنصيب أرياندیز Aryandes والياً عليها.

كان دارا (Darius) في ذلك الوقت قد انتهي من إعداد كتاب القانون ليطبق في غرب آسيا، وفي مصر وجد أنه كان متوقعاً وجود كتاب القانون هذا، وكما كان مينا موحد القطرين في مصر ومؤسس مصر الحديثة في ذلك الوقت، وكما كان النبي موسي مؤسس الدولة العبرية، كان لمصر العديد من الملوك المؤسسين للدولة المصرية سيزوستريس Sessostris وشيشاك Shishak وبوكريس Boochris ، وقد خطط أماسيس Amasis لإعادة تعديل القانون المصري، ولكن سبقته المنية قبل أن يري مشروعه النور، ثم تلاه قمبيز في هذا العمل لكنه مات وهو في طريقه إلي وطنه.

وقبل الثلاثين من ديسمبر كتب دارا (Darius) إلي عامله الذي عينه والياً علي مصر أرياندیز Ariyandes : «دعهم يجلبوا لي الحكماء بين المحاربين والكهنة والكتبة في مصر الذين تجمعوا من المعابد واجعلهم يدونون القوانين القديمة لمصر حتي العام التاسع والعشرين من حكم

الملك أماسيس Amassis ، وقانون الفرعون والمعبد والشعب أحضر ذلك هنا، وعلي عكس القوانين السابقة كان قانون دارا (Darius) غير صادر بالمراسيم الملكية، بل الممارسات الدينية وهو ما يسمي القانون العرفي، وهو بالتالي القانون غير المكتوب والإجراءات الاعتيادية التي كان يجب تقنينها، وبعد أيام قليلة علي ضفاف الذيل كان دارا (Darius) عائداً إلي وطنه وفي الطريق لاحظ أن القدس هادئة، وقد قضي علي أملهم في وجود ملك وطني، وبالتالي بقي لديهم أن يحافظوا علي انتمائهم مع الكاهن الأكبر وهو الرئيس المعترف به من قبل الشعب اليهودي، وكانت آمال اليهود في ذلك الوقت تتركز علي معبد القدس الذي سمح دارا (Darius) بحكمه بمناقشة أمره، حيث إن زكريا Zachariah في آخر نبوءة مدونة له في السادس من ديسمبر عام 518 تخلي عن أية أفكار عن الثورة، وأعلن أن الإله القومي قد عاد إلي بيته القديم، وعندما يكون وحده، فإنه سوف يجلب إلي عباده الرخاء بدرجة لا يحلمون بها، وفي الثاني عشر من مارس عام 515 كان قد تم إتمام المعبد بالفعل وبقي الشعب موادعاً.

وترجع زيارة دارا (Darius) القصيرة إلي مصر إلي أنه قد تلقي معلومات من الوطن، والتي أفادت أن فيدافارنا Vindfarna الذي كان رئيس المعاونين لدارا (Darius) في الترقي للعرش وكان قد قمع تمرد بختنصر Bebuchtadnezz الثاني وكان اسمه علي قمة صخرة بيهيستام التي شهدت أسماء المتمردين وصورهم، ولكنه كان قد جرب كيف يقضي علي العروش بسهولة، وقرر أن يقوم بهذا بنفسه، وفي سبيل ذلك فقد حياته، لكننا لا نعلم تاريخ هذا بالضبط، وقد وضع الشاعر العظيم إيسكيلاس Aeschylus مارافيس Maraphis وبارديا Bardiya كملوك شرعيين.

«بينما كان جلالة الملك دارا (Darius) في إيلام Elam » يقول أدجاهوريسين Adjaharosne كان ملكاً عظيماً من بين كل الملوك

الأجانب الذين حكموا مصر، وقد أمرني أن أعـود إلي مصر مـن أجـل تـرميم الجـزء المدمر من معبد منزل الحياة الذي يتعامل في الطب، وقد علل الـراوي هـذا الأمـر، فقد قام الحكام الأجانب بنقلي من أرض إلي أخري، وقـد أمـرت بالحضـور إلي مصر كما أمر ملك الأراضين، وقد أديت ما أمرني به جلالتـه، وقـد أعـددت الإقامـة لكـل موظفيه وأبناء المرموقين والنبلاء، ولم يجدوا بينهم أي فقير، والراوي يباهي بعمله»، وقد أمرت كل فرد في مجال اختصاصـه وحرفتـه، وبالتـالي نفـذت أمـر الملـك في أن أعطيهم العطايا والخيرات حتـي يبـذلوا قصـاري جهـدهم ويظهـروا كـل المهـارة في حرفهم، ويفعلوا كل ما يجيدونه بأدواتهم بنـاءً عـلي الأوامـر المكتوبـة حرفيًّا كـما كانت مخطوطة من قبل، وقد فعل جلالته ذلك لأنه يعلم مزايا هذه الحرفة وهـي تحويـل العليـل إلي سـليم يخلـد كـل الآلهـة، وعابـدهم يقـدم القـرابين ويخلـد احتفالاتهم المجيدة للأبدية.

غزو الهند الغربية:

منذ عصر قورش Cyrus كانـت جانـدارا Gandara هـي أقصي غـزو وقـع بالاتجاه الشرقي للعصر الأخميني، وكانت الإمبراطوريـة الهنديـة تحـت تبعـتهم من الناحية الإدارية، حيث لحقت باكترا Bactria وحتي وقت قصير في عام 508 كانت غير مستقلة كولاية فارسية، ولم تكن تحمل اسـمها الـوطني الأول الهنـدي وهـو باروبارايسـانا Parupaesunna لكـن حملـت اسـم جانـدارا Gandara في الكثير من أهميتها، ولكن وجدت الكثـير مـن عمـلات الـداريك الذهبيـة في كـل الأراضي الهندية، وقد سقطت عاصمتها بوخالا Pukhala قبل العاصمة الهنديـة تاكسالا Taxala ، وتوجـد في الجنـوب الشرقـي مـن جانـدارا Gandara سـهول الهند الرائعة المشهورة بالغبار الذي يهبط مع الأنهـار والغنيـة بعـنصر الـذهب، وقد أمر الجواسيس بالانتقال إلي هناك، وكانت الوجهـة بالتحديـد رأس منطقـة

الملاحة علي نهر كابول الغني في منطقة الهندوس منحدراً إلي حيث يصب في المحيط الهندي، وقد أبحر الجواسيس لمدي ثلاثين شهراً من الشاطئ الجنوبي لإيران خارجين من الخليج الفارسي، ثم حول الجزيرة العربية بالكامل، ووصلوا إلي السويس، وكان قائد السفينة من كاريا Caria ويدعي سيلاكس Scylax الذي نشر كتاباً بعد عودته باللغة الإغريقية ذات اللهجة الأيونية Ionia ، وكان يسمي الدوران حول لقاءات الملاحة، وتعد هذه هي أول المعلومات الموثقة عن الشعوب الشرقية، بالإضافة إلي قائدتها كنموذج لأعمال المستكشفين والجغرافيين والمؤرخين.

وقد أغرت المعلومات التي جمعها الجواسيس الملك أن يجرب غزوات أكثر في الجبهة الشرقية، وقد خضعت الهند الشرقية وكانت حتي قبل عام 513 قد كونت ولاية الهندوس Hindos والتي كانت تدر جزية سنوية مقدارها 360 تالنت من الذهب، وقد فتح الطريق الملاحي الشرقي للتجارة، وبعد ذلك بوقت قصير نجد في الوثائق امرأة هندية تسمي بوساسا Bussasa لها حافة في كيش Kish تحت إشراف الشرطة.

ولكن إقليم الهندوس Hindus لم يكن كل الهند، وقد اشتق اسمه من نهر الهند الغني بالماء، ويشمل الإقليم فقط أراضٍ علي ضفة النهر وروافده ولم تمتد الولاية شرقاً إلي إقليم الجانج Ganses حتي هيداسبيس Hidaspes التي أصبحت فيما بعد حدود مملكة تاكسيد Taxids ، وفي أيام المؤرخ هيرودوت (Herodotus) ذكر أن الحدود الشرقية بقيت هي الحزام الصحراوي الذي يفصل الآن النصف الشمالي من شبه القارة الهندية إلي الهند الشرقية والغربية، ولم يمتد الحكم الأخميني الفارسي إلي جنوب هذه الغابة الكبيرة، وهكذا تتوصل إلي استنتاج أن الهند التي يصفها المعاصرون في فتوحات الإمبراطورية الفارسية كانت محدودة بالوادي الهندي.

إقامة القناة في مصر:

في عصر الأسرة الملكية الفرعونية الوسطي، تم حفر قناة من مدينة فاكوسا Phacossa من فرع النيل الشرقي لري الوادي الخصب في الشرق، حيث استقر العبرانيون في مدينة جوشين Goshen ، وقد حاول نيخو Nicho مد هذا الفرع إلي البحيرات المرة، ثم إلي البحر الأحمر عن طريق خليج السويس كمرحلة من سياسة الاستكشاف التي أدت إلي إحاطة الفينيقيين بقارة أفريقيا والملاحة حولها، وبعد المرور عبر الصحراء الغربية في عام 518، وقد كان دارا (Darius) في طريقه عبر وادي التوميلات Tumilat ، وكان من المفترض أن يلاحظ هذه القناة غير المكتملة، وقد كان يأمل في أن يتم هذا بسرعة وبطريقة أقل تكلفة من أجل إسراع الطريق إلي الهند بالبحر، وقد قرر أن يكمل هذه المهمة.

وقد غطي خط فيخو Vinecho الأراضي بالرمال، وكان من الواجب قبل بداية العمل أن يزال هذا الرمل، وكان يجب حفر الآبار من أجل مئات العمال، وعندما فتحت أخيراً، كان اتساع القناة 150 قدماً عرضاً وعمقاً، مما يكفي لحركة التجارة وهذه هي بداية فكرة قناة السويس التي يمكن قطعها في أربعة أيام في ذلك الوقت، وقد كانت توجد خمسة أعمدة تحمل نقوشاً لتخليد هذا المشروع العملاق تطالع أعين من يقطعون هذا الممر البحري، وكانت هذه الأعمدة العملاقة من الجرانيت الصلب موزعة علي طول المجري المائي، وعلي أحد الجانبين المتكررين رسم دارا (Darius) وهو يمسك داخل أحد الإطارات الفرعونية بعبارة تحت رمز أهورا- مازدا وبثلاث لغات أنا الفارس من بارسا Parsa الذي توليت حكم مصر وأنا الذي أمر بحفر هذه القناة من نهر النيل الذي ينساب طوال مصر إلي البحر الذي يصب في فارس، وبعد حفر هذه القناة التي أمرت بحفرها سيرت الفن إلي حيث كانت مشيتي إلي بلاد الفرس.

وعلي الجهة المقابل سطر بالنسخة، وتحت قرص الشمس وهو الذي كان يرمز أصلاً إلي أهورا- مازدا المرسوم في المقدمة يقف فرعا النيل كرمز تقليدي لاندماج وتوحيد أراضي مصر وأحدها موجه إلي دارا (Darius) «لقد منحتك كل الأراضي، كل فينيقيا وكل الأراضي الأخري، وقد جعلت تحت سلطانك كل البشر وكل الرجال، وكذلك القاطنين في الجزر التي تقع في البحار، وكل هذه الألفاظ والمصطلحات كانت هي المستخدمة في الغزوات التي تمت في الأسرة الملكية الثامنة عشرة، ولكن هذه الألفاظ الآن تستخدم لمناسبة الفتوحات الجغرافية الحديثة «لقد منح الملك كل خطوط وثروات الحياة والصحة والسعادة وكل هبات رع من الطعام ومباهج الحياة ومن ملكه لمصر العليا والسفلي (الوجه القبلي والوجه البحري)، وكذلك بسطت كل الأرض أمامه حتي في البلاد الغريبة عنه.

ويتبع ذلك قائمة بالولايات التي يحكمها تتبعها أسماء ذات أصل آرامي بأسلوب مصري غير مألوف، مقلدة قوائم كتبت بأسلوب الأسرة الملكية والشاملة، حيث كان اسم كل ولاية مكتوباً داخل رسم مصري يرمز إلي مدينة تم فتحها، حيث كان الأسري ذوو الأشكال والألوان المختلفة رمزاً لهذه البلاد يركعون في توسل أمام دارا (Darius) الذي كتبت هذه الرسوم عنه أنه ملك الملوك، حيث كان يحمل كل الألقاب القديمة المصرية، وحيث صور علي أنه سليل الآلهة، وجاء من نسلها وهو يصور أيضاً في صورة رع المعبود المصري القديم الذي كتب أن دارا (Darius) قد وضع علي العرش حتي يتم ما بدأه رع بنفسه، وقد منح وهو في رحم الأم ولم يأتِ للعالم بعد كل ما كان يقع تحت قرص الشمس، وهو يدور في فلكه؛ ولأن الإلهة نيث Neith قد اعترفت به ابناً لها فقد منحته قوساً في يده حتي يقهر أعداءه كل يوم، كما فعلت بابنها رع فقد وهبته القوة علي تدمير أعدائه في كل مكان وباعتباره ابناً لها فقد مدت ملكه حتي ترد الجزية من الشعوب التي تسكنها.

وبعد الإشارة إلي بارسا Parsa وإلي قورش Cyrus تخبر الوثيقة عن كيفية بناء القناة وكيفية إنجاز هذه المهمة، وقد قدمت الجزية إلي بارسا Parsa بحمولة 242 قارباً، وقد تم تكريم دارا (Darius) وأعطي الأمر من أجل إقامة هذه الأعمدة التذكارية التي لم يكن لها مثيل.

الحملة ضد شيشيا Scysia الأوروبية:

بينما كان الفلاحون المصريون يحفرون القناة كان دارا (Darius) يُعد لأول حملاته في أوروبا، وقبلها بوقت قصير كان أريامنيز Ariarmnes والي الفرس في كابادوكيا Cappadocia قد عبر البحر الأسود، وقام بالاستكشاف لشاطئه الشمالي استعداداً للهجوم علي بلاد شيشيا Scythia الأوروبية، وقد قرر دارا (Darius) بناءً علي ذلك محاولة القيام بأول غزو لهذه الأرض وقيادة الجيش بنفسه، وقد انطلق من صوصا وعبر مضيق البوسفور في عام 513 في مكان لا يبعد عن البحر الأسود، حيث يدخل إليه عن طريق جسر للقوارب شيده مندروكليس Mandracles الذي كتب زميله في الموطن كويديلوس Choerilus عند عبور جسر دارا (Darius) (لأن بلده كانت تدين بالولاء للسيادة الفارسية)، وأقيم اثنان من الأعمدة التذكارية علي الشاطئ أحدهما في اليونان والآخر في أسبيريا Asspria وهما ذات شخصية فنية مخروطية، يحمل كل منهما قائمة بالشعوب الخاضعة لسلطان دارا (Darius) ، وقد جهزت 600 سفينة مزودة بالرجال الذين ينتمون في غالبيتهم إلي البحارة الإغريقي في المدن الرئيسة، ومن قارة أوروبا الأم انطلقت عبر البحر الأسود إلي استار Ister ، حيث بني الجسر الثاني وبين الجسرين خضعت له جيتاي Getae وباقي بلاد ثراسيا Thracia .

وعند عبور النهر دخل الجيش إلي سيثيا Scythia التي احتلها الرُحل الإيرانيون التي كانت معيشتهم الدائمة علي ظهور الخيول تنقلهم من

موضع لآخر، ويحيون مع أسرهم في الخيام والعربات التي تجرها الثيران ومنذ قـرن احتل ميليتوس Miletas سـاحلهم حيـث كـان يتـاجر بالسـلع الكمالية بـالحبوب، ولكن تقدير الفن الإغريقي لم يغير من طبـاعهم الشرسـة البدائيـة، وكـان أكـثر مـا يسعدهم هو اللبن المتخمر للخيل الذي يشربونه من أوانٍ مصنوعة مـن الجماجـم البشرية لإعدادهم، وكان أول من ينحر من بعد ويُشرب دمـه ويسـتخدم جلـده في صناعة الدروع، وكانت تسلخ جلـود الـرأس وتسـتخدم في صـناعة الملابـس وأدوات المائدة، وقد كانت الاتفاقيات يتم التصديق عليهـا بـالعهود المكتوبـة بالـدم، وكـان يصحب موت رئيس القبيلة ذبح الخيول والفرسان وتكـدس أجسـادهم فـوق جثـة رئيس القبيلة فوق عربة تجرها عجلات، وكانت محظياتـه وحامـل كأسـه والطبـاخ الخاص به والخيول التي يركبها يـتم ذبحهـا جميعـاً مـن أجـل أن ترافقـه في العـالم الآخر، وكانت الحراب تنصب حول جثته وتسقف بقطـع الخشـب وتوضـع كئـوس الذهب حول جثته وتوضع كلها في مقـبرة، وقـد تـم اسـتخراج العديـد منهـا وكـان التكريم يتم بواسطة المخصيين الذين يحملون الزهور، حيث كانوا وثنيـين يعبـدون آلهة عديدة، ولكن كان إلـه الحـرب لـديهم هـو المكـرم الـذي لـه أقيمـت المعابـد والمذابح، وكان يرمز إليه بسيف إيراني أثبري يقام علي مرتفع من الحلي، وكان يـتم تقديم القرابين من الخيول له، بالإضافة إلي البشر.

وعندما اقترب دارا (Darius) بجيشه خرب أهل سيثيا Scythia أرضهم وفروا هاربين إلي الجبال، وقد قام رماة الأسهم بالمناوشات مع قوات الملك العظـيم حتـي أجبروه عـلي التراجـع، ولحسـن حظـه كـان الإغريـق الآيونيـون Aionian يقومـون بحراسـة الجسـور بعـد الموعـد المحـدد، وتمكـن دارا (Darius) مـن الرجـوع إلي سيستوس Sestos ، حيث عبر هيليسبونت Helispant إلي آسياناركا وراءه 80 ألفاً من الجنود تحـت قيـادة ميجابـازوس Megabazus وإلي داسـيليوم Dascyleium ليواصل الحرب في عام 513.

إقامة ولاية ليبيا:

في الوقـت نفسـه تـم اغتيـال أرسيسـيلاوس Arcesilaus الـذي سـلم سـيرين Cyrene إلي قمبيز Cambysis ، وقد تم اغتياله في برقة، وقد توسلت أمه فيريتـيم Phretime إلي والي مصر المجـاورة أريانـديز Aryandes ، وكانـت فرصـة جيـدة لا يمكن تفويتها، وقد استعان بأعوانه فقد كان الأمر فقط يتطلب قوات مدعمـة لـه، وقد كانت هذه القـوات حيـث يقـوده أماسـيس Amasis وأسـطولاً تحـت قيـادة بادريس Badres من قبيلة بارسجاردا Parsagardae ، وكان ذلك هو المطلوب مـن أجل إدخال كل المنطقة تحت المظلة الفارسية، وقد استسـلمت ولايـة برقـة تحـت قسم بعدم الانتقام منهـا بعـد حصـار دام تسـعة أشـهر مـن خـلال خطـة توقعهـا أماسيس Amases بنفسه، وقد قدم قادة الحرب إلي فيريتيم Pheretime الغاضب الذي قام بالبتر الوحشي، وقد قيدت نساؤهم حول الجدران، وقد استعبد أماسـيس Amasis باقي السكان وأرسـلهم إلي دارا (Darius) للـتصرف في أمـرهم، وقـد قـام بترحيلهم إلي باكتريا Bactria ، وقد غـيروا اسـمها إلي برقـة، وكـان الهـدف الـرئيس لهذه الحملة هو غزو ليبيا، وقد اعترف القليل منهم بالخضوع لهـذا الغـزو، وأثنـاء هذا الحصار الذي امتد إلي تسعة أشهر لبرقة توسع الجيش الفـارسي غربـاً إلي بنـي غازي بالرغم من المعاناة الشديدة للفرس عند عودتهم منهـا، وقـد استسـلم بعـض من الوطنيين وكون الإغريق والليبيون ولاية جديدة أطلق عليها اسم بوتايا Putaya في عام 512.

وفيما يبدو أنه عند عودتهم، شاهدت القـوات العسـكرية الأعمـدة التذكارية وقد ترك فيها فراغ لعشرين ولاية فارسـية فقـط أضـيفت إليهـا أربـع ولايـات جديـدة، إضـافة إلي ولايـة الهنـد في السـيرة الذاتيـة لـدارا (Darius) أولئك الذين يسكنون البحر وجاندارا Gandara ، بالرغم مـن أن هذه كانت البلد التي انطلق منها سيلاكس Scylax في رحلته البحرية

للخروج المخطط من القناة المصرية، وقد حذفت بعض الولايات من أجل التي أُضيفت حديثاً للقائمة، وهي كوشيا Kushiya (وهي أثيوبيا) وبوتايا Putaya (وهي ليبيا) وكانت بارسا Parsa ما زالت تعد إحداها وكذلك ساكا Saka التي ظلت منفردة بالرغم من الاعتراف بكل من ولايتي الأحراش والسهول.

الغزو باتجاه اليونان:

وفي الوقت نفسه، كان يتم التطهير المستمر للطريق إلي بلاد الإغريق في أوروبا بشكل منتظم، ذلك الذي بدأة ميجابازوس Megabazus ، وقد تم الاستيلاء علي بيرنيثتوس Perinthus بهجوم عاصف بعد مقاومة شديدة باسلة، وتدريجيًّا أجبرت شعوب ومدن ثراس Therace علي الاستسلام المشروط، وقد تم الاستيلاء علي مستوطنات بايونيا Paeonia ، بينما كان مقاتلوها غائبين عنها في انتظار اقتراب أحد جيوش دارا (Darius) ، وبناءً علي أوامر الملك دارا (Darius) تم ترحيلهم في فريجيا، وقد أرسلت الرسل إلي أمينتاس Amyntas وهو أخو الإسكندر (Alexander) الذي قتل هؤلاء الرسل؛ وذلك لقيامهم بإهانة نساء مقدونيا، وقد أخفي نبأ القتل عن الملك مقابل رشوة هائلة وذلك بزواج أخت الإسكندر (Alexander) من القائد الفارسي بوباريس Bubares ابن ميجابازوس Megabazus .

وفي الوقت نفسه كان دارا (Darius) قد قضي العام 512 في سارديس Sardis ، وقد كافأ ميليتوس Miletus المسمي هيستايوس Histioeus علي حراسة جسر إيستر Ister ، وذلك بإعطائه ولاية ميرسينوس Myrinus ، بينما اختير كويز Coes قائداً لميتيلين Mytilene ، وقد وصل ميجابازوس Megabazus مع الرحلتين من بايونيا Paeonia ، وحذر الملك من خطر ما يقوم به هيستايوس Histiaeus في ميرسينيوس Myrcinus ، وبالتالي

تذكر دارا (Darius) ذلك، وأخذ معه القائد المشار إليه إلي صوصا علي وعد أن يجعله مستشاراً له ومشاركاً له علي المائدة رمزاً لعلو مكانته.

وقبل أن يُغادر إلي صوصا، عين دارا (Darius) أخاه أرتافرينيس Artphernes والياً علي سارديس Sardis وقائماً بالإشراف علي مدن أيونيا Ionia الإغريقية، وبدلاً من ميجابازوس Megabasus أصبح أوتانيز Otanes ابن سيسامنيس Sisamens قائداً لقوات عبر البحر، أي والياً علي داسيليوم Dascylieum وبيزانتيوم Byzantium وكاليدون Chaledon وأنتندروس Antandres ولامبونيوم Lampenioum ، وبالتالي كان أوتانيز Otanes قائماً بتأمين تجارة الحبوب عبر البحار، ونتيجة لذلك فقد أهل سيثيان Sythian كل الكنوز الغنية التي كانوا يقدرونها من اليونان، وقد كان تجار ميليسيا Milesia يجدون العمل المربح الذي يعيشون عليه تطوعاً، وكان التحكم الفارسي في المضايق يعد تهديداً لإمداد وتوفير الطعام لبلاد الإغريق في أوروبا، وقد قام ميجابازوس Megabazus بسد المضايق التي أعدها كويز Goes وبالاستيلاء علي ليمنوس Lemnes وإيمبروس Imbres تلك الجزر التي تقع علي الخليج وذلك في عام 511، وبحلول عام 513 كان الحائط الدائري لبيرسيبوليس معداً لتخصيصه، وفي إحدي الليالي المقمرة في الوجهة الجنوبية قدم دارا (Darius) قائمة جديدة لولاياته.

الفصل الحادي عشر

مشكلات الحدود اليونانية

إلقاء الضوء علي نافذة جديدة للحروب مع اليونان:

الحروب اليونانيـة والفارسـية بالنسـبة إلينـا قصـة سـاحرة، مـع أنهـا ليسـت جديدة، وبقراءة هذه القصة نتعرف علي أنفسنا مع الحـروب اليونانيـة، حيـث إن روايتنا يجب أن تبني وتنحصر في هيرودوت (Herodotus) ، فقد نسـينا تماماً أنـه قد مر وقت طويل علينا منـذ أن تجاوزنـا مرحلـة مجتمـع المدينـة عنـدما حكمنـا أنفسـنا مثلنـا مثـل الأثينيـين، وأننـا قـد أصـبحنا الآن امبراطوريـة عالميـة جبـارة ومشكلاتها مثل مشكلات الفرس.

ولا ينبغي علينـا فقـط قـراءة الحكايـات المبهجـة لهـيرودوت (Herodotus) بعيون فاحصة للعوائـق الأمريكيـة لعصرنـا الحـالي، ولكـن يجـب علينـا أن نتنـاسي وللحظة الانتصارات التي انتهت لصالح اليونان الأوروبية (الحرب الفارسـية الكـبري Great Persian War)، وقـد تـم إعطـاء جـزء مـن التصـحيح المطلـوب للتفسـير التقليدي عن طريق المصادر المشرقية الأساسية، والتي لم يكشف عنها الضـوء حتـي وقت قريب، وندرة تلك المصادر التي تلقي الضوء مباشرة علي اليونانيين هو في حد ذاته ذا أهمية كبيرة.

وتؤكد كل زيادة في معرفتنا فقط القـوة الكاسـحة للإمبراطوريـة

الفارسية عندما انقلبت علي الولايات اليونانية المدن الصغيرة المستقلة غير الموحدة، والتي من أجل ذلك لم تصمد طويلاً أمام الفتوحات والانتصارات السابقة، وشجع ذلك محاولة اكتشاف سبب فشل الغزوات التالية.

ومع زيادة الكثافة السكانية وازدياد الثروة وانضمام المزيد من الجزء الحضاري من العالم اليوناني الخاضع بالفعل للسيطرة الفارسية تأكد لدارا (Darius) حتمية ضم الأجزاء الباقية، وقد فكر في أن الزيادة القليلية للحملات الحدودية بقيادة قادته العسكريين كفيلة بجمع شمل اليونانيين الذين ما زالوا يحتفظون باستقلالهم والاعتراف بسيادة الملك الأكبر (The Great King) ، وبينما كان ميجاباسوس (Megabazus) ومن بعدها أوتانيس Otanes يقود الحملات بثبات نحو الجنوب الغربي استقبل أرتافيرنيس (Artaphrenes) في سارديس Sardis السفارة التي كونت مدخلاً مباشراً إلي قلب اليونان الأوروبية، وبعد رحيل المرزبان الأوروبي هبياس Hippias عام 510 قبل الميلاد أصبح الأثينيون تحت قيادة كلسسنيس Cleisthenes ، وتمتعوا بديمقراطية معتدلة، وكأمر طبيعي ومتوقع كانت مهددة بالحرب من قبل إسبرطة المحافظة Conser Vative Sparta وحيث إن إسبرطة Sparta كانت العدو المعلن للفرس، فقد تمت الإشارة إلي تحالف الفرس مع الأثينيين، ولقد طالب أرتافيرنيس (Artaphrenes) الإمارات بالإذعان والطاعة المعتادة (الأرض والماء)، ولقد أذعن الرسل، وأصبح أول احتكاك مباشر للديموقراطية اليونانية والاستعمار الفارسي واضحاً بوعد الديمقراطية الوليدة بتقبل الإقطاع الفارسي، وأثناء فترة فاصلة من الزمن تغير رأي ووجدان العامة، وكان موقف الرسل هو التنصل من المسؤولية، ويبدو أنه تمت معاقبة كلسسنيس Cleisthenes ، ولاحقاً، وبعد عامين (505 ق.م) برز المرزبان هبياس Hippias في ساردیس Sardis ، وأقنع أرتافيرنيس (Artaphrenes) بمحاولة إعادته للحكم.

ولمواجهة هذا التهديد قام خصوم الديمقراطية بإرسال رسولهم لتحذير المرزبان (حاكم ولاية فارسية) من عدم تصديق المنفيين من الأثينيين، وحيث إنه من المتوقع استخدام القوة، أمر الأثينيين بإعادة هبياس Hippias تحت وطأة الهجوم، ولقد قرر الأثينيون شن حرب مفتوحة ضد الفرس.

الثورة الأيونية:

اتحد عدد كبير من اليونانيين الأيونيين في حملة سايثيان Seythian ، وكانوا علي وعي بأهمية قوة اتحادهم، ولكنهم فشلوا تماماً في إدراك أنهم قد أضاعوا فرصتهم وأن المشكلات الطارئة للارتقاء الفارسي قد هدأت الآن، فقرر الأيونيون القيام بثورة، ولقد تزايدت المقاومة والمعارضة للمرزبانات الذين فرضهم عليهم الفرس.

لقد خسرت الطبقات التجارية التي ساندها المرزبانات تجارتها بالنسبة إلي الفينيقيين Phoenicians واليونانيين الأوروبيين، وقام ملاك الأراضي الأصليين باستغلال الفرصة لتأليب الرأي العام، وكان قائدهم أرستاجوراس Aristagoras وهو صهر (زوج ابنة) وخليفة المرزبان ميلتوس Miletus ، والذي سجنه هيستيايوس Histiaeus من قبل الملك في صوصا Susa ، وقد أتت الفرصة لأرستاجوراس Aristagoras عندما طلب المنفيون النكسيون مساعدته لعودتهم إلي جزيرتهم؛ ولذلك قام بإقناع أرتافيرنيس Artaphrenes بتزويده بمائة سفينة للعمل علي تفعيل إعادة الملكية، ومن ثم توسيع رقعة الحكم الفارسي لتصل إلي جزر سيكلادس Cyclades ، وإلي هنا كان ميلتوس Miletus أكثر الإقطاعيين إخلاصاً، ولكن كانت لدي المرزبان شكوكه، وتمت إحالة المشروع إلي الملك لاتخاذ القرار والذي صدق علي احتياطات المرزبان، وبحلول الربيع التالي عام 500 ق.م بدأ الأسطول البحري الرحلة، ولكنه تشكل

من مائتي سفينة شراعية ثلاثية المجاديف (أي في كل من جانبيها ثلاثة صفوف من المجاديف) بدلاً من المائة المطلوبة، ولقد تـم تزويـدها بأعـداد كبـيرة مـن الجنـود الـذين كـان معظمهـم مـن غـير اليونـانيين، ولم يكـن قائـدهم أرسـتاجوراس Aristagoras ، بل كان قائدهم ميجاباتيس (Megabtes) ابن عم الملك، وكان مـن الطبيعي أن يتشاجر كل من ميجابـاتيس Megabtes وأرسـتاجوراس Aristagoras وأن يتم تحذير السكان النكسيين Naxians ، وأن تنتهي هذه الغزوة المخطـط لهـا بالفشل.

وبإلحـاح وتحفيـز مـن هيسـتيايوس (Histiaeus) في صوصـا (Susa) للقيـام بثورة كانت دعـوة أرسـتاجوراس Aristagoras ا لتاليـة لقادتـه هـي إعـادة إحيـاء التحالف الأيوني، وكان هيكاتايوس Hecataeus هو فقط من عارض هـذا الاقـتراح، وعند التحضير لجولته العالمية علم المؤرخون في المقام الأول قوة الإمبراطورية، وقام هو بوضع قوائم مرتبة لجميع الدول الخاضعة للمملكة الكبري، وعـلي الـرغم مـن ذلك لم يتفهم معارضوه ذلك، وقاموا بالتصويت للقضاء علي الحكم الاستبدادي.

ولقد تنحي أرستاجوراس Aristagoras عن مركـزه في ميلتـوس Miletus ، وبالنسبة للمرزبانات الآخرين فقد تم قتلهم أو سجنهم أو طـردهم مـن الـبلاد، ولقد تم طلب المساعدة من إسبرطة Sparta التي كانـت تعـد في ذلـك التـاريخ أقوي قوة يونانية، وبالرغم من تهديدات إسبرطة Sparta السـابقة للفـرس فقـد تم كبح جماح الملك كلومنيس Cleomenes ، فلا بد وأنه قد أدرك أن مسـاعدة الثـوار الأيـونيين قـد حالـت دون أي هجـوم فـارسي في المسـتقبل عـلي اليونـان الأوروبيـة، ولكنـه كـان عـاجزاً عـن فعـل أي شيء، حيـث كـان تـأثيره في أقـل مستوياته سواء في داخل البلاد أو خارجها، وحتي لو كان يؤمن شخصيًّا بأن قـرار الحرب هو القرار الصائب فهو لا يستطيع التأكد من أن قائـد الأسـطول البحـري

بلبوننسيان Pelponnesian المفكك وكورنيس Corinth وأجيانا Aegina سوف يفعلون مثلما فعلت إسبرطة.

ولقد تم نفي أرستاجوراس Aristagoras من البلاد بمجرد أن قام بنشر خريطة العالم البرونزية في محاولة لإثارة جشع الملك، وجعله يبدأ الحرب بصورة عاجلة، ومن المعروف أن الرحلة تستغرق ثلاثة شهور من الساحل وحتي صوصا Susa ، وقام أرجوس Argos بالبحث في معجزة دلفيك Delphicoracle (وسيط الآلهة ومهبط الوحي عند الإغريق)، ولقد تلقي الرد المتوقع بالتهديد بتدمير معجزة دلفيك Delphicoracle ، وكذلك مهبط الوحي في جزيرة برانشيدا Branchidae ، فالأثينيون ولأنهم الأكثر محافظة وانزعاجاً من استدعاء أرتافيرنيس Artaphrenes لهيباس Hippias تلقوا استغاثة ميلتوس Miletus (ابنة المدينة) بالتصويت من أجل عشرين سفينة.

ولقد تم تزويد الأسطول الأثيني بخمس سفن ثلاثية المجاديف من أريتريا، ووصلت عام 499 ق.م، وبزيادة عدد السفن بضم السفن الأيونية والماليسيانية قام الأسطول البحري بالرسو علي شاطئ إيفيسوس Ephesus من هذا الشاطئ سار الجيش إلي كياكوس Caicus ، وعبر الجبل من تمولوس Tmolus إلي سارديس Sardis ، وتراجع أرتافيرنيس Artaphrenes إلي القلعة بينما قام الحلفاء باحتلال جنوب المدينة.

وكانت سارديس Sardis عبارة عن مجموعة أكواخ مبنية من حزم القصب أو بيوت من الطوب اللبن مسقوفة بحزم القصب، وعندما أضرم أحد الجنود اليونانيون النار عن طريق الخطأ في إحدي هذه البيوت اشتعلت المدينة بأكملها وحاصرتها ألسنة اللهب التي دمرت المعبد الشهير سايبل Cybele في بكتليوس Pactolus ، وبسبب محاصرتهم بألسنة اللهب نزلت الحامية الفارسية من الجزء الاعلي المحصن من مدينة أكروبوليس Acropolis مع أهالي مدينة ليديا Lydians المجتمعين في

ميدان السوق، والذي يمر به نهر الذهب حتي هيروموسبلان Hermusplain .

ولقد تم صد هجوم الحلفاء ودحرهم إلي تمولوس Tmolus ، حيث تراجعوا نحو البحر، ولكن قبل وصولهم إلي إيفيسوس Ephesus تمت هزيمتهم في معركة كبري بواسطة القوات المجندة الفارسية التي احتشدت من مقاطعات إقليمية عديدة تقع غرب هاليس Halys بقيادة أصهار دارا (Darius) الثالث، وكل من دوريس Daurises وهيمياس Hymaees وأوتانيس Otanes ، وعندما علم الأسطول الأوروبي بنشوب الحرب بين إيجينا Aegina والأثينيين تخلوا عن الحلفاء وأبحروا نحو الوطن، ومرة أخري نجحت الدبلوماسية الفارسية في عملها، وتم تعويض فقدان الدعم الأثيني بتولية الحكم لليونانيين الهيليبونتين Hellespontin وبيزنطة، وأغلبية كاريانس Carians ، وكذلك كاونوس Caunus وسايبرس Cyparus بقيادة أونسيلوس Auesilus ، وكان تلك هي سلاميس Salamis ، وهو جورجوس Gorgus ابن كارسيس Chersis وابن سيروميس Siromus (حيرم) ابن إيفلثوم Evelthon ، وقام أخو الملك الأصغر أوسيلوس Qnesilus بعد محاولة فاشلة لإقناع جورجوس Gorgus بالقيام بثورة بإغلاق البوابات عليه، وأجبره علي اللجوء إلي الفرس.

ولقد بقيت مدينة أماسيوس Amathus الفينيقية علي ولائها من بين بقية مدن سايبريوت Cypriote ، ولقد قام أونسيلوس Onesilus بتطويق هذه المدينة وحصارها عندما علم أن هناك حشداً كبيراً في الطريق إلي سلسيا Cilicia بقيادة أرتيبويس Artybius ، وقد تمت الاستعانة بالملايونيين الذين وصلوا بكامل أسطولهم البحري، وبعدها بوقت قصير رست قوات أرتيبوس Artybius علي الساحل، وعبرت متجهة نحو سلسيا Cilicia .

وقد رفض الأيونيون إرسال أسطولهم الحربي إلي الشاطئ للمساعدة في الدفاع عن سلاميس Salamis المعرضة للخطر علي الرغم من أنهم

نجحوا في إيقاع الهزيمة بالأسطول الفينيقي، وفي البداية كانت المعركة البرية لصالح الثوار وقتل أرتيبوس Artybius علي يد أونسيلوس Questus في السجن، وبعد ذلك انشق ستاسنيور Stasenqr كوريوم Curium عن الحلفاء، وتبعه الأرستقراطيون من مدينة سلاميس Salamis نفسها.

وتم قتل أونسيلوس Ouensilus وإنقاذ سلاميس Salamis وإعادتها إلي الوضع الصحيح علي يد جورجوس Gorgus ، وعاد الأيونيون إلي ديارهم، وبالتخلي عنهم من قبل حلفائهم تم إجبار الثوار السيبريوتس Cypriotes علي الاستسلام بالرغم من صمود سولي Soli لمدة خمسة أشهر قبل أن يصبح ملكاً عليها عام 498 ق.م، وفي غياب الأسطول أثناء مغامرة سبريوت Cypriot قدم الفرصة التي لم يتوانَ الفرس عن استغلالها لصالحهم، ولقد هاجم دوريبس Daurises علي الهيلسبونت Hellespont ، وفي خلال خمسة أيام استولي علي أهم خمس مدن.

ثم قام بعد ذلك بالتحول إلي كارنيس Carians التي أبيد جيشها في وايت بيلرز White Pillars في مبني جمعيتهم الأهلية مارسياس Marasyas ، وكان أهم أحد قادتهم هو بيكسودرايوس Pixodrus سنديا Cindya ووالده هو ماسولوس Mausolus وحماه Syennesis سينيسس ملك سلسيا Cilicia ، والذي فيما بعد ستصبح عائلته مشهورة، وبمساعدة من الحلفاء اليونانيين الذين وصلوا حديثاً قام كاريناس Carians بمحاولة ثانية في لابروندا Laprraunda في ستان البلانيرا المائية المقدس لزوس اوف هوستس Zoos of Hosts ، ولكن تم إخفاق هذه المحاولة، ثم بعد ذلك في بيداسوس Pedasus قاموا بنصب كمين ليلي للقوات الفارسية الزاحفة، والذي لقي فيه دورسيس Daurises مصرعه عام 497 ق.م، وقام هيلميس Hymaees بالاستيلاء علي ميسيانسيوس Mysiancius ، وبعد مغادرة دورسيس Daurises للهيمسبونت Hellespont متجهاً نحو كاريا Caria ، واستمر هيميس Hymaaees في عملية إخضاع طروادة، وأيضا جرجيسيا

Gergithae ، ولقد مات مريضاً، وفي عام 496 ق.م حل محله المرزبان أرتـافرينس Ariaphrenes ، وكـذلك أوتـانيس Outanes الـذي اعتقـل كـلاً مـن كازمينـا Clazomanea وسايم Cyme .

وفي يأس من النجاح تفـادي أرسـتاجوراس Aristagoras ميلتـوس Miletus ، وتـم قتلـه أثنـاء القتـال مـع Thracians سراسـيانس، حيـث أقنـع هيسـتيايوس Histiaeus دارا Darius بأنه هو الوحيد القادر علي قمع الثورة، ولكن أرتـافرنيس Artaphrenes لم يكن من السهل خداعه، وأفصح عـن شـكوكه، وهـرب المرزبـان السابق إلي كيـوس Chios ، ومـن هنـاك أرسـل خطابـات إلي عـدد مـن الفـرس في ساردیس Sardis الذين ناقش معهم الثورة، ولقد تم عرض الخطابات علي المرزبان، وعندما يقوم الثوار المزعومون بإرسال ردهم سوف يتم إعدامهم في الحـال، ورفـض ميلتوس Miletus الاعتراف بالمرزبان السابق، وجرحه عندما حـاول إيجـاد طريقـة للدخول بالقوة.

ولم يجد هيستياس Histiaeus أمامه أي ملاذ أخـر سـوي ان يسـلك الطريـق المتوقع إلي الهيلسبونت، وهناك بدأ بشن غارات بنوع مـن القرصـنة البحريـة عـام 495 ق.م، وقد أوشكت الثورة عـلي نهايتهـا، ووافـق القـادة الفـرس عـلي أنـه مـن الممكن الآن أن يتم سحق وهزيمة مليتوس Miletus ، وتم توحيـد جميـع القـوات المختلفة والأسـطول الفينيقـي الكبـير والسـاليس، والمصري والسـيبريوت العائـد إلي الساحة من جديد، حيث تم إحضـارهم جميعـاً، وغـادروا الميلسـيانس Milesians للدفاع عن أنفسهم ضد الجيوش البرية مثل الجيش اليونـاني الـذي كـان مـا زال في ثورة، واحتشد علي مسافة بعيدة من جزيرة ليد Lade في الخليج أمام المدينة.

ولقد كان نصف اليونانيين الآسيويين إما خاضعين بالفعـل أو كفـوا عن القتال، ولهذا واجه الثوار الـ353 مركباً ثلاثيـة المجـاديف في مقابـل

600 مركباً ملكية، ولقد كانت بينهم صفات الغدر والخيانة والجبن، ولقد هرب للديار كل من ساامياس Samias وليسبيان Lesbian ، وأيضا كيانس Chians ، ولقد شكلت المقابلة السرية لجنود البحرية النهاية، ومهبط الوحي ووسيط الإله تمثال أبولو Apollo في برانكيدا Branchidae ، والذي قام جيل سابق بالخضوع بمهانة للفرس قد تلقي ما يستحقه من جزاء لأفعاله، فلقد تم حرق الضريح المقدس، ونهبت كنوزه، وحملت إلي صوصا، حيث استخدم التمثال أبولو البرونزي لتزيين المتحف القومي، ولقد قضي أبولو Apollo وقتاً طويلاً حتي تلاشي، ولكن بقيت هناك آثار وغنائم صغيرة حتي وقتنا هذا مثل سلامية ضخمة (عظمة بين مفصلين من مفاصل الأصابع) من البرونز تزن حوالي مائتين وعشرة أرطال بمقابض في أعلاها وعلي أحد الجوانب، وهي تحمل بالأحرف الأيونية القديمة عبارة منقوشة (هذا شئ مخصص لخدمة الإله في الأرض، والذي أقامه Aristolachus أريستولوكس وثراسون Thrason ، ولكن Tsicles تيكلس بن سايديماندروس Cydimandrus قام بطرحه).

ولم يشارك أبولو دلفي Delphi في عار أبولو برانكويا Pranchidal ، وكذلك لم يفعل أبولو الآخر في Magnesia ماجنسيا علي المانيدر Maeander ، وبعد سنوات قليلة وجد دارا Darius الحاجة وكتابة مخطوط ملكي في تلك المدينة: (بأن هؤلاء الملوك دارا Darius ابن هايستاسبس Hystaspes يقول لجاداتاس Gadatas العبد: لقد علمت أنك لم تنصع لأوامري في كل الأشياء، وبأنك قد تعهدت بأرض وزرعتها بنقل فواكه Across Euphrates إليها، وأنا يروق لي هذا العمل، ولهذا فإننا ندخر لك في المستقبل أفضلية كبري في القصر الملكي، ولكن لانك تجاهل سياستي تجاه مصلحة الإلهة، فأنا سأمنحك إذا لم تتغير دليلاً علي مشاعري المتأذية من استخدامك الأدوات المقدمة (الملفات الخاصة

بأبولو)، وأمره بحفر أرض غير مقدسة متجاهلاً تفكير أسلافنا تجاه الإله الذي يقول الحقيقة الكاملة للفرس.

وتم الاستيلاء علي ميليتوس Miletus ، وتمت إبادة الجميع، والثأر لحرق ساردیس Sardis ، وقد تم ذبح معظم السكان الذكور واستبعاد نسائهم وأطفالهم، وتم ترحيل الناجين إلي صوصا Susa إلي أن وطنهم دارا (Darius) بشكل نهائي في أمب Ampe بالقرب من مصب نهر التيجريس Tigris ، وكان كارينس بيداسوس Carihns Pedasus قد خضع بالفعل، وفي المقابل تم منحه قسم الهضبة من مقاطعة ميلسيان Milesian ، وتمت إعادة أياسيس Aeaces ابن سيلوسن Sylosen بواسطة الفينيقيين كحاكم مستبد لساميس Sames ، وحتي الكارينس Carians الذين استمروا في الصمود قاموا الآن بالاستسلام أو تم إخضاعهم، ولقد أغار هيستيايوس Histaaeus علي أتارنيوس Atarneus من أجل الطعام، ولكنه أجبر علي القتال في مالين Malene ، وهزم، وتم أسره في سرب علي يد هارباجوس Harpagus الذي وصل مؤخراً، وتم أخذه إلي ساردیس Sardis ، حيث أعدمه أرتافرينس Artaphrenes علي الخازوق.

وبعد قضاء فصل الشتاء في ميليتوس والشعور بالخذلان والوحدة وخيبات الأمل، وبقدوم ربيع عام 493 استولي الأسطول بسهولة علي كيوس Chios ليسبوس Lesbos وتنيدوس Tenedos الخائري القوي، وتم تطويق كل مدينة بصفوف متواصلة عن الجنود الذين اكتسحوا الجزيرة من الشمال إلي الجنوب أو بالمعني الحرفي طاردوا سكان المدينة بأكملها، ولقد تم أيضاً الاستيلاء علي المدن الأيونية الثائرة علي البر الفرنسي (الجزء الرئيس من البلاد)، ولقد تم انتقاء أجمل الغلمان، وتم إخضاعهم للخدمة في البلاط الملكي، بينما تم ضم الفتيات الجميلات إلي للحريم الملكي، ولقد أُحرقت المدن بمعابدها، ثم قام الأسطول بعد ذلك بإنزال العقوبة القاسية نفسها علي المدن التي تقع غرب

الهيلسبونت Hellespont ، مثلما فعل الجيش علي الجانب الأيمن، ولقد تصاعدت ألسنة اللهب والدخان من مدينتي بيزنطة Byjantium وكاليدون Chaleedon المهجورتين، بالرغم من أن سيزيكوس Cyzicus كان قد توصل تواً إلي تفاهم مع أوبيرس Oebares الذي عاد إلي والده ميجابازوس كمرزبان لداسيليوم Dascyleium .

ولقد أثبت هيكاتايوس Hecataeus أهليته وبراءته بالنتائج المحققة، وبهذا فإنه كان المؤرخ أو الرجل الوحيد الذي أبرم سلاماً مع المَرزبان، ولقد تظاهر أرتافرنيس Artaphrenes شخصيًّا وزعم أنه علي استعداد تام لنسيان أخطاء المعاناة والثوار وبأنه سيعيد قوانينهم، ولكن كان كل ذلك في مقابل إقرار يتم إبرامه في اجتماع النواب الأيونيين، أما عن سكان مدينة هيثرتو Hitherto الأيونية والتي تمتعت بدرجة معقولة من الاستقلال المحلي فهم الآن علي وشك أن يتم إخضاعهم بصورة أكثر فاعلية داخل النظام المُرزباني، فيجب إنهاء الحروب الخاصة بين الولايات، وبدلاً من ذلك يجب الخضوع إلي التحكيم الذي يقوم بالفصل فيها، ولقد اتبع الفرس Persio المثال الآسيوي Assyriq في عمل إحصاء رسمي للسكان بهدف جبي الضرائب، وتم فرض تطبيق هذا الإحصاء بالقوة الجبرية علي مقاطعة أيونيا Ionia ، والتي تم قياسها بالفرسخ، وقيست بحوالي ساعة من المشي أو حوالي ثلاثة ونصف من الأميال، ولقد تهيأت تربيوت Tribute تقريباً لمرحلة ما قبل الحرب، ولكن عقاب المدن الثائرة بتحويل قطع مهمة من أراضيها للمقاطعات غير اليونانية، ولقد أدي كل من تدمير وخراب الجيش والأسطول وفقد السكان بالموت أو الفرار أو الترحيل إلي زيادة الضغط بشكل كبير علي القلة المتبقية من الناجين، وبالزيادة السكانية وعودة الرخاء مرة أخري قل الضغط، ولكن ظلت الضريبة ثابتة حتي أيام هيرودوت Herodotus .

إعادة تنظيم الولايات الفارسية (المرزبانيات):

وكان يتم تحديد الولاية الإمبراطورية في ذلك الحين عن طريق قائمة مرزبانية يتم إضافتها من صوصا Susa ، ولم تتعد بارسا Parsa في السابق، ولقد أخبرنا هيرودوت Herodotus بأن برسيس Persis هي الأرض الوحيدة التي لم تدفع ضرائب، ولقد اختفت ساجارتيا Sagartia ، ومن المحتمل أنه تم توحيدها مع ميديا Media .

أما عن سيثيا Scythia فقد تم تقسيمها إلي مرزبانيتين هما مرزبانية (ساكاهومافارجا) Sakahoumauarge و(أميرجيانساكا) Amyrgiansacae اللتين تقومان بإعداد شراب الباوما Booma Drink المقدس، ومرزبانية ساكاتيجراكهودا Saka Tigrakhauda أو تول- هات- سيش Tall- Hat Scyths ، وبالإضافة إلي أيونا Iona الواقعة علي الساحل، وكذلك ما وراء الساحل، وهناك مرزبانيتان جديدتان تماماً، إحداهما هي سكودرا Skodra (تراس وماسدونيا) (Thraco & Macedonia) ، والمأخوذ اسمها عن مدينة ماسدونيا Macedonia مرزبانية Scydra ، والأخري المدرجة في القائمة هي كاركا Karka المأخوذ اسمها عن هيهيت Hihite لمرزبانية كاريانس Carians ، ولقد ظهر أيضاً في أثناء هذه الفترة استخدام ما يقارب وزن البرونز علي يد العبقري إيوبويك Euboeic المنقوشة في آرامايك Aramiac ، «تماما طبقاً لمرزبانية الملك»، ومنذ استخدامها في أبيدوس Abydos في هيليسبونت Hellespont فإنه من المؤكد أنها قد شهدت إعادة تنظيم مالي مماثل لما حدث في مرزبانية داسيليوم Dascyleium .

النجاح والفشل في الدبلوماسية الفارسية:

كان ماردونيوس Mardonius ابناً شاباً هو جوبرياس Gobryas ، وقد تزوج حديثاً بابنة الملك أرتوزوستار Artozoster ، وقد قام بإعداد الضباط

الذين يشغلون مركز قيادة العمليات العسكرية في ربيع عام 492، وقد أعلن عن سياسة جديدة، حيث إن الملك دارا (Darius) كان قد لاحظ من قبل ميل بعض المدن التي تنتمي إلي الإغريق في آسيا إلي تجربة سياسة دبلوماسية بدائية، ومن ناحية أخري أعلم المؤيدون لكيسينيز Cleithenes الديمقراطي وعدهم له بأن يكون مالكاً للأرض والسماء، وقام معارضوهم من متمردي أثينا بمخالفة هذا الوعد ونقضوا عهدهم وأعانوا متمردي أيونيا Ionia ، وهذه العوامل أدت إلي تهديد الحرب الفارسية في الانتقام من المتمردين الخارجيين عن القانون، وكان أعداء الإمبراطورية الفارسية في ذلك الوقت هم أعوان المرزبان المنفي هيبياس Hippias ، وقد أظهر أعضاء الحزب الديمقراطي قوتهم وبأسهم، وذلك بفرض غرامة كبيرة علي المؤلف المسرحي فرينيكوس Phrenachous ، وذلك لعرضه مسرحية «الاستيلاء علي ميليتوس Miletus »، وقاموا بمنع عرضها، وبالتالي أمر دارا (Darius) بطرد المرزبانات الذين لم يعد هناك أي جدوي من وجودهم، وأن يتم الاعتراف بمدن أيونيا Ionia باعتبارها عواصم ديمقراطية، ولأول مرة في التاريخ كان للديمقراطية دور في غزو المدن الإغريقية، تلك الديمقراطية الوليدة كانت تزدهر تحت رعاية وحماية الإمبراطورية الفارسية التي يزعم أعداؤها أنها إمبراطورية بربرية، وليس من العجيب أن هيرودوت (Herodotus) قد أشار إلي هذه السياسة الجديدة كإحدي العجائب، وهذا يُعد نقضاً كاملاً لرفض الإغريق تصديق البيان القديم الذي طالب به أوتانيس Otanes الفرس بأن يتبنوا الإصلاح الديمقراطي في الحكم.

وربما كان دارا (Darius) يأمل في هذا الملمح من الحكم في الولايات الإغريقية في أوروبا، حيث كانت النزاعات تنشأ في عدد كبير من الولايات الديمقراطية، وقد يكون من المتوقع أن ترحب بالإصلاح الديمقراطي التحرري من الدول المحافظة البغيضة، وعلاوة علي ذلك

فالمدن الإغريقية في آسيا سوق تظل هادئة فقط لـو تحـررت مـن الإغـراء المسـتمر الذي تمثله الدول المجاورة المستقلة، وهي تتعاطف معها إن لم تكن عـلي اسـتعداد لمساعدتها، وهـي تـدعم الاتجـاه المضـاد للفـرس، وإذا تـم القضـاء عـلي أملهـم في الحصـول عـلي المسـاعدة الخارجيـة فـإن اتجـاه الإغريـق في الاسـتيلاء عـلي المـدن الفارسية سوف يرتد في نحورهم.

عنـدما كـان مـاردينوس Mardinous يصـطحبه أسـطول بـه 6 آلاف سـفينة كانت هناك قوة عسكرية تزحـف معـه إلي هيلزبونـت Hellenus ، وعنـد وصـول القوات العسكرية إلي المضايق، كـان قـد تـم إنـزال الجـيش بواسـطة البحريـة، وفي أوروبا أعلـن القائـد الفـارسي مـاردوينوس Mardonius هدفـه وهـو غـزو إريتريـا Eretria وأثينا، وبعد تعهده بالديمقراطية لأيونيا Ionia كان الطريق ممهداً لأنصار الديمقراطيـة في المـدن المهـددة بـالحرب لينتهـزوا أول فرصـة تلـوح لهـم لطـرد المحافظين، وأن يقيموا قياداتهم علي منصات الحكم تحت حماية صديقهم الفارسي وهو الملك العظيم.

ومـن أجـل مـنح الوقـت الكـافي لهـذه العوامـل لأن تقـوم بعملهـا، اسـتمر ماردينوس في سياسة الزحف البطيء التي كـان يتبعهـا مـن الشـمال تحـت حمايـة الأسطول، وقد يسلمون ثاسوس Thasos للأسـطول بـدون مقاومـة، بيـنما اعترفـت مقدونيا بالسيادة الفارسية، وكان مقابل هذا النجـاح تـدمير ثلاثمائـة سـفينة وهـي نصف الأسطول الكبير، وخسارة 20 ألف رجل نتيجة عاصفة مفاجئة في جبال أتوس Attos ، وفي الوقت نفسه تعرض الجيش لهزيمة قوية قرب مقدونيا علي يد جـيش فيريجيا Phrygia - التي تخلفت عن أوروبا- وكـان مـاردوينوس Mardonus مـن بين الجرحي، وبالرغم من ذلك فقد فتح الجيش بلاد بريجي Brygi ، ومن ثم عـاد ماردنيوس Mardonius إلي آسيا.

وبناءً علي ذلك، فإن الدبلوماسية والسياسية الاستراتيجية الفارسـية

كانت من الناحية النظرية تخلو من العيوب ولكنها قد بدأت سلسلة مـن الأخطـاء الفادحة التي أدت إلي نتائج وخيمة، وبسبب هذه الهزيمة المؤقتة تقرر التخلي عن سياسة التقدم البطيء الآمن والمؤكد، والتقدم من الشمال تفضـيلاً لسياسـة المـوت المفاجئ والهجوم المباغت عبر بحر إيجة لمهاجمة أثينا وإريتريا Eretria .

وفي بداية الأمر لم تكن هناك دلالة علي ارتكـاب هـذا الخطـأ الفـادح، حيـث أرسلت الرسل إلي أرض الإغريق في القارة الأوروبيـة عـام 491 والتـي تمتعـت بهـذا النصر الزائف، وكانت المهمة في أرض إسبرطة وأثينا غـير محـددة وشـبه مسـتحيلة، حيث كانت في هذه الولايات رمـوز العبوديـة راسـخة ومسـتقرة وكـذلك كانـت في الجزر التي تقع في بحر إيجة التي كانت قـد أدت إلي الفـرس خـدمات كبـيرة مثـل بداية الحرب التي أدت إلي انفصال أثينا عن أيونيا Ionia ، وقـد اشـتكت أثينـا إلي إسبرطة التـي حـاول ملكهـا كليـومينيز Cleomenes التـدخل في إيجبينـا Aegina عندما منعه زميلـه ديمـاراتوس Demaratus مـن شـنهام وحمـل عليـه كليـومينيز Cloemenes ، وبالتالي لجأ ديمارسـاتوس Demartus كـما فعـل هيبـاس Hippias إلي الملك دارا (Darius) ، وقد كافأه دارا (Darius) بالحقول والمدن.

وقد استبدل ماردونيس Mardonius بدايتس Datis من ميديا Mede وبابن أخي الملك الأصغر أرتافرينيس Artaphenes ، وفي عام 490 وصلوا إلي سهل إيليان Aelian في صقلية، حيث تم إنزال الجيش علي سفن حاملـة للجنـود، بالإضـافة إلي الخيول، وهنا أيضاً انسحب الجيش بعد الخسارة التي منـي بهـا عنـد جبـل أتـوس Atous أي فقد قوته الطبيعية التي كانت تبلغ سـتمائة سـفينة ثلاثيـة المجـاديف، وقد قدمت هدايا قيمة إلي عرض ليندوس Lindus واسـتمالت بهـذا العـرش، كـما فعل العرافون الشيء نفسه مع الكهنة، ومن أيونيا Ionia أبحر الجيش من سـاموز

Samos إلي ناكسوس Nares حيث هرب السكان إلي الجبال وحرق الغـزاة المدينـة ومعابدها، وقد نجا أهل ديليا Delia إلي تينوس Tenes ، لكن الفـرس دعـوهم إلي العودة وقدموا 300 تالنت Talent من البخور وعقداً من الذهب لمعبودهم أبوللو Apollo ، وبهذا أجبر كاريستوس Carystes علي الاستسلام.

وفي رد فعـل تجـاه تهديـد الجـيش كـان ثيـوجنيس Theognis مـن ميجـارا Megafa ككل الإغريق في القارة الأوروبية، وفي البداية قام بحرب كلامية قـائلاً إنـه لا يخشي الحرب، ولكنه انتبه إلي الخطر، فقال إن كل ما يستطع فعله هـو التوسـل إلي معبوده أبوللو وكل الآلهة أن يحموا مدينته؛ لأنه خشي نقـص الحماسـة والآثـار المدمرة للحرب عندما كانت هناك صراعات مع ميديا Mede .

وكما توقع ماردونيوس Mardonius وجدت إريتريا Ertria نفسها بين قـوتين متصـارعتين، وقـد كسـب المحـافظون الصراع في النهايـة ولكـنهم رجحـوا السياسـة الدفاعية وليسـت الهجوميـة، وبعـد سـتة أيـام مـن المقاومـة الشـديدة للهجـمات الفارسية تمت خيانة المدينة من قبـل اثنـين في الـديمقراطيين، وكـان لهـما مـبررهما المتوقع بأن حزبهما سوف ينال الحكم.

وكان الهدف الأول من الحملة قد تحقق وبقيت أثينا وحدها عُرضة للهجوم، وقد كان داتيس Datis يأمل في أن المدينة سوف تسلم له عن طريق أعوانه وأصدقائه وهـم مؤيدي هيبياس Hippias إما بالجيش أو بالقادة الديمقراطيين، وهـذه الآمـال كلهـا قـد قضي عليها بواسطة خطـأ فـادح وغبـي وهـو تـدمير معابـد ومدينـة إريتريـا واسـتعباد أهلها، وهذا جعل من المحال أن أهل أثينا سواء كـانوا ديمقـراطيين أو غـير ذلـك سـوف يقفون في موضع المتفرج علي حـرق وتخريـب واسـتعباد بلـدهم وبالتـالي، عنـدما قـام داتيس Dates بعبور الخليج الضـيق استرشـاداً بهيبـيلس Hippias وهـبط عـلي سـهل

ماراثون Marathon الذين قيل عن أهله إنهم موادعون وجد كل القوات في أثينا متأهبة لقدومه، ولم تُظهر العون الذي وعد به أهل إسبرطة لأثينا؛ لأنهم كانوا ينتظرون البدر من أجل الاهتداء في البحر؛ ولذلك كان أهل بلاتيسا Plataca فقط الذين هبوا لنجدتهم، وبعد انتظار بسبب مشورات متناقضة تم الهجوم بواسطة الميليتاديز Militades وكان مشهد الخراب الذي حل بإريتريا ماثلاً في الأذهان، وقد قام الفرس والساكاي Sacae باختراق وسط المدينة، لكن خطوط أثينا اتحدت وراءهم وأوقعت بهم هزيمة قاسية، وقد تمت مطاردة الفرس المتراجعين إلي السفن حيث استولوا علي سبعة منها.

ولم يعني داتيس Datis حتي الآن أثر قسوته غير المبررة، حيث اعتقد أن المدينة قد تستسلم إذا وصل الأسطول، في حين لم يكن جيشها الوطني حاضراً، وكان قائد الديمقراطيين قد أشار بذلك الاستسلام بالدرع، لكن الجيش أسرع عائداً في الوقت المناسب ولمدة أيام ظل الأسطول الفارسي يحوم حول جزيرة فاليروم Phalerum ثم اقتنع أنه لا أمل في خيانة محلية، فقد قام الغزاة المحبطون بالعودة مقهورين إلي وطنهم.

وبدلاً من استعادة ثقة الديمقراطيين بإعادة الأسري من إريتريا، قام الفرس بحملهم إلي صوصا وأبعدوهم إلي مسافة 29 ميلاً منها إلي سيسيا Cassia موطن الكاشيت Kashshites ، وكانت مشهورة بالمياه بها، حيث تستخرج الماء ويوضع في خزانات، ثم يرسب الملح والأسفلت والبترول، وهنا في القرن الأول اكتشف أبولونيسو Apollonius هذه العيون، وكان لا يزال يشتاق إلي وطنه ويتحدث لغة الأجداد.

الفصل الثاني عشر

العواصم الثلاث إكباتانا، وبابل، وصوصا

مقدمة:

منذ إعادة اكتشاف الأوروبيين لبيرسيبوليس في عملية تدريجية بدأت من نهاية القرن الخامس عشر، وكانت آثارها العملاقة تقف شاهدة علي الإمبراطورية الفارسية في فكر العالم الغربي، وبالتالي كانت حقيقة مدهشة أن ندرك أن الإغريق لم تكن لديهم أية فكرة واضحة عن أهمية هذه المدينة حتي قام الإسكندر (Alexander) بزيارة لها فقط بغرض الإجهاز علي ما تبقي منها وإتمام حدودها، وبالنسبة إلي الإغريق المعاصرين كانت المقار الثلاث للإقامة الملكية في العصر الأخميني هي بابل وإكباتانا وصوصا، ولا يمكن أن نلومهم علي الجهل بتلك المدينة الرائعة بيرسيبوليس، حيث لا يوجد لها ذكر في سجلات بابل وفينيقيا ومصر واليهود، وبالتالي فإن العواصم الفارسية المعلومة لديهم هي بابل وإكباتانا (القلعة) وشوشان (صوصا) Shushan القصر.

قصر دارا (Darius) في بابل:

كانت إكباتانا لم يتم التنقيب عنها بعد، وتدلنا المكتشفات التي تتم بالمصادفة علي القليل، وفي بابل استقر دارا (Darius) في بداية الأمر في

قصر نبوخذنصر Nebuchadnezzar في البقعة الواقعة في أقصي الشمال، ولا توجد هنا أية إشارة إلي دمج أثيوبيا وليبيا في ولاية واحدة؛ وذلك لأن أخبار ذلك لم ترد بعد، وتوجد في هذه القائمة الهندوش Hindush وساجارتيا Sagartia ، وبالإشارة إلي أيونيا Ionia يقال إنها «الأرض الجافة»، وبالإشارة إلي «أولئك المقيمين بجوار البحر» كان يقصد داسيليوم Dascyleium ، ولدينا إشارة هنا إلي الأرض الواقعة خلف البحر وهذا يعني أن غزو أوروبا كان قد بدأ في المدينة، حيث تحكم بوجود عمود تذكاري من الحجر الناري يحمل النسخة الأكادية Akkadia من سيرته الذاتيه، وقبل وقت طويل بني دارا (Darius) قصره الخاص في القلعة الجنوبية غرب قصر نيبولاسار Nebopolassar ، وقبل إتمام سوره الضخم ذي القاعة المليئة بالأعمدة ذات السقيفات من علي الجوانب والمقدمة، تلك التي كانت تحرسها أبراج مربعة، ويقرب إليها درجات سلم من الجنوب مثلما كان قصر نبوخذنصر، وهكذا كانت الأرضية المغطاة في بداية الدخول إلي الفن المعماري الفارسي، وقد قلد دارا (Darius) أيضاً من القصر الذي كان يقيم به المنصة الثلاثية الطبقات، حيث توجد طبقة خشنة من الحصي مثبتة بالملاط (المونة المسلحة)، ثم طبقة أكثر نعومة من الحجر الجيري، ثم طبقة من اللون الرائع المصنوع من الجير للطلاء، تلك المعهودة في العصر الإغريقي، وأصبحت سمة مميزة للمباني التي قام بها دارا (Darius) ، وهناك بقايا من قواعد الأعمدة من الحجر الجيري التي تشهد أن ذلك الفن المألوف في بيرسيبوليس كان مطبقاً بالفعل، وكانت القواعد الحجرية التي تقوم عليها الأعمدة تحمل نقوش دارا (Darius) بنفسه.

ومن نبوخذنصر Nebuchadnezzar استعان دارا (Darius) أيضاً بتوظيف تراكيب الحجر ذات الألوان المختلفة، وهذه الأحجار ليست من الطمي ولكنها مصنوعة من الحجر المختلط بالرمل الذي تمت

تغطيته بالتلميع والصقل البراق ذلك الـذي سـبق أن اسـتخدمه أسـلافه العظـام في بناء طريق الموكب وبوابة عشتار Ishtar ، ومثلما كان في أعمال نبوخذنصر Nebu- Chadnezar لعبت أشكال الحيوانات وصورها دوراً كبيراً في هـذه الأعـمال الفنيـة، فالبعض كان مستوٍ والبعض كان غائراً وكانـت توجـد في هـذه الرسـومات خطـوط سوداء تحدد الإطار الخـارجي للمشـاهد التـي احتـوت عـلي تصـاميم مـن الأزهـار وأعمدة من الحلية المعمارية المزدوجة والكتابات باللغـة الآيونيـة Ionia ، وكانـت تحتوي هذه الرسومات علي كبار الموظفين والقواد العسكريين، بالإضافة إلي ممـثلي قوات الخالدين في ملابسهم الفاخرة الغنية، وقـد غطـت هـذه الرسـومات حـوائط المدينـة، وكانـت تصـف كـذلك ستيسـياس Ctesias طبيـب الملـك أرتاكسركسـيس (Artaxerxes) الثاني، وذلك برسـومات لامعـة غنيـة بـالألوان، بـالرغم مـن أنهـا لا ترجـع إلي نبوخـذنصر Nebuchadnezzar أو دارا (Darius) لكـن إلي سـميراميس Samurais التي صورت رسومها الوجه الأبيض الذي اكتشفه المنقبون عن الحقيقة.

موقع العاصمة صوصا:

وبعد ذلك، قام دارا (Darius) بنقل أسلوب البناء كله إلي صوصا، وبالرغم مـن أنهـا لم تكـن مركـزاً للإمبراطوريـة كـما كانـت بابـل، فقـد كـان موقعهـا في قلـب الإمبراطورية أفضل من إكباتانا Ectanaba وبارسارجادا Parsagarda أو بيرسـيبوليس Persipolis ، ومع ذلك فقد كانت قريبـة مـن مـوطن الفـرس، وكانـت هنـاك طـرق مواصلات سهلة توصلها إلي بابل، وأهمها الطريق المتجه غربـاً إلي بابـل خـلال سـهل متسع، وتوجد آثار لطريق يتجـه شـمالاً إلي إكباتانـا Ectanaba وهـو يشـق منطقـة وديان نهر كوسبيس Cospes خلال أرض ولايـة أوكسي Uxii المسـتقلة، وفي الصـيف تتجـه القوافـل منهـا إلي بيرسـيبوليس وبارسـاجاردا Parsagarda في طريـق آخـر

وهو يسير بالاتجاه الجنوبي الغربي، وفيه كان المارة يدفعون الرسوم إلي قطاع الطرق الساكنين علي جانبي الطريق، وكذلك إلي ملوك الفرس، وهذه الرسوم تدفع من أجل السماح للقوافل بالمرور الآمن، وعندما يحل فصل الشتاء وتسد الطرق يوجد طريق آخر دائري حول الخليج الفارسي، ولا توجد في هذه الطرق الرطوبة المارة بهذه المنطقة، وذلك بفضل فصل الشتاء.

لم تكن تجارة صوصا مصدراً يستهان به من ثروتها، وتلك التجارة التي كانت تتخذ طريقها عبر الخليج الفارسي كانت أكثر رواجاً من الوقت الحاضر، ففي القرنين الخامس والرابع قبل ميلاد السيد المسيح كانت هناك أربعة أنهار رئيسة في المنطقة وهي الفرات ودجلة وكوسبيس Choaspes ونهر موازٍ للفرات، ولم تكن تصب مباشرة في الخليج كما هي الآن بل كانت هناك منطقة التقاء لمياه هذه الأنهار تشكل منطقة بحرية واسعة تصلح للملاحة في منطقة شط العرب، وكانت تُعد هذه منطقة بحيرات عشبية عظيمة الاتساع، وكانت الجزر بها تشكل مخارج متعددة إلي الخليج الفارسي الواسع، وكانت المسافة بالنسبة للتجارة تمثل ثلاثمائة وخمسة وسبعين ميلاً من نهر الفرات إلي بابل، ومن ناحية أخري كانت تبعد صوصا فقط، 6 أميال من منطقة بيت أياكين Bit Iakin أو إجينيس Aginis ، حيث كانت صالحة للملاحة بالقوارب.

ويتصل الوادي المشرف علي صوصا بالغرين البابلي المكون للسهل، ولكن يختلف تكون الواديين، وبسبب قربه من الجبال وارتفاعه المعقول الطفيف فإن الأنقاض والحصي والغرين التي تدفعها مياه النهر إلي الوادي وترسبها علي طول مجراه، ولا يصل إلي صوصا إلا الغرين بالغ الخصوبة حتي إن طبقات الطمي تتراكم مكونة أرضاً زراعية لا تكاد تفقد خصوبتها علي مدار السنين، وقد زعم القدماء أن معدل إنتاج هذه المنطقة مائة ضعف، أي منطقة أخري، وقد زعم آخرون أنه يبلغ المائتي

ضعف، ولكن تكون الحرارة قاسية جدًّا لمدة تسعة أشهر كاملة، حيث يكون الطقس فيه غير محتمل ما عدا فجوة في الطريق الموصل من صوصا إلي بابل، حيث السهل محاط بالجبال التي تحجب الرياح الحارقة عن الوادي، وفي الطرف الشمالي والشمالي الغربي منه توجد حافة جبلية ضيقة لجبل كابيركوه Kabir Kuh ، ويقع إلي شمالها مباشرة زاجروس Zagros ، ويوجد في شرقها وجنوب شرقها كتلة جبلية رئيسة، وتوجد علي مدي البصر باتجاه الحبوب تلال من الحصن المجمع والرمال الحمراء والحجر الرملي الذي يدل علي وجود ترسب من الطمي في هذه المنطقة.

وكما علم القدماء، فإن الجبال المرتفعة التي تحيط بصوصا في دائرة تقطع الرياح الباردة المتجهة من الشمال إلي الجنوب في معظم أوقات العام، وهو يجعل جوها معتدلاً طوال الوقت، وبالرغم من أن تأثير هذه الرياح الباردة يزداد كلما اتجهنا جنوباً، وفي فصل الصيف تهب الرياح الحارة الجافة من بابل والخليج الفارسي في عبر الفجوة الجبلية باتجاه الجنوب الغربي، وهي تجفف كل الزراعات ويُجبر السكان علي اللجوء إلي الحجرات الضيقة بالرغم من جوها الخانق، فقد كانت ذات حرارة معتدلة نظراً لتغطية أسقفها بعروش النخيل، ثم تُغطي هذه الفروع بطبقة في الطمي تبلغ ثلاثة أقدام، وهكذا تقوم بحماية المنازل من وهج الشمس الحارقة، وقد ذكر أحد المؤرخين الإغريق أن الثعابين والسحالي كانت تحترق حتي الموت إذا حاولت عبور الطرقات في فترة الظهيرة، وقد كانت المياه الباردة توضع في الشمس فتسخن في الحال، وهكذا تستخدم في الاستحمام بالماء الساخن، وقد كان الشعير ينشر وتجعله أشعة الشمس الحارقة مشويًّا منتفخاً صالحاً للأكل في الحال بالطريقة نفسها التي تستخدم حاليًّا في شواء الذرة في الأفران.

وقد تكون هناك مبالغات في هذه الروايات، ولكن لا يمكن أن يثبت

أي غربي عكس ذلك بواسطة الملاحظة الشخصية؛ لأنه لا يستطيع تحمل وهج هذه الحرارة الشديدة إذا أراد أن يسجل ذلك بنفسه، ومن يستطع منهم أن يبقي في شهر يونيو ويبقي قي الظهيرة حتي يسجل درجة الحرارة التي تتجاوزة المائة، وفي ذلك تجف الأزهار الجارية وتصبح البرك التي تتجمع بها مياه النهر ملحية؛ لأن مياهها كانت تمر بالملاحات والتراب الكلسي الذي يغطي هذه الجبال، ومثلما يفعل الزوار في عالمنا المعاصر، يلجأ علية القوم إلي أعالي الجبال بعيداً عن الوادي الرطب الحار، وهناك توجد الآثار الثمينة التي تحتاج مزيداً من التقنيات عليها، وتلك المرتفعات تبلغ 5 آلاف قدم ارتفاعاً، وتقع مباشرة تحت القمم الجبلية المغطاة بالجليد.

وباقتراب نوفمبر، تصبح السهول باردة نوعاً لأن الرياح تغير وجهتها إلي الشمال الشرقي، وتتم زراعة القمح والشعير علي المياه المتساقطة من الجبال، وذلك بحلول منتصف الشهر، وكلما تقدم الشهر تزداد البرودة ويزيد معدل سقوط الأمطار المصحوبة بالجليد، وتصبح الرياح مستمرة لمدة أطول ومن آن لآخر تغطي الأرض طبقة رقيقة من الجليد.

وتنشأ أثناء شهري يناير وفبراير أعاصير قوية تبدأ حركتها في المحيط الهندي، وهي توقع أضراراً بالأرض، وتقع وطأتها بإحداث الدوار الهائل بالتربة التي شهدت الجفاف الشديد في الصيف، وكذلك تطيح بالمنازل المصنوعة من الطين، ولكن تفيد في جلب الرياح الحاملة للأمطار التي تحول الأرض الصحراوية القاحلة إلي مروج للزهور، وتري في كل موضوع منها تألق زروع الحشائش والنخيل وأشجار الخروب والطرفة التي تأخذ ألوان متنوعة وزاهية، وفي نهاية شهر مارس تتوقف الأمطار وتميل الزروع إلي دورة جديدة من حياتها، وفي نهاية أبريل يكون موسم الحصاد، وفي الوادي المحمي بالجبال تستمر أشجار الدفلي بلونها الأخضر الغني لفترة أطول، وخلاف ذلك لا توجد إلا كتل عشبية

صفراء ونبات القتات الشوكي، مما يذكر الرائي بوجود زراعة كانت مزدهـرة في ذلـك الوادي.

وبالنسبة للحيوانات المتواجدة في هـذه المنطقـة، فقـد كانـت تزخـر بالفيلـة والنعام والثور والحمار البري تلك التـي تعرضـت للصـيد الجـائر الـذي أوصـلها إلي درجة الانقراض، إضافة إلي الأسود التي كانت غالباً مـا توجـد في رسـومات صوصـا، لكنها أصبحت نادرة في عصرنا هذا ثم توجد بعد ذلك في أعداد أقل في ذلك الوقت حيوانات الدب والنمور والخنزير البري والذئب والوشق والثعلـب وابـن آوي التـي ما زالت موجودة في هذه المنطقة في أعداد تتناقص.

ففي أثناء الليل، ما زال بإمكانك أن تسـمع عـواء الـذئاب، وابـن آوي مقابـل نباح الكلاب كما لو كانت تنتحب علي ماضيها حين كانـت في جماعـات كبـيرة، بهـا الجميع وتزور هذه المنطقة طيور مغردة في هجـرة موسـمية منتظمـة تحـل بهـذه المنطقة شتاءً وتهجرها صيفاً أثناء موسم الحرارة والجفاف.

لكن الأمطار في حد ذاتها لا تكفي لقيـام زراعـة تعتمـد عليهـا، فهـي ليسـت المصدر الرئيس للري والزراعة المثمرة، وللمرة الثانية تلعب الجبال دور المنقذ لهذه المنطقة، حيث تسيل من عليها المياه الناتجة من زيادة الجليد، ويحكم ذلـك نظـام ري مكلف لكن هذه الزراعات تقوم علي قنوات الري بدرجة كبيرة من الأنهار التي تنبع من الجبال وتروي زراعات المشمش والبطـيخ والخيـار وهـذه المحاصـيل تعـد مصدراً لفخر هذه المنطقة، حيث إن لها شهرة عالمية لجودتها.

ومن منبـع هـذه الأزهـار، وفي الاتجـاه الجنـوبي الغـربي لمجراهـا توجـد صخرة بيهيستام Behistum علي مقربـة منهـا، وهـي الصـخرة ذات النقـوش الشهيرة وتقع في نقطة التقاء هذه الأزهار وتفرعهـا أيضـاً إلي منعطـف يبلـغ ألف قدم، ثم يُعاود التفرقة بعد هذه الصخرة، وفي تلك الأيـام التـي تتناولهـا

دراستنا كانت المياه الباردة تنساب بـالقرب مـن غـرب قصـور صوصـا، ولـيس مـن المدهش أن نعلم أن ملوك الإمبراطورية الأخمينية لم يشربوا من أي مصدر آخر غير هذه المياه النقية، وكانوا دائماً ما يصطحبون في ترحالهم مياهـاً مـن نهـر كوسـبيس Chaospes ، وهذه الأواني من المياه لم تفارق هؤلاء الملوك في تجوالهم، وكان النهر الآخر لصوصا هو أولاء Ulai والذي يطلق عليه الإغريق يولايـوس Eulaeus ، وهـو يقترب من النهر السابق عند المدينة بميلين وربع الميل، ويسـيران متـوازيين، وهنـاك شبكة ري ومجارٍ مائية تربط بينهما قبل أن يواصل طريقه منفرداً، ويتحـول داخـلاً في بحيرة عظيمة بمصب مستقل لها، وهناك شبكة من القنوات علي ضـفتيها توجـد مرتفعات غير طبيعية، ولكنها تكونت من بقايا الآثـار المـدمرة مـن أنقـاض المنـازل التي كانت تتبع العمال الـذين اشـتركوا في بنـاء هـذه القصـور التـي كانـت زاخـرة بالحياة في ذلك الوقت، ويؤدي تناثر هـذه البقايـا في دائـرة واسـعة بـالمؤرخ إلي أن يقبل الرواية التاريخية التي قدرت اتساع المدينة بدائرة قدرها 15 ميلاً.

قلعة دارا (Darius) :

وعلي العكس من بيرسيبوليس، وعلي العكس مـن بيرسـيبوليس Persepolis ، لم تكون صوصا ذات أساس ملكي جديد، فقد كان المكان مسكوناً من عصور ما قبل التـاريخ بشـعوب خلفـت وراءهـا نقوشـاً رائعـة عـلي الخـزف الـذي مـا زال مثـاراً للإعجاب بجماله، وعلي التل الذي تكون تدريجيًّا بواسطة مخلفاتها، أقام خلفاؤهـم المعابد والقصور التي تُشير سجلاتها إلي التاريخ الراسخ لدولة إيلام Elam المكتـوب بها.

وقد تحولت هذه الآثار بدورها إلي أنقاض بفعـل التشـويه والتحطـيم الذي كان ينحدر بالاتجاه الغـربي بجـواره، وقـد اختـار دارا (Darius) هـذا الموقع مثل سابقيه مكاناً لقلعته، وفي النقوش التي تحكي عن إعـادة تنظـيم

الامبراطورية يقول دارا (Darius) «كانت هناك تحصينات عديدة مدمرة لكني قمت بترميمها، وعلي هذه الأنقاض أقمت قلعتي، وكذلك أقمت قلاع جورناما Gurnama والآندوش Allandush ، وقد حذرت الإغريق من هذا الموقع بأصله الذي يعود إلي ميمنون Memnon الذي أتي إلي طروداة لمساعدة المدافعين عن فريجيا Phrygia ، وعن التحصينات المعدة للقلعة وجد خط ضعيف من أسوار القلعة، ومن الواضح أنه بني بدون برج يشرف عليه للحراسة.

وأثناء الفترة المجيدة في عصر إيلام Elam وجدت مرتفعات أخري في الشمال والجنوب والشرق، وقد استغل دارا (Darius) هذه المرتفعات في بناء صوصا، ومع ذلك تم تدميرها جميعاً حتي إنه من غير الممكن تقديم تصور عن حالها القديم، وقد تم عمل فجوات في السور الشرقي المقام علي المرتفع المحيط بالقلعة ببوابة مواجهة للمرتفع الذي يبلغ 3 آلاف قدم، وكان لها برجان علي كلا جانبيها، وكانت هذه البوابة في طرازها المعماري تماثل بوابة عشتار التي شيدها نبوخذنصر Nebuchadnezzar في بابل، حيث كانت توجد بها مكعبات تامة الحرق والصقل والتنعيم، وكانت موضوعة في مكانها المناسب كقطعة من تصميم لوحات بارزة تمثل أسوداً متأهبة للقتال، وأسوداً أخري في وضع استرخاء، وثيران مجنحة، وحيوانات أسطورية تجمع قرون الماعز مع مخالب الأسود موازية لها، ومخالب النسور بدلاً من قرون الوعل، وهنا أيضاً تظهر الأنقاض وجود أحجار أصغر استخدمت في البناء، حيث تظهر علي سطحها جيد الصقل رسومات الحيوانات والرسوم الأسطورية لقتل الأسد للثيران ذات الحوافر الذهبية.

وكانت مزاليج الأبواب مصنوعة من الخشب شديد المتانة، وكانت مغطاة بصفائح البرونز ومزينة بطريقة فنية بأشكال الورود ذات الأحرف القوية المدببة، وكانت تدور في مواقع لها مصنوعة من البرونز، وكانت

توضع هذه في جيوب صخرية، وبلغ سمك هذه الصخور خمسة أقدام، وكانت توجد تحت هذه المزاليج الدوارة أوانٍ للزينة مصنوعة من الرخام الفاخر النقي يبلغ ارتفاعها أربع بوصات، وإذا قمنا بتجميع الأحجار جيدة الصقل ذات الرسوم الحيوانية تتكون لدينا أبراج قوية للحراسة في أماكن متطرفة من القلعة.

وفي المرتفع المكون من الأنقاض الموجودة في الجهة الشمالية فقط نجد أحد مباني القلعة التي ما زالت قائمة، وترجع إلي العصر الأخميني وهذا يؤكده لنا التاريخ والتسلسل الزمني، حيث توجد به عدد من الأختام الملكية التي ترجع إلي ذلك العصر، وهناك أحد الوثائق الفريدة التي تؤكد إكمال دارا (Darius) لهذا البناء، وهو كتابة علي ألواح من الطين ذات الشكل المخروطي الفارسي المعروف، وهناك نصوص أخري تُثبت ذلك في ثلاثة لغات وثلاث نسخ مقابلة لها، وهذه وجدت في هذا الموقع الذي كان موضعاً قصيراً في هذه القلعة، وكانت عادة الملوك أن يضعوا صندوقاً به وثائق ثلاثية اللغة في حجر الزاوية للبناء علامة علي وضع حجر الأساس إيذانا ببدء أعمال التشييد.

ويحكي دارا (Darius) بعد مقدمته المعتادة عن تفاصيل البناء والشعوب المتعددة التي شاركته في عمله، حيث يقول دارا (Darius) الملك: هذا قصر هاديش Hadish الذي قمت ببنائه في صوصا والذي جلبت له أدوات الزينة من أقاصي الأرض، وقد حفرت الأرض إلي أعمال بعيدة حتي وصلت إلي أصول الصخور وعندما تم الحفر وضع الحصي في أعمال الأرض لمسافة ستين قدماً، وعلي هذا الحصن أقمت القصر، حيث وضعت أحجار الطمي التي قمت بصبها في قوالب خاصة كما يفعل البابليون، وقد جلب خشب البناء من شجر الأرز بلبنان، وقد جلبه الآشوريون من هناك إلي بابل، ومن بابل قام أهل كاريا Caria وأيونيا Ionia بحمله إلي صوصا، وقد جلب خشب الزان القوي من جاندارا

Gandara وكارمينيا Carmenia ، وقد جلب الذهب المستخدم في البناء من سارديس Sardis وباكتريا Pacteria ، والحجر الفاخر المصقول أُحضر من سوجديانا Sogdiana ، وقد استخدمت أحجار ثمينة من كورازميا Chorasmia ، وقد أحضرت الفضة والنحاس من مصر، وكانت الزينة التي تم بها طلاء الجدران والأسوار من أيونيا Ionia والعاج من أثيوبيا والهند والأعمدة الحجرية من إيلام Elam ، وكان الفنانون الذين قاموا بأعمال الزينة لهذه الأعمدة من أيونيا Ionia وساريس Sardis ، وكان من قاموا بأعمال الذهب الفنية من أهل ميديا Mede ومصر، والذين قاموا بالنقوش كانوا من ساريس Sardis ومصر، ومن زينوا قوالب البناء بالرسومات من البابليين، وكان من زين الحوائط والأسوار من ميديا ومصر، وهنا في صوصا تجملت هذه الشعوب لتزين القصر - كما أمرت- حتي أصبح من الروعة بمكان فليحميه أهورا- مازدا وليحمي أهلي وبيتي وأرضي.

كان هستاسبيس Histaspes والد الملك دارا (Darius) ما زال علي قيد الحياة عند تدوين هذه الوثيقة، وبالتالي تم تشييد هذا القصر في أول عهد الابن، وكانت الأحجار المنقوشة المستخدمة كأرضية لهذا القصر تحمل نقوشاً باللغة الفارسية بالرغم من وجود تقليد متعارف عليه لصب هذه القوالب ذات الكتابة والنقوش في ذلك الوقت، وهذا يثبت أن معظم هذا العمل بالقصر - إن لم يكن كله- هو من عمل دارا (Darius) ، ويتكرر هذا النمط الفني في كل أرجائه من حوائط وأعمدة، ولسوء الحظ أدي التدمير الشديد إلي استحالة التحديد الدقيق لمكان القصر، مما أدي إلي صعوبة تحديد تاريخ دقيق لإنشائه، ونلاحظ فقط أنه بينما كانت النقوش البارزة المنحوتة علي الأعمدة ترجع إلي قصر هاديش Hadish ، فإن هناك أحجاراً أخري تحمل ملامح مختلفة ربما ترجع لقصور أخري أقيمت هناك، وتوجد أنقاض القصر في فوضي شديدة، وكما شيد دارا (Darius)

القصر فنجد أنه قد أنشئ علي الطريقة المعمارية الفارسية، حيث توجد أرضية معمارية عالية، وكان موقع مقبرة - من عصر الإيلاميين Elamite - قد تمت تسويته بالأرض علي مساحة 820 × 490 قدماً، وقد حفرت الأرض حتي عمق 27 قدماً من أجل وضع أساس مدعم من الحصي من أجل عمق القصر، وعلي مستوي الأرض اتبع دارا (Darius) الأساس الذي قام عليه في آنسان في العصر الآسيوي، والتقاليد البابلية حيث توجد سلسلة من ثلاث قاعات محاطة بمساحات واسعة وحجرات أصغر مشيدة بالطوب المبني، وكان هناك اتجاه يطل علي الجهة الشمالية من أجل مواجهة الرياح الباردة، وتم ضبط هذا بناءً علي البوصلة وكانت القاعات الثلاثة العملاقة مرتبة باتجاه الشرق إلي الغرب، وكان المبني كله محاطاً بسور من الطوب اللبن.

ومن جهة الشرق كانت الأحجار المصقولة التي تحمل صور حاملي الرمح من قوات الخالدين الذين كانوا يتولون حراسة البوابات، وندخل من البوابات إلي قاعة الخدمة ومساحتها 173 × 179.5 قدماً ممهدة بمادة الأسمنت، والذي يُربط الحجر الجيري والطوب المحروق المصقول، وفي الشمال منها كانت توجد سقيفة تحملها ثمانية أعمدة خشبية متناسقة الحجم علي أساسات من الصخر، وعلي الحائط الخلفي توجد صور ثيران ذات أجنحة مرسومة بالطوب المصقول، مثل تقليد بوابة عشتار في بابل، وكان من المفترض أن توجد في هذا الموقع دار الخزانة تلك التي استولي عليها الإسكندر (Alexander) الأكبر وأتباعه.

ومن البوابة الشرقية يوجد ممر واسع يؤدي مباشرة إلي قاعة الخدمة، ومنها إلي القاعة المركزية، ويُعد هذا الممر الواسع محوراً للقصر، وتبلغ مساحة القاعة المركزية 106.5 × 118 قدماً، وعند دخول الزائر يطالع في الجهة الشمالية صورة أهورا- مازدا تحت قرص الشمس وصورتي أبو الهول متواجهين ذوي أجساد أسود ولهما تيجان،

ولكلٍ قرون ثلاثية، واللحية تصل إلي الرقبة، وتمثل مواجهة رؤوسهم العين التي تحرس في كل اتجاه، تلك العين الحارسة التي تطرد قوي الشر، وأجنحتها الجميلة الشكل ترمز إلي احتضان المكان بالرعاية والحماية، وعلي يسارها توجد قاعتان وحجرات أصغر للاستقبال، وهو الشكل المعتاد للبلاط الملكي، وتصل بينهما طرقة ممهدة بالحصن المُثبت بالأرض والمسوي تماماً، وكانت في الماضي محاطة بالأعمدة ذات النقوش، وهناك سلسلة من الحجرات الخاصة تؤدي إلي القاعة الملكية، وهي تبلغ 91 قدماً وعشر بوصات × 112 قدم وبوصتان، وهي ممهدة بأحجار لا تكاد يبلغ حجمها القدم المكعبة، وتحيط بهذه القاعة لوحات داخل إطارات مربعة بها حيوانات أسطورية مجنحة ذات وجوه بشرية، وهي مصنوعة من الطوب المصقول محيطة بالمكان رمزاً للحماية.

لكن حجرات الملك الخاصة مغطاة بالطبقة الأسمنتية القوية وذات الطلاء الجيري الأحمر البراق المميز للملك، وشمال هذه القاعة حجرات الحريم الملكي حيث يمكن أن نتخيل السيدات المترفعات اللواتي كن يشغلن القاعة الملكية وهذه القاعات تفصل بممر طويل عن القاعتين الرئيستين، وهناك قاعات أكثر خصوصية لها مدخل واحد لا بد أنها كانت الخاصة بالملك نفسه، وبعد عبور هذه القاعات نجد ممرات تؤدي إلي فناء معزول محدد للقاء الحريم، وهي ترتفع عشر بوصات وتغطي بطبقة من الأسمنت (وربما كان يرجع ذلك إلي أعمال الترميم التي تمت لهذا القصر)، وهناك طبقة من الأحجار تعلوها وتقع فوقها طبقة أخري مصقولة ذات نقوش ملونة بالألوان الجيرية المعتادة، وإلي جنوب تلك القاعة الخاصة خلف الثيران المجنحة والحراس والوحوش ذوي الرؤوس الآدمية توجد حجرتان متوازيتان ممهدتين بالحجارة والبناء، والتي كانت تعلوها طبقة جيرية ذات لون أحمر وحوائط عملاقة كان عمقها ثلاثون قدماً

وثلاث بوصات، وكان اتساعها 110 قدماً وعشر بوصات، وإلي الجنـوب منهـا توجـد الاستراحة الخاصة بالملك.

وفي الجهة الجنوبية الغربية من مجمع الـقصر كانـت توجـد حجـرة للعـرش، وكان الدخول إليها عن طريق بوابات مغطاة بـألواح البرونـز وتـدور بواباتهـا عـلي جيوب مستقرة في الصخر مثل الحجرات الأخري، ويمكن التعرف علي قاعدة كـرسي العرش الحجرية مع نقول البناء المعتادة مثل عرش بيرسيبوليس، وهذا متوقع لاشك فيه، ذلك وقد كانت قاعدة العرش الحجرية علي شـكل جـرس مـع وجـود أعمـدة عرضية مدعمة لها، حيث توجد أيضاً صور لثيران راكعة أمام الملك، وهـي في وضـع معكوس، حيث تكون ظهورها إلي ظهر غيرها مـن الحيوانـات، وهـي تكمـل شـكل الأعمدة التي تدعم السقف، حيث توجد منها سـتة صـفوف، وفي كـل صـف منهـا ستة أعمدة قوية من جهة الشرق والغرب، حيث كان الاقتراب من المنصة يـتم عـبر بهو مستند إلي صفين من الأعمدة بكل منها سـتة أعمـدة تصـل في عمقهـا إلي 571 قدماً، وفي الشمال والجنوب توجد سقيفات صغيرة كانت تطـل عـلي حـدائق غنـاء زاخرة بالطيور والحيوانات، وهي تسقي بيسر من النهر، ويقوم علي حراسـتها بـرج في الطرف الشمالي الغربي.

أما في الوقت الحالي، فإن صوصا عبارة عن كومة من الأنقاض متناثرة بدرجـة من الكثافة حتي إنه يصعب الوصول إلي أرضها الحقيقية، وكذلك يصعب ترميمهـا، حيث قل فيها استخدام الكتل الحجرية الضـخمة ولم يعـد الكثـير منهـا باقيـاً أمـام الذهب، فقد استولي عليه الإسكندر (Alexander) ، ولم تبقَ إلا حفرة مـن الـتراب كانت من قبل موضعاً لأخشاب الأرز والزان والمنقوشة الفـاخرة والطـوب المصـنوع من الطمي هو ما تبقي بوجه عام.

ولكن إذا كانت اللوحات والصور المنحوتة والتماثيل قد تحطمـت،

فإن اللبنات الملونة المستخدمة في البناء يمكن ترميمها من الأنقاض المحطمة المتناثرة هنا وهناك، والمشكلة التي تواجه من يضطلع بهذه المهمة هي عدم الدراية الدقيقة عن موضوع كل قطعة بالضبط، وعنها يُعرف مدي الحيرة التي انتابت أعين الإغريق الذين استولوا علي هذا المكان وقاموا بتدميره، وكذلك رسلهم الذين وصفوا عند عودتهم للوطن مدي الثروة والقوة التي كان يتمتع بها ملوك الفُرس العظام، يقول دارا (Darius) الملك: لم أكن لأقوم بهذا العمل لولاً فضل أهورا- مازدا الذي كان يقف بجانبي ويجعل كل ما أقوم به يبدو جميلاً.

ولكنه عندما قال ذلك، كانت صوصا مدينة متفردة في بلاد غريبة عنها، حيث كان في خلفيتها تاريخ طويل شهد وجود ملوك قدامي من شعوب أجنبية، وقد مل دارا (Darius) سريعاً من حرارتها الشديدة، ومن عمارتها التي تتكون غالباً من الطوب اللبن المصنوع من الطمي، ومن عمارتها التي ترجع فنيًّا إلي عدة ثقافات غير وطنية، ومن ثم بدأ يراوده حلم آخر في عاصمة لوطنه تكون من تأسيسه وابتكاره شخصيًّا.

الفصل الثالث عشر

موقع العاصمة الجديدة

تظهر بارساجاردا Parsagada بطريقة بليغة عظمـة العائلـة الملكيـة، حيـث بحث بها دارا (Darius) عن موقع لعاصمته، وهي التي تقع علي بُعد 25 ميلاً من انحناء نهر ميديا الذي يـروي سـهول بارسـاجاردا، وهنـاك صـخور جبليـة محفـورة مكانها طريق يؤدي إلي سهول أكثر رحابة، وانسياب النهر في مجري نهر أكثر تدفقاً، وهو نهر أرتاكسركسيس Artaxerxes ، حيث يروي التربة الخصـبة، ويختفـي بعـد ذلك في بحيرة ملحية باتجاه جنوب غرب فارس، حيث يوجد اثنـان مـن المرتفعـات تلاصق الصخرة الرئيسة التي تمثل معظم الهضبة الفارسية، حيث كانت توجـد بهـا قري من مرحلة ما قبل التاريخ، ويشتغلون بحرف بدائية، وعند مرتفع في الشـمال، تري رسوماً بـارزة عـلي صخرة ترجـع إلي ألفـي عـام، وفي الرسـم يقـف اثنـان مـن العابدين أمام اثنين مـن الآلهـة عـلي هيئـة الثعبـان، ويرتـدون تاجـاً واحـداً ملتفـاً بطريقة متداخلة.

وأمام نهر ميديا نحو الركن الشمالي الشرقـي توجـد بدايـة الـوادي، وفي هذا الجيب الآمن توجد بقايا أثرية تشهد علي مستوطنات ترجع إلي مرحلـة ما قبـل التـاريخ، ويبـدو منهـا أن دارا (Darius) قـد أسـس مدينـة اسـتخرا Stakhra ، وهي قلعة حصينة، وإحدي العواصم القديمة، حيث يوجد حتـي الآن في هذا المكان حائط من الأحجار الصلبة، وهو ما يكمل الفجوة بـين

التل والمدينة، وتلك التحصينات كونت بوابة حامية للمدينة، وفي هـذا المكـان كـان يتم إجبار الوافد إلي المدينة أن يدفع رسوماً للمرور، حيث كانـت البوابـة الوحيـدة التي يطل عليها الـبرج ذو الحراسـة المشـددة، وقـد اسـتخدمت العربـات الحربيـة والعربـات التـي تقودهـا الحيوانـات التـي تحمـل البضـائع بوابـة أخـري مزدوجـة الأبواب، حيث كان سقفها الخشبي مستنداً علي عمود ذي وتدين، وقد كان المشـاة يستخدمون ممراً مخصصاً لهم علي جانبي الطريق الرئيس للمدينـة القديمـة التـي كانت قبل إنشاء استاخار Istakhar ، وقد بقيت آثار من هذا العصر تشـهد بـذلك إلي عصرنا الحالي، وأهمهـا هـو العمـود القـائم والـذي تحطمـت قاعدتـه ولا يـزال منقوشاً عليه:

(1) سترابو 6 - 3 × Strabo 7.

(2) الإسكندر لنجاز دروف (1932) Alexander ص9.

(3) هيرزفيلد (1935) Herzfeld ص5.

(4) فلاندين (1851) Flandin من 70 إلي 71.

تحتفظ بالعاصمة الثنائية، وهذا هو ما استخدم في مسجد الجمعـة العظـيم، وينص التقليد بالفعل علي أنه لم يستخدم هـذا الموقـع إلا كمعبـد للنـار في الـعصر الذي يسبق الإسلام، وكـان ارتفـاع العمـود 25 قـدماً، وسـبعة بوصـات، وهـو أكـثر انخفاضـاً مـن مبـاني بيرسـيبوليس، ويـروي المسـافرون عنـه رمـوز الثـيران وقواعـد الأجراس والمكوات وعصائر الأبواب ومكعبـات حجريـة وأواني زينـة حجريـة، وكـل ذلك يحمل سمات الشخصية الأخمينية.

ومن أول طريق التلال عند المنحنـي اليسـاري في اتجـاه الجنـوب يمتـد علي طوله ثلاث أميال إلي الجنـوب، ويختفـي وراء مرتفعـات المدينـة، وهـي صخرة منعزلة تمتد من الشرق إلي الغرب، وهي تُعد ممراً طبيعيًّا عنـد سـهل جبل الرحمة، وهناك قرر الملك أن يقيم مقر إقامة له، وقد قرر الملـك أن

يقيم مجمعاً من المباني أسماه باريا، وأسماه الإغريق القدامي «مدينة الفرس أو بيرسيا» Persia ، وقد تتبع الكتاب فيما بعد بطريقة عمدية الترجمة الخاطئة للشاعر إيسكيلوس Aeschylus بيرسيبوليس، مدمرة المدن»، ومعهم نتحدث عن الموقع باسم بيرسيبوليس.

تشييد العاصمة:

فور قمع الثورات التي انفجرت في بداية العهد الملكي بدأ العمل في الممر، وعلي الخط البارز في المنصة، وهي 500 ميلاً من البداية، وعمق الثلث، وقد تم تجريف الصخور، وهي في الغالب من الحمم في أصلها، ووضع مكان الصخور المجرفة، ووضعت أحجار من مكعبات الحجر من الحجر الجيري المحلي القاتم اللون، وقد وضعت علي شكل سور يمثل تدعيماً للمكان، وبالرغم من أن الصخور وضعت عمداً بأشكال متعددة الأبعاد لإضافة توافق عظيم مع الكتلة الحجرية، وقد تم تزيين الكتل الحجرية بعناية، مع تثبيتها بإحكام، وربطها في مسارات متعددة، ولم يستخدم الملاط (المونة) من أجل تثبيتها، بل استخدمت الشدات المعدنية المتداخلة الموضوعة من الحديد والرصاص وهذا هو النمط المستخدم في البناء والسائد في منطقة شرق بحر إيجة وغرب آسيا الصغري في هذا العصر المتأخر من القرن السادس.

وبالنسبة إلي الزائر القادم من الشمال، فإن العاصمة الجديدة تبدو علي شكل سور عالٍ من الحجر الأبيض، وغطي بحائط آخر من الطوب اللبن الذي يزيد الارتفاع إلي 60 قدماً.

وهناك حائط من الطوب من جهة الجنوب يخفي مقر الإقامة الملكية من المشاهد المتطفل، وكل زائر من جهة الغرب كان أكثر حظاً، وهنا، وعبر امتداد من الأرض كانت الحوائط غير ضرورية؛ لأن الصخر المنحوت والكتل الحجرية رفعت المنصة الممهدة لمسافة 50 قدماً فوق

السهل، وهذا الامتداد يري امتداد البصر، ويسـمح بـالنظر مـن مسـافة بعيـدة إلي البروج المكونة للقصر الملكي.

وفي قاع الممـر الشـمالي، وكـذلك مـن جهـة الشرق والغـرب والجنـوب توجـد مستوطنة، وهي ليست علي شـكل مدينـة حقيقيـة مثـل سـتاخرا Stakhr ، ولكـن فقط علي هيئـة قصـور منفصـلة للنـبلاء وذات قواعـد حجريـة للأعمـدة، وتحـاط بأكواخ مصنوعة من الطوب اللبن، وهي مخصصة للخدم والعـمال الـذين يشرفـون عليهم، وهناك آثار عن الحوائط غير السميكة، مما يظهـر أن هـذه الأكـواخ كانـت غير محصنة.

وفي الجهة الشرقية من هذه المنصة عند قاع «جبل الرحمة» يمتد حائط ثـانٍ، ومصنوعة هذه المرة فقط من الطوب اللبن، ولتماسك هذه المباني كان هناك حائط من الطوب موضوعاً علي قواعد حجرية، مع تغطية مدعمة، وهناك مكان لتجميـع المياه المتساقطة من علي جوانب وسفوح الجبال، وهناك قناة محفـورة في الصـخور من أجل تجميع هذه المياه، وهي تتسع إلي أربعـة أقـدام، وترتفـع سـتة أو سـبعة أقدام، وغطاه بالمكعبـات الحجريـة لعـدم ردودهـا، وهنـاك أبـراج مشرفـة عليهـا، ومساحتها تبلغ 60 قدماً مربعاً مع وجود حصن مدعم لها، ووراء سور من الطـوب اللبن يبلغ سمكها 33 قدماً، ويبلغ ارتفاعها 60 قدماً.

ومقابل الحائط من الداخل توجد حجرات بارزة للحامية العسكرية بها كميات كبيرة من البرونز والحديـد المـذاب، وكـذلك السـيوف والرمـاح وشـظايا مـن الحديـد والبرونز التي تكـون وظيفتهـا كـدرج واقٍ، وهـذا يـوحي بوجـود كتائـب مـن سـلاح الفرسان، ولكن قوات العشرة آلاف المميزة لم تتمتع بأيـة مظـاهر ترفيهيـة في أمـاكن معيشتهم العسكرية، وقد كان في هذا الوقت بدائيًّا؛ لأن البالوعات التي صُنعت مـن الطوب كان اتساعها 20 قدماً عبر مشرع يتبع شكلاً غير منتظم من صفوف الطـوب، ويؤدي ارتفاع الطريق إلي التوصل إلي نـدرة تنظيـف المشرع، وفي هـذه الحجـرات لا

يوجد أثر لوجـود الأثـاث، حيـث إن الجنـود كـانوا في الغالـب ينـامون عـلي الأرض وأسلحتهم كانت تكـدس أو تعلـق عـلي بـروز معـدني في الحـوائط، وتوضـح وفـرة الأوعية كثرة ما توفر للجنود من المشروبات، حيث توجـد أبـاريق طويلـة وواسـعة للنبيذ، وتدل كثرة هذه الأوعية علي الإفراط في الشراب مع وجود أوعيـة وخزانـات أكبر للماء، ويبدو أن هذه الأوعية ذات الفم توحي بعدم اسـتخدامهم للأكـواب في هذا الوقت، ونظام التحصين كان قد أكمل بواسطة حائط ثالث مـن الطـوب اللـبن الذي يتبع الشكل الهلالي «لجبل الرحمة»، وهنـاك نقـوش منحوتـة منـذ عـام 513 علي كتلة حجرية موضوعة في جنوب المحيط المسور تقوم بعمل التخصـيص لهـذه التحصينات.

«أهورامازدا العظيم رئيس الآلهة الـذي جعـل دارا (Darius) ملكـاً، وأعطـاه الملـك، وبفضـل أهـورا- مـازدا أصـبح دارا (Darius) ملكـاً»، يقـول دارا (Darius) الملك: «هذا مُلك فارس الذي وهبه أهـورا- مـازدا إلي، وهـذه الـدار الجميلـة ذات الجياد والـبشرة الطيبـة بفضـل أهـورا- مـازدا، وبفضـلي، ودارا (Darius) الملـك لم يرهب أي عدو.

يقول دارا (Darius) الملك: «فليساعدني أهورا- مازدا مع كل الآلهـة الأخـري، وليحمي هذه الأرض من أعدائها، ومن المسيء، ومن الكـاذبين، ومـن يريـد تـدنيس الأرض، ومع هذا الخضوع مع الآلهة التي أتمني أن تعاونني مع أهورا- مازدا».

إن دارا (Darius) الملـك العظـيم ملـك الملـوك ملـك الأرض المتراميـة ابـن هيستابيس Hystaspes الأخميني».

يقول دارا (Darius) الملك: «بفضل أهورا- مازدا، هـذه هـي الأرض التي أملكها بفضل الجـيش الـذي يـأتمر بـأمري، ويجلبـون لي الجزيـة [لم تكـن ولايـة بارسـا متضـمنة Parsa ، وقـد أضـيف إلي القائمـة أسـاجارتا Asagarta وهندوش Hindush ، وتاريخه غير محدد، وإذا فكرت في أنه

لا خوف من أي عدو فلـنقم بحماية الجيش الفـارسي، وإذا تمـت حمايـة الجـيش الفارسي فسوف نضمن الرخاء لهذا الوطن، ولكنها سـوف تحـل أيضـاً بهـذه الـدار، وهكذا سوف تستمر هذه النقوش باللغة الفارسية، وكذلك باللغة الإيلامية»، يقول دارا (Darius) » «بالنسبة إلي حقيقة أن هذا المكان بني كقلعـة، وبفضـل أهـورا-مازدا قمت بتشييدها، وقد أمر بأن هذه القـلاع لا بـد مـن بنائهـا وجعلتهـا قلعـة جميلة ومناسـبة، كـما كنـت أرغـب تمامـاً، وينتهـي هـذا الكتـاب بـالنقش باللغـة الأخادية وغالباً تنقسم إلي جمل وعتادة وبدلاً مـن قـوائم البلـدان الخاضـعة نقـرأ «بارسارمادا Parsa Mada وبلاد أخـري ذات ألسـنة أخـري مـن الجبـل والسـاحل، وهذا الجانب من الخليج الفارسي والجانب الآخر، وهـذا الجانـب وهـذه الصـحراء وتلك الجوانب الأخري.

وقد كان الوصول إلي القصر يتم فقط من الاتجاه الغربي، وقد كانت بالمـدخل درجات مزدوجـة متقابلـة تبـدأ مـن الرصـيف لمنصـة الـقصر، وقـد كانـت السـلالم محروسة بأبراج للحراسة، وهي باتساع ثلاثة أقدام، ولكن من السـهل ارتقـاء هـذه الدرجات، حيث تبلغ المسافة بينها أربع بوصات، ويبلغ تعداد هذه الـدرجات 111 درجة حتي يمكن ارتقاء هذه السلالم ركوباً علي ظهور الخيل لقاعة أكثر رحابة عنـد السفح، وهناك يتم إنزال الضيف المميز، ويسـتقبل في قاعـة أوسـع مـن الحجـيرات المنحوتة، ثم يوجه إلي الاغتسال، وارتداء الثياب البيضاء اللازمة لنيل شرف الجلوس إلي الحضرة الملكية.

وتوجد شبكة مياه تحـت الأرض ذات وصـلات لمختلـف الأمـاكن في القصر، وفي الممرات ما يثبت أن كل هذه الفخامـة قـد ابتـدعها مهنـدس معـــماري مجهــول، والخطــة لم تكتمــل، ولم تكــد تبـــدأ في عصر دارا (Darius)، ولحسن الحظ في مكتشفات معاصرة الأرشيفات محفوظـة في إحدي غرفات البرج في الحائط الشمالي يسمح بكثير مـن النظـر لأنشـطة

البنـاء، ويرجـع تـاريخ هـذه المحفوظـات إلي السـنة العـاشرة الملكيـة (عـام 512)، وامتدت إلي العام الثامن والعشرين (494)، لكن الغالبية العظمي جاءت من الفترة بين أعوام 19 و25 الملكية، وهذا يُثبت أن الفـترة مـن عـام 503- 497 كانـت فـترة أعظم الإنشاءات.

المحفوظات الملكية:

من المدهش أنه لم يوجد أحد الألواح من دار محفوظات بيرسيبوليس مكتوباً في شكل فارسي مخروطي، مـما اسـتخدم في النقـوش الملكيـة، ومـن هـذه الحقيقـة الغريبة نستنتج أن الكتابة بالفارسية كانت مفتعلة تماماً، والآن أيضاً نفهم لماذا يتم اقتران اللغة الفارسية في الكتابات باللغة الأكادية والإيلامية.

أغلبية هذه الكتابات كانت باللغة الإيلامية، ومن حسن الحظ أنه قد أمكن من فترة طويلة مقارنة النسخ المكتوبة بهذه النسخ باللغة الفارسية الملكية للنقوش، وحل شـفراتها بمقارنـة هـذه اللغـات الثلاثـة لاكتشـاف الشخصـية الإيلاميـة في عصـور الأخمينيين، وقد تم الكشف الحفري عن إحدي الوثائق في صوصا، وهذه النقوش مـع النقـوش الملكيـة يمكـن جمعهـا كقـاموس أو كتـاب توضـيحي لألـواح بيرسـيبوليس واستفتائها، وهذا يتيسر بدرجة أكبر عند الاعتراف بالظهور المتكرر للكلمات الفارسـية من أصل أيونيا وكيفية ظهور هـذه الألـواح باللغـة الإيلاميـة، مكتوبـة يـتم إيضـاحه بالاكتشاف لعرض لأحد الخطابات، وربما يكون الأهم هـو الـذي يُشـير إلي أخـت دارا (Darius) «إلي أرينـا Arriena ، النبيلـة الكريمـة يتحـدث فارناسـيس Pharnaces (بارناكا Parnakk) يقول: أعطاني دارا (Darius) الملك الأوامر قائلاً: أعطيها مائة من الأغنام، ويقول فارناسيس Pharnaces «وكما أمرني الملـك دارا (Darius) وأنـا بالتـالي آمرك أن تعطي أخت الملك مائة من الأغنام بناءً علي الأوامر الملكية» السنة السادسة

عشرة عـام 506، وقـد نقـش نابيرسـوكا Napir- Sukka هـذا اللـوح بعـد أن تمـت ترجمته.

وتحمل أخـت دارا (Darius) المعروفـة حـديثاً اسـم زوجتـه المفضـلة نفسـه Gobryas الـذين قـاد أحـدهم العـرب والأثيـوبيين وجنسـيات أخـري أثنـاء غـزو كسركسيس Xerxes للإغريق، وعند هذا التـاريخ كانـت في حـوالي السادسـة عشرة من عمرها، وقد تكون الهبة هي المهر المقدم للزواج.

والأكثر إثـارة مـن الخطـاب نفسـه هـي الممارسـة نفسـها التـي أحـدثها هـذا الخطـاب الـذي أصـدره دارا (Darius) الملـك شـفويًّا، فقـد كـرره فارناسـيس Pharnaces شفويًّا أيضاً، وقد كتب بعد ذلك بواسطة أحد الكتبـة، وهنـاك إثبـات مناسب له، وهو طبع الختم عليـه، ونتـذكر مـن سـيرة دارا (Darius) الذاتيـة أنـه كتب له وقرأ عليه.

ومن بين الوثائق بلغة الإيلاميين في هذه المحفوظـات هنـاك قـوائم بالمنتجـات الطبيعية مثـل الزيـت والأغنـام مـن مختلـف المـدن، والتـي تـم تخزينهـا وإيـداعها بالمخازن مع تدوين ذلك في وثائق دار الخزانة، ولكن أكثرهـا سـجلات لـلصرف المـالي لرؤساء جماعات العمال، وبينهم الأسـريين Assyrians الـذين اشـتركوا في بنـاء أحـد الممرات، وعامة يكون الدفع عن طريق المنتجات الطبيعية، وهنـاك مكاييـل عديـدة للحبوب والدقيق والزيت والنبيذ والجعة (البيرة) التي تحسب بالجرعة ومضاعفاتها، وهناك يتم الحفاظ علي أسمائهم بلغة الإيلاميين من استبدال الأشهر الفارسية ونظام استزراع الأراضي الداخلية من أجل انتظام استخدامها؛ لأنه ليس من المعتاد أن تقـوم الأم والابنة بحمل الاسم نفسه، فإننـا نتوقـع خطـأ أرتوزوسـتر Artozoster ابنـة دارا (Darius) التي تزوجت مـن مـاردونيوس Mardonius قبيـل عـام 492 (هـيرودوت (Herodotus) vi 43) ، وهي الآن تسـتطيع فحـص الأجـور وهـؤلاء العـمال

يتساوون في الأجر إن لم يفوقوا أجر العمال في بابل، بالرغم من وجود اختلاف كبير في الأجر خاصة بين الرجال والنساء والأولاد والبنات، وهناك توزيعات بقوائم غير قليلة لطعام وعلف الخيول والحمير التي تستخدم في أعمال التشييد وأغلب العمال يحملون أسماء تنتمي إلي اللغة الإيلامية، وكذلك الكتبة لكن المشرفين من الفرس من بينهم كبار الموظفين، ومن بينهم أهم مقدري الضرائب الملكيين.

وبالرغم من أن اللغة المستخدمة هي الإيلامية، فإن هناك لغات أخري مستخدمة في المراسلات والسجلات الملكية من أجل إصدار المراسيم ترجع إلي قورش Cyrus ، وقد تم حفظها علي ألواح الطمي بطريقة سيئة، وهناك علي الأقل أحد الألواح منقوشة وقد بهتت كتابته سريعاً بسبب الجير السيئ، وقد انتشر استخدامه في حوالي 500 من الألواح ذات الشكل المخروطي، وهي ألواح بسيطة ولكنها تعطينا فكرة عن ظهور الأبجدية الآرامية الذين استخدمهم الكتبة المعاصرين لمراسيم عزرا Ezra .

وهذه الألواح تقوم بوظيفة الخدش وتعطينا حسابات أولية للكتبة، وهناك ألواح أخري لا تحمل إلا شكل الأختام؛ لأن كل منها يحمل ختماً مختلفاً لأحد كبار الموظفين، وقد جمعت ونشرت، وسوف تكون متاحة في أحد المتاحف التي تختص بالفن الأخميني.

نقوش وكتابات بارزة عن مبانٍ في عهد دارا (Darius) :

بينما لا يلقي هذا الأرشيف أي ضوء علي قضية المباني الفردية التي تم تشييدها بأوامر من دارا (Darius) ، فإنه يثبت أن العمل كان مستمراً في الفترة من بين عام 512 إلي 494، وزاد إلي الحد الأقصي من عام 503 إلي عام 197، وترجع إلي النقوش واللوحات البارزة التي وجدت في هذه المباني من أجل تحديد تواريخ محددة، ونجد تأكيداً في التاريخ المعماري لمختلف أنماط البناء.

ويمكننا التوصل إلي أن المباني القديمة التي أقيمت علي منصات كانت كأول وحدات إدارية لدار الخزانة، وكانت مقامة بالطوب نفسه المصنوع من الطمي الذي استخدم في صوصا، وعبر المشرع الذي يحد ثكنات كتيبة الخالدين، وترتفع أماكن سكنهم علي علو 37 قدماً، وعرض الحائط ثماني أقدام، وللتغلب علي الملك يتم قطع الحائط بأربع سقيفات ذوات درجات رباعية بها فجوات متغايرة، وقد ظللت أماكن الإقامة باللون الجيري الأخضر.

وقد صنعت بعض إطارات الأبواب من الطوب المحروق أو الحجر جيد الطلاء، وفوق الأرضيات المنبسطة جيدة التمهيد ذات الطلاء باللون الأحمر، وهذه هي سمة من سمات دارا (Darius) في البناء، وكانت الأعمدة مقامة من الخشب علي أسس من الحجر الصلب التي ترتبط بدورها بحجر ناري مربع الشكل كما في بارساجادا Parsagada ، ودائماً كان يُغطي الخشب بمادة ملساء ذات ألوان أزرق فاتح أو أحمر أو أبيض ذات أشكال بيضاوية، مع وجود أشكال زهرية من اللون نفسه أسفل أبواب معينة، وهناك ألواح خشبية عرضية تحمل السقف وسجاد الأرضيات والأفرع الجافة التي يصب فوقها الطمي، وتكون النوافذ العالية هي المصدر الوحيد للإضاءة، وهنا أقام دارا (Darius) أثناء تشييد قصره الذي أصر فيه علي استخدام مكعبات حجرية أكثر تحملاً.

ومن المدخل العظيم للسلم الواصل إلي ساحة القصر، فإن الزائر الذي كان عليه أن ينال شرف الحضور الملكي، كان يوصل متجاوزاً أكوام الحجارة التي تكون معدة للإنشاء في المستقبل، ويقاد إلي مدخل آخر مزدوج السلم في الاتجاه الجنوبي الشرقي، وكانت توجه عينيه إلي وسط السقيفة، حيث يوجد بهو آخر وأشكال زهرية في قاعدة البناء، وهناك كانت تتم كتابة السجل الملكي للزوار، ومثلماً أشارت النقوش أن هذا الممر كان مخصصاً للزوار، ولكنه بقي في حالة نقص

معلومات، وعموماً إلي وقتنا هذا، وربما أن دارا (Darius) كان قد مات قبل أن تتم كتابة النقوش به، ولم يشأ الأبناء استعادة أمجاد أبيهم، وعلي الجانب الآخر كان يوجد أربعة جنود من قوات الخالدين لتقديم التحية العسكرية للسجل الملكي، حيث تثبت الرماح فوق الأقدام في وضع التحية العسكرية الواجبة لهذه الذكري، وكان كل منهم يرتدي قبعة طويلة مجدولة، ويحملون الدرع الشهير علي شكل * علي الجهة اليسري، وفوق الأشكال المعمارية للمدينة علي هيئة زهور، توجد رسومات علي هيئة تمثال أبي الهول، ولكنها ذات أجنحة ترفع مخالبها للتحية وخلفها رموز نباتية متعارف عليها تقليديًّا، وهي تلف بصف من الجنود كاملي الهندام، وهو أفراد السبعة قواد وأسرهم الذين سيحضرون صالة الوليمة خلال البوابة الأثرية التذكارية.

وعند هبوط الدرج، نلمح أول تصوير رمزي لبيرسيبوليس، وهو عبارة عن أسد يقوم بالهجوم علي ثور من مؤخرته، وهذا المنظر للوحش المكرر يناقض ما أورده زورواستا Zooroaster من مكانة الرعاية والمحبة للأقارب التي ملأت هذه القصور، وفي الأركان المثلثة من هذه القاعة كانت توجد أشجار النخيل التقليدية، وفي المواضع الخارجية تبدو المشاهد معكوسة الوضع عند الدرجات الخارجية، فنحن نشاهد النخيل، ثم الأسد، ثم الثور، ومكان ضيق للتفتيش، ثم الخالدين، وهنا تبديل، أما الملابس أو بجود قوس ودرع وارتداء قبعة عالية مستديرة أو عباءة رومانية وسروال، ويثبت السيف الفارسي القصير علي حزام من جهة اليمين، وصندوق سهام يتأرجح من جهة اليسار، وهناك الكثير من وحدة الخالدين عند الأركان الشرقية والغربية من الدرج وأعلي السلم ترد الوفود التي تحضر المأدبة في مسيرة النبلاء الذين يحضرون فرادي أو أزواجاً، ويبلغ تعدادهم 76 علي كل من جانبي السلالم، وعن جهة اليمين أثناء هبوطنا من جهة الشرق يوجد النبلاء في قبعاتهم العالية، والعباءات

الطويلة الرومانية الشكل، ومن جهة اليسار يرتدي أفراد قوة الخالدين قبعات عالية مستديرة أحياناً تميل بدرجة ضئيلة إلي الأمام، مع وجود ثنية علي الرقبة من الخلف، وهناك من الملابس أيضاً العباءة الضيقة التي يحكم إغلاقها من علي الوسط بواسطة حزام مجدول مع وجود سروال متوسط الإحكام وحذاء مدبب الأطراف، وفوق كل ذلك يوجد رداء مزين طويل إلي حد الكعبين وتكون الأكمام واسعة معلقة من الجانب، وهذا رداء شرقي، والعباءات الطويلة تكون عادة بلا أكمام، وهناك القليل ممن يرتدون القميص الواسع أو الضيق وهو علامة إضافية علي الشرف، وفي الغالب فهم يكونون غير مسلحين بالرغم من أن القليل منهم يحمل سيفه القصير وقوسه.

ولفناننا إحساس شديد بالحياة، ويدعمه شعور بالقوة والمرح، حيث يصور بعضاً من رجال البلاط في حالة استرخاء، وبعضهم في وضع ثابت، وبعضهم في حالة غير رسمية، وأولئك الذين يرتدون الزي الشرقي يكون سيرهم بطريقة متصلبة بذراع واحد متحرك والآخر يلملم ثوبه الذي يلامس الأرض، وهناك الموظفون القدامي الذين يرتقون السلم بصعوبة، ويضعون إحدي القدمين علي الدرجة التالية مع وجود اليد علي الركبة لتساعدهم في الارتقاء، والبعض منهم يرتبون برفق علي من سبقهم علي السلم من أجل مبادلة الحديث والنميمة، وآخرون لا يحتاجون إلي دعوتهم لذلك، وبعضاً منهم يتحركون بطريقة مثيرة للغضب، وهذا يتم بطريقة عمدية، وأحدهم يضع يده علي السهام حتي لا تتحرك، وآخر يقوم بالخدمة نفسها برفيقه، وهناك زائر يمسك بيد صديقه التي يضعها علي القوس من الخلف، ومن وقت لآخر يمسك الذين في موكب المأدبة نحاهم للتأكد من وجود الثياب بها ضماناً لحسن المظهر، وهناك أحدهم يلمس ذقن رفيقه في حركة للدعاية، وكل من في المسيرة يحمل زهوراً تناسب مأدبة العام الجديد، وهناك من يمسكون هذه الزهور بشدة، ومن

يشمونها، علاوة علي تقديرهم لها، وهناك من يحمل تفاحة ضخمة ويلتفت البعض نحوه بحدة تعجباً من التقليد غير المعتاد.

إن أثر هذا التصوير جرئ ومسلٍ، والتدقيق الفني الجيد يظهران هذا الرسم بدائيًّا في محاولة لا تخلو من العجلة لملء فراغات الصورة غير المنتظمة.

وقد لجأ الفنان المصمم إلي أسلوب غريب تحت السرادق، والذي يخلو كل مكعب يتم تضخيم رؤوس الأفراد الذين يرتبون في خطوط مستقيمة، وتلمس قبعاتهم ذلك السرادق المرتفع؛ ولأن درجات السلم ترتفع فإن الأشخاص تختلف ارتفاعاتهم وتبدو الأجسام في غير موضعها الصحيح، وتنقسم أول ثلاث مجموعات إلي أربعة في كل منها، وهو موظف طويل في رداء شرفي، والثاني يرتدي عباءة قصيرة إلي الركبة مع سروال ويرفع رجله إلي الدرجة التالية في السلم، وقدمه اليسري أقصر من الأخري، والثالث قزم ويستدير للنظر إلي الخلف، ويبدو وجهه كما لو كان في وضع مقلوب، ويدوس علي قدم الرابع، وهو قزم أيضاً، ويكاد يختفي كل جسمه، وفي كل المجموعات التالية يكون من يرتدي الثوب الطويل ثاني شخص، وتختلف باقي المجموعات الأخري بين ثلاث أو أربع أفراد، ويتم الحفاظ علي إيقاع الحركة بواسطة حركة صعود الدرج، وهناك في ركن الصورة أحد أفراد البلاط في حركة نزول وهو مزين بالملابس، وينظر إلي الخلف علي الموظفين الذين يصعدون إلي الدرج، وبالتالي لا توجد مشكلة في اختلاف الأطوال بسبب ارتقاء الدرج والمجموعات النازلة خمس في كل منها، ويكون الثالث مرتدياً الثوب الطويل.

والفحص الدقيق يوضح الجرأة في المفهوم الفني والتناقض الشديد بين النقض والزحام في التصوير، وهو واضح تماماً، وبصرف النظر عن عدم الانتظام في رسم الرجل والفخذ والكتف نلاحظ غياب ساعد اليد،

والذراع تلتصق باليد بدون وصلة بينهما، أو نلاحظ الفشل في تصوير الإبهام بوضع مخالف لباقي الأصابع، وعدم رسم النقوش الطبيعي براحة اليد، وعدم وجود محاولة لإظهار أية تفاصيل بها مع وقاحة رسم اللحية والشارب، مع الرسم المختصر لالتواء خصلات الشعر والأذرع الملتصقة بالملابس، وتنزل ثنيات الثياب علي جانبي اليد، وفي وسط الملابس توجد ثنيات دائرية، والأحذية الجلدية محكمة الغلق، وضيقة حتي عند الكعبين، وكذلك نلاحظ أن ساق الأزهار لا توصل جيداً إلي الإناء الذي يحيط بها، وهو الذي يتم رسمه علي شكل دائرة مجردة أو حتي مربع أو خطوط مائلة، ولما لم يكن في ذلك الوقت لدي الفنانين والنحاتين الفرس أية فكرة ثابتة عن التصميم العام أو الاتجاه والإتقان الفني فلم يكن في أوج رقيه إلي درجة ما يطلق عليه بحق لفظ «كلاسيكي»، وعلي الأقل لم توجد في هذه الفترة لمحة عن اتجاهات مستقبلية، ولكن الفن في هذا الوقت لم يشهد فترة ركود في العصر الأخميني.

وعند أعلي الطابق كان يوجد ملتقي اثنين من السلالم، ويمر أفراد الحاشية بين صفوف من قوات الخالدين الذين يرتدون قبعات مجدولة، ويقفون في وضع عسكري متصلب لتحية الضيوف، وتكون كل القبعات في ارتفاع متساوٍ منتظم في شكل عسكري لائق، وأحدهم ممسك بدرعه خلاف الآخر، وقد وصل الضيوف إلي البوابة التذكارية للمبني ثلاثي الأبواب، ومثل الطابق السابق فهو مدعم باثنين من الأعمدة، وأسفل هذه الأعمدة توجد زينات من أشكال معمارية زهرية ومنتظمة مثل الثيران ذات الرؤوس البشرية، وهي في حالة ركوع، وحول الحوائط توجد مقاعد للجلوس للمرهقين من ارتقاء درجات السلم العالية، وتحت شعار أهورا- مازدا يخطو دارا (Darius) خارجاً ومعه الصولجان وزهرة اللوتس للترحيب بضيوفه واستعراض حرس الشرف من كتيبة الخالدين،

وهناك اثنان من الخدم قصيري القامة، وذلك لتغطية رأسه بالمظلة، وأحدهم يمسك بالمنشفة، وكذلك الإمساك بأدوات الطعام للملك، وكل هذه الوسائل والأساليب ترجع إلي التقاليد الأسيرية، ويختص بها الملك فقط دون باقي الحضور، وخلفه توجد بوابة عملاقة ثلاثية مدعمة بأربعة أعمدة إلي السقف تطل علي حجرات للحاضرين، وإلي الجنوب كذلك توجد درجات سلم صغيرة يقف علي جانبها الخارجي أفراد من قوة الخالدين يرتدي ثياباً طويلة، ويقف أفرادها علي كل درجة مع وضع الرماح فوق أصابع أقدامهم في وضع أداء التحية العسكرية، مع وضع القوس وصندوق السهام علي الكتف، وتظهر الرسوم البارزة علي الجدران أن آخر هذا الممر يؤدي إلي قاعة المأدبة، وينزل الخدم من علي الدرجات، وهم يرتدون أثواباً طويلة وقصيرة بالتبادل، وإحدي هذه الجماعات ترتدي طيات عند الرقبة وأغطية رأس ملفوفة حتي الذقن، وتحت ذراع كل منهم طفل يمسك بإحكام لمنعه من البكاء أو الاحتجاج، ويحمل أحد الخدم تحت ذراعه خروفاً، ونلاحظ وجود آخر قنينة نبيذ ضخمة معلقة علي الكتف، بينما يتم نقل المشروبات الفاخرة في أوانٍ أصغر حجماً، ويظل الطعام المطهو ساخناً بفضل مواقد متخصصة لذلك، ولا بد أن الروائح الفاتحة للشهية قد أسرعت من مسير موكب الحضور بالرغم من الوقار اللازم للحضور مع الملك.

والمعالجة الفنية مثل الرسومات البارزة علي السلالم تتناول الموقف بطريقة جريئة ومستحدثة بالنسبة لهذا العصر بدون اهتمام كافٍ بالتفاصيل، فالعيون ضخمة ومرسومة من الجهة الأمامية فقط، وكذلك الجفون واسعة والفم مستقيم والأيدي كبيرة ومرسومة بطريقة بدائية.

ومن الأدبيات المعاصرة نعرف الكثير عن هذه المأدبات الملكية المصحوبة بالنبيذ، وكان أعظمها ما قدم في حفل عيد ميلاد الملك الذي شهد تقديم الملك في كرم زائد للهدايا لأتباعه من الفرس، وفي هذه

المناسبات يقال إنه يمكن أن يتضايف خمسون ألفاً من الحضور بتكلفة 400 تالنت (عملة) من هؤلاء الذين دعوا للعشاء معه.

والغالبية منهم خارج إطار التصوير، بينما كان القليل منهم وهم من أهل الحظوة كانوا داخل الغرفة الملكية في رفقة الملك نفسه، وحتي في هذه الحالة يتناول الملك عشاءه منفرداً ومنفصلاً بستارة ذات ألوان بيضاء وخضراء وزرقاء مربوطة بالحبال المصنوعة من الكتان الفاخر والقطيفة، يري من خلالها ولا يراه أحد، ويتناول الملك الغذاء في القاعة الكبيرة مع كل ضيوفه فقط في الأجازات والأعياد الرسمية.

وعندما تقام وليمة النبيذ يتناول النبلاء الطعام بمفردهم كما كان من قبل، ولكن كان يتم استدعاؤهم بواسطة أحد المخصصين، ويسمح لهم بتناول الشراب في حضرة الملك، ويجلسون علي بساط من الصخور ذات الألوان الأزرق والأسود والأبيض والأحمر، بينما الملك يتكئ علي أريكة ذات رجل مصنوعة من الذهب، وكان المشروب الملكي يقدم في كأس من الذهب بواسطة موظف ذي مكانة عالية من البلاط الملكي، وكان حامل الكأس الملكي هو أحد المخصصين، ويقوم أحد الموظفين الكبار بتذوق الكأس الملكي من أجل ضمان الأمان، بينما يشرب النبلاء كثيراً من النوع غير الجيد من النبيذ العادي، ويتمتع الملك بشرب نوع فاخر من النبيذ المنتج من مزارع شاليبون Chalybon المزروعة علي المنحدرات المشمسة فوق دمشق، وبعد إتمام مراسم الوليمة يقوم قائد حرس الشرف بواجبه، وذلك بوضع الملك علي فراشه.

وبشكل عام كان يقوم الملك بتناول طعام الإفطار والعشاء منفرداً، وربما في حالات خاصة كان يسمح بصحبة الملكة أو أولادها، وأثناء الغذاء كان يتم تسليته بالمحظيات اللاتي يغنين أو يعزفن الموسيقي إحداهن تعزف منفردة، بينما تقوم الأخريات بالغناء الجماعي، وكانت تذبح الآلاف من الحيوانات يوميًّا في البلاط الملكي.

وتشمل القائمة الخيول والجمال والثيران والحمير والغزالات والنعام العربي والأوز والدواجن، وكانت توضح كمية قليلة نوعاً أمام كل ضيف ويسمح له بأخذها لمنزله أو ما تبقي منها، وهذا لم يكن من قبيل الإسراف؛ لأن معظم الطعام كان يتم كأجر لقوة الخالدين وللقوات خفيفة التسلح والحركة الذين ينتظرون في الفناء، وهذه كانت تقاليد علية القوم والنبلاء الذين يحضرون إفطار الملك حتي يمكنهم فيما بعد القيام باستضافة ضيوف خاصين بهم علي المستوي نفسه، حيث يضعون كل الطعام علي الطاولة، وبعد الوليمة يقوم الضابط المسؤول عن المأدبة بإعطاء ما تبقي للعبيد والخدم، والذين كان يتم دفع أجرهم مقابل هذا الطعام.

وفي الوقت نفسه كان مستقر دارا (Darius) الدائم المطل علي التل من جهة الحائط الغربي، ويقع علي منصة أو رصيف خاص به، وعلي عكس معظم المباني في بيرسيبوليس يواجه الجنوب حتي ينعم بالشمس في الشتاء، وهناك صفان من أربعة قواعد صخرية ماتزال باقية لتوضح موقع الأعمدة الخشبية التي كانت تحمل البناء، وخلف موقعها المميز كان دارا (Darius) يشاهد بطريقة جيدة السهل الذي يمتد إلي التلال علي الجانب الآخر، وعند طرفي البناء الصخري الذين يثبت موقع قطع الحجارة بها المكان الذي كان محدداً للألواح الخشبية الحاملة للسطح، وهناك ممرات للباب تحت غطاء ثلاثي الطبقات من الريش والصبات الحجرية في إطار ثلاثي، ويقوم بحراستها اثنان من كبار قوات الخالدين، وهناك كوات من الحجر الناري مزروعة في الحوائط المصنوعة من الطوب اللبني وتحت غطاء مصبوب من الحجر الجيري ويحمل نقوشاً ومقسماً من علي الجانبين بواسطة نافذتين مرتفعتين ذواتا تلميع جيد، والمدخل إلي الصالة الرئيسة يظهر دارا (Darius) تحت مظلته، وهناك نقش لرمز يُشير إلي أهورا- مازدا.

وتمسك ثلاثة أسهم من أربعة بالأعمدة الخشبية التي تحمل السقف لهذه الصالة المركزية المربعة الشكل، وعلي الباب الوحيد الموصل إلي جهة الشرق يصور الملك قابضاً علي أسد مفترس، وأمام هذا الرسم يقوم الملك بمحاربة أحد الوحوش برأس الأسد ومخالب النسر وذيل العقرب، وهناك باب في غير موضعه علي هذا الحائط يصور الصراع بين اثنين من الثيران وإلي جهة الشرق والغرب توجد الحجرات الخاصة الصغيرة والضيقة وعلي الرسومات الجوارية يصور الملك ممسكاً بأشبال أحد الأسود الذي قبض عليه جلجاميش الفارسي Gilgamesh وكان علي وشك أن يذبحه.

وتُعد الحجرات المطلة علي جهة الشمال أكثر خصوصية والتي يوصل إليها بابان، ويحملان رسومات لمشهد الملك وهو يحمل الصولجان وزهرة اللوتس والحراس خلفه حاملين المنشفة والمظلة الملكية، وهذه الغرفات الخاصة تظهر سماتها من الرسومات، وفي أحد هذه الرسومات البارزة يوجد طفل مرسوم بطريقة جيدة ذي شعر جيد التصفيف، وأذنه ذات حلق وفي إحدي يديه يحمل إناء من الرخام الفاخر مليئاً بالعطور، ويمسك في يده الأخري منشفة، وفي مواجهة هذه اللوحة توجد صورة لأحد الرجال وهو من الخدم الذين يمسكون بالدلو وملابس الاستحمام، والقصر جيد الصقل والتلميع لدرجة أنه يُسمي بقصر المرايا ويُعد هذا الاسم مبرراً تماماً ومستحقاً.

وأمام هذه الطرقة يوجد بهو آخر بالحجم والمساحة نفسيهما، ويقوم بحراسته اثنان من الحراس ضخام الجسم من قوة الخالدين، ومنها توجد درجات سلم تهبط إلي مستوي أدني فوق الحائط الغربي، وهناك نري رسومات بارزة ونقوشاً من الجهة الجنوبية، وهذه لا ترجع إلي دارا (Darius) لكنها ترجع إلي ابنه، وبهذا نكون قد أكملنا زيارتنا لمباني دارا (Darius) في بيرسيبوليس.

الفصل الرابع عشر

الممول الملكي

مقدمة:

يخبرنا هيرودوت (Herodotus) المؤرخ العظيم أن كلاً مـن قـورش (Cyrus) وقمبيـز (Cambyses) لم يفرضـا أي نـوع مـن الضرائـب والجزيـة عـلي الشـعوب الخاضعة لهما، ولكن كان يسعدهما تلقي الهبات من رعاياهما، أما دارا (Darius) فقد ثبت الجزية والرسوم الأخري، ومن أجل ذلك أطلق عليه اسم «الجـابي»، وهـو جامع الضرائب والجزية، ومع كل الحكايات التي يرويها المؤرخون فقـد تـم حـديثاً الكشف عـن معلومـات تقـدم التفسـير الصـحيح، فلـم يكـن دارا (Darius) فقـط مشرعاً عظيماً، بل كان أيضاً إداريًّا وممولاً بارزاً لموارد الإمبراطورية.

تحديد معايير الموازين والقياس:

نادراً ما نجد من بين الملـوك القـدامي مـن يفهـم حقيقـة أن الدولـة القوية لا بد أن ترتكن إلي اقتصاد قوي وناجح ذي أسس راسخة، وكان أول متطلبات هذا كما أدرك دارا (Darius) هو عملية تحويل المعيـار القيـاسي للموازين ومقاييس التعامل في الاقتصـاد والأسـواق، وكـما رأينـا « المقيـاس الملكي » (وهو تقريب يستخدم حتي وقتنا هذا) كان يميل إلي إخضـاع

المقاييس الخاصة المتعددة لأصحاب الأرض، واستمرت عملية التحويل إلي المقياس الملكي حتي اكتملت بنهاية حكمه، ونحن لدينا دلائل كافية علي صحة هذه الفرضية، حيث يوجد أحد الآثار الرسمية علي المقياس الملكي وهو عبارة عن نوع من المساطر مصنوعة من الحجر الجيري الأسود يصل طوله بالضبط إلي 18 بوصة، ويتم التصديق علي هذا المقياس بواسطة اسم ولقب دارا (Darius) نفسه، وهناك ثلاثة ملوك آشوريون وهم تيجلاس Tiglas الثالث وشالمانيسار Shalmanesar الخامس وسناخريب Seannacherib كانوا قد أعدوا مكاييل علي شكل أسد وكانت ذات نقوش آرامية باسمهم ومقدار وزن كل منها، وقد اكتسبت الصفة القانونية بإضافتها إلي أسطورة الملك، وهذا الأسد الأكثر وزناً وجد في صوصا قريباً من وزن البرونز المخصص لعبادة أبوللو، وكانت له يد تكفي لوضعه علي كفتي ميزان من أجل الفحص الفعلي، ولكن زيادة وزنه 465 رطلاً تبين أنه كان يزن سبعة من معيار التالنت، وهناك وزن آخر للأسد وجد في أبيدوس Abydos وهو يحمل النقوش باللغة الآرامية «وهو يساويه بالضبط» في كل الولايات التابعة للملك، ويبين وزنه أن وحدته الوزنية هي يوبويك تالنت Euboeictalent ، وقد قدم دارا (Darius) أيضاً وحدة وزن جديدة وكانت تسمي كارسبا Kassba ، وهناك نقوش جميلة وعديدة وجدت عن الأوزان في خزانة بيرسيبوليس في كيرمان Kerman وفي أماكن أخري، وقد ساد الشكل شبه الهرمي في هذه الموازين، ونعلم أن وزنه يبلغ أقل قليلاً من 22 رطلاً، وهو 120 من وحدة الكارسبا Karsba ، وفي النسخ الأكادية تبلغ هذه الوحدة عشرين من المانا Mana أو الرطل الزائد الوزن.

وقد قدمت لنا المصادر القديمة والحديثة أعداداً كبيرة من الأوزان علي شكل وزن البط، وكذلك وزن الصخور الصلبة البيضاء الذين وجدت لهم آثار في خزائن بيرسيبوليس وتزن حوالي نصف وزن وحدة الكرسبا

Karsba ، ومن الشيق أن نعلم أنه في أقاصي الإمبراطورية مثل الفانتين في الحدود الجنوبية للإمبراطورية لمصر.

إن اليهود المرتزقة يدفعون ديونهم بناءً علي وزن الحجر الملكي، وأصغر وحدة كانت البالور Ballor وتعني الحبة من الفول، وتعرف أيضاً ببابل المعاصرة، وقد قسمت إلي أربعة أجزاء إلي وحدة الشيكل، وتكون العشرة من الشيكل وحدة الكارسبا Karsba .

تطور عملية سك العملات والمقاييس في عهد دارا (Darius) لكن وزن الأحجار الثمينة كان يرتبط ويعتبر أحد وسائل التبادل المالي، وفي الواقع إن سك العملات لم يكن بالأمر المستحدث في البقاع الأكثر تقدماً في الإمبراطورية، حيث كانت عملية تشكيل المعادن شائعة ومتداولة منذ وقت طويل، وفي بداية التاريخ المكتوب كانت بابل قد اجتازت عصر المقايضة، ووصلت إلي مرحلة اقتصادية متقدمة، وترتبط الكتابة نفسها بهذا التطور الاقتصادي، ففي الألواح الأولي التي تعطينا أية أمثلة عن أي موضوع نتناوله - وهي تسبق التصوير- بل تعد نوعاً من التصوير ورصد وقائع العصر الذي كتبت به، وكذلك تعبر هذه الألواح عن بداية حفظ المستندات، وكانت أول وحدة تبادل هي صاع الشعير، وفي هذا الوقت كان من النادر استبدال أحجار ثمينة مقابل أي شيء سواها، فقد كان يتم وزنها فقط، وعندما بدأت عملية سك العملات بدأت كتابة الأسماء اختلافاً عن النظام القديم للموازين، حيث إن مقدار 17 من وحدة (شي) She يماثل واحداً من وحدة الشيكلو Shiqlu وهي المعروفة في نصوص الكتاب المقدس بالشيكل، وتكون ستون من هذه الوحدة وحدة أخري تُسمي المانا Mana ، ويكون مستوي من هذه الوحدة ما يُسمي بوحدة بيلتو Biltu أو التالنت Talent ، وهي أكبر وحدة وتزن 66 رطلاً، وكذلك كانت وحدة Mama تزيد قليلاً عن الرطل، وبالنسبة لعملة الشيكل كان من المقدر لوزن الشيكل من الفضة أن يقارب ربع الدولار في العملة في

عصرنا الحالي بالرغم من أنه يجب أن نضع في الحسبان أن القيمة الشرائية بالنسبة له كأثر سوف تتضاعف أضعافاً عديدة.

وفي بداية الألفية الثانية، كانت تقارير معبد إله الشمس في سيبار Sippar تحكي عن عملات مستديرة من الفضة «رؤوس شماش Shamash ، وهي أول شكل مُفترض للعملة، وبعد خمسة قرون تصور الرسومات المصرية وزن الجزية أو مغانم الحرب عن طريق حلقات من الفضة، وبعدها بوقت قصير استخدم الآشوريون الفضة في حساب وأداء الديون ذات المقدار الكبير، واستخدموا الرصاص في العمليات التجارية الصغيرة، ثم حل النحاس محل الرصاص وبعد ذلك بوقت قصير حل البرونز محل النحاس ويصف سيناخريب Sennachrib سهولة سكه لعملة من البرونز قائلاً: «لقد بنيت الطمي، ثم قمت بصب البرونز بداخله من أجل صنع قطع من نصف الشيكل، وكان قطع الفضة تسمي «رؤوس عشتار» Ishtar ، وتذكر في القروض الزراعية في الإمبراطورية الآسيوية وعند مظهرها، فقد تمت معرفته بواسطة الحفريات الأثرية التي أوضحت وجود قطع من الفضة ذوات أختام آشورية.

وقد تغني الشعراء العظام في العصر الكلاسيكي عن منطقة باكتولاس Pactolus الغنية بالذهب التي تثري ساردیس Sardis عاصمة ليديا Lydia ، ويمكن استعادة الذهب المستخرج من جبل تمولاس Tmolus لكن يحتاج جهداً أكثر وتكاليف كثيرة، ولم يعد مربحاً من الناحية الاقتصادية، وفي كل العصور الماضية كان استخراج الذهب من هذا الجبل أمراً يسيراً؛ بسبب قرب الكميات الكبيرة من طبقات الأرض، وقرب الجبل من أبواب القصر ورخص الأيدي العاملة لوفرة العبيد الذين كانوا تحت تصرفهم، ولهذا ليس من الغريب أن يبدأ ملوك ليديا بسك العملات الذهبية في القرن السابع، في حين إن ملوك أسبيريا كانوا يتباهون بسك عملة النصف شيكل، وكان النبلاء يقرضون بعملة «رؤوس عشتار»، وفي

ذلك الوقت لم تكن طرق فصل الذهب عن الفضة متوافرة بشكل جيد، ولم تكتب في الطريقة الصحيحة بعد وكانت أول عملات في ليديا Lydia خليطاً أو سبيكة طبيعية تتراوح نسبة الذهب بها من 40 إلي 60%، وكانت العملة تحمل إشعار ليديا وهي وجه الأسد الذي يزأر، وعلي الوجه الأخر به الشعار إضافة إلي القيمة النقدية.

وقد تعلم الإغريق من ليديا فن سك العملات وكذلك أسماء الأوزان، حيث تحولت باس إلي وحدة بيلتو Biltu إلي سيجلوس Siglos ، بينما تحولت رأس عشتار إلي ستارتار Starter ، وهذه تحولت إلي وحدة ليديا الجديدة وتزن 217 وحدة من الحبوب، وقد أجريت علي وحدة Stort تغييرات ضعيفة مثل إدخال تقسيمات الثلث والربع والسدس والاثني عشر والأربع والعشرين و48 وحتي السادس والتسعين، وكان سك العملات يقوم علي النظام البابلي شبه السداسي حتي إن وحدة السدس والتسع كانت من الصغر بحيث تزيد قليلاً في الوزن عن اثنتين من الحبوب، وكان آخر ملوك ليديا كرواسيوس Croesus تم تخليده باستخدام اسم باعتباره اسماً عاماً يشير إلي المليونير بواسطة الغرب، حيث يدين بهذا الخلود إلي إصلاح مالي عظيم، فقد ابتكر أهل ليديا أساليب جديدة لتنقية الذهب، وقرر هذا الملك أن يستغل معرفته بسك العملات الذهبية والفضية، حيث أصبحت عملة استارتا Starta الآن من الذهب الخاص، وتحتاج فقط إلي سبيكة للحفاظ علي قوتها وعدم طمس معالمها، وقد زادت قوتها الاسمية عندما قل وزنها إلي 164 مثقالاً من الحبوب، وقد أضيف إليها تصميم جديد وهو أسد يواجه ثوراً، وكان هذا رمزاً للإصلاح الذي تم في مجال سك العملات، وتمت قسمة القيمة إلي أنصاف وثلث، وقد قل وزن العملة من الفضة إلي مقدار 163 من وزن الحبوب، وأصبحت عملة نصف ستارتار Starter من الشهرة بحيث اتخذت عملة إغريقية عُرفت باسم

السيجولي Siguli ، وأصبح الكسر العشري لهذه العملية يُسمي أوبول Obol وكـان الإغريق يتداولونه في سجلاتهم المالية ومعاملاتهم التجارية.

وقد وجدت بقايا من عمـلات كروسـيوس Cruesus الذهبيـة والفضـية تلـك التي لم تنلها أيدي التخريب من جنود الإسـكندر في خزانـات بيرسـيبوليس، وتظهـر أيضاً في مخصصـات دارا (Darius) الإنشـائية تحـت مسـمي أبانـدانا Apandana وهكذا تشاهد علي اشتقاق عملته الخاصة، وقد تتبعت الولايـات الإغريقيـة وهـي سيذيكاس Cyzicus وميتيلين وفوكايا Phocaea أسلوب ليديا في سك العملة، وقـد كانت عملتهم «سيزيسنيس» Cyicenes تتميز عن غيرها بلونها الأصفر البراق عـن عملة دارا (Darius) الجديدة New Starter ، وأصبحت عملة داريك Daric ذات مثقال 129 حبة بجودة 27.5 قيراطـاً مـن الـذهب أي بمقـدار 95% ذهبـاً خالصـاً، وبالنسبة إلي وحدة الفضـة، فضـل دارا (Darius) عملـة نصـف سـتارتار Starter ، وهي الشيكل أو سيجلوس Siglus التي احتفظ بوزنها القديم، وهو مثقال 83 حبة وكانت أيضاً من الفضة النقية بدرجة تزيد عن 90%، وقد تـم تقسـيمها إلي كسـور الثلث والربع والسدس، وجزء من الاثني عشر، وكان الـذهب عـلي معيـار يوبويـك Euboeic ، بينما كانت الفضة تُعرف بالتالانـت Talent وتـزن مثقـال 78، وكانـت عشرون من السيجولي Sigloi تتسـاوي مـع مقـدار داريـك Daric ، وكانـت نسـبة الفضة إلي الذهب 13.3: واحد صحيح.

وقد ثبت دارا (Darius) أيضاً أنواع العملة للملوك الذين خلفـوه، وعـلي وجـه العملة يوجد الملك ذو اللحية الخفيفة في وضع يشبه العدو مع نصف انحناءة مرتدياً ثوبه الملكي، وعلي رأسه تاج الحرب، وممسكاً بيده اليمني الرمح المسدد لأسفل الشكل والموضوع علي كتفه اليمني والدرع علي كتفه اليسري وبيده اليسري القوس، وهو مـا أعطي العملة لقب رامي السهم الذي ما كان يستخدم غالباً لرشوة رجال الدولـة مـن

الإغريق، وفي نسخ أخري من العملة يوجد الخنجر وكان علي الوجه الآخر المربع الذي يُعطي العملة ضماناً وتحمل العملة الفضية أشكالاً وعلامات ثاقبة ومن الكميات الكبيرة التي ترد كجزية وضرائب كان ترد عملات قليلة وكان شكلها غير منتظم تماماً كعملة دارا (Darius) .

إن الإصلاح المالي علي قليل من سكان الإمبراطورية وفي البلاد القاصية يسوده نظام المقايضة، وعلي الولايات الكبيرة مثل النيل ودجلة انعكست هذه المعاملات المالية في الوثائق كمرجعيات للصفقات التجارية والحسابات في الغالب والأعم.

وهناك شك في أن الفلاح الذي يكدح في عمله يكون قد تعامل بهذه الأموال، حتي أصحاب الحرف الذين يقومون بالبناء في صروح الملك كان يدفع لهم بالأكل أو السلع بالرغم من حساب ذلك علي أساس مالي.

فقد كان التجار هم المستفيدون، وبالنسبة لهم فقد كانت الميزة المكتسبة محددة وهي ثبات قيمة ما يتعاملون به، وضمان ثبات العملات التي يتداولونها من أن لها وزناً ونقاءً ثابتين إلي درجة أن حكام الأقاليم وشيوخ التجار فضلوا سك عملاتهم الخاصة المحلية تأكيداً علي استقلالهم المحلي، وهكذا كانت عملة الداريك Daric وأقسامها مهمة، ولكن ليست في حد ذاتها بل من جهة وضع المعايير لسك العملات المحلية، وحيث نجد هذه العملات المحلية المجهولة المصدر فلا نجدها إلا في المراكز التجارية، وخاصة في مدن التجار العظام في فينيقيا واليونان ولكن تاريخ هذه المدن غالباً ما يخدعنا، ومن أجل ذلك كان سك العملة مصدراً للمعلومات المستحدثة والكافية.

واتصالاً بموضوع الإصلاح المالي لدارا (Darius) ، تم وضع القيم القياسية لقيم المعادن الثمينة، وفي أحد الألواح التي تعد وثائق مأخوذة من دار خزانة دارا (Darius) - كما هو الحال دائماً- فإن إحداها محفوظ باللغة الأكادية، وهو يشرح طريقة إعادة التقييم والتغيير الجذري الذي طرأ

عليها، ويبين الظلم الذي تعرض له دافع الضرائب إلي حد ما وهو كالتالي: «وفي أثناء الأعوام التاسع عشر والعشرين من حكم دارا (502 -501) (Darius) قام أربعة أمراء بدفع ضرائبهم إلي الخزانة الملكية، وكان ذلك بالنيابة عن جماعات معينة قاموا بتحصيل الضرائب منها، والمال الذي قدموه إلي دار الخزانة كان طبيعيًّا وهو ما حصلوه نفسه، وما هو متداول في السوق المفتوح؛ ولذلك كانت به درجات متفاوتة من النقاء، وبالتالي قدموه إلي دار الخزانة ونأمل أن يتحقق دافع الضرائب من الأموال وسلامتها قبل أن يستخدمها في تجارته، وهو لا يتم غالباً وعلي أي حال، لم يقبلها عامل الخزانة بالقيمة الاسمية، ولكن بالقيمة الفعلية لوزنها من الذهب والفضة، ويشهد الدليل الذي بأيدينا علي الخصم الذي تم للمبلغ ومن هذا يتضح أولاً: وجود قيمة اسمية للعملات المقدمة، وهذا ما جعل القيمة الفعلية تقل لاختلاف درجة نقاء هذه العملات مثل الفضة البيضاء أو بالغة النقاء ثم الفضة ذات الدرجة الثانية والثالثة ثم الخصم بمقدار شيكل بناءً علي تحديد القيمة للمعياري المطبق في هذا الوقت. ثانياً ، هناك الخصم الكلي علي مقدار المبلغ المدفوع كضريبة، وفي متن هذه الوثيقة في الملاحظات نجد الهامش الذي أجري به الكاتب حساباتها، وقد جعلها موثقة للرجوع إليها في حالة وجود شكوي، وهذا يثبت لنا من المراجعة أن حساباته لم تكن دائماً دقيقة.

وإليكم هذا المثال، في الثلاثين من ديسمبر عام 502 كانت أندوكا Indukka أم توتو Tu Tu رئيس التجار في إحدي مدن إيلام مثل صوصا قد دفعت الضريبة المقررة، وهي 14 وخمسة أسداس من الفضة اعتقاداً منها أنها كانت من الفضة الخالصة، وكان هذا هو القسط الأول من ضريبتها، وعندما تمت تنقية الفضة وجد أن مقدارها قد قل بما يعادل شيكل من كل عشرة من قيمتها، أي بمقدار العشر ولذلك وجب عليها الدفع لسد هذا

العجز في مقدار الفضة، وفي حالة دفع أخري للفضة من الدرجة الثانية وجد هناك عجز يبلغ سبعة أرطال و53 شيكل، مما أدي إلي خصم بالغ مما قدم وهو ربع شيكل وثمن كل قطعة تساوي عشرة شيكل ولكن في حالة الدفع بالفضة ذات الدرجة الثالثة ارتفعت الخسارة إلي درجة الثمن أو حوالي 5% من مجموع ما دفع، وبالمثل تحمل دافع الضرائب خسارة فادحة؛ ولذلك لم يكن من العجيب أن يطلق دافع الضرائب علي دارا (Darius) لقب البائع المتجول.

وبالرغم من تطبيق خصومات كبيرة فإن العملات الأقل درجة كانت مستلهمة من الأسواق وتشير وثائق الفانتين في مصر والتي كانت في إحدي البرديات المهمة إلي عملات جديدة من عام 471 إلي 411 عندما نسمع عن الفضة النقية وخلال فترة حفظ البردية فإن لدينا تكراراً في القول بأن الدفع يتم بالوزن الملكي.

ولكن مع خصم ربعين من الشيكل لكل عشرة منها أو ربعين من عملة الكارشا Karsha ، مما يثبت بقاء العملات ذات الوزن الجيد، ولكن لم تكن ذات نقاء كامل.

وقد وجدت محفوظات دارا (Darius) في أحد حوائط الأبراج في نهاية حكمه البالغ 28 عاماً، وفي عامه الثلاثين (عام 492) نجد ألواحاً لخزائنه، وتغيير المصطلحات بها يُشير إلي الإصلاح المالي «يقول باراداخما Baradakhma: أعطي الكثير من العملات لفن الكارشا Karsha والكثير من عملات الشيكل لـ.. و... (وهو يسميهم) في بارسا Parsa ، وبينما يكون التسجيل في السجلات المالية نعني طريق الأحوال، فإن التعامل ما زال يتم بواسطة الطعام والشراب، أعطي ماشية وشراباً أو ما يعادلهم، حيث إن أحد الأغنام يقدر بشيكل إلي ثلاث وإناء الشراب بشيكل، وهناك قائمة بشهور الدفع وسنوات الحكم بالرغم من حذف اسم الملك، ومن وقت لآخر لا يوجد لدينا أدني شك في أن دارا

(Darius) الملك أمر بإعطاء هذه لهم؛ ولأن الألواح كتبت بلغة الإيلاميين، فإنه من الطبيعي أن يكون اسم الكاتب مكتوباً بهذه اللغة، ولكن الأختام فارسية بالطبع، لكن أحدها كان باللغة الآرامية بالرغم من أن اسم صاحب الختم «الفارس الصالح»، حيث يبدأ باسم مقدسهم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) (cc) ، وعند مقارنة الأجر المدفوع لعمال هذه القصور بأجر العمال العاديين في بابل فإننا نكتشف عدم وجود أية ميزة لبناء القصور الملكية في بيرسيبوليس.

تغيير في التركيب السكاني:

يُعطينا الفحص الظاهري لأكوام من الألواح المكرسة التي تعود إلي بابل، والتي نُقشت أثناء هذا العصر فكرة عن الأعمال التجارية التي كانت تمارس بشكل معتاد، ولكن الفحص الدقيقي يُثبت أنه تحت التكرار المحلي للمصطلحات توجد تطورات يمكن للموقف أن يرصدها.

حتي في حالة الاصطلاحات لمحله والقوائم الكئيبة للشهود شبه المحترفين التي تكون موضع قراءة فإننا نأخذ فكرة عما يحدث من تغييرات في حركة السكان، ومن بينها نجد أبناء الأحفاد لمن يسيطرون علي العائلات الكبيرة الذين تعرفنا بهم في عهد دارا (Darius) والكثير منها، ولدينا الحق في الشك، كانت مؤسسة بواسطة رجال كانت لغتهم الأصلية الآرامية بدليل تكرار الأسماء الآرامية من جيل لآخر، مما يزيد هذه الشكوك مثل وجود المصطلحات والرموز الآرامية علي الألواح المخروطية منذ نهاية القرن الثامن والذي يُعد دليلاً علي أن الكُتاب يشعرون بأن اللغة الآرامية أسهل في القراءة من اللغات المعقدة الأخري مثل الأكادية، وقد نتج عن الاستخدام المطول لهذه اللغة الأخيرة في بابل ذات الأسلوب المحافظ أن يوظفوا واحداً من الكتبة المترجمين علي الأقل

في عهد دارا (Darius) ؛ ولذلك سمي هذا الرجل بالفعـل «أراميـان» Aramen أي كاتب اللغة الآرامية.

ومن الطبيعي أن يثار التساؤل، كم عدد هؤلاء ذوي الأسـماء الآراميـة الـذين كانوا من اليهود المنفيين؟ وهل كان حقًّا زير- بابيلي Zer Babili - كما يطلق عليه أمير يهودا نسبة له- نفي هذا الاسم السـابق أو انهـما اثنـان مختلفـان، كـما تركـز الوثائق باللغة العبرية؟ ومن فترة طويلة كان يُدعي أن أعظم أسرة بابلية في مجـال الأمور البنكية وأعمال الصرافة كانت أسرة إيجيبي Egibi والتـي كانـت يهوديـة في الأصل، وكان مؤسس الأسرة يدعي يعقوب Jacob بلغتـه، وعنـد هـذا الوقـت كـان رئيس الأسرة يعرف باسم ماروِدخ Mardk وهو اسم يشير إلي توقير أحد آلهة بابـل ومـن العجيـب فعـلاً أن الاسـم التـالي لـه معـروف بانتسـابه إلي عصر «سيليوسـيد Selecuicid الذي يرتبط بشريك Shirik وينحدر من إيجيبي Egibi ، وتشير وثائق أخري إلي شريك Shirik بهذا الاسم الآرامي مما لا يدع مجـالاً للشـك في شخصـيته، وهو ما ينتهي إلي الاسم العبري ناثان بالنسب وهو اسمه الأول.

وهذه الأسماء المنحدرة من أسرة إيجيبي Egibi والتي يلحق بها ردوخ ليست دليلاً علي خطأ الاستنتاج، بل تدل علي تغيير المكان وانتقـال الأسرة، وكـذلك الـولاء وهناك أيضاً أسرة مثرة كان مؤسسها يدعي بيل يـاو Bel- iau ، وهـذا الاسـم يُعـد تحدياً للوثنية، ويعني الاسم «أن إلهنا ياهو هو الإله الواحد وليس إلههـم المزعـوم مردوخ، ومع ذلك فالعديد مـن أسـماء نسـله يحملـون أسـماء تـوقر المعبـود نـابو Nabu .

ولا تشير الألواح الأولية القديمة إلي الإيرانيين، وقد جعلهم حكم دارا (Darius) في الصدارة، وفي عام 521 كان لهم ما يسـمي «بيـت الفـرس» بجوار بابل، وفي العام التالي ظهر كاكيا Kakia في مدينـة ميـدي Mede ، وفي عام 508 كان برتامو Pertamu الفارسي يمتلك بيتا هناك، وأرتابانوس

Artabanos في صفوف القضاء، وفي عام 504 أجر أحد العبيد منهم ويدعي أرتاجاتوم Artagatum أرضه، وفي عام 501 أعطي شيشيا Shishshia لقب مثمن وخازن مؤتمن لفارس ومقرر الديون، وفي عام 499 يسمع عن نيناكو Ninaku من ميدي Mede ، وكذلك في عام 496 نعرف باجينتو Byginit ، وفي عام 494 نسمع عن جامبيا Gambia التي تزوجت زيروتو Zirutu وتشير المقارنات في الألواح الوثائقية الأقوم إلي غزو المستوطنين الإيرانيين لبابل.

وقد نشأت عن ذلك توترات عرقية في بابل، وهناك أحدهم يظهر كثيراً يسمي «المصري»، ومن يعبدون آشور، وذلك يتضح من أسمائهم يكونون من الآشوريين، وهناك شامو Shamu ابن أوبازو Ubazu وهو من الكاشيت Kashshite ، وهناك بلدة تُسمي ناباتو Nabatu وأخري تُسمي جدرانداريتام Grandaritam وهي تعني أرض جاندار Gandar والتي جلب فيها الخشب لبناء قصر صوصا، ويوجد أيضاَ الكُرد Kurd مثل لوكوشو Lukuchu راييناهو Inahu وهنانا Henana وهم من المرتزقة الذي يخدمون في جيش الملك.

تغييرات جذرية في الحياة الاقتصادية:

قفزت التجارة الداخلية في الإمبراطورية قفزات واسعة مفاجئة فتظهر الوثائق أن ماردوخ - ناسير- أبال Nardeuk- Nusir قد أقرض رجلين مالاً للتجارة علي الطريق، حيث يرجع إليه نصف المكسب الذي يتحصلون عليه في صورة فضة، ولكنهم يتحملون معاً مسؤولية المال المقرض لهم، وغير مسموح لهم أن يقوموا بأي أعمال تجارية أخري إلا بإذنه، ومن الطبيعي أن التجارب مع إيلام Elamjguf يلعب دوراً كبيراً في وثائقها، ومن هذا القبيل فإن كوسورو Kusuru علي نفقة شريك Shirik يقوم باصطحاب رجال القافلة إلي بي- أبال- إيدين Bel- apid- iddin سيد

بابل ومعه 50 شيكل للتجارة، وهنـاك سـتة رجـال يـذهبون إلي إيـلام Elam عـلي سفينة محملة بالشعير ويعهدون إليهم بـ25 رطلاً من الصوف، وفي عـام 511 تبـين إحدي الوثائق ديناً يرفع إلي صوصا للتصرف وحل النزاع، وهناك بيع متكـرر لرمـوز المعابد حتي لفترة قصيرة مـن اليـوم، وذلـك لبيـع الفـائض عـنهما، مـما يـذكرنا بمـا يحدث في عالمنا الحالي من بيع المتاجر الفائضة عنها بأسعار زهيدة.

ومن الواضح في هذه الفترة زيادة التـدخل الحكـومي في الحيـاة الاقتصـادية، وفي عام 520 يقدم رسول الوالي الفارسي إلي الحياة الاقتصادية، وهو يقوم في الحكم مكانه في هـذه الناحيـة، وهنـاك ضـمانات في بيـع العبيـد أنـه لـن يـتم اسـتدعاؤه للخدمة الملكية، وهناك مخزن ملـكي لاسـتقبال وتخـزين الشـعير في عـام 508، وفي العام نفسه تباع الأرض لمندوب الملك، وفي بيع الشـعير أو الـبلح الـذي يقـوم عـلي استخدام منتظم للمكيال الملكي المخـتصرة بـالرمز pi ، وفي عـام 497 كـان الشـارع الحرفي في أبورسيبا Borsippa هو الشارع الرسمي الذي أطلـق عليـه اسـم «شـارع الآلة والملك»، وعندما كان يتم شراء الأرض في نانا- زير- ابني Nana- Zer- Ibni ، كان الكاتب الآرامـي الملـكي يشـهد توقيـع العقـد ويوقـع عليـه بضـمان أن الأرض المزروعة لا تدخل في إطار ملكية الملك، وقد بيعت مقابـل مبلـغ متفـق عليـه مـن العقبة، ومـن بـين الشـهود عـلي ذلـك شيشـيني Shisshtitu الفـارسي ابـن كاماكـا Kammaka ، وهنا وفي عديد من الأمثلة نري سريان القـانون التجـاري الاقتصـادي لدارا (Darius) ولحاجة الفرس إلي تغيير هذا القانون نجـد اثنـين مـن الأجانـب في صفوف القضاة في بابل نفسها.

وبناءً علي ما شاهدناه من الإصلاح المالي نجد استخداماً جديداً لرمز الثمن الذي يجلب المال الفأل السيئ، وأصـله أن الخزانـة الملكيـة كانـت تقوم بخصم مقدار الـثمن مـن القيمـة الاسـمية للعمـلات عـن تقـديمها

كضرائب، وهنا حيث الفضة البيضاء يـنخفض ثمنها بمقـدار نصـف شـيكل، وتعنـي كلمة الفضة البيضاء أن الثمن يساوي الوزن الفعلي طبقـاً للمعـايير الملكيـة، وهـذا شيء يندر حدوثه، وفي هذه الحالة تتساوي الفضـة البيضـاء مـع الفضـة المثبتـة في المستندات أو أنها تكون صالحة من الناحية القانون لأخذ أو إعطاء، وكثيراً ما تكون الفضة البيضاء غير مساوية للفضة المحددة بصورة قانونية، وفي هذه الحالة يخصـم ربع شيكل، والطبيعي أن ندرك هنا أثر التدخل الحكومي في الأعمال التجارية عنـد إعداد رسوم بيانية بالأسعار، وهذه تبين أن مستويات الأسـعار كانـت ترتفـع بـبطء طول العصر الأخميني، ولكن من المدهش والرائـع أن الأسـعار ظلـت ثابتـة طـوال حكـم دارا (Darius) ، وهـذا لا يـدع لنـا مجـالاً للشـك في أن هـذه الإصـلاحات المقصورة أسهمت بدرجة ما في التفكك الاقتصادي المقبل.

الفصل الخامس عشر

سبل الآلهة

كان زورواستار Zoroastar موحداً حقيقاً، وكان أهورا- مازدا بالنسبة له يمثل حرفيًّا الإله الواحد، وإذا تحدث عن الخير والفكر والتقوي أو ما شابه ذلك، فإن هذا التشتت يرجع إلي التسليم بالصعوبة الطبيعية التي يواجهها الإنسان في مجال التفكير المجرد غير الحسي وكل ما يتصف بأنه خير وفاضل يعود في الحقيقة إلي قوة آلهة عظمي واحدة ومطلقة والأشباح التي يوفرها من يعارضونه ما هي إلا شياطين يعبدونها تلك التي كان بمقتضاها جميعاً بكل حماس المؤمن الصادق الاقتناع بالوحدانية.

وكان دارا (Darius) بالمثل موحداً في قرارة نفسه، حيث لم يذكر من الآلهة غير أهورا- مازدا في نقوشه الملكية المتعددة في كل سطر من الترانيم الدينية التي قام بأدائها مدحاً للخالق العظيم، والذي أرجع إليه فقبل إعطاء القانون فهو يقر بتواضع باعتماده علي المعونة المقدسة أو يستجدي هذه القوة لحمايته شخصيًّا وآل بيته وكل أعماله، وربما كان في أعماقه كارهاً للشياطين التي يعبدها أتباعه ورعيته المشركون الوثنيون بالشدة نفسها التي كانت لديه، ولكن بينما كان في رأي المؤرخ أن زورواستار Zoroaster كان نبيًّا وكان هدفه الوحيد في الحياة أن يستمع الناس إليه ويدعوهم إلي التمسك بالإيمان الحقيقي الصحيح، كان دارا

(Darius) مضطراً إلي حكم امبراطورية اكتسب ملكها بطريقة سريعة فاقت تصوره، وكان أغلبية أهلها من المشركين الوثنيين، ولأسباب تتعلق بالحكم، وربما قدمت علي بعض معابدهم والكهنة، واعتقادات الرعية المتعلقة بقدراتهم، فكان يجب عليه أن يحتفظ بشعوره لنفسه حتي إنه كان مجبراً علي أن ينطلق بشفتيه بترانيمهم بالإشارة إلي أهورا- مازدا والآلهة الأخري، والتي ربما يرجعها كلها إليه في باب التعظيم له، ويقول هامساً لنفسه و«لكن كل الآلهة سواك ليس لها وجود» وكان محرر النسخة الإيلامية للسيرة الذاتية الملكية مدركاً تماماً أن أهورا- مازدا كان «إله الإيريان» Aryena .

أماكن عبادة أهورا- مازدا:

وبالرغم من أن أهورا- مازدا يركز كثيراً في النقوش الملكية، وأن شكله البشري المجنح، وهو رمز يطير عالياً في الهواء خلال قصور بيرسيبوليس وصوصا، وفوق صخور بيهيستام Behestam أو مقبرة دارا (Darius) ، فإننا لا نعرف إلا القليل عن مراسم عبادة، ولا نستطيع أن نحدد بالضبط ابناً كان يقوم بعبادته.

ومع درجة من عدم اليقين توجد ثلاثة مسارات بين البوابة الثلاثية وحجرات دارا (Darius) الخاصة تلك التي حددت كمحراب مفتوح إلي السماء مثل الذي كان جيداً لحفظ بارساجاردا Parsagada ، وتبين نقوش مقبرة ناكظي روستام Naqsh أن الملك يقدم القرابين في مذبح بسيط، بينما Rustam يطير فوق رأسه أهورا- مازدا، وهذا يعني أن مراسم عبادته في الهواء الطلق، بل إن هيرودوت (Herodotus) قد أورد بطريقة فظة أن الفرس لم تكن لهم أية معابد.

ومع ذلك فهناك معبد لأهورا- مازدا والمقدسات الأخري الفارسية مثل أثينا Athena وأبوللو Apullo وهيليوس Helios وأرتيميس Artmes علي

سفح جبل شمال غرب منصة بيرسـيبوليس، والتـي يرجـع تاريخهـا إلي الفـترة الأولي بعد الدولة الأخمينية، وهناك نجد مبني مشابهاً تماماً تبين مبانيه أنه يمتد مـن دارا (Darius) إلي ابنـه، وفي الحقـول الممتـدة إلي الجنـوب نتأكـد أنـه كـان مخصصـاً للعبارات الدينية، وتوجد سقيفة تحمل أعمدتها رسومات الأسود وتـؤدي إلي فضـاء مفتـوح غـير مسـقوف متصـلاً بـه حجـرات مـن جهـة الشرق والشـمال والغـرب، ويستطيع المرء عند النظر من خلال الباب لهذا المحراب أن يـري المـذبح في الصـف الثالث والرابع من خلال 16 من الأعمدة، وفي الشرق وفي المستوي الأدني كان يوجد فناء محاط بسياج من الطوب اللبنـي، بيـنما كـان يوجـد في جهـة الجنـوب حـاجز منخفض يمكن الصعود عليه بدرجات سـلم، وكانـت هنـاك أيضـاً درجـات سـلم في اتجاه الشمال.

ومتوارياً تحت مرتفع ميلين ونصف من جهـة الشـمال الشرقـي لصوصـا وراء القاع القديم لقصر يولايوس Eulaeus ، وجد بناء آخر وهو يمتد بطول 95 قدماً في مسار ضيق أقل من سبعة أقدام في العرض، وكذلك حوائطه بكـوات، ويجـب عنـد الدخول إليه عبور قاعة عرضها ستون قدماً، ويكون الدخول إليها عـبر فتحـات مـن اليمين أو اليسار، وتنقسم الجهة البعيدة إلي سلم واسع يمتد علي سقيفة ذات اثنين من الأعمدة، حيث يوجد أحد الدهاليز، وحجـرة محاطـة بأربعـة أعمـدة وبسـبب اعتبارات معمارية ينسب هذا العمل إلي دارا (Darius) ، ويوجد عـلي ذلـك دليـل من النحت البارز أن هذا هو أحد المعابد أو أحد «بيوت الرب» كما تـذكر ترجمـة النسـخة البابليـة والتـي يُقـال إن المجـوس قـد دمروهـا لكـن دارا (Darius) قـام بترميمها وعندما نطبق هذا التطابق لعبدة النار في بارساجاردا Parsagarda الـذي أقامـه دارا (Darius) (Darius) قـرب مقبرتـه، فإنـه يكـون لـدينا كـل الـدلائل المعمارية المتاحة لهذا الجانب المادي للدين الفارسي.

دين جماعة زورواستار:

بالرغم من تأثر دارا (Darius) الشديد بزورواستار Zoroaster إلا إنه لم يكن عضواً في هذه الجماعة، وبينما كان أتباعه علي قيد الحياة فقد كان يرضيهم النقل الشفوي لأقواله وخاصة بواسطة دقة الإيقاع الشعري الذي كانت به هذه الكلمات، وعندما مات أتباعه انحرف الدين الرسمي للإمبراطورية عن طريقه المستقيم وتخلت الإمبراطورية عن الإيمان القويم، وكان هناك خطر الكفر والانتهازية، لذلك كانت الكتابة هي السبيل الوحيد لحفظ هذه التعاليم بلا تحريف أو انحراف؛ ولأن ترانيمه الدينية كان يتم إنشادها باعتبارها طقوساً دينية فقد أصبحت الحاجة أكثر إلحاحاً من أجل ضمان الدقة في التدوين، وهذا لا يعني أن هذه التعاليم المسماة جاثاز Gathas قد حلت محل الإنجيل في قراءة الانقياد لها لكن بقيت هذه التعاليم في صورة مخططات مكتوبة باليد، وقد تم حفظها بواسطة بعض الكهنة من أجل مراجعة حفظها كأحد طقوس العبادة الشفوية.

ومن هذه الجماعة جاءت ثلاث وثائق وهي أهونا فايرديا Ahuna vairya وآشيم فوهو Ashem وإيريما ايشيو Eiryma وهما أقدم الوثائق وفيها: «لأنه أفضل سيد (أهورا- مازدا)، كذلك كان زورواستار Zoroster وهو القاضي والحكم طبقاً للحق يجعل أفعالنا في الحياة تسير في طريق الخير لمازدا، وكذلك مملكة أهورا اللذين وضعاه في مكانة راعي الفقراء، فالحق هو الخير المطلق ونرجو أن يكون ذلك تبعاً لما نرغب، وكذلك سوف تسير الأمور كما ندعو، وهو الحقيقة الأبدية والخلاص، الأخوة، الأحباء لمساعدة جماعة زورواستار Zoroaster من الرجال والنساء من أجل الخير المطلق، وأدعو كل نفس تستحق مكافأة هي رضاؤه الذي سيمنحه له أهورا- مازدا».

وقد ظل أتباع زورواستار Zoroaster من المؤمنين فقراء وغير متميزين، فهذه الجماعة لا ترجو أي ثواب في الحياة الدنيا، وكل ما يريدونه هو ما وعدهم به في الحياة الآخرة، وذلك لمن يتحملون ويثابرون في هذه الحياة الدنيا.

ويصور الموقف نفسه بالضبط في الصلوات الأخري المكتوبة باللهجة نفسها التي انطلق بها زورواستار Zoaster ، ولكن الوحي النبوي قد انقطع عنها، وكُتبت بطريقة النثر.

«وهذا هو من سيختاره أهورا- مازدا الحق وهو الجمال المطلق الذي نفكر فيه ونتحدث عنه وذلك ينال بأفضل الأفعال والأقوال في العالمين فنحن نسعي إلي الثواب لأفضل أعمالنا وندعو بالأمن والغذاء لأهلنا سواء طلب ذلك منا أو لم يُطلب سواء كنا حكاماً أو كنا من الرعية وأفضل من نطيعه هو أهورا- مازدا وللحق الحقيقي [وليس لملك دنيوي مثل دارا (Darius) الملك العظيم] ومن ينصاع إلي الحق من رجال ونساء فبفضلك وفقهم لما يرجونه واجعل منك لمن يهدي إلي الحق وليتفضل عليكم أهورا- مازدا بالشرف والتكريم وبعزاء الأهل ولأفضل الدرجات ومن أجلك أنت نجتهد ونهدي غيرنا قدر استطاعتنا وفي معية الحق وأهل الحق إنهم علي من يهتدي إليك بالراحة والنعيم في العالمين وهذا ما قاله أهورا- مازدا أو بدعوات الحق تسير وأنت يا زورواستار Zuroster قائدنا ومرشدنا برغبة الحق والفكر السديد وبالملك الذي سوف يؤول إليكم أهورا نمدحك بأفضل ما يكون المديح وبالصلاة بعد الصلاة.

وبهذه التأملات يا أهورا- مازدا تذكر وحقق ما يؤنس وحدتنا من خلال بصرك الواقي يا أهورا- مازدا أما الثواب الذي أعددته للجماعة التي ننتمي إليها لا تحرمنا منها في هذه الدنيا وحياة الروح حتي نصل إلي معيتك ومعية الحق للأبد اجعل يا أهورا- مازدا المحاربين يؤمنون بالحق ويهتدون إليه حتي يستطيع الفلاحون أن يكدحوا في طلب معيتك

الخالدة وليخضع الجميع كأتباع صادقين لنا، وحتي يتمكن النبلاء من أن يحذوا حذوهم في طلب معيتك وكذلك من نتصل به في هذه الحياة وبطريقة من آمن بك نرجوك أن تنعم علينا بما ندعو.

إليك ترانيمنا وأغانينا ومديحنا نخصصه لأهورا- مازدا وللحق وفي مملكة الخير عندك نرجو أن نعيش الحياة السرمدية حتي يحكمنا الأخيار في العالمين يا أيها المنعم الإله المبارك النافذ أمره، الذي يصطحب الحق نبتهل إليك أن تنعم علينا بالحياة والنشاط حتي نخدمك ونرجو المستمر لنا حتي تهبنا الحياة والحيوية وأصل عوننا أيها المنعم الكريم فإننا أتباعك وأتباع أنبيائك أيدنا في الدنيا والآخرة حتي ننعم بالوصول بك وبالحق إلي الأبد.

وقد ازدهر معبد زورواستار Zuruaster تحت رعاية هيستاسبيس Hystaspes حيث بقي في مملكة كافي Kavi الصغيرة وربما قد عين والياً فارسيًّا وعندما أصبح دارا (Darius) ملكاً فقد نسي الجماعة التي ولوا من أجلها مع تذكرة بعض من التعاليم الدينية لها، وأثناء فترة الإهمال هذه، صيغت الصلوات السابقة وفي موطنه لم يتحدث النبلاء أو المحاربون أو فلاحو الأرض عن هيئات دنيوية ينتمي إليها من يبذلون دينهم بل ظلوا في حالة لا مبالاة، ولم يفهم قادة هذه الجماعة المحبطين سبب هذا الإهمال فقد وعدهم قائدهم ببعض الغنائم في الحياة الدنيا والآخرة وكأن النسيان قد طواهم.

وأخيراً، فقد وصلوا إلي مرحلة اعتبروا فيها أن دارا (Darius) العظيم هو يازاكا Yazaca وهو أحد المعبودات في هذا الوقت، حيث زورواستار Zoraster قد أصبح مقدساً أيضاً قبل أن تنتصر عقدة مازدا.

الدين والتقويم:

مع أن دارا (Darius) لم يظهر احتراماً شخصيًّا للمعابد البابلية وكهنتها

فإنه لم يستطيع أن يستغني عن إسهاماتهم القوية في العالم، وكذلك تطبيقاته العملية وبالنسبة لهم فهو يبحث عن كتبه ويقوم بترجمة النصوص الفارسية إلي اللغة الأكادية، بينما كان يعمل في تكون قانونه ومنهم اختار العلماء والذين جعلوا تقويمه أكثر دقة.

لم يكن العلم خصماً للدين في الشرق القديم، بل نشأ العلم في كنف المعابد فقد وفر علم الفلك للكهنة معلومات عن الأجرام السماوية، واحتاج التقويم إلي دورة فلكية تبلغ ثمان سنوات، ثم دورة أخري تبلغ 19 عاماً من أجل تقريب الأعوام الشمسية والقمرية ودمجها في جدول واحد، وفي عام 747 تم تطبيق هذا النظام عن طريق الملك البابلي نابوناسير Nabu- Nasir ؛ ولذلك ظلت دورة التسعة عشر عاماً مقياسية، وبعدها بوقت قصير كان الفلكيون من أسبيريا يبحثون عن طريقة علمية تماماً عن طريق التأسيس للفلك الرياضي الذي لم يتم حتي العصر الكلداني Chaldaean .

وقد تم تلخيص الملاحظات الكلدانية في عام 568 كما يلي: في الثامن عشر من الشهر يكون كوكب الزهرة علي بُعد 255 درجة من الملك وهو النجم اللامع في نجوم الأسد، وفي ليلة الثامن عشر يقوم آلهة القمر Sin بالوقوف علي درجة 15 و6 من الميزان في الشمال، وفي الثامن يدخل كوكب المريخ خلف نجمي التوأم العظيم وهو يغرب مع الشمس، ويتجه المريخ أكثر إلي الشرق، وبهذه الطريقة تم تحديد مسار الكواكب بدرجات ودقائق ارتباطاً مع مجموع النجم.

وهناك معلومات أكثر مقدمة في كتاب ظهور الكواكب الذي أعده لاباشي Labashi في عام 1577 «ظهور إله القمر في مدة 27 يوماً وعودته»، وهذا يعني أن الدورة القمرية تبلغ 27 يوماً، ويقول « ظهور الإله ديلبات Dilbat في 8 سنوات ورجوعها « أي أن كوكب الزهرة يعود بعد 8 سنوات للموضع نفسه من السماء ويضيف « أطرح أربعة أيام» وهذا

حقيقي حيث إن هذه الدورة تبلغ 8 سنوات مطروحاً منها أيام المريخ، يظهر ويعود في 6 سنوات» كان المريخ لهم هو أصعب هذه الكواكب حتي إن المؤلف يعرف أن هذا غير دقيق؛ ولذلك يضيف مع مرور الوقت سوف تتأكد من ذلك وتلاحظه بنفسك»، وهذا علي أمل أنه في المستقبل سوف يتمكن الفلكيون من حساب دورته بدقة ونجاح، وكوكب المشتري له دورة تبلغ 47 عاماً إلا 12 يوماً، ويعود زحل في مدة 59 عاماً ويضيف المؤلف «سوف نلاحظ ونتعلم يوماً بيوم».

وهناك تحذير يقدم في العام السابع والعشرين من هذه الدورة الفلكية، وذلك بسبب «نجم السلاح والقوس»، وكانت في هذه الجداول دورات الكواكب معلومة بدقة مدهشة، ولكن لم يكن الفلكيون قانعين بما توصلوا إليه، بل كانوا يسعون إلي الوصول لأكبر قدر من الدقة، علاوة علي ذلك فقد اكتشفوا وحدة السار Sar التي ما زالت تستخدم إلي اليوم بواسطة الفلكيين المعاصرين وهي فترة 65855 يوماً، أي ما يبلغ أكثر قليلاً من فترة 85 عاماً، وبعدها يتكرر الكسوف والخسوف بالطريقة والترتيب نفسيهما.

ولم يكن هؤلاء العلماء راضين بهذا التقدم (بالرغم من كونهم أكثر دقة وتحديداً ممن تبعهم حتي اكتشاف التيليسكوب)، وقد سبق الكهنة البابليون من جاء بعدهم بتحديد النتائج من خلال الرياضيات المعقدة التي طوروها منذ 15 قرناً، وبالتالي تسبق جداولهم الجداول الحديثة في الدقة الفلكية.

ومن أمثلة جداولهم: في الأول من أبريل توجد فترة ساعتين من غروب الشمس إلي طلوع القمر، وفي مساء اليوم الثالث عشر توجد فترة 365 دقيقة من بزوغ القمر إلي غروب الشمس، وكذلك في اليوم الثالث عشر توجد فترة 10 دقائق من أفول القمر إلي غروب الشمس، وفي مساء الرابع عشر توجد فترة 33 دقيقة و20 ثانية من غروب الشمس إلي ارتفاع

القمر، وفي اليوم السابع والعشرين توجد فترة ساعة وأربع دقائق بين هذين الحدثين، وهناك جداول مشابهة للشهور التالية، وبالنسبة لشهر فبراير نقرأ «في اليوم الثالث عشر لا يوجد شروق الشمس أو غروب القمر باختلاف التوقيت، حيث إن القمر يأفل والشمس تُشرق في الوقت نفسه، وفي نهاية الشهر نجد الأرقام 25، 23، 27، 12، وهذه الأرقام تعني أن الفلكي لم يكن يدري إذا كان القمر قد بزغ يوم 26 أو 27 فقد كذب هذا ودونه لكي يواصل حساباته.

ثم ينتقل إلي الكواكب في العام السابع لقمبيز Cambysis ، حيث يدخل الإله مولو Mulu عند وجه شيروا Sherua ، وهذا يعني أن المريخ يغرب مع الشمس غرب مجموعة نجوم العذراء.

وحين ذلك يغرب المشتري مع الشمس غرب مجموعة العذراء «بولولو« Bululo ، خلف الستيروا Sterua حيث يقوم بالظهور، وهو يعني أن المشتري يرتفع بالتزامن مع الشمس شرقاً برج العذراء «تيبيولتو Tebeltu »، أمام وجه الميزان يقف ثابتاً، وهذا يعني أنه يصل إلي أول نقطة تحول، حيث يظهر للعين المجردة، ويظل ثابتاً لمدة أربعة أيام أو أكثر في العام الثامن أيرو 25 Airu ، فكان شيروا Sherua يظل ثابتاً، وهو يعني أنه في ثاني نقاط التحول «يولولو Eululu يدخل خلف الميزان، أي ينزل هابطاً مع الشمس «في العام الثامن سيمانو Simanu تكون الآلهة دبليات Debat في المساء داخله إلي رأس الأسد سيمانو Simanu في الصباح في مكان السرطان، حيث تقوم بالظهور «أي أن كوكب الزهرة يختفي في المساء كنجم، وبعد 16 يوماً تعاود الظهور كنجم في الصباح، وفيما بعد تحركت من مكانها في مجموعة ذيل السمكة كنجم في الصباح لموقعها كنجم في المساء كمجموعة العربة، وهناك حركة كوكب زحل والمريخ، ثم بعد ذلك نري مواطن القمر، وهناك أشكال عديدة بيضاوية ومواقع كثيرة، وهي تختلف صعوداً وهبوطاً، وأخيراً

هناك أبحاث عن الكسوف والخسوف «في العام الثامن يأتي دوزو Duzu في اليوم الثاني عشر بعد بداية الليل في مدي عام ثلاث ساعات وعشرين دقيقة كان القمر في حالة خسوف وزوال الفرص يتجه شمالاً، وهذا الجدول المشار إليه كان المصدر الأساسي الذي استقي منه هيباركوس Hiparchus معلوماته عن الكسوف القمري.

وفكي بداية القرن الخامس ظهر أول عالم فلكي بابلي عظيم الذي تذكره جيداً المصادر الإغريقية، وهو نابو ريماني Nabu- rimanni ابن بالاتو Balatu المنحدر من كاهن يعمد القمر، وقد شهدت وثائق في بابل في عام 491 و490، وقد أعطاه المؤرخ سترابو Strabu لقب الرياضي؛ لأن جداوله المبنية علي الملاحظات فإن نتائجها كانت محصلة حسابات متقدمة، وتم شرح طريقته في الحسابات في كتاب ونسخ في العصر السيليوي الأول Selucid ، والذي يعطي التفاصيل لحسابات الخسوف القمري في ألواح وثائقية محفوظة في أول عصر ربارثا Rapatha .

وكانت المشكلة التي حددها نابو ريماني Nabu- rimanni لحلها هي تحديد تاريخ حقيقي للقمر الكامل (البدر) الذي يرتبط بالكسوف والخسوف للشمس والقمر، وهكذا تكون جداول أحدها يتناول مواضع القمر، والآخر له عنوان «اليوم الرابع عشر» وهو يعني كون الخسوف القمري مرئيًّا.

ويوجد لذلك 17 أو 18 محوراً أولها يقدم جداول تحدد مدة خمسة أشهر وفيها يحدث الخسوف بعد خمسة أشهر من الخسوف السابق، والجدول الثاني يبين التغير في قُطر القمر المرئي بما يناسب مقياس ربع الدرجة والكسور تُحسب بالنظام السداسي الحسابي، وفيها يكون الحد الأدني لها ما بين 29، 30 درجة، والحد الأقصي 34.16 والمتوسط الحسابي 31، 51، 5، وقد اقترب هذا الفلكي نابو- ريماني بدرجة

كبيرة إلي القياسات الدقيقة الحديثة، وهذا قد فاقه في جودة حساباته ودقتها تقديرات بطليموس وكوبرنيكوس Coparnicus وحتي كيبلر Kepler قبل أن يتم اختراع التليسكوب، ويتم بناء الجدول بالإضافة أو الحذف من الأرقام السابقة، حيث إن رمز tab يعني الزيادة ورمز lab يعني الطرح، وهذه الجداول حددت بدقة أن الشهر القمري يبلغ 27 يوماً، وهو ما حدده نابو- ريماني بدقة بالغة حيث حدده بالضبط: 27 يوماً و13 ساعة و15 دقيقة و31.9 ثانية.

ويوفر هذا الجدول دراسة وافية لمنازل ومطالع القمر، ويطرح مجالات أخري للبحث، وفي الجدول الثالث لنابو- ريماني Nabu- rimanni يتبين درجات القمر الكامل (البدر) وعلاقاته بمسار الشمس محسوباً بالدرجات، وهي التي أصبحت الآن تعرف بشكل الدائرة الشمسية Zadiac ، حيث إن مسار وحركة القمر تقدر بدرجات محددة، حيث تكون المسافة بين البدر وآخر ثلاثون درجة زيادة عن البدر السابق، وهذا يفترض أن حركة الشمس تختلف عنه لمدة عدة ثوانٍ، وتشهد هذه الحسابات معدل دقة بالغة في حين تقل نسبة الخطأ إلي أقصي حد، وفي دورة تبلغ 19 عاماً يتساوي فيها العام القمري والشمسي بعد 12 من السنوات البسيطة (365) تكون الشمس والقمر في مواضعها الأولي نفسها، تماماً مثلما نجد في الحسابات وتغير الكسور بها إلي الكسر العشري يمكن بالتالي حساب 2، 5، 10، ولكن تضمن النظام السداسي الذي استخدمه البابليون شمل حساب أرقام 3، 4، 6، 8، 12، 15، وأرقام مثل 9، 16، 18، ... الخ بزيادة هذا الجدول بترتيب أكثر، والتي كانت عليها مراكز الكسوف والخسوف نفسها، حيث تظل هذه النسبة قائمة لمدة 236 عاماً حتي تصل نسبة الخطأ إلي درجة واحدة.

ومن هذا الجدول تم حساب الجدول الرابع، وهو يتناول طول اليوم

واختلافه، فعندما تكون الشمس في مدار الجدي علي 10 درجات تنقسم الأيام إلي 3 وحدات بطول 12 ساعة، وتقول الكتب بناءً علي الحسابات المذكورة الذي يوضح عدد الدقائق المضافة أو المطروحة، وأطول الأيام هي 14 ساعة و24 دقيقة، وتطول 15 دقيقة، وأقصر الأيام 9 ساعات و36 دقيقة بنقص 13 دقيقة، ونسبة الخطأ الموجود يمكن التغاضي عنها بناءً علي حقيقة أنه لم يوجد في ذلك الوقت أي نوع من التلسكوب الحديث المعروف لنا أو أية وسائل حديثة، وكان الوقت في هذا الزمن يحسب بالساعة المائية، ولم يدركوا احتمال نسبة الخطأ أو الانعكاس الذي تحدثه الرؤية من خلال المراقبة في البرج أو نسبة الخطأ البشري بسبب عدم إمكانية رؤية التغيرات التي تحدث علي سطح الشمس والخلل الذي يحدثه ظل هو منتصف اليوم علي القرص الذي يقيس حركة الشمس والمسمي بالساعة الشمسية، ومن المعلومات التي توصلوا إليها أن الفصول ذات مدد زمنية مختلفة، ولكن كان الخطأ لديهم أن الخريف كان أقل بنصف ساعة، وكذلك كان لديهم الربيع والصيف أطول بنصف يوم، ويقصر لديهم الشتاء لمدة يوم، وفي الجدول الخامس من أعمال نابو- ريماني Nabu- rimanni يتناول أفول القمر أقل أو أكثر من نطاق الخسوف في فترتين من العام، ويعطي الكتاب المشار إليه هذا المثال مثلاً في النقطة 3 درجات، 52، 11 «39» (فوق نطاق الكسوف) 1 درجة 58، 45، 25 «57» من المتوسط يطرح 1 درجة، 53، 25 «57»، وهذا الحساب مبني علي شهر «التنين» الذي يبلغ 27.23039 يوماً، وهو يقل 26 دقيقة عن الحساب الحديث.

وهناك عمود آخر وضعه الفلكيون يتناول الخسوف الذي وضعه الفلكيون القدامي، حيث اكتشف أنه غير دقيق، وكان المطلوب منهم حساب درجات الطيف التي تحسب في مكان ما محلي، وخاصة في الخسوف المرئي، فقد بينوا حجم الطيف الذي يرتفع وينخفض طبقاً

لمعادلة محسوبة حسب التقديرات، ومن الطبيعي أن الفراغات قد ملئت فقط عندما لم يكن القمر فوق درجة 44، 24 من نطاق الخسوف، وخلاف هذه النقطة لم يكن من الممكن أن يحدث خسوف.

ويجب أن ندرس حركة القمر بالنسبة لحركة الشمس، وبناءً علي الشهر الشمسي؛ لأن الكسوف والخسوف يعتمد علي ذلك، وفي الجدول الثاني يوجد تحديد قطر القمر المرئي الذي يعظم عندما يقترب من الأرض، بينما يزيد القمر من درجة حركته المرئية، ولتحديد مدي هذه الحركة يقول الكتاب أضف أو اطرح 42، وأقصي ارتفاع له يكون عند 15 درجة و56، وأقصي ارتفاع له يكون عند 15 درجة و56، وأقصي انخفاض له 11 درجة، 4، وعند ذلك يمكن حساب مدي حركة القمر يوميًا في شهره القمري، وأوقات مختلفة بالقياس إلي وحدة حساب التغير الحركي في الجزء المرئي، بل إن الأرقام قد حددت لكل دقيقة، وتقل درجة الدقة فيها إلي ثوانٍ فرقاً بالزيادة أو النقصان.

وبناءً علي حساب الشهر الشمسي، فطوله يحسب بناءً علي افتراض أولي بأن الشمس ترجع في حركتها إلي الوراء بمقدار 30 درجة في الشهر، وهنا أيضاً لدينا محاولات ربط وتكييف العلاقة بين تغيير قطر القمر الظاهر خلال معادلة ارتباط رياضي، ولكن الخطأ يزيد في حدود المعامل الذي تبني عليه هذه المعادلات، ويقوم العمود التاسع بتصحيح نصفي الدائرة النجمية، ونعلم بحساب متوسط الشهر 29 يوماً وأربع عشرة ساعة و44 دقيقة، وهذا يزيد لمدة ساعة و49 دقيقة و57 ثانية عن الحسابات الحديثة.

ويقدم العمود العاشر تصحيح تغيير الوقت لغروب الشمس مثل اليوم العادي، وكان اليوم الفلكي ما زال يحسب من وقت انخفاض قرص الشمس مثل اليوم العادي لمدة ستة أشهر، وفي الجداول توجد زيادة ست دقائق، وهناك الحد الأقصي والأدني ودرجة الصفر، وكلها تتغير

باختلاف الفصول، ففي هذه النظام تأتي التغيرات الفصلية عند درجة 10 تزيد في الحد الأقصي عند برج الميزان، وتقل لأدني حد عند مدار الجدي، وهكذا يكون أكثر غروب مبكر هو في الشتاء الشمسي وأكثر تأخيراً في الصيف الذي يشهد طول فترة النهار لمدة ستة أشهر.

ونحن الآن في انتظار العمود الحادي عشر الذي يقدم أكثر من 29 يوماً زيادة عن الجدول السابق، ويسمح لنا بحساب أطول وأقصر الشهور الشمسية، وتوحيد بيانات الجداول المقدمة 8، 9، 10، وهكذا تتولد منها بيانات العمود الحادي عشر، وعند مرور القمر في اثنين من المنازل يكون لدينا أقصر شهر وهو 29 يوماً وسبع ساعات، وعندما يمر مرتين في منازل الارتفاع يكون لدينا أطول شهر ويبلغ 29 يوماً وسبع ساعات و13 دقيقة.

وفي العمود الثاني عشر، نستعرض الهدف النهائي من هذه الحسابات وهو تحديد التاريخ والوقت الدقيق للهلال أو البدر الذي يضمنه الحساب الرقمي، وذلك بخط مستقيم في الأعمدة التي تجمع البيانات وحسابها، وفي الجدول ذي الشكل البيضاوي تسير السلسلة من إدارو Addaru إلي Addaru أي تسير باتجاه شبه دائري؛ لأن الهلال في الشهر الأخير من العام السابق يحدد ميلاد الهلال الذي يليه في الشهر الأول من العام الجديد، والأعمدة المتتالية تحدد ميلاد الهلال الجديد، وبناءً علي هذه الحسابات الفلكية أسس البابليون تقويمهم مثل بداية الشهور والأعوام، ولتسجيل ذلك حددوا بداية الهلال من الشهر السابق منذ تكوينه كخط رفيع في الشرق في السماء صباحاً، وإجمالاً فنحن لا نستطيع تقدير صحة هذه الحسابات الفلكية المرهقة أو تقدير عمل المؤلف إلا بعد نشره وشرحه بواسطة علماء الفلك والرياضيين.

ومع كل ما سبق، يجب ملاحظة ما أورده الفلكي الحديث، وفي علاقة القمر بالشمس كان نابو- ريماني Nabu- rimanni عند 9 درجة متأخراً

بمقدار 8 دقائق، وعند 4 درجة كان متقدماً 4 دقـائق، وفي علاقـة هبـوط القمـر في منازله عند درجة 5 كان متأخراً دقيقتين، وفي حركـة الصـعود عنـد درجـة 19 كـان متقدماً 9 دقائق، وبالنسبة لغير المتخصصين في الفلك مثلنا كانت الدقة لديه عاليـة بدرجة لا تصدق مع الأخـذ في الحسـبان أن أجهـزة الرصـد الحديثـة والتليسـكوب والحسابات المعقدة التي تستخدم فيها الحاسبات الآليـة لم تكـن معروفـة في هـذا الوقت، وقد كرم الفلكيون المحدثون هذه العلامة كأسـتاذ رائـد لهـم، والـذي كـان يعمل بدون الأجهـزة الحديثـة المعروفـة في عصرنـا الحـالي مـع القيـام بالحسـابات الرياضية المعقدة.

كان علم الفلك هو العلم الوحيد الذي قدمه الشرق إلي الغرب في تطور بالغ، وتلك الإنجازات العظيمة شهدها الشرق في العصر الذي نتناوله، ولم تقـدم الوثـائق التي بأيدينا علماً أكثر تطوراً من الفلك، ولكـن بقـي مـن هـذه الوثـائق مـا يشـهد بالتقدم في الرياضة البحتة، وفي علم النبات والطب وقواعد اللغة والتاريخ وتعـاليم وعلوم الماضي لن تنسي لأنها قد حققت التقدم في عدة مجالات مهمة.

الاتصال الإغريقي مع الثقافة الشرقية:

ظلت اليونان بصفة مستمرة في حالة استقبال للتغيرات والتأثيرات التي شهدها الشرق، وقد كانت منطقة مينوان كريت Minoun Crete التي تعد منطقة من العالم الشرقي نقطة اتصال بين الحضارتين، كما أن أهل هذه المنطقة مـن الإغريـق كـانوا في حالة تعامل مستمر مع العـالم الشرقـي، ولا تقـتصر الأدلـة لـدينا عـلي الآثـار الماديـة؛ لأن الأساطير قد تكون أكثر إثباتاً؛ لذلك فقد تأسسـت طيبـة لـيس بواسـطة المصريـين ولكـن بواسـطة الفينيقيـين وخاصـة كـادموس Cadmus ، وكـان اسـمه يعنـي بلغتـه «الشرقي» الذي نقل إلي اليونان حروفـاً تنسـب لـه، حتـي إن منطقـة بيلوبونيسـوس

Peloppesus قد اكتسبت اسمها من بيلوب Pelop Danaids من ليديا Lydia وفي أرجوس Argos جاء المصري دانايديس Danaids بالأساطير الشرقية وأبطالها مثل نيوبي Niobe ابنة تانثالوس Tantalus التي تبكي وتنزل الحجارة من عينها، وكذلك بيلاروفون Bellerophon علي حصانه المجنح بيجاسوس Pegusus يحارب وحش تريفون Tryphon الذي يحارب إلهة أوليمبيا والذي كان محبوساً في كهف كوريكا Coryca في صقلية.

وكان آخر انتصار عظيم للإمبراطورية الميسينايا Mycenaean كان الاستيلاء علي طروادة من فريجيا Phrygia ، وعن هذه القصة نسج هومر Homer ومن في عصره قصصاً عن الأبطال الشرقيين مثل ميمنون Memnon الأثيوبي والمحارب أمازون Amazon ، وقد غزا الإغريق منطقة شرق بحر إيجة، وتذكر الأساطير كيف تزوج الغزاة من النساء من هذه المنطقة، ومن زوجاتهم تعلم الغزاة عبادة آلهة هذه المنطقة مثل أرتيميس Artemis ذات النهود المتعددة التي كانت تطعم بها أبنائها من الآلهة، وقد دخل تجار صيدا هذه المنطقة ومعهم بضائع معروضة للبيع، وقد جلبوا أسماء هذه البضائع وأشكالاً من الزينة مع أساليب فنية جديدة من المعدن والتماثيل والسيراميك.

وقد حدثت القرصنة في عصور الظلام، وقد عبر الشاعر هومر عن مدينة طيبة العظيمة ذات الأبواب المائة والتي تزخر بالأحجار الثمينة والمحاربين، وقد حمل إليهم تجار فينيقيا عبادة أدونيس Adonis ابن فونيكس Phonix الذي أخذوا منه اسمهم، وقد انعكس هذا في أدب الإغريق مثل سابفو Sappho الشاعر الذي رثي أدونيس «ويل لأدونيسي! ماذا يمكن أن نفعله؟ أيتها الخادمات! الطمن الوجوه، واضربن علي صدوركن حزناً وأبكينه خمسة أشهر، وهذا يعني انتساب الشاعر إلي عبادة آلهة الفينيقيين.

وقد سبب غزو ليديا Lydia اتصالاً أقرب لمستعمري أيونيا Ionia مع الثقافات الشرقية، وقد استخدم فنانوها الموضوعات من ليديا Lydia ، وكذلك استعاروا العمل بفن سك العملات، وفي رد فعل طبيعي أعلن زينوفانيس Xenphones أن أتباعه قد أفسدوا بالرفاهية والترف الذي اكتسبوه من حياة أهل ليديا مثل استخدام المراهم علي الجلد والوجه وتزيين الشعر بالقطع الذهبية وبأثواب المخمل (القطيفة)، لدرجة أن فوسيليديس Photylides ذكر أن «مدينة صغيرة تقع علي صخرة يحكمها نظام مستقر أفضل وأكثر قوة من نيوس Ninus عديم الشعور.

وقد تاجر كثير من الإغريق مع مصر مثل سابغو Sappho وأخوه شاركاسوس Charaxus اللذين اشتريا من مصر التماثيل التذكارية، وجلبها لوطنهم حتي يقوم النحاتون الإغريق بتقليدها وغيرهم كان يعمل بالحرب كمرتزقة لصالح ملوك مصر من أسرة سايت Saite الملكية، وفي مصر قدسوا آلهة الأرض، ونقلوا ذلك إلي الإغريق، حيث أقام أحد الأغريق في دلتا نهر النيل تمثالاً من البرونز لعجل أبيس، وكانت عليه نقوش «إلي نانيبي Panapi وجهت عملي»، وكان بعضهم يخدم تحت ولاية ملوك كلدانيين مثل نبوخذنصر Nebuchadnezzar مثل أنتيمينيديس Antimenedes الذي ذبح عجلاً ضخماً قرباناً لأسكالون Ascalon ، وقد رحب أخوه الشاعر بعودته «من أقصي الأرض، وقد رجع الرحالة من مصر إلي اليونان بالذهب وليس من قبيل المصادفة أن التفكير المنطقي قد بدأ في أيونيا Ionia .

تأثير العلم في الشرق والدين علي اليونان:

تدل مصادرنا الموثقة علي أن أول فيلسوف إغريقي وهو طاليس Thales كان من أصل فينيقي، وكانت هذه المعلومة محل شك، ولكن علي الأقل من الحقيقي أن فكر طاليس ومن تبعه من الفلاسفة كان متأثراً

بالفكر الشرقي، وهناك مصدر يشير فيه ألكـايوس إلي أن الطريـق الـذي خطـا فيـه المكتشفون من الكلدانيين في مجال العلم هو الذي مهد لعلماء أيونيا Ionia بالتنبؤ بكسوف الشمس في الثامن والعشرين من مايو عام 585.

وقد ذكر كتاب آخرون أن طاليس كان قد درس مع كهنـة مصر الـذين تعلـم منهم الهندسة، وقد استخدمت معرفته الجديدة عندما وضع عصاه علي حافة ظل الهرم العظيم، ومن زاويتي تقاطع أشعة الشمس ظهر أن ارتفاع الهرم يتناسب مـع طول العصا، وظلها مع الظل الآخر، ويقال إن الملك أماسـيس Amasis قـد أعجـب بهذه الطريقة الجديدة لقياس الهرم.

وقد كان طاليس أول من خط مثلثاً قائم الزاوية في دائرة، وقد اسـتطاع أيضـاً تحديد مدار الشمس، وبالتالي حدد فصول العام، وفي هذا سبقه البابليون، وقد كان تقسيمه للعام إلي 365 يوماً أكثر دقة مـن التقسـيم الحـديث الـذي يجعلهـا 360، ولكنه توصل إلي هـذا في مصر منـذ ألفـي عـام، وقـد حصـل مـن الكلـدانيين عـلي البيانات التي مكنتـه مـن أن يحسـب حجـم الشـمس بنسـبة 720/1 مـن الـدائرة الشمسية، والقرم حسب أيضاً حجمه بنسبة مماثلة تحديده للدب القضبي والـذي يرجع فقط إلي الإغريق؛ لأن الفينيقيين قد توصلوا إلي ذلك النجم لإرشاد سفنهم.

ومنذ عصر هومر Homer امتلأت كتـب الأدب الإغريقيـة بأسـماء وعـائلات وقصص اعتاد عليها منذ طفولته وطفولتنا أيضاً، وفي وقـت حـديث توصـلنا إلي أن هـذه الأسـماء ترجـع إلي سـوء بالترجمـة أو بـالتعريف، ومنـذ عصر الأسرة الثالثـة الملكية لأور Ur حتي نهاية الألفيـة الثالثـة رتـب البـابليون تقـاويمهم عـلي أسـاس حسابات غير منتظمة لشهور إضافية تبعاً لدورة الثماني سنوات، وعند حلـول دورة التسعة عشر عاماً تبني الإغريق هذه الدورة الزمنية التـي أسـموها Octacteris ، وكان الهدف هو تنظيم الاحتفالات الدينية المعتادة، وبمرور الزمن أدركـوا أن هـذا

التوقيت قد آتي ثماره، وعند نهاية القرن السادس فقد سمعنا عن إصلاح قام به كليوستراتوس Cleostratus الذي ضاعف هذه الدورة في المدة؛ لأن السنة عنده كانت ذات عدد 16/7- 365 يوماً.

وأحدث مبحث يتناول العلاقة لهذا الفرع من العلم بالشرق هو كتاب توماس هيث Thomas Heath ، وهو تاريخ الرياضيات الإغريقية 1921، وهو يتطلب تغييرات جذرية في ضوء الاكتشافات الحديثة في مجال معرفة البابليين للرياضة - وفي إطار العصر الحديث- ذات أهمية المكتشفات البابلية، ومن المستحيل في ظل دراستنا التاريخية العامة أن نسجل كل الاعترافات الإغريقية بفضل البابليين وأسبقيتهم فيما توصلوا إليه (راجع بعض الدراسات الحديثة لدانجسن Damgin «نصوص بابلية رياضية» 1938، وهي قيمة بدرجة خاصة لمحاولة المؤلف فهم الفكر البابلي في الرياضيات والمقالات المتعددة لنيوجيبور Neugebauer الكم في الرياضيات والفلك عن البابليين»، وهي تناسب متخصصاً في هذا المجال، ومن أجل المراجع والملخص انظر كاربنسكي Karpenski » أضواء جديدة علي الرياضيات عند البابليين».

وفي الوقت نفسه، كسر فيثاغورث Pythagoras وأتباعه فكرة التقويم العملي، وكان ثاني أكبر الفلاسفة في جيل طاليس، ويقال إنه قام بزيارة إلي مصر وبابل، وفي زيارة وادي النيل تعلم اللغة المصرية في عهد الفرعون أماسيس Amasis ، ودرس في هليوبوليس مع أوينوفيس Oenuphis ، وكان أول إغريقي يدرك هوية نجم النهار ونجم الليل، وهذه الحقيقة عرفها البابليون منذ 15 قرناً ماضية، وكانت النظرية الجديدة تحمل اسم (سمه جديدة فقط للإغريق).

واقتناعاً منه بالقيم الرقمية، فقد صمم علي أن يؤسس دورة جديدة بناءً علي أساس حساب أولي، كان يحمل رقم 59 بالنسبة له رقماً جميلاً؛ لأنه كان عدداً أوليًّا، وعندما أضيف إليه الرقم المجهول، وعند إضافة عدد

الليالي والأيام إلي كل من الشهور القمرية يكون مجموعها 59، وهذا يعني أن جمع عدد الليالي والنهار في كل شهر قمري يكون مجموعه 59، وهكذا تكون الدورة الفلكية عند 595 عاماً، وبالضرب البسيط توصل إلي أن الـ59 عاماً يساوون 729 شهراً في كل منهم 59 نهاراً وليلاً بمجموع 43011، وهذا الرقم هو مكعب 9×9×9.

وكان نيلوكسينوس هو الضيف وصديق المستضيف لكاليس في مصر مع سولون Solon ، الذي كان تاجراً معتاداً علي زيارة مصر، وقد زار الفرعون المصري أماسيس Amasis ، ورغم شك البعض في هذا فإننا لا نري أي مجال للشك في زيارة طاليس لمصر، حيث إن لدينا دليلاً علي قصيدة صاغها في أثناء وجوده بمصر، حيث عاش «عند منابع وتدفقات مياه النيل».

ومع ذلك فقد قدر المفكرون الإغريق العلم الشرقي بدون اعتراف محدد بفرع معين، فقد كان يوجد اختلاف في درجات الإقرار بفضل الشرق في كل من العلوم المختلفة، وكان الفلكي البابلي أو المصري الذي يستخدم الحبل في القياس وعمل الزوايا من أجل الوصول إلي الحقيقة المجردة، ورغم البساطة التي كانت تسود أدواته المستخدمة إلا أنها كانت مؤثرة في عصرها، ولكن أعاق هذا التقرير الواجب الغرور الفردي وإدعاء الأولوية في الاكتشافات والسبق العلمي في اكتساب التراكم المعرفي، وعلاوة علي ذلك، فإن الاستخدام المستمر للرياضيات المتقدمة في حل المسائل الرياضية المختلفة وبهذا التقرير، فإن المفكر الإغريقي سوف يجد نفسه في زمرة علماء معاصرين.

وبخصوص الإغريق، فقد كان لديهم اعتقاد وإيمان صوفي بالأرقام، ذلك الذي وصل إلي أقصي مدي له مع فيثاغورث Pythagras وأتباعه، وكذلك ساد ذلك الفكر عند أفلاطون وأفراد أكاديميته، وبالنسبة للعلوم

في الشرق فقد كانت تتطور في كنف المعابد بالرغم من كونها علماً بالنسبة للعقلية الشرقية، وهذه الحاجة العلمية كانت تستدعي تقريب ما كتب في الألـواح أو عـلي الأعمدة وكل ما هو غامض إلي الشخص المتعلم.

لم يوجد شك في الآلهة لدي العلـم في الشرق، ومنـذ البدايـة كانـت الفلسـفة الإغريقية ملحدة، وقد كان العلماء من الشرق مقتنعين بتكرار رصد ظـواهر الكـون التي تظهر في الآثار وتنسب الخلق والإبداع إلي الآلهة المحلية، ولكـن الديانـة عنـد الإغريق كانت قد تأثرت بالأديان عند الفينيقيين، وعلي العكس كان المفكـرون مـن أيونيا Ionia منشغلين بتكوين الكون، وحتي في بحثهم عن المادة المكونـة للوجـود فإنهم لم يستطيعوا أن يتحرروا تماماً من تـأثير الفكـر الشرقـي، وقـد وجـد طـاليس هذه المادة في الماء، وهذه الفكرة جاءت من ذكر هذه المادة في الكتب المقدسـة في جنات عدن، وقد قـدم زميلـه أناكسـيماندار Anaximander للإغريـق عـدداً مـن الاختراعات الشرقية المفيدة مثل الساعة الشمسية المسماة بالمزولة وخريطة العـالم، ولم تحدد مادة معينة متأثراً بذلك بقصـة تيامـات Tiamat الـوحش البـابلي الـذي يميل إلي الفوضي.

وبعد وقت قصير من الغزو الفارسي أعطانا هيراقلـيطس Heracleitus فكـرة عن اتصال الإغريق بالديانة الفارسـية، حيـث يضـع المجـوس في فئـة العلـماء مثـل باكـاي Bacchae ولينـاي Lenae وميســتاي Mystae ، ولم يوقــف الغــزو تطــور الفلسفة لهذه البلاد، حيـث كـان مـن الفلاسـفة المشـاهير في أثنـاء الغـزو والحكـم الفارسي مثل أنيكمنيس Anixmenses وزينوفـانيس Xenophanes وهيراقلـيطس Heracleitus الذين كانوا رواداً في الفلسفة، وكـان في الجيـل الثـاني أناكسـوجوراس Anaxagor ، وقـد اسـتمر البحـث عـن المـادة الأولي المكونـة للكـون، ولكـن كـل النظريات التي انتشرت في ذلك الوقت كانـت مجـرد افتراضـات لم يقـم عليهـا دليل، لكن الاكتشافات العلمية كانت مستمرة سواء في التجديد أو التطبيق أو

التعديل، لكن الفلسفة الأيونية Ionian كانت أيضاً ماضية في مسارها إلي عالم ما وراء الطبيعة.

المسافرون الإغريق إلي بلاد الشرق:

كان هناك آخرون ذوو فكر، وقد غاصوا عميقاً في أرض الشرق مثل سيلاكس Slylax الذي كتب باللغة اليونانية رغم كونه من كاريا Caria ، وقد روي في كتاباته عن رحلاته إلي الهند، وكذلك هيكاتايوس Hecataeus الذي كان رحالة عبر الإمبراطورية الفارسية، وبعد عودته أعد قائمة بالأماكن التي قد زارها أو التي سمع عنها، وكان من آن لآخر يضيف تعليقات تاريخية أو عرقية تقارب القوائم التي أعدت في الألواح البابلية، وكل من العملين قد فقد، ولكن كثيراً من معلومات هيرودوت (Herodotus) تستند إلي تلك المصادر.

ومن المقتبسات التي ترجع إلي هيكتايوس Hectaeus توجد معلومات قيمة عن داخل آسيا، مثلاً كانت أهم مدن فينيقيا (المسماة في الماضي بأرض كنعان) جابالا Gabala وحيداً Sidon رودورا Dora وإيجة Aega ، وكانت كاراميني Carameni من جذر العرب والمدن الفارسية هي باريكان Paricane شاندانيس Chandance وسيتاس Sittace ، والأخيرة كانت في بابل، وكانت الأوصاف العرقية للمؤرخ هيرودوت (Herodotus) متوقعة: سيسانس Cissans الذين يرتدون مثل الفرس وميديا التي تقع قرب بوابات كاسبيان Caspian وأهل هيوبي Hype الذين يرتدون ملابسهم مثل أهل بافلاجونيا Paphlagonia ، وبجانب مدينة جورديان Gordian توجد مدينة ماتيان Matiene ، وأهل ميكيان Mycian ، يعيشون بجوار نهر أرتاكس Artax ، ويقيم أهل كانيات Canian بجوار بحر كاسبيان Caspian ، وبجانب بحر هيركانيا Hyrcania توجد جبال مغطاة بالغابات مليئة بالنباتات الشوطية والخرشوف، وبجانب بارثا

Partha يعيش أهـل كوراسـميا Chorasmia الـذين ينعمـون بالسـهول والجبـال المغطاة بالغابات والعاصـمة كورازميـا Charasmia ، وكثـيراً مـن المعلومـات التـي وردت بهذا الكتاب الذي جمعه الرحالة هيكاتيوس Hecatuesus قد تم اسـتلهامه من أعمال سكيلاكس Scylax ، وقد حصل منه علي معلومات عـن السـكان الهنـود في جاندارا Gandara ، ومدينة جانداريكا Gandarica ، وعن مدينـة كاسـبابيروس Caspapyrus أمام سيثز Scyths ، وعن مدينة أرجانتي Argante الهنديـة، وأهـل مدن كالاتاي Calatai وأوبياي Opiae بجانب نهر الهند وعاصـمتهم ذات الأبـواب وعنـد الصـحراء الهنديـة المغطـاة بالغابـات، وفي أثنـاء رحلاتـه قـام هيكاتـايوس Hecataeus بزيارة طيبة في مصر، وقـد مـرت بتجربـه غريبـة هنـاك، وفي أسـلوب إغريقي تقليدي فقد سعي إلي التأثير علي البرابرة بتفـاخره بأسـلافه المقدسـين مـن الجيل السادس، وقد قاده الكهنة إلي معبد، ووضحوا أن هذا المعبد يوجـد بـه 345 تمثالاً خشبيًا لكهنة ذوي مراكز عالية كل منهم ابن للآخر، وكل رجل كان ابناً لرجل آخر وليس ابن إله، وقد بقي هيكاتايوس صامتاً حيـث بـدأ في إدراك عظمـة الآثـار وقدم الشرق.

الفصل السادس عشر

كسركسيس (Xerxes) كولي للعهد

اختيار ولي العهد:

بعد فترة قصيرة من توليه العرش، قـام كسركسـيس Xerxes بهـدم جـزء مـن خزانـة دارا (Darius) في بيرسـيبوليس، وبنـي مكانـاً للحـريم وفي مراسـم تأسـيس القصر، فقد وضع علي الأرض المغطاة بالكبريت والخشب ذي الرائحة الطيبة مكعباً من الحجر الجيري، وهو ما يحاكي أحد ألواح الصلصـال، حيـث نقـش عليـه تصـوره الخاص بكيفية اختياره أبيه له كخليفة في الملك.

«يقـول كسركسـيس (Xerxes) الملـك: كـان أبي دارا (Darius) ، وأبـوه كـان يسمي فيشتاسبا Vishtasp وأرشاما Arshama ، وكـان أبـوه وكـانوا أحيـاء عنـدما أراد أهورا- مازدا أن يجعل مـن دارا (Darius) أبي ملكـاً عـلي الأرض، وهـذه هـي البداية»، وقد كان لدارا (Darius) أولاد آخرون، ولكـن أراد أهـورا- مـازدا اختـارني أبي الأعظم من بعده وعنـدما مـات دارا (Darius) بـإرادة أهـورا- مـازدا أصـبحت الملك علي عرش أبي».

وهذا حقيقي تماماً، ولكنه ليس كل الحقيقة، فتبعاً للقانون الفـارسي كان من الإلزامي أن يعين الملك الفارسي خليفة قبل بداية أيـة مغـامرة في أية حرب خارجيـة، وكـان أبكـر أبنـاء دارا (Darius) هـو أرتوبـازانيس

Artobuzanes ، وكان يعتبر الخليفـة في عـام 507 عنـدما ذكـرت إحـدي الوثـائق البابلية «ابن ملك إيلام Elam »، وبعـد توليـه يقـال إنـه ولـد في أثنـاء حيـاة أبيـه الخالية من المسؤوليات، وقبل أن يفكر في الوصول إلي العرش، وكانت أمه من أبنـاء العامة، وهي ابنة مجهولة الاسـم لجوبريـاس Gobryas ، وكـان هنـاك ابـن أصـغر وهو خشايارشـا Khshyarsha ، ولـد عـلي بسـاط الـترف، فقـد كانـت أمـه أتوسـا Atossa ابنة مؤسس الإمبراطورية، وفي الشرق تعـد هـذه المـبررات قويـة، وعنـدما نشبت معركة عنيفة وسط الحريم بين منـاصري كـل مـن السـاعين إلي العـرش، ولا يوجد مجال للدهشة في أن الابن الأصغر من الزوجة الأعـلي نسـباً وقـدراً كـان هـو الاختيار الأخير.

واتبع دارا (Darius) ما قام به أبو الملكة أتوسـا Atossa الـذي جعـل قمبيـز Cambytses «ابن الملك» ممثله الخاص في بابل، وفي 23 أكتوبر من عام 498 عرفنا أن منزل ابن الملك كان في قلب بابل ومحور الإمبراطورية الفارسية، وفي هذا الـقصر الذي تم وصفه آنفاً كانت تجري مراجعات للحكم علي قدم وساق، وبعد عـامين - كما علمنـا مـن إحـدي وثـائق الأعـمال التـي وجـدت في بورسـيبا Borsippa - أن القصر الجديد تم إنشاؤه، وفي ذلك الوقت كان لا يقارب عامه العشرين.

إنشاءات متأخرة لدارا (Darius) في بيرسيبوليس:

في السـنوات التاليـة، قـام كسركسـيس (Xerxes) بإضـافة إنجـازات فنيـة لـه والظهور في بيرسيبوليس، فعلي عضادات الأبواب في ناحية الشرق من البوابة الثلاثية نحتت لوحتان بارزتان، وفوق المشهد كان أهورا- مازدا المجنح يطير ممسـكاً خـاتم الملك لولي العهد، وتحته سرادق يعلو العرش ويثبت طرفا السرادق عمـود مـن كـل جانب، وبالسرادق إطار مـن الزينـة عـلي شـكل زهـري، وهنـا يتكـرر رمـز أهـورا-

مازدا، ولكن في هذه المرة بـدون شـكل بشري، حيـث تصحب ذلـك رسـوم مزينـة رائعة.

وعلي العرش يجلس دارا (Darius) مرتدياً عباءته الملكيـة في حالـة اسـتعداد لمواجهة الزوار، ويقف خلفه كسركسيس (Xerxes) باعتباره ولي العهد المعترف بـه، يرتدي الملابس غالية الثمن نفسها والعالية القيمة، وله اللحية الملكية المهذبة جيداً نفسها، وكان هذا يمثل استقبالاً للجمهور، فيتم فيه ارتداء كل ما هو رسـمي وثمـين يوحي بالعظمة الملكية من سوار وأدوات زينة عـلي أفضـل صـورة ممكنـة في هـذا العصر، حتي إن هذه اللوحات البارزة نفسـها كانـت مرصـعة مـن الجوانـب ومـن الداخل بقطع الذهب، وتحت هذه اللقطات توجد الشعوب التـي تحمـل العـرش، وهو ما يمثل إمبراطورية الملـك دارا (Darius) ، وعنـدما حـان وقـت إكـمال هـذه اللوحات البارزة كان دارا (Darius) قد أتم الإضافة الأولي لـدار خزانتـه الوثائقيـة، حيث توجد ردهات في كل أرجاء المكان الأربعـة، وتقـوم أسـقفها عـلي أربعـة مـن الأعمدة الخشبية مستقرة علي أسس من الحجر، وتغطـي أرضـيتها بـاللون الأحمـر الجيري الذي يفضله الملك، ويقود البهو إلي قاعة مستطيلة مفتوحة تمثل مركزاً بكل هذه الإضافات المعمارية، وقـد كـان الرخـام الخشـن هـو المكـون لأرضـيته، وعـلي الجوانـب الغربيـة والشـمالية الشرقيـة توجـد تماثيـل وهـي تمثـل أسـوداً أو ضـوارٍ مشابهة مسترخية علي بطونها في أماكن كثيرة أدني من المنصة، وتوجـد الآن مكانهـا انخفاضات أرضية نتيجة التشويه الذي حل بهذا المكان.

وعكس ذلك، تبين الردهات في الجنوب والشرق لوحات غير محفورة غائرة في بارسـاجاردا Parsagarda ، لكـن كانـت ذات عمـل فنـي أرقـي، وهناك شـكلان رئيسـان، وهـما دارا (Darius) وكسركسـيس (Xerxes) ، وتـرفعهم منصـة صـغيرة فـوق العامـة المحتشـدين، وهـم يتميـزون

عن غيرهم بكبر الحجم النسبي، ولا توجد هنا أية محاولة لرسم الوجه بدقة، فكل الأفراد الموجودين لديهم العيون الواسعة نسبيًّا نفسها، والحواجب المميزة، والأنف المنحنية بدرجة قليلة، والفم النبيل الذي يخفي أكثره الشارب ذو الطرف الملتف، لكن عكس الآخرين ذوي اللحي القصيرة المدببة كان دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) لهما لحية أطول، ملتوية بطريقة فنية علي الطريقة الآشورية، وهي تصل إلي الصدر، حيث تصل في آخرها إلي شكل مربع، والشعر ملتف في خصلات تصل إلي الرقبة وتغطي الشعر قبعات منبسطة، واليوم تحمل هذه الوجوه علامات التشويه العمدي علي يدي جنود الإسكندر (Alexander) المقدوني.

ولأن الحضور كانوا من الخاصة، فإن أدوات الزينة الذهبية توضع جانباً، ويرتدي الأب والابن ملابس بسيطة لكنها ما تزال تحمل طابع الفخامة اللائقة بالملك وولي العهد، حيث يرتدون ثوباً فاخراً ينزل إلي الكعبين في ثنيات جميلة وضيقة من ناحية الساعد الأيمن، وينتعلون حذاءً بلا أربطة، وفي إطار اللون نعرف أن اللون الأحمر القاني (الداكن) الفينيقي يلعب دوراً بارزاً.

والعرش الذي يجلس عليه دارا (Darius) ليس إلا كرسي عالٍ له ظهر، ويفترض أن يكون من الذهب الصلب، وله أقدام من الفضة علي هيئة مخالب الأسد وتدل استدارات الأقدام علي أنه مثل السابقين من الآشوريين، مصنوع من غلاف ذهبي علي محور خشبي، ويكون الملك جالساً عليه في وضع منتصب يوحي بالمهابة واستقرار الملك، ويلاحظ أن هذا الوضع غير مريح تماماً لو جلس عليه الملك لوقت طويل، وهذا تخففه الوسائد المريحة والمقعد المنخفض المخصص لوضع قدم الملك، وأقدامه علي شكل أقدام الثور، وفي هذا الوضع الملكي يمسك دارا (Darius) بالرمح، وهو الصولجان رمز الملك والقوة، وهو مرصع

أيضاً بالذهب ذي القبضة المرصعة بالمجوهرات، والممتد علي الأرض، وتمسك يده اليسري زهرة اللوتس ذات البرعمين المتفتحين.

وهناك منصة منخفضة تدعم العرش، مما يضيف إلي العظمة الملكية وقوف كسركسيس (Xerxes) الذي يرتدي الملابس والثياب واللحية أنفسها، وزهور اللوتس والصولجان يرمزان إلي أحقيته في ولايته للعهد، حيث يقول «إن أبيس قد جعلني الأعظم من بعده»، ولكن رغم ذلك، فإنه لا يزال ولياً للعهد، ويجب أن يقف بتواضع خلف أبيه الجالس علي العرش، ونحو عرش أبيه يرفع يده اليمني وراحتها منبسطة، وهي إشارة متعارف عليها تشير إلي عبادة أهورا- مازدا.

وأمام العرش توجد مبخرتان معدنيتان ذاتا شكل معقد، حيث تستندا علي أرجل دقيقة مجدولة المعدن، وقمتهما نصف دائرية مع شكل مخروطي مثقوب تخرج منه رائحة البخور المحروق، وتوجد سلسلة رقيقة المنظر مثبت عليها سدادة علي شكل رأس طائر لإطفاء احتراق الوقود، واستخدام هذا النوع من البخور يرجع إلي العرب الذين أرسلوه للملك كهدية مقدارها 66 ألف رطل، وفي حضور الملك وأمامه كانت توجد أكثر من إشارة إلي أن الملك الفارسي يكتسب صفات من الاحترام أكثر من الاحترام الذي يليق بالبشر.

كان الانحناء نحو المبخرة ووضع اليد علي الفم يرمز إلي عمل تقرير، وهو المرزبان أي الوالي الفارسي المسؤول عن الحرس الإمبراطوري للملك، وكان ذلك هو المسؤول الأول في البلاط الملكي، وقد أتي من فوره من القيادة في الجنوب من البوابة التي تشرف علي أماكن إقامة قوات الخالدين، ومن المحتمل تماماً أن طبقات الحديد المغطي بالذهب التي كشفت الحفريات عنها في مكان قريب من القصر، وكذلك اللجام المرصع بالذهب من الجانبين، والتي تمسك الفم ورقبة الحصان تنتمي إليه، وكانت توجد تحت تصرفه

المخازن الغنية التي تحتوي علي آلاف السلع، وتبين مدي الثراء والرفاهية التي تمتعت بها الإمبراطورية والحاشية الملكية.

وأثناء الثورات التي ميزت السنوات الأولي من الحكم الملكي، كان تاخماسبادا Takhmaspada قائداً للجيش في غياب دارا (Darius) ، وربما كان في ذلك الوقت قائداً لقوات الحرس الملكي المشار إليه في تلك الفقرة السابقة، وهو الذي ينحني أمام سيده مرتدياً ملابس من ميديا Media ، وحذاء ذو حزام وحلقات بالأذن، وعلي فخذه يوجد سيف فارسي قصير، وهو رتبة عالية كما يتضح من الزينة التي يبدو عليها.

وخلف كسركسيس (Xerxes) يقف حامل الكأس، والذي كان في العصور الأخمينية له مقام يفوق القائد العام للجيش، ويرتدي ثوباً طويلاً، والحذاء محكم بالجزام والأبزيم، وغطاء الرأس ذو هيئة غريبة، حيث توجد ثلاثة أغطية ممتدة من تحت هذه القبعة إلي الذقن، ثم تلتف حول الرأس، كما لو كانت عمامة، ويتدلي أحد أطرافها لأسفل مغطياً منطقة الرقبة، وحتي الوجه له حماية جيدة بفضل هذا الرداء.

وبالرغم من إحكام ملابسه، فإن وجهه الخالي من اللحية يوضح أنه كان أحد المخصصين، وفي الرسم يده اليمني قابضة علي ذراعه الأيسر، وهو يمسك بشدة شارته التي تدل علي مركزه، وكذلك أدوات الشراب التي يقدمها للملك.

ومن الرسومات البارزة المحفورة في صخرة في التاريخ نفسه، نعلم أن الضابط الذي يتبع أسباكانا Aspachana وهو يمسك بالفأس الحربية للملك، وصندوق النبال، ونري علي كتفه الأيسر صندوق النبال لينتهي برأس أحد الطيور ودرع من البرونز، وبه زينة تمثل قدمي ظبي متقاطعين، وقد تمت استعادتهم في مقتنيات الجيش المعروضة الخاصة بكنوز الخزانة، وفي اليد اليمني يمسك بفأس حربية مزدوجة، وعلي أجد أطرافه شكل رأس سمكة، وعلي الطرف الآخر رأس طائر،

والمقبض مصنوع من الخشب، وبه تجاويف مثلثة الشكل لإحكام القبض عليه في أثناء المعارك، وعلي الفخذ الأيمن له يضع سيفاً فارسيًّا قصيراً، ويتدلي بحزام جلدي من حزام لآخر مزدوج يحكم غلقه بواسطة شكل زهري، ويزين السلاح بواسطة براعم اللوتس، ويد السيف منبسطة وبيضاوية الشكل، ويده يحكم القبض عليها بواسطة تجويفين ذوي شكل ونقش مربع ومثلث الشكل والشفرة مخفاة في غمد جلدي ذي نقش فاخر يرجع إلي سيثيا Scythia ، وفي الثلث الأعلي منه يوجد اثنان من الوحوش في وضع انقضاض، وظهر كل منهما للآخر، وفي الوقت نفسه، ينظر كل منهما إلي الآخر استعداداً للقتال، حيث إن الرأس تتجه إلي وضع عكسي، والوجه علي هيئة وجه الصقر، والجسم والمخالب للأسد والأقدام ذوي مخالب، ويمثل الثلثان الباقيان تسعة من الظباء الذكور الذين يقفزون داخل حدود عالية التنميق، وفي أعلاه توجد رأس الثور والقرن شكله تقليدي، ويكون تقاطعه علي شكل قلب به تسعة براعم صغيرة، وتحته أسد تقليدي، وهناك حزام جلدي يحكم القبض علي السيف ويمنعه من الحركة، وهذا الحزام مربوط في الرجل حتي الركبة اليمني.

وخلف كسركسيس (Xerxes) يوجد اثنان من الخالدين مرتدين ثوباً فاخراً يليق بالحرس الملكي، وهما يقفان وقفة عسكرية واضعين الرمح علي وجه القدم، وفي الطرف المقابل من المشهد يوجد أحد الخالدين، ويرتدي ثوباً مناسباً مماثلاً للاثنين السابقين، ويقف في وضع عسكري مشدود، وهناك من يقوم بصب البخور وإعادة ملء المباخر، وكلا من المنظرين اللذين تم تصويرهما متماثل مع الآخر في جوهره الفرق الوحيد بينهما أن في أحدها يوجد أهم الأشخاص في الجانب الأيمن، وفي المشهد الآخر يكون الأشخاص البارزون علي الجانب الأيسر.

ومن جهة الشرق والجنوب والشمال من الفناء توجد المحفوظات (الأرشيف)، حيث كانت توجد في إحدي الحجرات أوراق البردي

والوثائق المحفورة علي الجلد، وقد حرقها جميعاً جنود الإسكندر (Alexander) الذي استمتع بالنيران المتأججة، حيث تشهد حوائط هذه الحجرة بذلك، وتوجد حتي اليوم بقايا الأقمشة الممزقة والمحترقة، وهي التي بقيت بعد حرق الوثائق الثمينة، وهناك خمسون من القطع الحجرية والألواح التي تبين رسومات الختام التي يرجع القليل منها إلي دارا (Darius) أو كسركسيس (Xerxes) ، ولكن النيران التي أتت علي محتويات الغرفة قد ساعدت في حفظ ما نقش علي الحجر الذي زادت النار من صلابته، وقد تم استرجاع الغالبية منها كما خزنت تماماً في حجرة منعزلة هائلة، ويرجع تاريخ هذا الأرشيف إلي عام 492.

وفي الغرب من الفناء المركزي توجد حجرة كبيرة ذات أسقف مكونة من تسعة صفوف من الأعمدة بكل صف 11 من الأعمدة، ويمكن تصنيفها كصالة عرض، حيث توجد كتل عملاقة من الأشياء الثمينة والنادرة التي وفدت باعتبارها غنائم للحروب مما تطلب إضافة صالة أخري لدار الخزانة، وهي التي غطت تقريباً كل الجهة الشمالية، وبينما كانت صالة العرض الأولي مربعة الشكل كانت الثانية طويلة وضيقة، وقد كانت تستند علي عشرين من الأعمدة وخمسة صفوف، وفي كل يكون العمود خشبي والقاعدة حجرية ذات نقوش فنية، وهو يستقر بدوره علي حجر ناري، وقد نقش كل منها بعلامة تماثل توقيع النحات الذي قام بصنعها.

ومن المستحيل باستعراض هذه المعروضات أن نحدد أيها أقيم أولاً في هذا العهد الملكي، وقد كان استيلاء الإسكندر (Alexander) علي المكان وتخريبه لدرجة أنه لم يبقَ في موضعه أي جسم كبير له أية زينة، وتنميق به ذهب أو أية أحجار ثمينة، وكان بها العديد من الأواني الأثرية الفاخرة التي تحمل اسم كسركسيس (Xerxes) ، لكن تم تحطيمها عمداً بالرغم من إمكانية إعادة تركيب عديد منها لحسن الحظ، ومن الغنائم

التي نالها كسركسيس (Xerxes) من حروبه الناجحة في مصر حيث يوجد وعاء من المرمر الفاخر ذي اللون المائل للأصفر له يد تجمع بين اللون الأبيض والرمادي، وتحمل سمة نيخو Necho ، وهناك أسماء أخري من الملكيين تظهر علي قاعدة تمثال صغير، وهناك ذكر للملك المصري أماسيس Amasis علي إناء من المرمر يقف علي إناء آخر من النوع نفسه، ومن حجرة الطعام يأتي لآخر ملوك آشور العظام إناء للطعام من الجرانيت الذي يجمع بين اللونين الأبيض والأسود، وتمسكه أربع أيدي علي شكل أسد، وتعلن النقوش أنه ينتمي إلي آشوربانيبال Ashur- bani- apal ، والاسم نفسه يرد علي أشكال اسطوانية منقوشة، وعلي إحداها توجد «عيون صخرية» أعدت من العقيق الخالص وغير النقي، وهناك اسطوانة صنعت منذ قرون وترجع إلي سوهي Suhi الذي كان ملكاً علي الفرات الوسطي، وبسبب أسلوبها الفني الذي يمثل هذه الفترة الفنية توجد أسود ثلاثة من البرونز، واثنان من الخيول المصنوعة من البرونز والتي يجب اعتبارها من الآثار الأسرية.

الإصلاح القانوني بمصر:

وقد ساد شعور بالحاجة إلي الإصلاح القانوني بمصر تماماً مثلما حدث في بابل، وتوجد بردية ترجع إلي عام 513 تأخذنا في عمق الأحداث، وتعرض نوعية «العدالة» التي كانت تطبق علي ضفاف النيل، وفي ذلك العام كان أحدهم وهو يسمي أحموسي Ahmosi قد وفد من بتوريس Ptores إلي تبوزوي Teuzoi وقدم التماساً لرئيس المعبد والمشرف الإداري المسمي زيوبيستيفونج Zeubestefonkh الذي كان في المعبد يقدم كل عام جزءاً من الوقت الذي أصبح فيه الوالي الفارسي «نبي آمون»، ولم أتلقَّ أي راتب، وكانت إجابة رئيس المعبد: «طالما أنفاسك تتحرك يعيش آخون الذي يرقد هنا، فإن هذا هو شهر الحصاد، لكن لا

توجد حبوب هنا في صوامع آمون، ولا توجد أية فضة في خزائنه لدفع الراتب، وسوف يتطلب منك أن تأخذ قرضاً عليه فوائد»، ومع وجود عديد من اللصوص السفلة في السجون فهناك العديدون أيضاً مطلقي السراح، وكان يقصد من سرقوا محتويات المعبد، ثم تساءل أحموسي Ahmosi من سوف يسأل خلاف ذلك الشخص حتي يعرف من الذي خرب المكان، فقيل له أن يسأل كاتباً بالمعبد بيتيسي Petes الذي كان الوحيد الذي لا يكذب.

ومع ذلك، كان بيتسي Pdetesi من الخبرة بحيث لا يصدق القول إلا إذا تم إجباره، وبناءً علي ما حدث لا يمكن لومه، فقد تم حمل الكاتب المتردد إلي سفينة بالقوة، حيث حذره أحموسي Ahmosi : «لقد امتنعت عن ضربك لأنك عجوز وسوف تموت بسبب هذا الضرب»، وكانت لديه خطة أفضل، فعند وصوله إلي عاصمة هنيسي Hnes تعرض سيء الحظ بيتيسي Petesi إلي الشمس الحارقة حتي صرخ قائلاً: «أعطوني ورقة من البردي أكتب فيها كل شيء وأحكي عن كل ما حدث»، وقد قرأ أحموسي Ahmosi الاعتراف وأقسم «قسماً بحياة فري Phre لقد قلت الصدق»، وقد قام الاثنان بختم البردية وأرسلاها إلي الوالي.

ولو كان بيتيس Petesi قد أفلت من الشمس الحارقة، فإنه يجب أن يواجه الآن غضب الكهنة الأوغاد الذين خشي أن يقوموا بقتله، وربما يكون قد سمع بإصلاحات دارا (Darius) القانونية، ولكن علمته التجربة أن بلاط الوالي لا يخلو من الرشوة، وما كاد يصل بيتيسي إلي داره حتي ظهر بخيوب Pkiop ومعه بردية مماثلة لما أرسلها بيتيسي Petesi إلي الوالي، وقد تم عزل رئيس المعبد وحل محله إينهار، وقد ألقي بيتيس Petesi وابنه وأخوته الأربعة مع رئيس المعبد في السجن.

في مأدبة بشو Pshou في تيوزوي Teuzoi كان يحتسي الجعة (البيرة) ، وقد نام الحراس ، وهرب رئيس المعبد زيوبيستفونج

Zeubestefankh ، وهذا ما جعل حالة المساجين الباقين أسوأ، وقد جلب إينهارو Ienhoro أخاه بيتيس Petesi إلي المعبد، بينما ضرب باقي المساجين ضرباً شديداً حتي قاربوا الموت، وقد ألقي بهم إلي برج قديم مهجور إلي جوار بوابة المعبد التي كان من المخطط أن تهدم فوقهم، ولكن ابن بيتيسي Petesi ذكرهم أنه لا يمكن قتل ستة من الكهنة بدون إبلاغ الوالي والملك، وقد أفلحت هذه الفكرة، وخشية من العواقب الوخيمة تم حملهم إلي منازلهم بالرغم من استغراق بيتيسي Petesi ثلاثة أشهر لاسترداد عافيته، ثم فر هارباً إلي العاصمة تحت جنح الليل في قارب معبأ بالأخشاب، وكان بخيوب Pkiop قد حاول الاجتماع بحضرة الوالي لمدة سبعة أشهر لكن بلا جدوي بالنسبة إلي بيتيس، فقد تعرف عليه سيمتوتفناختي Semtutefakhte الذي اقتاده شخصيًّا إلي بلاط الوالي، وقد تم استدعاء المتآمرين أربعة مرات لكن بلا جدوي، وفي المرة الخامسة لم يجرؤوا علي التخلف، وقد عوقب كل منهم بخمسين جلدة، وتم إلقاؤهم في غياهب السجون، ثم قدمت خمسة رواتب من المعبد كرشوة للقائم علي تنفيذ الحكم حتي رق قلبه وتدخل لدي الوالي لإطلاق سراحهم لكن هذه الهزيمة لم تفل من عزيمة بيتيسي Petesi الذي قدم التماساً لتعديل مرتبه من المعبد حيث طالب أن يبلغ 6 أسهم من معبد آمون، ومن الستة عشر إلهاً لتيوزوي Teuzoi فقد كانت ممنوحة له فقط أثناء زيارة إلي سوريا برفقة الملك بساميتيكوس Psammetichus ، وقد أمره الوالي أن يكتب تاريخ القضية، ولكن تم إغراء بيتيس Petesi أن يقبل بدلاً منه خطاباً من أحموسي Ahmosi أحد أنبياء حورس، وفي رحلة عودته إلي موطنه علم بيتيسي أن منزله قد أُحرق ثم قدم التماساً مرة أخري إلي الوالي، وتم الأمر باستدعاء المتآمرين مرة أخري إلي البلاط، وقد تمت رشوة الرسول وذهب إينهارو Ienharou فقط إلي البلاط، وبالرغم من إنكاره علمه بحرق المنزل عوقب بالسجن إضافة إلي خمسين جلدة.

وقد نفد صبر أحموسي وطلب مـن بيتـيس أن يجيبـه سـاخراً: «هـل سـتبقي حتي الموت غارقاً في هذه الأمور؟»، ومن أجل تجنب القضايا التعويضية التـي ألمـح إليها أحموسي Ahmosi الـذي لـن تنتهـي تصـالح مـع إينهـارو Ienharou والـذي أقسم بأن يسوي كل المسائل العالقة إذا أطلق سراحه، وكـان مـن الطبيعـي ألا يـبر إينهارو بقسمه؛ لأنه في المرة الأخيرة أرسل بيتيس Petesi التماساً طـويلاً مستشـهداً بتاريخ عائلته الطويل مع نقوش تشير إلي عظمة أجداده ورفعة نسـبه، وقـد اتهـم الكهنة بمحو هذه النقوش التـي تمجـد عائلتـه وتجديـداً للقضـايا السـابقة، وسـواء كسب هذه القضايا في النهاية أو خسرهـا، ليسـت لـدينا أدني فكـرة، وقـد نشـك في مدي قوة حجته وأحقيته في الحكم، ويرجع هذا الشك إلي عدم وجود حجة تقابله، ولكن تفيدنا هذه القصة بإعطاء فكـرة عـن حالـة العـدل في مصر القديمـة ومـدي الحاجة إلي إصلاح قانوني بها.

وبناءً عـلي أمـر دارا (Darius) قـام الكتبـة بنسـخ القـانون، وكـانوا يقومـون بكتابته علي لفائف البردي حتي عام 503، ويرجع سبب استغراق هـذا الأمـر وقتـاً أطول في مصر عن الوقت المستغرق في بابل إلي عدم وجود قانون مماثـل سـابق في مصر يحتذي بكتابته مثلما كان الأمـر بالنسـبة لكتـاب حمـورابي Hammouabi في القانون، وفي هذا الوقـت كانـت تـتم الكتابـة القانونيـة فقـط بنـاءً عـلي تكليفـات ملكية، وقد استغرق إتمام العمل كله 18 عاماً، حيث انتهي في أواخر عام 495، وقد كتبت إحدي النسخ فقط علي لفائف البردي باللغـة الآشـورية (والتـي تعـرف الآن باللغة الآرامية الرسمية للمراسـلات الرسـمية في الإمبراطوريـة الأخمينيـة)، وكتبـت نسخة أخري باللغة الديموطيقية، وبناءً علي ذلك اعتـبر دارا (Darius) آخـر السـتة المشرعين العظام في القانون المصري.

ومن أجل تفسير هذه القوانين تقدم في هذا العهـد الملـكي مجموعـة كبيرة من الوثائق التجارية، وإحدي هذه المجموعات الشيقة تتناول الأمور

الخاصة لحاملي الماء في الوادي وطريقة توزيع المساقي للنباتات والمزروعات، وعلي سبيل المثال كتب بشنيسي Pshnesi عقد زواج مع تيسينينهور Tesenenhor الذي أعطاه ثلاث قطع فضة من العملة السائدة كمهر، ولو كرهها وهجرها كزوجة يجب أن يعيد قطع الفضة وثلث ما يملك (لاحظ أن العروس حينئذ كانت تقدم المهر)، إضافة إلي ثلث عائد مصرف المياه الذي يشرف عليه، وقد جعل أخته رورو Rouru شريكة للأطفال الذين قد يولدون، ثم اعترف الزوج بحقوق ابن للزوجة كانت قد أنجبته من زواج سابق.

وقد أعطي بشنيس زوجته نصف منزل خالٍ يقع في غرب طيبة بجانب قبر الملك ينوي بناءه، وبعد عامين نكتشف أنه لا يملكه، وكان من الواجب عليه شراؤه، وهناك أحد أفراد المجتمع يكتب إلي زوجته «لقد هجرتك كزوجة وانتقلت بعيداً عنك وليست لي أية حقوق عليكِ، وصرحت لكِ أن تتزوجي بأي شخص في أي مكان تذهبين إليه؛ ولذا لن أقف في طريقك إلي الأبد»، وفي إحدي الوثائق الأخري من هذا الأرشيف ما يتناول ديناً من الحبوب، وتنشأ عنه فائدة إذا لم يدفع قبل الحصاد، وهناك ضمان لهذا الدين وهو بيع الماشية والعبيد ومخازن الحبوب، وكذلك بيع مرتب العبد أو تبادل بالأرض الخاصة ثمار أراضٍ في حوزة معبد آمون في طيبة.

وكانت أولي الوثائق المنسوبة إلي المستوطنة اليهودية من المرتزقة المتحدثة باللغة الآرامية ترجع إلي عام 495 وتشهد بالإصلاحات القانونية، وفيها تبادلت سيدتان الأرض مع ثالثة التي وهبت عطاءً بواسطة قضاة ملكيين وقائد الحامية، وكانت صيغة الضمان مدعمة بشهود ومكتوبة علي النحو التالي: «بناءً علي ما تقدم في المستقبل لن نستطيع أن نقاضيكِ بالتعويض في مسألة نصيبكِ، وأن نقول إننا لم نقدمها لكِ أو يطالبكِ أحد منا أو من أقاربنا، سواء كان أخاً أو أختاً،

ابنة أو ابناً قريباً أو غريباً فلن يقاضيكِ أحد، ومن سيقاضيكِ في مسألة نصيبكِ الذي منحناه لكِ سوف يلزم بدفع خمسة كاراش Karash ، ويكون نصيبه ملكاً لكِ»، وهنا أيضاً يمكننا تتبع أثر إصلاحات دارا (Darius) المالية.

وهذه المستوطنة اليهودية بدريات بها النسخة الآرامية لسيرة دارا (Darius) الشخصية، وكانت بلا شك نسخة رسمية مرسلة لهم بناءً علي أوامر الملك دارا (Darius) بنفسه، وكان من الواضح الاعتزاز بها وحفظها، وتحمل هذه النسخة للاستخدام المتكرر؛ لأنه عند كتابتها تم عمل نسخة أخري بها فراغات نتيجة وجود هذه المواطن غير المقروءة الواضحة في الأصل.

إنشاءات في مصر:

اتبع دارا (Darius) مثال سابقيه في التمجيد بآلهة المصريين وكذلك معابدهم، وكانت منطقة الحمامات وهي أكبر محاجر الوادي قد استغلت، وكذلك المسار الصحراوي إلي البحر الأحمر قد أرسلت لها حملات بواسطة الحكام العظام في الماضي من أجل التنقيب عن أجود مواد البناء، وقد أضافوا الرسومات البارزة للنقوش عن أشكال الحيوانات التي كانت في هذه المناطق من قبل الرحالة في فترة ما قبل التاريخ، وبناءً علي أوامر دارا (Darius) تمت إعادة استكشاف هذه المحاجر، فقد استعان بها المعماري العظيم خنوميبري Khnumebre الذي عمل مع أبيه أحموس سانيث ahmose- sa- neith الذي قام بتشغيل محاجر في العام الرابع عشر من حكم أماسيس Amasis ، وكان مركزه تحت ملك محلي لصالحه؛ لأنه في عام 496- 492 كان في الوادي مرة أخري، وقد ارتفعت أسهمه وزادت ألقابه حتي وصل إلي مركز النبوة لآلهة مختلفة وقائد عام لإيزيس Isis وآمون Amon وموت Mut وخونصو

Khonsu ، ويـزعم هـاربوكراتيس Harpocrates أن كثـيراً مـن المعابـد قـد قـام بترميمها هذا المعماري بنفسه.

وكانـت الواحـة في الجنـوب آخـذة في الازدهـار كمركـز للتجـارة مـن خـلال الاستخدام الحديث بالنسبة لأهل هذه المنطقة للجمـل، وبنظـام مسـتحدث للـري الذي كان مستخدماً لفترة طويلة في الهضبة الإيرانية، وهو ما يتوافـق مـع المنـاطق العاجلة، وكانت عاصمة الإقليم الصحراوي تسمي هيبت Hebt ، وكـان بهـا معبـد صغير لآمون، وفي عام 490 استبدله دارا (Darius) ببنـاء أكثر فخامـة مـن الحجـر الجيري، وقد تم تكريمه فيه كأحد محبـي آمـون وسـيد مدينـة هيبـت Hebt ، وفي بناء المعبد اتبع دارا (Darius) طرق البناء المتعارف عليها في بابل، ولكن بـدلاً مـن المحراب الثلاثي كان يوجد واحد فقـط يسـمي قـدس الأقـداس، وقـد تحولـت مـن عاصمة بسيطة قائمة عـلي صـناعة الـبردي إلي عاصـمة متميـزة قائمـة بـذاتها، وقـد انتشرت المباني الملحقة بالمعبد وعلي حوائطه الغائرة صور الملك وهو يقدم الهـدايا لحشد من الأهالي بصحبة الآلهة حتحـور Hathor ، وبالـدعاء لآمـون وكـل الآلهـة الأخري مع وجود ترانيم بها عبارات من كتاب الموتي الفرعـوني، وكانـت كـل الآلهـة ينظر إليها باعتبارها تجليات لآمون، وهذا توضيح جيـد لتطـوير ديانـة الوحدانيـة، وقد عمل دارا (Darius) أيضاً في بوسيريس Brsiris ، وترك بصمته علي طرقـات في مدينة الكاب Elkab كان من أحد المصنعين كمقـدم هبـات لمدينـة إدفـو Edfu في عام 507 وعام 504، وعلي أحد الأعمدة المنقوشة يوجـد أحـد الأشـخاص في الرسـم راكعاً أمام حورس Horus الذي كان علي شكل الصقر، ويتوسل إليه أن يمنح الملـك حياة طويلة مزدهرة.

الوالي المتمرد أرياندير Aryandes :

بالرغم من أن دارا (Darius) قد أظهر نفسه متلهفاً إلي التصالح مـع

الكهنة، فإن قصة بيتيس Petesi تكفـي لإظهـار أن الـبلاط في الأقـاليم لم يخـلُ مـن الفساد، وكان الوالي نفسه متورطاً في ذلـك، ويخبرنـا هـيرودوت (Herodotus) أن أرياند Aryandes قد حكم عليه بالموت كأحد المتمـردين بـالرغم مـن أن السـبب الحقيقي لذلك كان أنه قد قلد دارا (Darius) في سك العملات؛ لأن سك العمـلات من قبل الملك كان يعرف بنقاء الذهب به؛ لذلك ظلت شهرة فضة الـوالي أريانـديز Aryandes قائمة لفترة طويلة، وفي الحقيقة لم توجد عملات كثيرة في ذلك الوقـت، وكل الدلائل توضح أن الوطنيين في مصر تحت الحكم الأخمينـي اسـتمروا في عمـل الصفقات والمعاملات التجارية تحت موازين محددة للفضة ولكن تباعاً.

وعلي المستوي الرسمي لسك العملة كانت تعتبر الفضة عمله مقبولة بمعـدل 13: 1، وكانـت قيمتهـا في مصر أعـلي بكثـير؛ ولـذلك قيـل إن الجريمـة الحقيقـة لأرياندیز Aryandes هي سك عملات رديئة، ونسخ مقلـدة للعملـة الملكيـة التـي تحمل صورة الملك وبيعها لتحقيق مكاسب ضخمة من هذا التزوير، وهذا مـا يعـد خيانة عظمي.

وقد تم إعدام أرياندیز Aryandes بـين أعـوام 492- 511، وفي هـذا التـاريخ كان فيرنـداتيس Pherendates واليـاً، وبالنسـبة لـه خضـع كهنـة خنـوم Khnum وسيد مدينة يب Yeb ، وقدموا قائمة بأسماء الكهنـة يـتم الاختيـار بيـنهم ليكونـوا رؤساء للمعابد المختلفة تبعاً للمرسوم الملكي لـدارا (Darius) الملـك، وقـد رفضـت الأغلبية ذلك، حيث لاذ بعضهم بالفرار في أعقـاب تعيينـهم، بيـنما رفـض الآخـرون الانتقال لأنهم كانوا يقومون بالواجب نفسه في المواقع التي كانوا فيها.

النقوش الملكية:

وقد أقيمت حاضرة رائعة للحكم في صوصـا، وأقـام دارا (Darius) قصوراً لمستقره الدائم، وكان حريصاً علي أن تكون مشـيدة مـن الصـخر

القـوي ذي التحمـل الأكـثر، وهـو الـذي يتـيح تطـويراً ذا صـبغة فارسـية أكـثر في الاحتفالات، وقام دارا (Darius) بوضع حجر الأساس في الركن، وهو ما يمثل قاعدة البناء بوضع اثنين من الألواح المنقوشة بالـذهب والفضـة تبلـغ 13 بوصـة مربعـة، ووضع بها آخر قائمة بالولايات الفارسية، ولم تـتم زيـادة الأعـداد بهـا، لكـن كانـت هنـاك بعـض التغيـيرات في الانـتماءات، حيـث انتمـت أيونيـا Ionia إلي سـارديس Sardis ، ولكن «من كانوا يقعون وراء البحر» يكونـون ولايـة ثانيـة لأيونيـا Ionia «الذين يحملون فوق رؤوسهم الدروع»؛ ولذلك أطلـق علـيهم ذوي القبعـات مـن الإغريق، وفي مجال الفخر بها كان دارا (Darius) يقول: «هذه هـي المملكـة التـي أملكها تمتد من سوجديانا Sogdiana إلي أثيوبيا، ومن الهنـد إلي سـارديس Sardis التي وهبني إياها كبير الآلهة أهورا- مازدا»، ومن المهم أن دارا (Darius) لا يعتـبر الإغريق جديرين حتي بذكره لهم.

ومع ذلك، فإن هؤلاء الإغريق يخبروننا عن عدد مـرات زيـارة دارا (Darius) لإكباتانا Ecbatana حتي تم التنقيب عن آثارها بطريقة جيدة، فإننا مازلنا نعتمـد علي ما هو قائم من المعلومات المتوافرة، حيث إن الألواح الذهبيـة والفضـية التـي أنقذت في آخر لحظة من وعاء لصب المعدن، وهي تقدم سـجلاً موازيـاً لمـا وضـعه دارا (Darius) في حجر الأساس في بيرسيبوليس، وهناك دليل إضافي علي هذا البنـاء في عاصمة ميديا Mede ، حيث تشير إلي عمل دارا (Darius) بواسطة أحد أحفاده في أحد النقوش التي وجدت هنـاك والتـي أُقيمـت عاليـاً فـوق المدينـة عـلي أحـد المنحدرات التي لا تبعد كثيراً عن الطريق القديم لبابل، حيـث أمـر دارا (Darius) بنقش اسمه علي الحجر.

وعلاوة علي ذلك فقد أمر بصقل الصخور التـي تقـع عـلي المرتفـع المطل علي بحيرة فان Van من الشرق، حيث تـرك الملـوك الأوائـل مـن الهاليان Hallian سجلات رائعة منقوشة بلغـتهم الوطنيـة مـن الكتابـة

المخروطية، وعند موته لم يتم عمل نقش كتاباته؛ ولذلك قام ابنه الوفي بتصحيح الوضع، وأمر باستمرار هذا العمل، ويذكر كسركسيس (Xerxes) أيضاً أن والده قد قام بإقامة العديد من الصروح الجميلة الفاخرة كما توضح هذه النقوش، كما أن الكتاب الإغريقي يضيف قوائم بالقصور والصروح التي قام بإنشائها عند جاباي Gabae ، وهي مدينة أصفهان الحديثة، وعند تاوسي Taoce علي الساحل الفارسي عند حدود كارمانيا Carmania ، ولكن لم توجد آثار لهذه القصور.

استعدادات للحرب علي الإغريق:

وفي الوقت نفسه، تسارعت خطي الاستعدادات للحرب علي الإغريق كما اعتقد دارا (Darius) أن موقعة ماراثون Marathon كانت انتكاسة مؤقتة، مما يتطلب سياسة ناجحة للتقدم الثابت المستمر علي الجبهة، وكل ما كان مطلوباً باعتقاده كان جيشاً ضخماً تحت قيادة جيدة، وعندما يتم سحق المدن الباقية سوف يتم دمج كل العالم الذي سيطر عليه الإغريق في الإمبراطورية الفارسية؛ لأن قادته قد فشلوا بطريقة مأساوية في عقاب أهل أثينا المناوئين، فقد قرر دارا (Darius) أن يقود الهجوم الانتقامي بنفسه، وفي الفترة القصيرة التي كانت متبقية أمامه، أسرع دارا (Darius) في بناء التماثيل علي الجهة الشمالية من عاصمته، وكذلك في وسطها، وفي الجبهة الشرقية، وفي الوقت نفسه كان يقوم بإكمال قصوره.

ولا توجد لدي كسركسيس (Xerxes) أية مشكلة في ارتقائه العرش، حيث كان ملتزماً به كولي للعهد منذ عام 498، وكان ممثلاً بدون ذكر اسمه في رسومات بيرسيبوليس، وقد حان الوقت الآن للاعتراف الكامل، وعلي عضائد أبواب القصر الأوسط أمام صورة أبيه كان كسركسيس (Xerxes) يمثل صورة الملك، حيث كان يرتدي الزي المعروف للملك

نفسه، مما يخالفه فقط في النقوش التي كتبت علي عباءته الملكية «كسركسيس (Xerxes) ابن دارا (Darius) الملك الخميني».

وقد تطلبت الاستعدادات لحرب الإغريق ضرائب إضافية، وفي شهر يونيو عام 486 أبلغ أحد البابليين أن شاتاماكسو Shatamaksu دفع رسوماً جديدة علي شحنة الشعير والقمح والخردل التي يقدمها في المخازن عند إحدي القنوات المؤدية إلي بابل.

ثورة مصر وموت دارا (Darius) :

عند دفن عجل أبيس ربما في عام 488 قام القائد أحموس Ahmose (أماسيس Amasis) بأداء طقوس الولاء في معبده، ثم اصطحب رماة الأسهم وأفضل جنوده إلي مكانه المختار، وقد قضي الليلة بدون نوم وفي حالة ترقب، حيث كان يتملكه الطموح إلي فعل شيء غير عادي، فقد وضع الاحترام للآلهة في قلوب الناس، بالإضافة إلي احترام الأجانب الذين كانوا في مصر، وقد أرسل الرسل لحكام المدن في الوجه البحري والقبلي (مصر العليا)، وقد قدموا هدايا للقاعة المقدسة.

ومع هذه الهبات، فقد زعم المصريون أن بيرسيبوليس وصوصا وإكباتانا Ecbatana قد أُقيمت من استغلال الثروات المصرية، وفي أواخر عام 486 كان المخصص أنتياواهي Antiyawahy يعمل في محاجر الحمامات، لكن في أكتوبر في الخامس من هذا العام نفسه كتب خنوميماخيت Khenumemakhet إلي فيريداتيس Pherendates خطاباً قويًّا يأمره فيه أن يقبض علي أرتابانوس Artabanus الوالي الفارسي للحامية اليهودية، ويذهب عن طريق سفينة إلي النوبة لتأمين الحبوب، ثم أمر أرتابانوس Artabanus البحارة أن يفرغوا الحبوب علي الشاطئ؛ ولذلك احتج المصريون عند الوالي بأن يأمر أرتابانوس أن يحرس السفينة ويؤمن الحبوب، وأن تفرغ علي الضفة بالقوارب بأسرع ما يمكن، وإذا لم يتم

عمل الاحتياطات سوف يقـوم المتمـردون بسرقـة الحبـوب، فقـد كـانوا يعسـكرون مقابل السفينة، وأصبحوا من الوقاحة لدرجة أنهـم قـد أظهـروا أنفسـهم في وضـح النهار.

وبهذه النذر المشئومة تقف السجلات والوثـائق المصريـة، وفي الشـهر المقبـل ثارت مصر من أجل الضرائب الجديدة التي تثبت مبالغتها وزيادة آثارها علي أهـل هذه البلاد، وسـوء حـالتهم إلي درجـة الثـورة، وقـد مـات دارا (Darius) نفسـه في نوفمبر من عام 486، حيث كان قد بلغ عامه الرابع والستين، وامتدت فـترة حكمـه 36 عاماً، وقد ابتسمت الأقدار مرة أخري للإغريق الأوروبيين، حيـث منحـتهم فـترة من الراحة غير المتوقعة.

وفي وقت سابق لموت دارا (Darius) كان قد أعد مقبرة له في الطرف الشمالي من السهول التي بني في شرقها عاصمته الجديدة، وكـان دارا (Darius) مـدفوناً في موضع غير عميق يهب باتجاه الجنوب الغربي، وكان القـبر يمثـل مرتفعـاً مسـتقيماً، وقد تمت الاستفادة به بواسطة أحد الملوك الإيلاميين كموضع لرسم بارز، وقد أعـد دارا (Darius) شاهدا للقبر من الطمي، وكان القبر يشبه معبداً لعبـدة النـار مثـل الذي كان معداً لقورش Cyrus في بارساجاردا Parsagarda .

ولسـبب مـا تخـلي دارا (Darius) عـن شـكل القـبر الـذي اسـتخدمه قـورش Cyrus وعاد إلي مقبرة صخرية شرق معبد النار، وحفر قبراً لـه في مرتفـع صـخري، وكانت مقدمته في شكل إغريقي يبلغ 60 قدماً عرضاً وسـبعين قـدماً ارتفاعـاً، وقـد كانت علي شكل سقيفة في القصر وفي طرفها كانـت أعمـدة حاملـة، وضـعت بينهـا أربعة أعمدة دقيقة علي حجر ناري، وفوقه نحتت ثـيران راكعـة ممسـكة بـالألواح الخشبية الحاملة للسقف، ثم أربعة ألواح خشبية عرضية، والثالث منهـا كانـت بـه نقوش وزينة، وكان الباب مكوناً من ثلاثة ألواح عرضية في الجانب، وفي قمته كانت هناك طبقات من الريش، ولكن كانت الفتحة غير مصقولة وذات ارتفاع منخفض يبلغ

خمسي ارتفاع الممر، ولا تعطي شعوراً بالراحة للزائرين، كما كان مقصوداً من بنائه، ولدينا شك في أن هذا البناء كان قبراً غير حقيقي أُعد للتمويه وللحفاظ علي القبر الأصلي.

وعلي الطرف العلوي نُقش عرش منحوت بدقة يمسكه ثلاثون ممثلاً للإمبراطورية «إذا فكرت الآن» - يقول هذا في نقوش قبره- «كم عدد الأراضي التي تولي دارا (Darius) حكمها؟ انظر إلي ممثلي حملة العرش فسوف تعرف، وسوف تدرك أن الرمح الفارسي قد انطلق بعيداً، وسوف تعرف أن القدم الفارسية قد تعدت فارس»، وذات مرة كان كل ممثل للإمبراطورية محدداً واليوم يوجد القليل منها لا يزال محفوظاً، ولكن يمكن الآن تحديد أهل فارس وميديا Mdede وإيلام Elamite وأهل بارثا Partha ، بالإضافة إلي أهل سيثيا Scythia والبابليين والآشوريين ورجل من مكة.

وفوق العرش وضع مشهد لتقديم القربان، وعلي اليسار علي أعلي ثلاث درجات من السلم وقف دارا (Darius) يرتدي ملابس ملكية كاملة، ويمسك بيده اليسري القوس، واليد اليمني التي كانت مرفوعة كانت ذات راحة مفتوحة، وفي حالة توسل، وعلي اليمين فوق الثلاث عتبات كانت النار المقدسة علي مذبح النار وفوق المشهد يطير أهورا- مازدا، وعلي جانبه علي مذبح النار كان القمر اللاحق يحتضن القمر السابق، أي كان البدر يعانق الهلال.

وكان هناك اثنا عشر قائداً من كبار القواد في صفوف ثلاثية علي كل درجة فوق بعضهم، مما يساعد في إظهار الاحتفالية والطقوس، وكان كل منهم يرتدي الزي نفسه ما عدا أحدهم، وكان زيهم يقارب الزي الملكي، وعلي أحد الجوانب مد ستة من الضباط غير المسلحين اليد اليمني رمزاً للخضوع، وكانت الذراع الأخري ملتصقة بالجانب، وعلي الناحية الأخري كان كل من ضباط الجيش يمسك رمحاً بيده، وكان قائد إحدي

المجموعات الثلاث يسمي جوبرياس Gobryas ، وهو حامل الرمح الملكي، وكان القائد الآخر (أسباثينيز Aspathines) هو حامل الفأس الحربية الملكية، وهو الذي يمسك غطاء القوس للملك دارا (Darius) .

وكان يقود الباب المنخفض في الوسط إلي غرفة الزمن، وداخلها تغوص أربعة من الكوات في الصخر، وكل منها تحتوي علي ثلاثة توابيت ضخمة معدة لدارا (Darius) ، وأقرب ثلاث أفراد من أسرته، ولكن لا يوجد نقش إضافي يخبرنا عن أي من التوابيت التي كانت تضمن في طياتها جثة الملك العظيم.

الفصل السابع عشر

الملك العظيم وجيوشه

يعتبر كسركسيس (586 -456) (Xerxes) مـن الناحيـة التاريخيـة التقليديـة أحد الملوك الضعفاء الذين سيطر عليهم المخصيون، ودائماً مـا يـذكر بشـنه هجوماً فاشلاً عـلي الإغريـق في أوروبـا، وفي الوقـت نفسـه، فـإن المصـادر الشرقيـة تصـوره كشخصية مختلفة، وعند اعتلائـه العـرش كـان في ريعـان شـبابه، حيـث كـان يبلـغ الخامسة والثلاثين من العمر بعد أن تم تدريبه حتي يكون وارثـاً للعـرش لسـنوات عديدة وبالإدارة الحازمة ونائباً مشاركاً للملك في بابل، وبناءً علي ذلـك فقـط شـهد عهده تغييرات إدارية وتنظيمية هائلة، ومع أن دارا (Darius) قد استعمل حقبتـه الأخمينية بناءً عـلي هـذا القـانون، فـإن كسركسـيس (Xerxes) ينسـب إليـه هـذا القانون.

وفي مقابل فشله العسكري في أوروبا الذي لم يكن بالغاً لرعايـاه كـما هـو في نظـر الأجيال التاليـة، نريـد أن نضـع سلسـلة كاملـة مـن الانتصـارات التـي حققهـا بمـا فيهـا استعادته السابقة للسيطرة علي اثـنين مـن أغنـي الولايـات وأكثرهـا ازدحامـاً بالسـكان، وتحضراً داخل إمبراطوريته الشاسعة، وساعدته للسيطرة علي معظم الإغريق، وفي مجال الثقافة، فإن هذه الصورة الباهرة لإنجازاته تشبه إنجازاته العسكرية ومع أن المهندسـين المعماريين في عهد والده قد وضعوا الأثاث للبناء العملاق الفاخر في العاصـمة الجديـدة بارسـا Parsa ، فالفضـل يرجـع إلي كسركسـيس (Xerxes) لقيامـه باسـتكمال المبـاني

العظيمة، وشروعه في بناء إضافي، وتحت توجيهه وإشرافه تم تغيير الخطة البنائية في عدة جوانب جوهرية، ويرجع إليه وحده الفضل في الرسومات المنحوته البارزة الرائعة التي جعلت عمل النحاتين في عهد والده يبدو بدائيًّا نوعاً ما، فلطالما أعجبنا بالأعمال الفنية في مدينة بريسيبوليس، وهذا كان عمل الابن وليس قوة الإمبراطورية التي لا تختلف عن سابقيه القدماء.

ارتقاء كسركسيس (Xerxes) للعرش:

إن أولي الواجبات الضرورية للملك الجديد كانت إتمام قصره والده في صوصا، حيث كانت الأعمدة ما زالت لم تنحت بعد، وكذلك قاعدة من الرخام النقي تحمل نقوشه وسجل أعماله كان قد حل موعد إتمامها في أوائل عام 483، وهذا يتضح من وثيقة اكتشفت بمحل إقامته القديم في بابل العاصمة السابقة، ثم عاد إلي مدينته التي يعشقها بيرسيبوليس، وعندما اقترب توليه للعرش أعد كسركسيس (Xerxes) نقشاً يخلد حكمه الجديد، وقد سار في كتابه في أولي فقراته علي خطي أبيه «إن الإله العظيم أهورا- مازدا هو الذي خلق الأرض، والذي خلق الإنسان، والذي وهب له السعادة والسلام، هو الذي أعطي كسركسيس (Xerxes) الملك ملكه علي ليثرين، وبسط سلطانة في الإمبراطورية الشاسعة» «إلي كسركسيس (Xerxes) الملك العظيم، وملك الملوك، وملك الأراضين بما فيها من بشر، وملك لهذه الأرض الواسعة الشاسعة ابن دارا (Darius) الملك الأخميني الفارسي ابن الفارسي الآري ابن الجنس الآري» يقول كسركسيس (Xerxes) : «الملك بفضل أهورا- مازدا هذه هي الأرض التي أملكها بخلاف بارسا».

علي النحت البارز الموضوع علي قبر أبيه فهو أول من مثل المملكة في حمل العرش الملكي، بالرغم من أن النقش يستبعد بارسا من قائمة

الولايات التابعة فهو هنا يقتدي بأبيه «لقد حكمتهم وقدموا لي جزية، وفعلوا ما أمرتهم به والتزموا بقانونه الذي وحدهم تحت ولايته».

وتبين القائمة التقدم الذي أحرزة في الحدود الشمالية الشرقية حتي وصوله إلي Amyrgaean أميرجيان و Sacea ساسيًّا التي أضافها أكوادية ثالثة للبدو الشرقيين، بالإضافة إلي Dahae داهي و Adaufak أكوفاكا الذين يسكنهم الجبليون، ولا بد أنها تقع الآن شمال كابول في أفغانستان الحديثة.

«يقول كسركسيس (Xerxes) الملك عندما توليت العرش كان من بين الولايات التي سيطرت عليها إحدي الولايات غير المستقلة، ثم أعانني أهورا- مازدا، وبفضل أهورا- مازدا استقرت لي الأرض وسارت في ركب سابقتها».

تلك الأرض غير المستقرة كانت باكترا Bactria ، فعند ارتقاء كسركسيس (Xerxes) العرش فإن أخاه قد استقل بهذه الولاية، وسعي إلي طلب الملك، حيث تغلب عليه ما وعده به أبوه أن يكون التالي في حق الملك الجديد، وقد وضع أريامينيس Ariamenes التاج علي رأس الملك الجديد، وبالتالي ظل موالياً كقائد للأسطول العظيم، وقد مات ميتة الأبطال في معركة سالاميس.

ويواصل كسركسيس (Xerxes) روايته، «وداخل هذه الأرض كان هناك مكان يعبر فيه الشياطين، وبعد ذلك وبفضل أهورا- مازدا سحقت هذه الجماعة من الشياطين وأعلنت: لن توجد بعد اليوم عبادة للشياطين كما كان سابقاً، فأنا أعبد أهورا- مازدا والمقدسة آرتا Arta »، ويتضح من هذا أن الأرض المشار إليها هي حدود إيران، حيث لم تعترف هذه المنطقة بعبادة أهورا- مازدا، وتشير كلمة عباد الشياطين إلي طائفة Daha داها التي لم تكن قهرت قبل ذلك الوقت «وكان هناك أمر كان قد تم بطريقة سيئة،

ولكني أصلحته، وذلك بفضل أهورا- مازدا الذي عاونني حتي أديت عملي».

الإصلاح الديني:

يحث كسركسيس (Xerxes) من يخلفه علي أن يؤمن بدينه الشخصي مع تأكيده علي عبادة المقدسة آرتا Arta : «أنت يا من سترث الملك لو كنت تفكر «أتمني أن أسعد في حياتي وأكون مباركاً في موتي» يجب أن تحترم القانون الذي أسسه أهورا- مازدا هو ما قدمه أبوه «أعيد أهورا- مازدا والمقدسة Arta آرتا الذي سيحترم القانون المقدس الذي أسسه أهورا- مازدا والمقدسة آرتا Arta سوف يحيا حياة طيبة ويموت ميتة مباركة»، ومن أجل تأكيد هذا الاعتقاد لابنه وخليفته أطلق كسركسيس (Xerxes) علي ولي العهد لقب Artaxerxes أرتاكسركسيس، وهو يعني مملكة آرتا.

وهكذا يعني كسركسيس (Xerxes) أنه قام بإصلاح آخر، فهو يؤكد علي عبادة آرتا الذي يعني الحق والاستقامة في فكر مجتمع Zoroastrian زورواستريان كما يوضح لنا أن الشياطين لم تعد تكتسب مكانة الآلهة كما كانت سابقاً بالنسبة للآريين، إن الأغلبية ممن يعبدونها قد هبطوا إلي عبادة الشياطين مع أن بعض هذه الملل الدينية لم تختفِ تماماً في الدين الرسمي، كما أوضح ذلك هيرودوت (Herodotus) في الجيل التالي زينوفون (Xenophon) وستيسياس Ctesias في عهد أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني الذي قام بإحداث تغييرات مهمة، حيث صاحبت هذا الإصلاح طقوس معينة فيما يسمي يانسا السباعية مع المحافظة علي ثروات معينة في لهجة شعرية تجمع كل الأديان والملل التي تعترف بها الدولة المعاصرة، وقد كرم كل من دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) وأهورا- مازدا الذي خلق الملك، والحق، والاستقامة، وخلق الماء، والنباتات الطيبة، والأرض، وكل ما هو خير بقوته وعظمته المطلقة

وأوغاله الفاضلة، وسوف يعبدون معه أقدس الأسماء المنحدرة من أهورا إلي مـازدا، إن أرواح الرجال والنساء المؤمنين بالحق والاستقامة سوف يمتلكون الفكر الصحيح، والملك العظيم، والحياة الصالحة، والثواب الكريم، والدين الصحيح، وفي الفكر الديني القديم أصبحت هذه الصفات المقدسة علامات مجردة لقوة مطلقة واحدة، وعلي العكس ظلت بعض الطوائف محتفظة بآلهتها الخاصة، وتكون ملة خاصة بها، ومع وجود عبادة الطبيعة القديمة، وهذه هي إحدي الصلوات التي اكتشفت لنقش: «نحن نعيد هذه الأرض التي تحملنا وتحمل زوجاتنا وأهورا-مازدا المتفوق بالحق والاستقامة، ومن خلال الحماسة الدينية والفاعلية والاستقلالية وإخلاصهم للدين فيتم معهم الثواب العظيم وإجابة الدعاء مع السمعة الطيبة والرفاهية، كما تعبد الماء المتدفق والمتوحد الذي ينبع من أهورا الذي يقوم بالأفعال الخيرة، أنت يا من تخوض في الماء ومن يجيد السباحة كما يجيد الإستحمام اعلم أن بفضل آهورا أتت هذه المياه هبة منها للعالمين».

«وبتلك الأسماء التي منحها إياك أهورا- مازدا الذي لا يعطي إلا الخير قد خلقك، ونحن نعبده كغيرنا، ونتوسل إلي فضله، ونتقرب إليه بالطاعة، ونحمده، وأنتي أيتها المياه التي تحمل النساء أبناءنا مثلما تحمل الأبقار الألبان، وأنت يا أهورا- مازدا يا من تعتني بالفقراء، أيها البهي الذي يطعم الجميع، اهبط بأرضنا مانحاً العون ذا اليد السخية كما تدعم البائسين بالمعونة الدائمة، كما تفعل الأم المانحة للحياة».

وبدلاً من كونه متعالياً عابساً، نلمح هذا الأسلوب سابق التأثر بالشرق، حيث أن ملك الملوك له جناح خاص للحريم ملئ بالأمهات القريبات من الآلهة.

إن المعبود «روح الثور» ليس خاضعاً لأهورا- مازدا فهو ما زال معبوداً مستقلاً، وتصحبه أرواح الحيوانات المنزلية (التي يقر الإنسان

بحاجته لعونها)، وحتي أرواح الحيوانات البرية تلك التي يتغني بها المنشدون كما يتغنون بأرواح القديسين الذين ينتصرون في الصراع الخالد بين الخير والشر وفي هذا يقول: «أيتها النار التي يقدسك الجميع، كوني له وحده، وبالنار نتوجه ونتقرب لك يا أهورا- مازدا وبروحك المقدسة لمن تعد له عذابك أن تنعم عليه بقربه منك، وأن تتغمده بالسعادة، وأن تنجيه من المحن أيتها الروح المقدسة التي تنعم علينا أي اسم من أسمائك أكثر رحمة يا نار أهورا- مازدا نتقرب به إليك بالفكر السديد والفعل القويم نتقرب إليك».

ومن خلال هذا التضرع المسي يانسا Yansa فقد تمت مراجعتها تملقاً للملك حتي يتناسب مع الشرعية الجديدة، ولكن لم يؤمن أحد بدرجة صادقة بهذا الرسول الذي يدعو لهذه العبادة لهذه الدرجة التي تبدو في التملق الآتي: «وهكذا نفضي لك بكل ما نرغبه يا أجمل الأجسام كافة، بأنوارك السماوية، وفي أعلي العلياء أيها الشمس الإله»، وبرغم تعدد الآلهة وعبادة الشمس كان ميثرا Mithra معترفاً به رسميًّا حتي عهد أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني.

استعادة مصر:

ما زال من الواجب علي الملك أن يسترد مصر؛ لأنه غالباً ما كانت تنشب الثورات علي ضفاف النيل، مما يؤدي إلي اضطرابات اليهود في أورشليم- القدس، وهناك شك في كون الثورات عامة، وقد استغلت الشعوب الخاضعة الموقف وأصبحت أكثر عدوانية علي المستوطنين الفرس الجدد نتيجة لظروف اعتلاء كسركسيس (Xerxes) للعرض حديثاً بعد فترة قصيرة، وكان ذلك في الأول من ديسمبر عام 486، واستمرت الثورة حتي الخامس من أبريل 485، حيث أرسل له خطاباً يتهمه فيه سكان فلسطين الجدد وخاصة القدس بإثارة الاضطرابات، ومن هنا نستنتج

تفاصيل الاتهام الذي لم يؤثر علي حالة الملك ومكانته، حيث إنه قبل نهاية العام التالي كان كسركسيس (Xerxes) في فلسطين يشق طريقه إلي وادي النيل.

وقد تم استرداد مصر يوم التاسع من يناير عام 484، حيث قام الجيش الفارسي بالاستيلاء علي مضيق الحمامات ومنطقة أتياواهي Atiyurahy حتي أريورتا Ariurta ، وتثبت كمية الآثار المبينة من قبل الفرس بسط السلطان الإمبراطوري بها، ولكن تمت مصادرة الممتلكات المصرية بما فيها المعابد الأثرية كما أسيئت معاملة المصريين، وقد لقي Pherendutes فيرينداتيس مصرعه في إخماد هذه الثورة، ومن أجل ذلك كلف كسركسيس (Xerxes) أخاه أخامينوس Achaemenes بحكم مصر.

وفي الماضي، قام الملوك الفرس بمغازلة والتودد إلي الثقافات القديمة لشعوب المستعمرة بوضع ملوك من أهل هذه الأقطار علي رأس حكم هذه الولايات، لكن كان كسركسيس (Xerxes) الوحيد الذي خالف هذه القاعدة في مصر بوجه خاص لعدم تكرار القيام بثورات، والآن سوف نري مدي نجاحه في هذا التغيير المهم في عهده: «بفضل كرم دارا (Darius) كان في مقدور كهنة أبيس أن يعدوا تابوتاً حجريًّا ضخماً من الجرانيت ذي روعة تفوق الوصف للثور الذي يعبدونه، وقد اكتشف عام 488، وقد تم تلميع السطح إلي درجة البريق الذي يشبه الزجاج، وقد كان الغطاء بدون نقش، وعلي الجانبين وجدت الحليات أو النتوء المستدير، وكذلك براويز محيطة بكل الجوانب، وعلي أحد أطرافه، وفي الطرف المقابل يوجد رسم بارز يمثل منزلاً موصد الأبواب، لكن النقوش المكتوبة كانت رديئة النحت، وربما يرجع ذلك إلي صلابة الجرانيت، وتحتوي هذه النقوش علي بعض الطقوس المعتادة، ومقتطفات مأخوذة من النصوص الموجودة بالهرم، تلك التي ما زالت قائمة بعد مضي ألفي عام، وفي هذه النصوص «يا أبيس، يا أوزوريس سوف يساندك

أحد، سوف يساندك أخٌ لك، والذي سيكون من الخالدين، كما أنك ستكون خالداً، ولن تشهد الموت، بل تبقي في السرمدية يا أبيس يا أوزوريس! سوف يسرع حورس لنجدتك بقلب الآلهة، فلا تبتئس، سوف يعطيك حورس عينه الحارسة التي ستقوم بها بحمل التاج الذي ترتديه أمام الآلهة التسعة، يا أبيس أوزوريس سوف يفتح حورس لك عينيك، حيث تبصر بها، ويطير بك إلي السماء لتكون في معية الآلهة، سوف يمكنك حورس من الإحاطة بكل الآلهة بيديك هاتين، حيث وجد فيك حورس والده، فهو لن يخذلك، ولن يفلتك، حيث تحوم كالنحلة المقدسة، قف من موتك لحورس، من أجل أن يخلقك روحاً تصعد إلي السماء، وهناك يا أبيس أوزوريس سوف تتمثل بشكلك المعهود، وتعيد لك الآلهة وجهك».

وعندما كان التابوت في طور الانتهاء، كان حكم دارا (Darius) يقترب كذلك من نهايته، وهكذا سوف يموت تاركاً فراغاً في النقش لكتابة اسم من يخلفونه في الملك في هذا الفراغ، وقد تم إخماد الثورة المصرية، ورفض كسركسيس (Xerxes) أن يتكيف مع الطقوس المصرية المعتادة وانتقاماً منه، عند موت الثور المقدس قام كسركسيس (Xerxes) بدفنه في هذا التابوت بدون مراسم فرعونية، مما أغضب الكهنة المصريين؛ لذلك تناسوا كتابة اسم الملك الجديد في الفراغ الذي كان معداً لذلك في عهد أبيه للملك الجديد.

أفول نجم بابل:

علي عكس مصر كانت بابل معروفة بولائها، حيث قبلت كسركسيس (Xerxes) كولي للعهد لأبيه الملك دارا (Darius) الذي عرفوه لمدة طويلة، فلم يمضِ أقل من شهر بين موت الأب وتولي الابن الملك حتي وجدت أول وثيقة تحمل اسم الملك الجديد كسركسيس (Xerxes) في

الأول من ديسمبر عام 486، وفي البداية كان الكتبة الوطنيون مسموحاً لهم أن يبدأوا بالطريقة الرسمية «ملك بابل، ملك الأراضين»، وفور توليه الملك، قام كسركسيس (Xerxes) بزيارة بابل مرة أخري والدخول إلي معبد بيليتانيس Blatanes ، وهو يسمي الآن - كما نفهم- معبد ماردوخ، وفي طريق العودة حدث خطب ما، مما أدي إلي إعطائه أوامر بإيقاف التغيير الذي تم في المراسم، وغير اللقب الذي كان يطلق عليه من «ملك بارسا ومادا Parsa & Mada إلي ملك بابل، ملك الأراضين»، ولدينا شك في هجاء حروف هاتين المدينتين، وإذا كانت هذه الكلمات تصف ولايات أم مدناً قديمة، ولكن لاشك لدينا أنه قد تمت إجراءات عقابية صاحبت التغير في الطقوس المشار إليها سابقاً، وهذا وحده أثبت بزوغ فجر جديد، وتبني سياسة خاصة بالملك الجديد، وربما تدل إضافة هذه البلاد إلي لقبه «ملك بابل وبارسا وميدا» إلي استقلالية هذه البلاد إلي درجة معينة.

وبينما كان كسركسيس (Xerxes) في مدينة إكباتانا Ecbatana وصلت إليه أخبار تفيد بقيام بابل بالثورة وقتل عامله عليها الحاكم زوبيروس Zopyrus ، وقد قاد الثورة رجل يدعي بيلشماني Belshmmani مطلقاً علي نفسه «ملك بابل»، وذلك في الفترة الموضحة بالجداول المأخوذة من ديلابات Dilabat وبورسيبا Borsippa وهي من العاشر إلي التاسع والعشرين من أغسطس عام 482، وبحلول الثاني والعشرين من سبتمبر كان قد تم إخماد هذه الثورة بواسطة شاماشي إيريبا Shamasheriba ، وتم إكمال اللقب الملكي كما كان «ملك بابل وبارسا ومادا وكل الأراضين».

ولحسن حظ كسركسيس (Xerxes) كان زوج أخته - وهو في الوقت نفسه أعظم قواد الإمبراطورية- ميجابيزوس Megabyzus قريباً من الملك، فقام باستدعائه في الحال، وكذلك تمت استعادة المدينة في الحال، وقد

حل بمدينة بابل عقاب شديد، حيث تمت إزالة الحصون المنيعة التي كانت بها، كما دمرت الهياكل البابلية الهرمية متعددة الطوابق، وتم دك جميع المعابد بالمدينة، كما تم صهر تمثال بيل ماردوخ Marduk Bel الذي يبلغ طوله 18 قدماً ويزن 800 رطلاً من الذهب الخالص وتحويله إلي سبائك ذهبية، وقد أعدم الكاهن الذي عارض تدنيس المعابد، وبإزالة التمثال السابق لم يبقَ لأي فرد في المدينة حق ادعاء الملك، حيث كان من تقاليدها أن من يمسك بيد بيل Bel في مستهل السنة الجديدة يكون له حق طلب الملك، وقد صودرت ضياغ (حقول ومزارع) كبار التجار والمواطنين، ووزعت علي الفرس، وهكذا نهبت بابل تماماً، حتي إنه لم تنجُ إلا تسعة من اللوحات المبينة لمعالم هذه الحقبة في عهد قورش (Cyrus) ، وكذلك انفصلت سوريا عن بابل واعتبرت ولاية فارسية مستقلة، أما بابل فقد فقدت هويتها باندماجها مع آسيريا Asyria ، ووقعت تحت طائلة الضرائب الفادحة.

ولم توجد أية نقوش رسمية مكتوبة في بابل - كما هو الحال في مصر- أثناء هذه الفترة من الحكم، والسند الوحيد لدينا هو ختم ثلاثي اللغة موجود علي صكوك ملكية ومنقوش علي أوانٍ رائعة من المرمر المصري الفاخر، مما يتاح قراءته بكل اللغات السائدة حينئذٍ، ونصه هو: «كسركسيس (Xerxes) الملك العظيم ...».

دفتر أحوال (يوميات) الجيش الفارسي:

أدي قمع الثورات والتمرد إلي زيادة القوة المكتسبة للجيش الفارسي التي أسسها دارا (Darius) ، وقد أفرد هيرودوت (Herodotus) في كتاباته مقتطفات من دفاتر أحوال وسجلات رسمية للجيش الفارسي، وقد حصل عليها من مصدر فارسي ربما يعود إلي زوبيروس Zopyrus حفيد أحد قواد الجيش، وهذه المصداقية للمصدر تدعونا إلي الدراسة

المفصلة ليس فقط من أجل إلقاء الضوء علي الشؤون العسكرية، بل من أجل المقارنة بينها وبين البيانات المستخلصة من اللوحات المنحوتة الموجودة في بيرسيبوليس، والتي تخلد أحوال الشعوب الخاضعة في مستهل احتفالات العام الجديد، وإضافة إلي هذا، تمدنا هذه السجلات بمعلومات لا تقدر بثمن عن جغرافية التوزيع العرقي لهذه الإمبراطورية المترامية الأطراف.

الخالدون:

تتكون نواة الجيش من الفرس أنفسهم؛ لأنهم مع عدم دفعهم للجزية، فإنهم يدفعون ضريبة الدم، وعلي رأس هذا الجيش يوجد القائد العام، وهو يلي هيدرانيس Hydarnes مباشرة في التسلسل القيادي، وكان القائد العام - وهو ابن هيدرانيس- فيما سبق حارساً شخصيًّا متميزاً، وهو يرأس فصيلة «الخالدين» الذين يرجع اسمهم إلي ثبات عددهم وهو 10 آلاف، وهناك البديل الجاهز دائماً لأي نقص في هذا العدد بالمرض أو الموت والقتل، وهم يتميزون بالزي العسكري المبهر الذي تعلوه الشارات الذهبية، بل ومسموح لهم باصطحاب خدمهم والمحظيات من النساء في عربات خاصة، ومع وجود الطعام المتميز المحمول علي الجمال والمطايا الأخري.

وبالإضافة إلي العنصر الفارسي، يوجد بالعشرة آلاف الخالدين جنسيات من الميديين Medes والإيلاميين Elametes ، وهناك في صوصا رسومات مصقولة وملونة تخلد وجود هذه الجنسيات، ففي هذه الرسومات نجد من هو داكن البشرة، والأسود، وكل الأجناس، ولكنهم يتوحدون في الزي العسكري والتسليح، وهذا الرأس عارٍ والشعر مربوط بإحكام بحبل من اللباد الأخضر المجدول، واللحية قصيرة ومشذبة، كما لو كانت جزءاً من العنق، مع ارتداء الحلق (القرط) الذهبي، وهناك في

الصورة يقف كل جندي في وضع مشدود (انتباه) عسكري، وفي كل يد تتدلي أساور ذهبية، وهو يمسك بالرمح المصنوع من الأخشاب الصلبة، وبه نصل فضي، ويد فضية بشكل ثمرة الرمان، ووضعها علي أعلي القدم يثبت انتماءهم إلي العشرة آلاف الخالدين، وعلي الكتف اليسري، هناك الكنانة المجهزة بالسهام، وعلي الذراع اليسري يوجد القوس، وهناك حبل مزين يغطي الجسم كله من الرقبة إلي الرسغين إلي الكعبين، بالإضافة إلي الحذاء الجلدي محكم الربط، وبخلاف هذا الزي العسكري من الكنانة والحبل والحذاء والجلد، هناك فوضي في باقي عناصر هذا الزي في التصميم والألوان، فهناك قطع من الجلسد علي شكل هلال تغطي الكنانة، وتتراوح ألوانها من الأصفر الباهت إلي الأرزق القاني (القاتم)، بالإضافة إلي تنوع أشكال هذه القطع الجلدية مثل المثلثات وغيرها، ومن هذه الكنانة تتدلي الخيوط الملونة المزينة، وكما تتنوع الأحذية من الأصفر إلي الأزرق تتنوع كذلك الثياب من الأصفر غير المخطط إلي اللون الأحمر الخفيف، وهناك غطاء الرأس البني المصنوع من القطيفة وحافته الخضراء ومزين الصفوف من الدوائر البيضاء وكسوة الجوخ مغطية الصدر من تحت الأذرع حتي الفخذ مع الحبال الأكثر زينة، حيث تغطي الفخدين أيضاً، وبها النجوم البيضاء أو الصفار تقطعها نصفين، وأربعة خطوط بنية، ويجب أن نتخيل الملابس المماثلة للخالدين الفرس أو من ميدا في بيرسيبوليس، وهنا فإن الجنود الذين يتناوبون حراسة النقوش يتسلقون درجات السلم، حيث يصطفون من أجل الترحيب بالنبلاء الذين يزورون سيدهم، أو يقفون في وضع انتباه عندما يقوم الملك باستعراضهم، وهم يرتدون إما القبعات المتعرجة من اللباد أو المنخفضة تبعاً لدرجة كل منهم ورتبته العسكرية، ويتكون الزي من العباءة الفارسية أو المعطف والسروال لأهل ميدا Meda ، وقد يكونون مسلحين إما بالرمح أو القوس والكنانة أو كليهما، وبينهم واحد من

الفصيلة الأفية، وهم المتميزون من الخالدين الذين يبلغون العشرة آلاف، ويتميزون بحمل كرات ذهبية علي شكل ثمرة الرمان.

القوات العسكرية للطوارئ الإقليمية:

وتلي قوات الخالدين في الرتبة فرق المشاة الفارسية ترتدي قبعات واسعة من اللباد، بالإضافة إلي العمامة، مع الرخاء الإغريقي الطويل الذي يشده الحزام من الخصر (المنتصف)، إضافة إلي السروال، وكل هذا له حماية للجسم من الحديد في كل جزء من الرداء العسكري، ومن أجل التسليح الدفاعي يحملون الدرع المجدول المقوي والقوس الطويل الذي ملأت كنانته بأسهم الخيزران المصفح، ورمح قصير وسيف قصير يتدلي من الحزام علي الناحية اليمني من الخصر، وهذا السيف يستخدم أيضا للمساعدة في حالة الهجوم، وقد كان قائد هذه الفرقة العسكرية أتانيس Otanes أو بالملكة أميستريس، وتلي فرق المشاة والفرسان السابقة فرق الطواريء العسكرية من الولايات الفارئية كلٌ تحت قيادة ولايته، حيث لم تختلط هذه الفرق إلا في حالة الحرب، وتنقسم كل فرقة إلي فصائل مكونة من عشرة جنود ووحدات من فئة جندي وكتائب من ألف جندي، وعند الحاجة تندمج إلي ألوية كل منها عشرة آلاف جندي، ويكون المجموع ما يعادل ست فرق عسكرية تحت قيادة ماردوينوس Mardonias ابن أرتابانوس ((Abanus ، وسميردومنيس Samerdomines ابن أوتانيس Otanes ، وماسيستيس Masistes ابن دارا (Darius) ، وأروسا Arossa ابن أريزوس Arizus ، وميجابيزوس ابن زوبيروس Zopyrus الذي كان قد استعاد بابل، وقد قاد الأخميني تيجانيس Tiganes ميديا، وتسلح واكتس كالفرس الذين كانوا قد أخذوا عنهم تسليحهم القتالي، وكانت قوات السيسيان Cissians - وهو الاسم القديم لمحاربي كاشيستير Kashshites - يشير إلي الإيلاميين Elamites

تحت قيادة أنافيس Anaphes ابن أوتانيس Otanes ، ويقول هيرودوت (Herodotus) إنهم كانوا يرتدون الزي العسكري مثل أهل ميديا ما عدا ارتداء عصابة الرأس بدلاً من القبعة، ففي بيرسيبوليس يرتدون الزي الكامل لأهل ميديا لكن القبعات المستديرة أكثر انخفاضاً واستدارة، وهناك رسم يوضح اثنين من الجنود يحملان أقواسهما المشدودة والسيوف القصيرة، ويقوم آخر بحث لبؤة علي السير، حيث تستدير وهي مقيدة لتري إذا ما كان شبلاها اللذان في قبضة الحراس ينعمان بالأمان.

لقد شهدت إيران الشرقية بداية اندماج الولايات الفارسية التي تدفع إلي الشك في تآكل هذه الحدود، فقد انفصل سكان هيركانيا Hyrcania عن بارثا، ولكنهم كانوا مسلحين بطريقة الفرس نفسها، وكانوا تحت قيادة ميجابانوس Megabanus الذي أصبح فيما بعد حاكماً لبابل، مما ساعد علي اندماج الحدود بينهما، وكذلك كان حال كوراسيما Chorasmia التي تم دمجها في بارثا في عهد أرتابازوس (Artabazus) ، وبالرجوع إلي رسومات بيرسيبوليس، نجد أن هؤلاء الإيرانيين كانوا يرتدون ملابسهم العسكرية علي المنوال نفسه لأهل ميديا، وكانوا يحملون أقواساً وسيوفاً مماثلة لهم، وعندما نشاهدهم في بيرسيبوليس نجدهم مجموعات متماثلة، حيث الرأس عارٍ يحده اللباد، واللحية قصيرة، والشارب مفتول لأسفل، والعباءة الإغريقية المعتادة ذات حزام الخصر كانت قصيرة، والسروال فضفاض مع حذاء قصير، وفي هذه اللوحات أيضاً نري بعض الجمال المحلية ذات السنامين وهي تلهو فوق رؤوس أصحابها، بينما يقوم الآخرون بإحضار النسيج والأكواب والأوعية والخيول، ويحمل جند من إيريان Arians قوس ميديا.

ولم تعد توجد ثلاث من الولايات التي خصصها دارا (Darius)

مستقلة بسبب اندماجها في ولاية باكترا Bacteria ، وفي رسومات بيرسيبوليس يبدون بقبعاتهم الطويلة المدببة تلك التي أعطتهم لقب حاملي القبعات التي كانت غير عادية بسبب وجود ثنية عند الرقبة ووجود واقٍ حول الرقبة والكتفين، مع ارتداء معطف قصير ضيق وسروال فضفاض وحذاء منخفض، والقوس مع غلافة والخنجر والسيف المتدلي من الحزام، وهذه الملابس إيرانية تقليدية حتي إن الفأس الحربي قد وجد في بيرسيبوليس يحمله أحد كبار الموظفين، كما يظهر في اللوحات، وفي هذه اللوحة التي نصفها يوجد الفرسان يقودون الخيول ذوي الشعر المجدول، وشعر ذيله مهذب مرتفع مع وجود العرف وريشة الخوذة والجرس، واللوحة التالية تبين اثنين من الجنود يحملان حبالاً منمقة أعطيت لهما تكريماً لعمل قاموا به، وكانت الملابس مصبوغة ومتألقة، والحذاء يصل إلي الركبة، ويسلح بالقوس والحربة، كما أمر بها فريينداتيس Frendates ابن ميجابازوس Megabazus .

وقد أضاف الهنود قليلاً إلي التنظيم العسكري، حيث كان زيهم مصنوعاً من القطن، وكانت الأسلحة الوحيدة هي الأعواد والأقواس والأسهم المدببة بالحديد، وكان قائدهم في بيرسيبوليس يرتدي اللباد وهو مطرز بإحكام عند الظهر لربط الشعر الطويل المنبسط مع عباءة قصيرة مطرزة من الجانب وحذاء خفيف، وكان يرتدي حارسه الجوخ فقط وملابس ذات مربعات، ضيقة من الوسط بالثنيات، وهناك حول الكتف توجد سلتان مغزولتان مليئتان بأوعية الزيت، وكان الثاني في هذا التصوير يقود حماراً وحشيًّا، ويقوم بالثالث بحثه علي السير بضربه بالعصي متمنطقاً بسيفه، وكان واليهم فارنازاثيرس Pharnazathres ابن أرتباتيس (Artabates) الذي تولي أيضاً شرف أثيوبيا، وفي التصوير كان يماثل الهنود في زيه، لكنه كان يرتدي غطاءً للرأس مصنوعاً من الجلسد المدبوغ للخيل، ويجمله درع مغطي بجلد طائر الغرنوق، وقد كان يوتيانز

Utianes ومايشانز Mycian تحت قيادة ابن دارا (Darius) أرسامينيز Arsanenes ، وقد كان الزي العسكري الخاص بهم يشبه سكان الجذر من الخليج الفارسي والجـزر المعزولـة المسـماة بـالمنفي تحـت قيـادة مـاردونتيس Mardontes ابـن بـاجويوس Bagueus .

وإذا سلمنا بوجود خسائر فادحة في الجبهة الشمالية الشرقية، فيجب أيضاً أن نعترف بوجود مكاسب تعوض عن ذلك في الشـمال، حيـث يتضـح التنظـيم الجيـد للقبائـل المتنـاثرة، وقـد كانـت تسـمي أرمينيـا الشـمالية والشرقيـة بالأروديـانيس Alarodians (الذين يحتفظون باسم أورارتو الأسيرية Ur ، وتسمي في التوراة جبل أرارات Ararat) ، وبالإضافة إلي قبائـل الأورديـانيس السـابقة كانـت هنـاك قبائـل الساسـبيري Saspeiri ، وكانـت كلتـاهما تحـت قيـادة ماسيسـتيس Masists ابـن سـيروميتريس Siromitres ، أمـا بالنسـبة إلي زيهـم العسـكري فكـان عبـارة عـن خوذات خشبية ودروع صغيرة من الجلد، ورمـاح صـغيرة وسـيوف، ولم يحـدث أن ذكـر هـيرودوت (Herodotus) أي دور للكـاردوش Carduchi أو الأكـراد، وهـم الذين قد لعبوا دوراً حاسماً في التاريخ الأخميني، وفي هـذا الوقـت انـتشرت شـهرة المرتزقة المسماة بالكارداك، ولكن لم تثبت تقارير الأعـمال والسـجلات التجاريـة أي تعامل لهم قبل عام 515 عنـدما علمنـا أن لوكشـيو Lukshu - وهـو مـن المرتزقـة الكـارداك- قـد تلقـي الفضـة والأغنـام والـدقيق والملـح والزيـت والتمـر الفـاخر والخمور، كل ذلك كان من أجل مؤن الجندية في أول ثلاثة أشهر من العام السابع.

ومن هذه القبائل المحاربـة المـوشي والتبـاراني Moschi Tiberenis الذين تراجعوا نتيجة حربهم مع قبائـل الأسـيريان، والآن توحـدوا تحـت قيادة أريوماردوس Ariomardus ابن دارا (Darius) ، وقد انتشروا علي طول الشواطيء الجنوبية للبحر الأسود، وكان الـزي العسـكري لهـم هـو الخوذات الخشبية والرمـاح القصـيرة والـدروع، وكانـت قبليـة كولشـيانز

Colchians الواقعـة في الشرق مـن البحـر الأسـود مـزودة بـالخوذات المصـفحة بالحديد والدروع الجلدية الصغيرة والرماح، أمـا القـواد فيرينراتـيس وأريومـارديس Pherendates Ariomardes فقـد كـانوا يرتـدون معـاطف جلديـة، ويحملـون السيف الأحدب وحـدي النصـل وقـوس، بيـنما كـان الباكتيـانز Pactyans يرتـدون الجلود والقوس محلي الصنع والخناجر، ومجمل القول إن عـدد الولايـات الفارسـية المرتفع مع زيادة نسـبة المواليـد بهـا تظهـر الشخصـية العسـكرية لهـذه الجيـوش التابعة للولايات، وكان زوج أخـت الملـك أرتـوخميس (Artachmis) قائـداً لقـوات الأرمــن وفريجيــا Phrygia ، وكــان الأرمــن مكلفــين بقيــادة الجــيش الثــاني في بيرسيبوليس، وكان زيهم إيرانيًا تقليديًّا ما عدا غطاء رأس غريب ثلاثي الثنيات بثنية عريضة علي هيئة مثلث يغطي الرقبة، وبالنسـبة للصـور التـي تعـبر عـن ذلـك، في أحدها كان أحد الأرمن يسحب أحد الخيـول المشـهورة بهـا هـذه الولايـة، كـما أن هناك قارورة ضخمة ذات حاملين لنقش الغرفين (وهو كـائن أسـطوري نصـفه نسر ونصفه أسد) Caballians .

ومن القوات الأقليمية نجد الكابلاينز الذين قادهم جوبرياس Gobrysa ابـن دارا (Darius) ، وكان زيهـم العسـكري جلـداً للقبعـات، وأبـازيم تحكـم الملابـس، وأقواساً من ليسيا Lycia ، ورماحاً قصيرة، ومنهم قوات بيسيديا Pisidia: أصـحاب الخوذات الهلالية الشكل المصنوعة من البرونز، وبهذه الخوذات قرون وأذان الثور، ودروع مكسوة بالجلد، وحراب مزدوجة كتلك التي يصيدون بها الذئاب، بالإضـافة إلي الطماق (جلد واقٍ للساق)، مما أعطاهم مظهراً متميـزاً، وهنـاك أيضـاَ محـاربو الجبال، وهم ليس لديهم أي ولاء أو انتماء سياسي، ولكنهم يحاربون فقط من أجل اقتسام الغنـائم؛ لـذلك لم يـرد ذكـرهم بالاسـم في سـجلات الجـيش الفـارسي، ومـن القوات الإقليمية المميـزة قـوات ليسـيا Lycia تحـت قيـادة سـايبرنيس Cybernis الذين كان تسليحهم يماثل الأسلوب الإغريقي.

لأن معظمهم كان إغريقي الأصل، وقد أضافوا السيف المعقوف العريض والخناجر، وواقي الساق المصنوع من جلد الماعز، وواقيات الصدر المصفحة، وأقواس من الخشب الصلب، بالإضافة إلي الأسهم وبعد أن تم فتح ليسيا تحت الملكية المحلية، وقام البعض من ملوكهم المحليين بسك العملات بمعيار هذه الولاية.

وقد كانت صقلية ما تزال تحكم بواسطة ملك وطني يحمل لقب الملك الموروث لسينيس Syennisis ، وكانوا يتميزون بالعباءات الطويلة ذات الحزام علي الخصر، وهي مصنوعة من الصوف، ولديهم تسليح باثنين من الرماح والسيف المصري والخوذة والدرع المجدول، وقد شكلوا فرقة بحرية مهمة، وفي رسومات بيرسيبوليس لهم لحي قصيرة وشعر مسترسل به تجاعيد منمقة وعصابة رأس رباعية الثنيات وعباءة قصيرة الأكمام وحزام ضيق علي الوسط يتدلي للركبة وأحذية منتفخة محكمة الغلق من علي الجانب، بينما يتميز قائدهم بحمل الرداء الصوفي والكباش جيدة التربية علي سهول صقلية.

وهناك ولاية فارسية أخري عبر النهر منفصلة عن بابل في أعقاب ثورة 482، حيث كانت تقع غرب الفرات، وأهم أقسامها فينيقيا، وأهم مدنها سيدون تحت قيادة Terramnestus تنترامنيستوس وصيدا تحت قيادة ميتين Metten ابن حيرام الثالث Hiram ، وقد أدرك الملوك أن لتجار فينيقيا أهمية في المشاركة في الإمبراطورية العالمية، وبالتالي حرصوا علي إرسال ممثلين عنهم في الاحتفال العظيم السنوي، وكان زيهم كالتالي: توجد علي الرأس عمامة عجيبة عالية مجدولة علي شكل عصابة رأس عريضة وتميل إلي الخلف مع شريط خلف الأذن يمتد حتي اللحية وهناك عباءة طويلة مبطنة ومزينة بالجوخ والحذاء مدبب، وفي رسومات بيرسيبوليس يحمل الفينيقيون أواني الزينة الفخارية العملاقة ذات الحامل الذي يشكل علي هيئة الغرفين (حيوان أسطوري نصفه أسد ونصفه نسر).

وفي رسم آخر يظهر سائس الخيل الذي له عمامة أكثر انخفاضاً، وهو يقود اثنين من الخيول اللذين يسحبان العربة الملكية، وقد يكون الفينيقيون كبحارة وسفنهم القتالية قلب الأسطول، حيث بلغت سفنهم 300 سفينة ثلاثية المجاديف من مجموع اثني عشر ألفاً في الأسطول الإمبراطوري، وكانت مقدرتهم هائلة في الدفاع والهجوم، وتعتمد علي كفاءة المناورة بالسفن، وهم أكثر أهلاً للثقة من الإغريق، وقد ازدهروا في هذا العصر كما لم يفعلوا من قبل، وتوقفت الجهود التي كانت تهدف إلي إقامة ولاية منفصلة في الجزيرة العربية، ولكن ركاب الجمال العربية كانوا من المقيدين من بين سلاح الفرسان الذين يناط بهم الواجب الحربي في جبهة القتال وكان تسليحهم متخلفاً مكوناً من الأقواس، وبالرجوع إلي رسومات بيرسيببوليس نجد العرب يرتدون العباءات الطويلة ذات الحزام ولها حاشية مزينة، ويقوم العربي في الصورة بقيادة الجمل العربي وحيد السنام، وبالنسبة إلي تنظيم الجيش فقد كانوا موضوعين مع الأثيوبيين تحت قيادة أرساميس Arsames ابن دارا (Darius) وهؤلاء الهمجيون كانوا يخوضون الحروب بطلاء أجسامهم باللون الأبيض الجيري واللون الأخضر النيلي، أما عن الملابس فقد كانوا يرتدون جلود الأسد والفهد، وكان التسليح عبارة عن قوس يصل إلي ستة أقدام مصنوع من سعف النخيل، وكانت الأسهم مدببة بالصخر والحراب مدببة بقرون الظبي الحاد القاطعة وكذلك الهراوات ذات المقبض، وكان أيضاً تحت تلك القائمة الليبيون الذين كان سلاحهم الوحيد هو الرماح المصقولة بالنار، وكانوا تحت قيادة ماساجيس Massages ابن أوريزس Ourizus ، أما بالنسبة للزنوج في بيرسيبوليس، فقد تم تصويرهم وهم يرتدون الأحذية الطويلة، وهم يقدمون زرافة قصيرة غريبة الشكل، ولكن بلاد بونت في الصومال لم يوجد دليل علي أنها كونت إقليماً مستقلاً في أي من الوثائق.

وبعد الفينيقيين يوجد المصريون الذين أسهموا بـ200 من السفن الحربية ثلاثية المجاديف، وكان الفرس يعتبرونهم قوة بحرية متاحة لهم، وكان معظم بحارتهم يرتدون دروعاً بحرية واقية، (وقد استعارها الفرس منهم)، ويتسلحون بالسيوف الطويلة، وقد أضيفت لها الخوذات المصفحة والدروع المجوفة ذات الحواف العريضة التي قد تم تعديلها حتي تناسب القتال في البحر مع وجود فأس حربي ضخم، وكان الحاكم الأخميني يعمل في الوقت نفسه قائداً بحريًّا (أدميرال).

مستعمرة المرتزقة في مصر:

تعطينا هذه القائمة السابقة فكرة أن مصر كانت تمد فقط بالبحارة، لكن في موضع آخر يذكر هيرودوت (Herodotus) جيشاً أرضيًّا وكان معظمه - إن لم يكن كله- يتكون من المرتزقة؛ لأن المصريين الوطنيين لم يكونوا أية قدرات قتالية أو يمكن الوثوق بهم للحرب في صفوف ساداتهم، ومن حسن الحظ أننا لم تغب عنا هذه الوثائق الأرشيفية لهذه المستعمرة من جيش المرتزقة من اليهود عند مربية الفانتين قرب الشلال الأول للنيل، ومن الوهلة الأولي نجد أن اليهود قد كونوا مجتمعاً عاديًّا محليًّا منغلقاً، ومعهم الزوجات والأبناء، وهم يتزوجون داخل مجتمعهم المغلق فقط، ويقومون بشراء المنازل والضياغ الزراعية لتوسعة مجتمعهم، وزيادة نفوذهم، وتتركز منازلهم حول معبدهم الذي يعبدون فيه الإله الوطني للمصريين، وتشمل الوثائق تعاقدات للبيع والشراء يمكن أن تستخدم في التغاضي عن سندات الملكية الملزمة، وبينما ما زال المصريون يرتدون الزي الوطني، فإن هؤلاء اليهود يستخدمون اللغة الآرامية المعاصرة وليست اللغة العبرية - لغتهم الوطنية- وتلك اللغة الآرامية كانت هي اللغة الرسمية لساداتهم الفرس، وتقترب اللغة في وثائقهم التي تشمل تواريخ الملوك من اللغة الآسيوية أكثر من

المصرية، فهم بهذا المعني ليسوا مواطنين، بل عادة ما يطلق عليهم «أرمن سيناء»، وكان الجندي الفرد يماثل المستعمر الحربي التقليدي وليس المواطن المندمج في المجتمع، وكان تنظيمهم حربيًّا في المقام الأول ينقسم إلي مئات، وكل منها ينقسم إلي فصائل يرأسها ضباط من الفرس أو البابليين، وكانت الجماعة كلها تحت قيادة «قائد القوات»، وهو بدوره تحت الحاكم المعروف باسم فراتاراك Fratarak ، وفي حالة وجود منازعات فإن القول الفاصل الأخير هو للحاكم الفارسي، الذي غالباً ما يرسل الأوامر المباشرة للتنفيذ، وهناك قاضٍ طبيعي، وهو من يندر اللجوء إليه، حيث تسوي المنازعات بواسطة كبار الضباط، وهناك الحاكم الفرعي المرتبط بكتبة القاضي، ويعملون كنواب له، وهناك أيضاً كتبة الجلسات والمحاسبين وفاحصي القضايا ومنفذي الأحكام بالمعاونة مع الشرطة، وبالنسبة إلي الطعام فهو يرد من الحكومة، وفي عام 484 توجد سجلات تشير إلي استلام اثنين من اليهود وإقرارهم بـ55 أردباً (وحدة قياس مصرية قديمة للحبوب) من الشعير والفول كتعيين لإطعام الجنود الـ200، حيث يحصل كل منهم علي مكيالين، وهم يعبرون عن رضائهم بذلك، ويقدمون الحساب لرئيس «المائة» ومحاسبي القصر الملكي وكتبة الخزانة، وهناك غرامة بمقدار 100 قرش من الفضة الخالصة عند المخالفة، كما أقسموا بذلك أمام «الإله»، وهذا هو أهم دليل يثبت ولاءهم لساداتهم الفرس عن طريق الحفظ الدقيق وكتابة سيرة دارا (Darius) الذاتية.

وحدات جيش وبحرية إضافية:

بينما كانت توجد قلة من المصريين يعملون علي الأقل كبحارة، لم يكن هناك جنود محددون في بابل، وفي أعقاب الثورة الأخيرة اختفت بابل كولاية مستقلة، وألحقت بأسيريا، وقد اختلط جنودها بجنود أسيريا لمنع

نشوب اضطرابات أخري وعرفوا بالكلدانيين؛ لأنه في عـام 482 تـم حظـر اسـتخدام اسم بابل رسميًّا، وكانت الولاية تحت حكم أوتاسبيس Otaspes الذي جند إحـدي الوحدات القتالية المهمة للمشاة، وكـانوا يرتـدون صـديريًّا مـن الكتـان، ويحملـون الدروع والحراب والخناجر المصرية والهراوات المرصعة بالبروزات المعدنية.

وقد قدمت قبرص 150 سفينة للبحرية، وكان ملوكها المحليون مثـل جورجـوس Gorgus يرتدون العمامات والعباية الرومانية الطويلة، وبخلاف الملوك كان القبارصة يرتدون ويتسلحون تماماً مثل الإغريق، وقد أسهم أهل صقلية بـ 100 سفينة، وكذلك أهل بامفيليا Pamphylia وأهل Lycia بخمسين، وأهل كاريا Caria بسبعين، وأهـل دوريا من الإغريق بخمسين، وكذلك إغريق إيولا Aeolia بـ60، وسكان الجـزر بــ17، وإغريق هيلزبونت وبونتوا Hellespontpontus بـ100 سفينة.

وهكذا أسهم الفينيقيون والمصريون والإغريـق وأناتوليـا في تأسـيس السـفن، وكانت هي المكونة للقوة الحربيـة للأسـطول البـالغ تعـداده 1200 سـفينة ثلاثيـة المجاديف من كل جانب، بالإضافة إلي سـفن ذات خمسـين أو ثلاثـين أو أقـل مـن المجاديف، بالإضافة إلي السفن الحاملة للرجال والخيول وبلغ تعدادها ثـلاث آلاف من القوارب الإضافية، وكان يقدر لكل سفينة ثلاثية أن يقوم بتشغيلها 200 بحـاراً، بيـنما تحمـل السـفن ذات الخمسـين مجـدافاً 80 بحـاراً لحمايـة السـفن وإجـراء الصيانة، وتحتوي كـل سـفينة عـلي 30 بحـاراً، وهنـاك أربعـة قـواد بحـريين وهـم الأخمينين المصرين وأريابيجنيس ابن دارا (Darius) Ariabignes قائداً للأيونيانز والكاريـانز، وللبـاقي بريكساسـبيس Prexaspes وميجابـازوس Megabazus ابـن ميجاباتيس Megabates ، وقد قدمت هذه الشعوب معظم الخيالة وأولهـا الفرس وأهل ميدرييس والسيسانيز بالمعدات العادية للمشاة نفسها ما عدا الخوذات من البرونز المطروق والحديد، وقد حمـل بـدو سـاجارتيا الخنـاجر

والحبال المجدولة مع الجلد، بينما كان الهنود يعملون بالفروسية، فلم يتخلَّ نبلاؤهم عن عادة أهل أريان Aryan التي تتم بها الحرب داخل العربات الحربية التي تجرها الخيول أو البغال القوية، وهذه العربات أيضاً استخدمها الليبيون، وكان قادتهم هارماميثراس Harmmithras وتيثايوس Tithaeus ابن داتيس Datis ، والقائد الثالث وهو فارنوشيس Pharnuches لم يشارك في الحملات الإغريقية لإصابته بجرح شديد في معركة سابقة، وقد ولد في ساردتيز Sardis ، ولم تكن هذه السجلات العسكرية مملة أو غير ذات جدوي، بل قدمت معلومات قيمة عن التنظيم العسكري، وتقدم أيضاً إكمال قيم القوائم مقاطعات دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) ، وفي كل صفحة توجد شعوب وتقاليد وأزياء متباينة، وللقاريء العادي تبدو أسماء الأفراد أنها تكافئ المتخصص بمعرفة كاملة محددة للنظام الرسمي الفارسي، ومعظم هذه الأسماء سوف تعاود الظهور في الفصول التالية، وأخيراً فهناك أسماء معتادة منحدرة من الأبطال الذين يمثلون الثقافات الأخري للشعوب وأصدقاء أو أعداء الإغريق، وكذلك أفراداً من الإنجيل.

وعندما تتقدم مسيرة الجيش خلال بلاد مسالمة يتقدم قطار عربات الأمتعة يتبعه نصف قوات المشاة، وبعدهم الألف الخالدون من صفوة الجيش، وهم من المشاة، ثم ألف أخري من سلاح الفرسان، وهم يحملون الحراب معكوسة الوضع ذات المقابض الذهبية علي شكل ثمرة الرمان، ثم يتبعهم عشرة عشرة، ثم فحول الخيل الذين تربوا في سهول نيسان في ميديا، ثم ثمانية من أقوي أنواع الجياد المخصية يجرون العربة المقدسة لأهورا- مازدا، ويكون قائد العربة سائراً علي قدميه؛ لأنه لم يجرؤء آدمي علي ركوب مقعد العربة، وبعدها عربة الوسيط بين البشر والآلهة كسركسيس (Xerxes) تجرها خيول نيسان، وهذه العربة الملكية تحرسها ألف أخري يقودها باترامفيز Patiramphes ابن أوتانيز Otanes

واقفاً بجوار مولاه، وعندما يحل به التعب ينتقـل كسركسـيس (Xerxes) إلي عربـة خفيفة وتحرس المسيرة الملكية ألـف أخـري مـن أفضـل المشـاة (وأسـهمهم ليسـت معكوسة)، ومعهم الرماح ذات المقابض الذهبية، وأخيراً عشرة آلاف من الخالـدين، تسعة آلاف مـنهم يحملـون الرمـاح ذات المقـابض الفضـية يحـيط بهـم ألـف مـن الفرسان ذوي الرماح المزودة بالمقابض الذهبية، ويتـبعهم عشرة آلاف آخـرين مـن الفرسان، وهكذا ينهي النصف الآخر من الجيش هذا العرض العسكري.

وفي الحملات المعتادة في الأراضي المعادية يأخذ الملك إمدادات غذائية تكفـي لطول المدة الزمنية من المؤن والقطائع من الماشية والأغنام والمـاء المغـلي مـن نهـر صوصا المعد للاستخدام الملكي يحمل في قدور ضخمة من الفضـة تجرهـا البغـال في عربات خاصـة، كـذلك يقـوم كبـار المـوظفين والخالـدون بجلـب طعـامهم الخـاص واصطحاب الخدم، وحتي النساء المحظيات، ولكن بـالرغم مـن مظهـر الـترف هـذا فقد كان الجيش تحت قيادة الملك المباشرة جيشـاً منيعـاً لا تـؤثر أحـداث المعـارك علي تنظيمه العسكري.

الفصل الثامن عشر

الفشل في أوروبا

كان كسركسيس (Xerxes) أكثر اهتماماً باستكمال الإطار الرائع للإمبراطورية والجيش القوي أكثر من اهتمام أبيه الملك بقاعات بيرسـيبوليس، بـل انصرف فكـره إلي استخدام آلة الحرب العملاقة التي قام أبو الملك بتكوينها، لكن الأقدار لم تمنحه كل ما يشتهيه، حيث كان ابن عمـه مـاردينوس Mardinius طموحـاً في أن يصـبح والياً علي ولاية مكتسبة بالاحتلال لأرض جديـدة تضـم إلي الإمبراطوريـة، وقـد قـام بحثه علي مواصلة التوسع، إضافة إلي المنفيـين مـن أثينـا التـي بلغـت حقـارتهم أن قاموا باستئجار عـرافين ذوي سـمعة سـيئة لـترويج أفكـار الفـتح الفـارسي، وملـوك ثيسالي Thessaly الخائنين لوطنهم الذين حثوا الملك علي تقويض عـروش وطـنهم، وأخـيراً أدت هـذه العوامـل إلي أن كسركسـيس (Xerxes) قـد بـدا مـتردداً بأعـداد جيشه لمواصلة سياسة التوسع التي بدأها أسلافه في الجبهة الشمالية الغربية.

الاستعدادات للغزو:

أدي فشل سياسة الهجوم الشامل التـي تمـت في منطقـة بحـر إيجـة إلي تعديل سياسة كسركسيس (Xerxes) العسكرية التي تتبني السياسة الحكيمة في الهجوم التدريجي للجيش الذي يسانده الأسطول، وقد قامت الحملـة

العسكرية اعتماداً علي استخدام القوات البحرية كاملة ونصف الجيش، وقد شملت القوات البحرية الفينيقيين والمصريين والإغريق بناءً علي أعداد المشاركين ومدي كفاءتهم.

ومن أجل تجنب تحطم السفن مرة أخري عن آثوس Athos ، قام الملك بإصدار أوامره إلي بوباري Bubare ابن ميجابازوس Megabazus أن يحفر قناة خلف هذا المضيق، وقد استغرق هذا العمل ثلاث سنوات كاملة، وقد قام به أهل هذه البلاد بالقوة تحت لهيب السياط، وفي إحدي المواطن القريبة أُقيمت سوق تطحن بها الحبوب المنقولة إليهم من آسيا، وكانت المؤن اللازمة للقوات تخزن في مواقع استراتيجية علي طول ساحل ثراسيا Thracia وعبر مدخل شبه الجزيرة في الموضع الذي يتحكم بها، حيث أُقيم خط ملاحي طوله ميل ونصف، وقد خصص جزء لكل أمه تقوم بحفره، وقد كان الفينيقيون هم أكثر هذه الشعوب دراية بالأعمال البحرية، حيث تمكنوا من توسيع الحفر من البقعة المخصصة لهم وجعلوها علي هيئة مثلث تتجه قاعدته لأعلي، وذلك من أجل منع انزلاق التربة، وردم القناة مرة أخري، وهكذا اتسعت القناة بدرجة كافية لمرور اثنين من السفن ثلاثية المجاديف والتجديف بسهولة، ولم يعد يبقَ من هذه القناة اليوم إلا برك ضحلة متناثرة.

وكان موضع لقاء الجيش بالأسطول في كريتالا Critala ، حيث عبرت جيوش الهاليس Halys خلال فريجيا Phrygia إلي سيلايناي Celaenae ، حيث استولت علي مايآندار Maeander الغنية، وهناك رأوا الجلد المسلوخ الذي يرجع إلي ذبح أبوللو Apollo لمارسياز Marsyas ، ثم عبرت الجيوش إلي بحيرة أنافا Anava المشهورة باستخراج الملح النقي، وإلي كولوساي Colossae التي بها ممر أدني من مستوي الأرض بحوالي 8/5 من الميل، ومنها إلي سيدرارا Cydrara التي تعرف بالأعمدة

التذكارية لكرويسوس Croesus ليميز فرق الحدود مع ليـديا Lydia ، وفيهـا يـتم تصنيع العسل من القمر حتي حلت الجيوش بسارديس Sardis .

وقد حاول الإغريق تكوين تحـالف لمقاومـة الغـزو الفـارسي، ولكـن بـلا طائـل تحت وطأة الرعب الذي حاق بهم، ونتيجة لذلك لجـأوا إلي استشـارة آلهـتهم دلفـي Delphi وأبوللو Apollo ، وقد تفوق الأخـير عـلي نفسـه في إسـبرطة، وهـذا بفضـل العرافين بالطبع الذين كانوا موالين للفرس استناداً إلي التخطيط المسبق لهذه الحملـة العسكرية، حيث حذرهم العرافون من البدء بهجوم جيش قوي تعاد قوته إلي قـدرة زيوس Zeus كبير الآلهة الذي لا تقهره الثيران أو حتي الأسود، وهـذا الجـيش إمـا أن يحول المدينة إلي أشلاء أو يستغني أهلها عن ملوكهم، أما عراف أثينا فلم يكن بهـذه المهارة، حيث سـألهم عـن سـبب تلكـئهم، فمـن الضروري لهـم أن يهجـروا منـازلهم ومدنهم إلي أقصي الأرض، وسوف تدمر النار مدنهم، وتحرق القلاع والمعابـد، ويسـيل الدم الإغريقي أنهاراً سوداء، وخضوعاً لهذه النبوءة المدفوعة الأجر وافق المسـتمعون وطلب منهم أن يتحاشوا عدوهم، وأن يهجروا أرضهم بالرغم من وجود أمـل لهـم في أن تقيهم الجردان الخشبية مـن بـأس عـدوهم، وأن تقـوم الآلهـة المقدسـة وحـدها بالانتقام لهم بقتل الأطفال والنساء، وقد أقنـع ثيميسـتوكليس Themistocles أهـل أثينا بأن المقصود بالجردان الخشبية هي أسطولهم، أمـا أرجـوس Argos الـذي كـان متهماً بدعوة الفرس إلي غزو بلاده بعد أن أذاقه جـيش إسـبرطة هزيمـة مذلـة، فقـد نصحوه أن يتبني سياسة عسكرية محايدة، ولا يتـدخل في مجـري الحـرب الطاحنـة، وقد سأل أهل كريت Crete إذا ما كانوا سـوف يكسـبون الحـرب إذا قـاموا بمعاونـة الإغريـق إخـوانهم في القـارة الأوروبيـة، لكـن العـراف أجـابهم سـاخراً بـألا يكونـوا أغبياء كـما يبـدون أمامـه بالخطـأ نفسـه الـذي سـبق أن وقعـوا فيـه بإعانـة جـيش مينيلاوس Menelaus في حرب طروادة، تلك الحرب التي نـتج عنهـا أن تـم احتجـاز

سفنهم في البحر بقدرة الرياح المعادية لهم، أما بالنسبة إلي جيلو Gelo فقد وعد بالكثير من أنه لو اختاره بنو قومه قائداً أعلي فسوف يرسل ثلاث سفن لمراقبة الموقف واتخاذ القرار الصائب، وقد أدت هذه العوامل إلي إحباط عام في القوات المتحالفة، ومما زاد الموقف سوءاً أن بعض الولايات الإغريقية احتفظت باستقلالها، وفضلت العمل منفردة بما تمليه الظروف الراهنة، وقد أكدت ذلك ثقة الملك التامة بقرارات جيشه، حيث تم القبض علي ثلاثة من الجواسيس الإغريق في ساردیس Sardis (عام 481)، وقد أمر بأن يطلعوا علي كل أحوال الجيوش كاملة، ثم بعد ذلك أمر بإطلاق سراحهم حتي يعودوا إلي ديارهم ويبلغوا من يليهم بأمر الجيوش الغازية.

وفي ربيع عام 480 أقام الجيش معسكره في ساردیس Sardis ، ومنها ارتحل من وادي كايكوس Caicus إلي ميسيا Mysia ، ثم إلي جبل كاني Canee ، ثم إلي كارين Carene حتي وصل أخيراً إلي إيليوم Ilium ، ولم تظهر هذه البلاد مقاومة تذكر لكسركسيس (Xerxes) الغازي لها حتي ساق الملك جبل بريام Priam وقدم قرباناً قوامه ألفاً من الماشية لطروادة - أثينا- معبودة الإغريق، وقام المجوس بإراقة الدماء تقرباً لأرواح من ماتوا دفاعاً عن طروادة، وهكذا أعلن الملك عن نفسه المؤيد الشرقي والمناصر لحرب طروادة.

غزو اليونان:

واصل الجيش زحفه في أوروبا حتي أبيدوس Abydos ، وبينها سيستوس Sestos ، حيث أقام الفينيقيون والمصريون جسرين تمسك بهما حبال غليظة من البردي والكتان، وعندما دمرتهما العاصفة كان القائمون علي حراستها قد فقدوا رؤوسهم كما شيد الإغريقي هاربولاس Harpalcy جسوراً جديدة لعبور السفن التي ترسو متعلقة بالحبال الغليظة مع وجود

فجوات بالجسور لعبور القوارب، وعلي هذه الجسور وضعت كتل الخشب والقماش الغليظ والطمي وبعض الطلاء.

وعندما تجمع الجيش في كورنيث Cornith - تلك التي كان يعدها المتحالفون ضد الفرس نقطة استراتيجية للدفاع- تلقي الحلفاء طلباً من قائدهم المحلي لتوفير قوة مدعمة لحراسة ممر الأوليمب الاستراتيجي، وقد أسرع لنجدتهم جيش هائل بلغ قوامه عشرة آلاف من المشاة السريعين، والذي يعد قوة متحركة لموجهة الطوارئ تدعمه قوة من البحرية من المحافظين، ودعمته أيضاً قوة من فرسان ثيساليا Thesssalia ، وقد احتل وادي تيمب Tempe ، وكما توقعوا، وجدوا أهل هذه المدينة مؤيدين للفرس؛ ولذلك أدي الإسكندر (Alexander) المقدوني خدمة عظيمة للفرس عندما طلب من قوات الحلفاء ألا يستمروا في التواجد هناك، وأن يقاوموا إغراء الملك الفارسي لهم بالاشتباك في معركة كبيرة بالرغم من وجود ملك الفرس في أبيدوس Abydos ، وبعد عدة أيام عادت قوات الحلفاء إلي إيسموس Isthmus .

ومن فوق عرشه الحجري علي تل بمقربة من أبيدوس Abydos ، قام الملك باستعراض الجيش، وحرق البخور علي الجسور، وعند الفجر قدم القرابين، وأسال الدماء من كأسه الذهبية، وصلي ووجه متوجهً نحو قرص الشمس الشرقي، ثم أسال كأسه في البحر، وألقي به الإناء والسيف.

ولمدة سبعة أيام ولياليها، ظل الجنود يعبرون أحد الجسور يقودهم السوط، وكان متاعهم ينقله آخرون، وبالمساندة والتدعيم من القوات البحرية ظلوا في محاذاة الطريق الساحلية في ثلاث فرق، وكانت إمدادات الطعام للجيش مفروضة علي المدن التي يمرون بها، حيث تعدت التكلفة 400 تالانت لوجبة واحدة في اليوم، حيث تم إرسال الرسل إلي تلك المدن قبل شهر من بداية الغزو لإعداد المؤن اللازمة للجيش التي شملت الحبوب والماشية والدواجن للمائدة الملكية، وقد

كان كسركسيس (Xerxes) الملك يتمتع وحده بالإقامة في الخيمة، وبات باقي الجيش في العراء.

وقد أجري استعراضاً للموقف العسكري للمرة الثانية في دورسيسكوس Doriscus التي كانت محتلة منذ حملة سيثيا Scythia ، وقد كانت تقوم علي أمرها حامية عسكرية، ووضعت الآن تحت إمرة ماسكاميس Mascames ابن ميجادوستيس Megadostes ، ومن هذه المنطقة التي تم بها تقييم الموقف العسكري تم تقسيم القوات العسكرية إلي ثلاث فرق تزحف في خطوط متوازية، إحداها تحت قيادة ماردونيوس Mardonius وماسيستيس Masistes علي أن يظل محاذياً للساحل، وعلي اتصال بالأسطول البحري، وكانت الفرقة الثانية تحت قيادة سمردومينيس Smerdomnes وميجابايزوس Megabayzus يحرسون الموكب الملكي إضافة إلي الفرقة الأولي، وكانت الفرقة الثالثة تحت قيادة تريتانتايكميس Tritanaechmes وجيرجيس Grgis يزحفون في العمق الأرضي من أجل مزيد من الأمان للأسطول والموكب الملكي الواقع بين الفرقة الأولي والثانية، وقد تم عبور منطقة ستريمون بالجسور، بينما قام المجوس بتقديمهم قرابين من الخيول البيضاء، وسكب دمائها في المجري المائي طلباً للفأل الطيب، وفي ملتقي «الفرق التسعة» تم تقديم القرابين (تسعة أطفال تقرباً لآلهة العالم السفلي)، وقد لقي أرتاكاييس Artachaees - الذي قام بحفر القناة- حتفه قبل أن تعبر الجيوش هذه القناة التي خصصت لذلك الغرض، ومن أجل الخدمات الجليلة التي قدمها للفرس تم سكب القرابين علي قبره، وارتباطاً بهذا التكريم تم وضع 300 من عملة الدارك الذهبية التي تحمل اسم دارا (Darius) وابنه وعند ثيرما Therma تم تقديم الرسل لحفنات من الماء والتراب إلي الملك علامة علي الاستسلام والتخلي عن الأرض، وقد أظهر الاستيلاء السهل والسريع لمدن ثيسالاي Thessaly ولوكري Locri ومنطقة بويوتيا Boeotia

عن التكتيك العسكري الذي يتبعه الإغريق، حيث كانوا يتركون هذه الأراضي من أجل تجميع قواتهم استعداداً لمعركة فاصلة، واستنزافاً لقوي الفرس بالزحف في بلادهم، وبذلك لم تحدث أية مقاومة جادة في شمال منطقة إيستموس Isthmus .

وقد بدا النصر مؤكداً للفرس، وفي متناول أيديهم ليس فقط علي أساس سيطرتهم علي المدن الإغريقية في آسيا وإفريقيا والاستيلاء علي سفنهم وضمها إلي البحرية الفارسية، ولكن أيضاً بناءً علي السيطرة علي نصف البلاد الإغريقية في أوروبا، تلك البلاد التي استسلم أهلها للجيش الفارسي الذي لا يقهر - حسبما ظن الفرس- وكانت باقي الولايات الإغريقية مترددة في الاستسلام أو البقاء في موقف حيادي تجنباً لويلات الحرب، حيث كان واضحاً أن المنطقة الواقعة شمال إستموس Isthmus قد تم التخلي عنها، وقد كان أبوللو Apollo ملك ديلفي Delphi صديقهم الملكي الذي أكد أنه عن طريق الضغط العسكري الفارسي سوف تتحول أوروبا إلي المعسكر الديمقراطي المناهض للاتجاه إلي المحافظة والذي يقود الحرب ضد الفرس، ومع بقاء الأسطول الأثيني في يد الفرس، فإن سور مدينة إيستموس Isthmus سوف ينهدم ويتحول الولاء للفرس بعد السيطرة علي هذه المنطقة الاستراتيجية، وبالتالي سوف تعلن أرجوس Argos عن ولائها للفرس صراحة، وسوف يتم إلحاق الوقيعة بين إسبرطة وكورنث Corinth ، وسوف تُهزم كلا الدولتين إذا حاربتا منفردتين.

الموقف في ثيرموبيلاي Thermopylae :

وبتواصل تقدم الزحف في الاتجاه الجنوبي تغير الموقف العسكري بخسارة ثيسالي Thessaly التي جعلت ليونيداس Leonidos يبتعد باتجاه الشمال أكثر حتي ثيرموبيلاي Thermopylae بواسطة 300 من مقاتلي إسبرطة، وبعد قوات الدعم من التحالف، ولكن أعلن هذا العدد الصغير

أن هدفه كان المناوشات في مؤخرة الجيش الفارسي، تلك التي تهدف إلي تأخيره وتعطيله وليس إيقافه حتي استكمال سور إيسثموس Isthmus ، وقد حول أبوللو Apollo ملك دلفي Delphi موقفه إلي الولاء الوطني لقومه نتيجة عامل الخوف، وأطلق العرافون نداءً أن الإغريق عليهم أن يصلوا إلي آلهة الريح حتي تكون قوة مناصرة لهم تشد من أذرهم.

وقد اتخذ أسطول الحلفاء موقعه عند أرتيميزيام Artemeium ، لكنه تراجع إلي خليج يوربيوس Euripus عندما أشارت إشارات النيران إلي اقتراب التقدم الفارسي، وقد بدأ الأسطول مسيرته من سيباس Sepias ، وعند الفجر هبت الرياح القوية عند هيليزبونت Hellespont ، واستمرت لمدة ثلاثة أيام مدمرة مئات السفن الحربية وسفن النقل وقوارب الحبوب، وقد عادت السفن التابعة لقوات التحالف إلي أرتيميزيام Artemesium ، لكن لم تشجع هذه الإشارة التي وصلتهم إلي تأييد الحظ لهم، وذلك بتدمير جزء كبير من أسطول الجيش الفارسي، ولم يشجع ذلك علي مهاجمة الأسطول الفارسي ومحاولة الإجهاز عليه، ولكن طلب منهم الانضمام إلي قوات بيلوبونيسيا Peloponnesia في إيسثموس Isthmus ، وقد أغري تلكؤ الجيش الملك بأن يبقي لكسب نصر في هذه المنطقة الاستراتيجية، وكسب شهرة تضاف إليه، وقد وصل كسركسيس (Xerxes) ، وأمر أهل ميديا وصقلية بأن يقوموا بمهاجمة القوة العسكرية الصغيرة في ثيرموبيلاي Thermopylae ، لكن قواته تعرضت لخسارة فادحة، وكذلك تعرضت قوات الخالدين تحت قيادة هيدارنيس Hydarnes للخسارة المهينة نفسها، ثم تم الإبلاغ عن جود جسر في مؤخرة الجيش، وذلك تمهيداً لهروب القوات المواجهة للفرس، لكن تمكنت قوات الخالدين من مفاجأة حراس هذا الجسر عند الفجر، لكن الإسبرطيين دافعوا عن أعناقهم ببسالة، حيث كانت حربهم يائسة، ولم يعد أمامهم سوي القتل إما بالحرب أو بالأسر، حتي إن كثيراً من البحارة من

الفرس قد ماتوا من وقع التدافع تحت وطأة السياط والمقاومة الباسلة من الطرف الآخر، ومن بين من ماتوا تحت وقع الأقدام اثنان من أبناء دارا (Darius) الملك من زوجته فراتاجون Phratagune ابنة أخيه أرتانيس Artanes ، وأخيراً قتل ليونداياس Leondias القائد الإغريقي، واستولي قائد قوات الخالدين هايدارنيس Hydarnis علي مؤخرة الجيش الإسبرطي، وحوصرت قوات طيبة، وتم عزلها، وأُعيد فتح الجسر.

وفي الوقت نفسه تم إصدار الأوامر إلي 200 سفينة بأن يقوموا بالدوران حول يوبويا Euboea لمهاجمة الحلفاء من المؤخرة، لكن السر انكشف، ونجح مقاتلو يوبويا Euboea في دفع رشوة إلي قادة السفن للتخلي عن تنفيذ خطتهم، ولم تظهر هذه القوة المغيرة، وقرر أسطول الحلفاء أن يهاجم الفرس مرة أخري في أرتيمسيام Artemesium ، وقد استولت قوات الحلفاء علي ثلاثين سفينة فارسية إضافة إلي عاصفة رعدية شبيهة بالإعصار ساهمت في تحطيم جزء كبير آخر من الأسطول، وفي اليوم التالي غرق نصف أسطول صقلية.

ولذلك قرر كسركسيس (Xerxes) أن يستولي علي منطقة المضايق مهما تكن التضحيات، وعند حلول الظهر كان الأسطول الفارسي كاملاً يتقدم في شبه دائرة إلي هذه المنطقة، وقد استولي المصريون علي خمس سفن، وتم إعطاب نصف سفن أثينا، وعند نهاية اليوم وصلت الأخبار بأن ثيرموبايلاي Thermopylae كانت مفتوحة؛ ولذلك تراجعت قوات الحلفاء تمهيداً لانسحابها.

وقد تم تخريب فوسيز Phocis تماماً بناءً علي إلحاح ثيسياليا Thessalia ، ودخل الفرس سلمياً إلي بيوتيا Boeotia التي كان يحكمها الإسكندر (Alexander) المقدوني، وقد استولت كتيبة متحركة علي الطريق المؤدية إلي ديلفي Delphi إما لمواجهة أبوللو Apollo علي بثه العرافين المؤيدين للفرس، وتدعيم جهوده المستمرة، أو للاستيلاء علي

كنزه كما فسر الكهنة فيما بعد بقول ذي معقولية كبيرة، وكما دعوه الكهنة فإن الإله حفظ ملكه، وبناءً علي ذلك، شن هجوماً مضاداً علي قوات الفرس الذين وصفهم بالبربرية، وأوقع بهم خسائر ضخمة ومذابح عظيمة، وتلك علي الأقل كانت الرواية التي نشرها أتباعه بعد أن تمت هزيمة الفرس.

وقد قام الملك كسركسيس (Xerxes) بحرق بلاد بلاتيا Plataea التي هجرها أهلها، وقد لقي عمله استهجاناً كبيراً حتي من أتباعه، وذلك قبل أن يقوم الملك بالاستيلاء علي أتيكا Attica ، وقد وجدها أيضاً مهجورة؛ لأن جيش الحلفاء قد أرسل الأسطول فقط إلي أتيكا Attica ليس من أجل الحرب، ولكن من أجل إخلاء المدنيين، حيث كان القادرون علي حمل السلاح فعلياً متواجدين في ساحة الحرب، وقد بقي قليل من المتعصبين وراء اللوحات الخشبية بعد أن رفضت قوات الغزو شروط المحاصرين، كما رفضت أيضاً شروط هيبياس Hippias القائد الفارسي، ومن ثم صعد التل المشرف علي المدينة، وقام بإعداد أولئك الذين بقوا متحصنين بمعبد أثينا، وقد أحرق مدينة أكروبوليس Acropolis قبل أن يتم السماح للفينيقيين الذين وصلوا مع قوات الجيش بتقديم القرابين فيها وإسالة الدماء.

تقييم الموقف في سالاميس Salamis :

انطلق الأسطول العظيم من فاليروم Phalerum ، ومن ثم تملك الرعب الحلفاء، حيث كانت سالاميس Salamis فيما يبدو فخًّا لهم؛ ولذلك قرر الحلفاء فك ارتباطهم بالحلف تحت وطأة المعارك الطاحنة وتخوف من آلة الحرب الفارسية الجبارة، ولم يبقَ غير جيوش أثينا وإيجينيتا Aegineta والميجاريان Megarian ، وبقي لديهم التهديد بأن يقوم ثيميستوكليس Themistocles بالإبحار هارباً بالأسطول الأثيني

ومعرفتهم بأن القائد الديمقراطي كان قادراً علي تنفيذ تهديده بجعل الأدميرال يوريبياديس Eurybiades قائداً عاماً لإدارة الاستعداد للمعركة الفاصلة.

وفي المجلس الفارسي عارضت أرتيميسيا Artemesia أحد القادة الهجوم العاجل، حيث كانت كل العوامل مهيأة لنجاح الحملة، ولم يكن هناك أي داعٍ للعجلة، حيث تفقد إسبرطة الحليف تلو الآخر، وأن الشروط التي يضعها باقي المتحالفين تعد تعجيزية بالنسبة إلي الباقين، مما يعد تنامياً للاتجاه المؤيد للفرس، بالإضافة إلي أن سفن أثينا كان يقودها أفراد عاديون، ويشرف عليها أحد القادة من الحزب الديمقراطي، وكان من المفترض أن يعود ثيميستوكليس Themistocles إلي اتجاهه الطبيعي المناهض للحكام المحافظين؛ ولذلك كان المتوقع تحت وطأة أتون الحرب أن تبقي أثينا وحدها في قلب ميدان المعركة حتي تستسلم في النهاية، وقد بدأت القوات الفارسية في بناء طريق موصل إلي إيثسموس Isthmus ، وكان الفرس متأكدين من أن هذه المنطقة الاستراتيجية هي آخر النقاط التي تشهد مقاومة حقيقية، مما يعد سحقها إيذاناً بإعلان النصر النهائي، وبالتالي فور انتهاء انعقاد مجلس الحرب الفارسي شرعت الجيوش في الاتجاه إليها.

وقد وصلت أخبار هذه الاستعدادت إلي ثيميستوكليس Themistocles ، حيث روي أطفاله فيما بعد أنه كان تواقاً لكسب نصر لبلده، وإضافة مجد شخصي إلي سجله الحافل، وقد كان الإغريق يسودهم شعور بالإحباط وعلي استعداد للهرب وترك ملكهم يواجه مصيره، ولا يمكن أن تمنعهم أية قوة من الفرار والنجاة بأرواحهم، حيث تفكك الجيش والقيادات، وانهارت الدولة، ولمن يكن لدي كسركسيس (Xerxes) أي شك في مظاهر الولاء له لكونه الفاتح المنتصر.

ولكن كل قرارات الحرب العاجلة كانت خطأ فادحاً، فإذا لم يقم

الملك الفارسي باتخاذ أية خطوة من قبله، فإن باقي المتحالفين كـانوا في سـبيلهم إلي التراجع والتواري عن ويلات الحرب، وخوض معارك خاسرة، وكانـت البقيـة الباقيـة منهم سوف يكون عليها قبول شروط المنتصر، وسوف يكون آخـر معاقـل المقاومـة في إيشسثموس Isthmus عرضة للانهيار عـلي مـن يحتمـي وراءهـا، وسـوف تبقـي جيوب قصيرة تزول سريعاً بالتطهير.

وبالفعالية نفسها، تقدم الملك الفارسي، ثم تم إغلاق المنفذ الشرقي الذي كان يعد طريق الهروب للقوات الإغريقية، وقد تم إحكام الحصار عليـه بواسـطة خـط ثلاثي من السفن، حيـث كـان المصريـون سـادة هـذا الموقـف، فقـد وصـفوا بـأنهم «سكان المستنقعات والبحارة المهرة والمجدفين الأقوياء»، حيث أبحرت 200 سـفينة لسد المنفذ الغربي ومهاجمة مؤخرة قوات التحالف، والآن أصبحت القوات البحرية محاصرة بين المطرقة والسندان، ويمكن أن تترك بدون تـدخل حتـي نفـاذ مئـونتهم وانهيارهم المعنوي بالمراقبة المستمرة، وانتظار مصيرهم المحتـوم بالهزيمـة، وسـوف يكـون علـيهم إمـا أن يستسـلموا قـابلين شروط المنـتصر، أو أن يقومـوا بمحاولـة انتحارية لكسر الحصار، وسوف يكون هناك مع الوقت أيضاً فرصة سانحة لاصطياد هذه السفن واحدة تلو الأخري، وبناءً علي حقائق موقف المعركة كان لدي الفـرس مبرر قوي لإرسال قوات المشـاة والفرسـان لخـوض المعركـة الفاصـلة، ولسـوء حـظ الفرس كان الملك غير متقبـل لأن يغـادر وحـده، بـل أراد أن يعـود إلي وطنـه وقـد حقق مجداً يضاف إلي أمجـاده؛ ولـذلك أصـدر أوامـره بشـن الهجـوم النهـائي عـلي القوات المحاصرة التي تحارب حرباً يائسة، وليس لديها ما تـبكي عليـه، وقـد هـبط المشاة علي جزيرة بيسيتاليا Psyttaleia وسط المضيق لقتل من قد يحـاول الهـرب، وقد علم القائد الإغريقي بإتمام الحصار حوله، ومن ثم أعد قواته للمعركة النهائية.

وفي الثاني والعشرين من شهر سبتمبر استعد الملك الفارسي لمشاهدة وقائع المعركة من فوق عرشه الفضي المنصوب علي مرتفع تل محاذٍ للمضيق، وقد همت قوات التحالف بالخروج من المضيق هرباً، لكن كان عددهم قد سد طريق الهرب، وقد بدأ المعركة أحد جنود أثينا، وكانت البداية ناجحة للهجوم الفارسي، حيث أحدث الإغريق من أيونيا خسائر فادحة بقوات إسبرطة، وبعدها أحس جيش أثينا بسوء موقفه، فقامت القوات بهجوم انتحاري تمكنت خلاله من كسر الحصار الفارسي ومهاجمة الغزاة، حيث فقدت 200 سفينة، وهو ما يعادل ثلث الأسطول الكبير، أما قوات التحالف فقد خسرت فقط أربعين سفينة، وقد غرق عدد هائل من البحارة من القوات الفارسية؛ لأنه كانت أقلية منهم تجيد السباحة، وكان من بين الذين لقوا مصرعهم القائد الفارسي البحري أريابجنيس Ariabignes - وهو أخو الملك- وقد عبر أريستيديس Aristides بالقوات المتحركة الحقيقية إلي بيتراليا Psytraleia وقام بذبح كل من فيها من الفرس، وبينهم ثلاثة من أبناء إخوة الملك كسركسيس (Xerxes) .

أخطاء دبلوماسية فادحة:

كانت جبهة سالاميس Salamis نقطة فاصلة في تقدم القوات الفارسية، ولم تفقد أيًّا من الأراضي التي اكتسبوها، وكان الجيش ما زال يتمتع بالحيوية الحربية والمقدرة القتالية، وكان الأسطول ما زال محتفظاً بقوته، ولكنه في حاجة فقط إلي إعادة التنظيم، وكان الحلفاء قد استرجعوا روحهم المعنوية بهذا النصر غير المنتظر، ولكن كان العدد قد انخفض كثيراً، وكان من المؤكد أن الهزيمة كانت لا مناص منها إذا استمرت الحرب لفترة أطول.

وما جعل سالاميس Salamis محورية ليس النصر في حد ذاته، لكن في تأثيره علي فكر كسركسيس (Xerxes) بالرغم من كونه المسؤول الوحيد

عن الهزيمة عندما أمر بإكمال حصار القوات التي كانت في طريقها إلي الفرار من أرض المعركة، فقد فقد الملك صوابه، وأمر بإعدام قادة السفن الفينيقيين؛ وذلك اتهاماً منه لهم بالتردد والجبن، ثم تبعهم المصريون، وكانت ترجع إليه هذه الهزيمة المعنوية وليست الهزيمة العسكرية فقط، مما جعل من بحر إيجة منطقة مفتوحة لقوات التحالف، وسمح بتأجيل العمليات العسكرية الحاسمة للعام المقبل.

ولكن بالدراسة المتروية نجد أن معركة سالاميس Salamis كانت لها فائدة عظيمة للفرس، وقد أسرع الملك الفارسي عائداً إلي سارديس Sardis عن طريق البر نتيجة لإحباطه من هذا الفشل العسكري، وقد ظل طوال العام التالي يراقب أحوال أيونيا Ionia ، وقد انتقل الإشراف العسكري علي المعركة مباشرة من الملك غير المؤهل لقيادة الجيش إلي قائد الحملات العسكرية المحنك ماردونيوس Mardonius الذي كان يحتفظ لنفسه بقيادة أحد الجيوش التي تشمل قوات الخالدين وأهل فارس وميديا Mede وباكتريا Bactria والهنود، وكانت غالبية وقوام هذه القوة العسكرية من الإيرانيين، وقد كانت هذه القوات من أفضل العناصر القتالية، وحتي مع قلة عدده بسبب الخسائر الحربية فقد كان يفوق عدد أفراده تعداد قوات التحالف مجتمعة، وكان يدعمه عدد يناهز نصفه من قوات الإغريق، وهناك جيش ثانٍ تحت قيادة أرتابازوس Artabazus ابن فارناسيز Pharnaces الذي يتولي حراسة الطريق المحاذي للبحر الذي يتم عن طريقه فقط إرسال الإمدادات والمؤن، وكان هناك جيش ثالث تحت قيادة تيجرانيس Tigranes الذي يحافظ علي هدوء أيونيا Ionia.

وقد قامت بوتيدايا Potidaea بالثورة وهددت أولينثوس Olynthus أن تحذو حذوها، لكن أرتابازوس Artabazus استولي عليها وعين عليها حليفاً للفرس، وقد قاد أحد الفصائل العسكرية لفتح بوتيدايا Potidaea ، لكنه رجع سريعاً، إما لغرق سفنه أو لذبح بحارتها وهم في قواربهم.

ومن معسكره الشتوي في ثيسالي Thessaly أرسـل مـاردونيوس Merdonius إلي خصمه الإسكندر (Alexander) المقدوني عارضاً عليه الصفح التام وإعـادة بنـاء المعابد المدمرة واستعادة الأراضي التي احتلها مـع أيـة أراضٍ إضـافية يرغـب فيهـا، وتحالفاً علي قدم المساواة كولايات ذات استقلال وحكم ذاتي، وهذا العرض الكـريم كان يعجب الطبقات التي تشكو من قسوة ظروف الاحتلال وإضافة أعباء وضرائب جديدة عليها وفقدان القليل المتبقي لديها.

لكن الحزب الديمقراطي كـان قـد خسر الكثير؛ ولـذلك كتـب ثيميسـتوكليس Themistocles خطاباً إلي الملك العظيم يطلب منه غزو سالاميس Salamis ورغم ذكائه فلم يصدقه أحد، وفي منفاه قال إنه عمل ذات مرة كأحد أنصار الفـرس، وفي هـذه المـرة تـم تصـديقه، وقـد كـوفئ بواسـطة أرتاكسركسـيس Artaxerxes ابـن كسركسـيس (Xerxes) ، وهـذا العمـل أعطـي مصـداقية ومكانـة أكـثر لحـزب المحافظين، وكان للعرافين دور كبير في ذلك أيضاً وقد أرسل حكام إسـبرطة السـفراء يحملون لوماً شديداً لأثينا للبداية السيئة للحـرب عنـدما سـاعدوا متمـردي أيونيـا Ionia ، مما استثار حكامها وأطال مدة الحرب، وقد رفض حكام أثينا العرض الـذي حمله الإسكندر (Alexander) لهـم، وطلبـوا منـه إعـداد الجـيش لاسـترداد بيوتيـا Boeotia ، والاستعداد لصد هجوم ضد أتيكا Atica .

وقد رفض ماردونيوس Mardonius الاستجابة لنصائح معاونيه بـأن يبقـي في بيوتيا Boeotia ، وأن يقوم باستمالة الإغريق المتأرجحين في ولائهم لأثينـا بالرشـوة، وهذا كان نتيجة لمعرفته بالطباع الشخصية لهـذه الشـعوب، وكـان رفضـه أحـدي أخطائه المتعددة.

وبعد عشرة شهور من أولي غاراته علي الإغريق في يوليـو أصـبحت أثينا مرة أخري بيده وتحت رحمته، حيث أدي فشل حكام بيلوبونيسيا

Poloponnesia في تـوفير الـدعم الكـافي إلي دفـع السـكان للجـوء إلي السـفن أو الهرب من سالاميس Salamis .

وقـد كـرر مـاردونيوس Mardonius مقترحاتـه عـلي أمـل أن يجـبر أعـداءه بوجوده وسط جيشه علي الخضوع والاستسلام، لكـن الداعيـة الـديمقراطي للسـلم كان قد قتل مع أسرته وأطفاله رمياً بالحجارة بواسطة المتعصبين، لكن مـاردونيوس لم يفقد الأمل، وكالعادة كان أهل إسبرطة يحتفلون بالنصر واستكمال سور إيثموس Isthmus ، وقد أظهرت هذه الاحتفالات الصاخبة أنهم لم يسـتوعبوا بعـد حقيقـة الموقف الذي كان لا يزال يميل إلي كفة الجيش الفارسي، وهذا كـان سـيدفع أثينـا - رغم معارضة المحافظين- إلي الارتماء في أحضان الغزو الفارسي، وأخيراً - وبعد تردد- أخبروا حليفهم أن ذلك الانضمام إلي المعسكر الفارسي هـو مـا ينـوون فعلـه، لكـن الرسل كانوا قـد تـأخروا وعـادوا بمعلومـات تفيـد بـأن القـوات الفارسـية كانـت في الطريق إليهم بالفعل، وهكـذا ظـل التحـالف قائمـاً، وفي اللحظـة الأخـيرة يبـدو أن الأقدار كانت في صالحهم، وانتزعت نصراً آخر من الفرس، فقد وصلت هـذه الأنبـاء إلي ماردونيوس عن نية لفك تحالف إسـبرطة وأثينـا، وحتـي الآن لم يقـم بتخريـب أتيكا علي أمل أن يعطي وقتاً لهذه الفرصة حتي لو كان التحالف معه عـلي أسـاس غير قوي من الولاء، وبعد أن خاب أمله في ذلـك قـام بحـرق مـدن تتبـع أثينـا، ثـم تراجع إلي بويوتيا Boeotia ، حيث يستطيع تأمين الإمـدادات لجيشـه، وقـد قطـع الأشجار من أجل تكوين المتاريس الخشبية علي مساحة ميل مربع، وظل بها مترقباً تحركات العدو.

الهزيمة في بلاتيا Plataea :

تقدمت قوات الحلفاء خلال أتيكا Attica ، وعسكرت بحـذر أمـام القوات الفارسية في المنحدرات الشمالية في شيايرون Cithaeron ، وقـد

قامت أسراب عسكرية بشن غارات علي الأراضي المنخفضة التي كانت قوات التحالف تعسكر بها، وكانت تعد أضعف خطوطهم الدفاعية، وكان الهدف من ذلك هو قطع طريق الإمدادات علي هذه القوات، لكن الإمدادات العسكرية أدركت قوات التحالف، ووقع القائد الفارسي من فوق حصانه، وتم ذبحه، وهكذا احتفظت هذه القوات التابعة للتحالف برمح ماسيستيوس Masistius الذهبي وعباءته، وكذلك تاجه الذهبي كغنائم للحرب، وكدليل علي هزيمة الفرس، وقد شجعهم ذلك النصر الأولي علي النزول إلي أرض أكثر انخفاضاً، حيث يسهل الحصول علي الماء وإقامة المعسكر، وقد نهض الفرس للقائهم حيث حث العرافون الجانبين علي ذلك ووعدوهما بالنصر.

ومرة أخري نصح أرتابازوس Artabazus القائد ماردونيوس Mardonius بأن يتراجع ويستخدم الرشوة لشق صفوف التحالف، ومرة أخري أخطأ القائد برفضه لهذه النصيحة، فقد كان الجيش الفارسي يفوق عدوه عدداً، وأفضل منه من ناحية المواقع التي يحتلها، حيث أصبح النصر الحاسم في متناول اليد، فقد كان وضع قوات التحالف بائساً، حيث تحملوا الخسائر المستمرة نتيجة للغارات المستمرة لقوات الفرسان، حيث تمكنت هذه القوات من قطع طريق الإمدادات والمؤن القادمة من الوطن، وألقوا القبض علي القوافل الغذائية المطلوبة بشدة والقادمة لقوات لتحالف، حتي أصبح الطعام نادراً، وقد قاربت شعلة العالم الغربي علي أن تنطفئ بسبب الإعصار الفارسي، كما عاني الجنود من العطش الشديد، وبالتالي قرر القادة أن يهربوا تحت جنح الليل، وكان تراجعهم في فوضي بسبب رعبهم، لكن كان للعناد قول آخر، حيث أُعيق هروبهم، ولو كان سمح لهم بالانسحاب فقد كان مصير الحرب هو التسليم بشروط المنتصر، وكان مصير التحالف هو الانهيار المحتوم، وكان يتم إخضاع كل الدول واحدة تلو الأخري.

ومرة أخري قدمت الأقدار لقوات الفرس فرصة إنهاء الحرب نهاية حاسمة، لكن كان لقدرة المقاتل الإغريقي القول الفصل، حيث إن القائد العسكري الفارسي قد أساء تقدير قدرته الفردية، حيث يقاتل في حرب يائسة دفاعاً عن رقبته، ويستند إلي حماية الجبال وراء ظهره، وهكذا أغري التفوق في العدد والحصار القائد الفارسي بمحاولة إحراز نصر رائع سريع، وألقي جانباً السياسة الحكيمة للتقدم البطيء.

وعلي فرضية أن التراجع العسكري يعد مثاراً للخجل والعار، قاد ماردونيوس Mardonuis قواته إلي الأمام، ولم يتوقف حتي لتنظيم صفوف الجيش استعداداً للمعركة، وعند تلاقي الجنود أقام الفرس حائطاً من الدروع النباتية التي من خلفها تنهمر دفعات من السهام علي أعدائهم، وقد طلب جنود بوسانيوس Pousanius العون من أثينا، والذين أسرعوا إلي نجدتهم، ولكن تمت إعاقة تقدمهم بالحصار المحكم حول ميدان المعركة، وكان الموقف شاقًّا علي جنود التحالف، حيث قوبل كل من تمكن من اجتياز حائط السهام بسيوف المحاربين وحرابهم، وقد أظهر الفرس بسالة في الحرب، حيث كانوا ينتزعون من أيدي القوات المحاربة الحراب بأيديهم الخالية من السلاح، ولم يمنعهم نقص العتاد الدفاعي من أن يشنوا غارات متواصلة علي عدوهم الجيد التحصين، وفي أثناء ذلك قام القائد الفارسي ماردونيوس Mardonius بأخطر وآخر خطأ في حياته، حيث دخل إلي خضم المعركة شخصيًّا، وتم ذبحه مع حراسه الشخصيين البالغ عددهم ألفاً من خيرة الجنود من الفرس.

وقد لاذ الفرس بالهرب بعد موت قائدهم إلي المعسكر المحاصر، وعندما علم الإغريق بفرار الفرس من أرض المعركة اخترقوا الحصار المفروض علي جنودهم للمشاركة في النصر والغنائم، حيث وصلت قوات الدعم بأمان لهم، وقد لاذ الجند بالممرات، وقاتل من تبقي من

الأبراج، وقد مالت الكفة تماماً لصالحهم عندما وصلت قوات الدعم من أثينا بالرغم من أن جنود تيجيان Tegean كانوا أول من اخترق الحصار؛ ولذلك كانت غنائم القائد ماردوينوس هي المكافأة المستحقة لهم، وقد ذبح الفرس بلا رحمة وأصبح القائد بوسانياس Pausanias بطلاً قوميًّا، حيث لم يحلم أحد بذلك خاصة أنه منذ عام فقط كان يتآمر لخيانة بني وطنه من الإغريق من أجل أن يحصل علي شرف كاذب بإدعائه بأنه زوج ابنة الملك الفارسي.

وفي أعقاب المعركة تجمع القواد العسكريون ممثلين لبلادهم في بلاتايا Plataea ، وكونوا تنظيماً جديداً، وكان من الطبيعي أن يرأسه بوزانياس Pausanias كقائد إسبرطي منتصر في المعركة حديثة الوقوع، ولكن كان مؤسس هذا التحالف هو الأثيني أريستيديس Aristeides ، وتوصل المجتمعون إلي أن الحلف السابق لا بد أن يبقي ويتوسع، وأن يجتمع ممثلو هذه الدول كل عام من أجل الاحتفال السنوي بهذا النصر المجيد، والعمل علي الانتهاء من الحرب ضد «البرابرة»، وذلك بتخصيص رسوم كموارد للإعداد للضربة القاضية للفرس، وأن تنقسم القوة المكونة للحلف إلي عشرة آلاف من الفرسان خفيفي الحركة، وألف من الفرسان ومائة سفينة، وهذه القوة تكون معدة لمساندة أية دولة منهم تكون في حالة حرب ضد الفرس، وكانت إسبرطة تنفرد بزعامة هذا الحلف.

ومثل المعارك السابقة لم تكن معركة بلاتايا Plataea نفسها هي الفاصلة، حيث اشترك بها أحد الجيوش الفارسية فقط، ولكن الجيش الثاني لم يشارك في هذه المعركة، وقد قام الفرس بخطأ آخر من سلسلة الأخطاء الفادحة التي شهدتها هذه الحرب، فبدلاً من إلقاء ثقلهم وتعبئة الجيش الثاني لمهاجمة جيش الحلفاء المرهق الذي مزقته الحرب والقضاء عليهم بصورة سريعة وإجبارهم علي التراجع إلي مواقعهم الدفاعية، بدلاً

من ذلك تراجع قائد الجيش الثاني أرتابازوس Artabazus إيذاناً بخسارة الفرس للحرب في أوروبا، وذلك بسبب أنباء وصلت إليه من آسيا.

كارثة في ميكالي Mycale :

في ربيع عام 479، تم تكوين أسطول لقوات التحالف، وكانت قوات الدعم من أثينا تحت قيادة زانثيوبوس Xanthippus ؛ لأن ثيميستوكليس Themistocles - بالرغم من شهرته كقائد منتصر في معركة سالاميس Salamis- لم ينج من الشكوك التي لحقت به من التآمر مع قوات الفرس ضد بلاده، وهذا ما دعم مركز حزب المحافظين في الحكم لاتهام خصمهم السياسي بالتآمر، وفي البداية كان قادة سفن التحالف لا يجرؤون علي الإبحار وراء ديلوس Delos ، حتي عندما أُتيحت لهم الفرصة بترحاب قائد ساميان Samian بهم، فقد كان نصف الأسطول الكبير متاحاً للملك كسركسيس (Xerxes) ، لكنه كان مكوناً بصورة كبيرة من أهل أيونيا Ionia الذين فقدوا معظم ولائهم بسبب ما حدث في سالاميس Salamis ، ولكن تحت قيادة جديدة لماردونتيس Mardontes تجرأ الأسطول ودخل ساموس Samos .

وقد استجمع الحلفاء شجاعتهم، وقاموا بزيارة هذه الجزيرة، وتراجع الفرس، وقد سمح للفينيقيين - غير الراضين بعد إعدام قادتهم في معركة سالاميس Salamis - بالرجوع إلي وطنهم، أما الآخرون فقد سحبوا سفنهم إلي شاطئ ميكالي Mycale ، حيث كونوا بها متاريس من الأحجار وجذوع الأشجار، وأحاطوها بخندق كبير بجانب حماية الجيش الثالث المجاور لهم الذي كان يرأسه تيجرانيس Tigranes ، وقد واصل الحلفاء مطاردتهم، وقد استدعي أهل أيونيا Ionia للثورة وكانوا الساميان Samian ، وقد جردوا من سلاحهم بواسطة الفرس لشكهم بهم، كما كان أهل ميليسيا Milessia في حالة غضب بسبب خيانة أبوللو لهم Apollo ، وقد

أرسلوا لحماية السفن الفارسية، وفي السابع والعشرين من أغسطس عـام 479 شـن الحلفاء هجومهم، وفي أعقاب مقاومة مستميتة اخترق الأثينيون الأسوار الدفاعيـة، وقاموا بمطاردة فلول الهاربين من أعدائهم إلي منطقة حصينة محاصرة، وبينما كـان الرعايا الفرس الوطنيون إلي آخر رجل منهم، ومات معهم القادة الكبار ومنهم قائد الجيش الثالث تيجـرانيس Tigranes ، وتـم حـرق السـفن والمتـاريس، وبنـاءً عـلي طلبهم، اسـتقر أتبـاع أبوللـو الـذي خـان الفـرس في سـوجديانا Sogdiana ، حيـث شيدوا عاصمة لهم، وقد ظل عراف أبوللو صامتاً.

وقد عاد الحلفاء إلي ساموس Samos ، وعقدوا مجلسهم، وكان اقتراح ممثل بيلوبونيسـيا Poloponnesia أن يقـل أهــل أيونيـا Ionia إلي بــلاد الإغريــق الأوروبية، وهذا الاقتراح رفضه الأثينيون، لكنهم وافقوا علي انضمام شعوب ودول جديدة إلي حلفهـم المنـتصر، وفشـلاً في إدراك أن معركـة ميكـالي Mycale كانـت معركة فاصلة، فقد أبحـر أسـطولهم إلي هليلزبونـت Hellespont لمعرفـة إذا مـا كان يوجد خطر يواجههم من غزو جديد، ولقطع الجسور التي عبر عليها الفـرس، لكنهم قرروا أن يستعيضوا عند ذلك بتأمين سيستوس Sestos التـي كانـت تحـت قيادة الوالي الفارسي أرتايكستيس Artayctes ، وقد استمر الحصار طـوال الشـتاء حتي اضطرت القوات المحاصرة إلي التخلي عنه، وقد هرب الوالي الفـارسي آمـلاً في اللحـاق بأرتابـازوس Artabazus ، وقـد انتقـل جيشـه بـدون مقاومـة إلي أيونيـا Ionia المنزوعة السلاح، وعبر البوسفور، وقد قبض علي قائدهم الفـارسي الهـارب، وقدم كقربان لآلهتهم المحلية، كما ألقي القـبض عـلي أرتايكسـتيس Artayctes ، وصلب؛ وذلك لقيامه بمصادرة ثروات المعبد في إيلايوس Elaeus ، ثم أبحر جنـود أثينا إلي وطنهم حاملين الحبال القوية التي كانت تعلق عليها الجسـور كتـذكارات لنصرهم، وكان ذلك في عام 479، وقد كانت معركة ميكالي Mycale في الحقيقة هـي

المعركة الفاصلة وليست بلاتايا Plataea ، حيث دمرت هاتـان المعـركتين اثنـين مـن جيوش الفرس نهائياً، وكان علي الجيش الثالث أن يغادر أوروبا ليقوم بحراسة غرب آسيا، وبذلك صدق الإغريق أنفسهم عنـدما زعمـوا أن آلهـتهم هـي التـي حاربـت دفاعاً عنهم ونصرتهم، لكن الحقيقة أن الفرس هم الذين خسروا الحرب مـن تلقـاء أنفسهم، وذلك بالأخطاء الفادحة التي ارتكبوها سواء كانت حربيـة أو دبلوماسـية، ولم يكسبها الحلفاء الذين جبنوا، وتفككت أوصـال اتحـادهم، وظهـر عـدم ولائهـم قبــل أن تضــع الحــرب أوزارهــا، وقــد صــدق المــؤرخ العظــيم ثيوســيديديس Thucydides عندما ذكر للأجيال التالية أنه: «كان خطأ الملك الرئيس الـذي جعـل «البرابرة» يخسرون الحرب، ولكن رغماً عن طريقة الفوز في المعركة فقد كان النصر عظيماً، وكانت حلقة جديدة من حلقات الصراع الإغريقي الفارسي».

الفصل التاسع عشر

حلف ديليان Delian ضد فارس

خيانة بوزانياس Puusanias :

كانت معركة ميكالي Mycale بمثابة أمل للإغريق في أن القوة الفارسية تنهار، وأن الإمبراطورية في طريقها إلي التفكك بالسرعة نفسها التي تكونت بها، ومن الستة فيالق العسكرية الفارسية تم إعطاب الثلاثة الأفضل منها، حيث فاقت هذه القوات بقية الجيش الفارسي بمراحل، وبلغت درجة من الضعف لا يتوقع منها، أي مقاومة ذات بال إذا انتقل ميدان المعركة داخل الأراضي الفارسية، وفي مراحل الحرب التالية سوف تعتمد القوة الإغريقية علي بناء القوات البحرية التي ستلعب الدور المحوري في أية معارك تالية، فقد هزم الأسطول الفارسي العملاق وتحلل إلي قوات متناثرة هنا وهناك، بينما وصلت قوة الحلف الإغريقي إلي درجة من القوة لم تصل إليها من قبل، وكان المستقبل يبدو مشرقاً بالقدر نفسه من الخوف الذي وصل إليه الفرس.

وكان تدمير جسور هيليسبونت Hellespont بواسطة الفرس أنفسهم منعاً لتدفق قوات التحالف إلي بلادهم إيذاناً بانتهاء الأعمال الحربية، مما أقنع القائد البحري لقوات التحالف ليتوبكيريس Leotychides بأن هذه الحرب قد انتهت بالفعل لصالحهم، وقبل نهاية عام 479 عاد القائد إلي

إسبرطة مصطحباً معه كل قوات الدعم العسكرية لبيلوبونيسيا Peloponnesia ، وقد كان تقييم قواد إسبرطة في الوطن أكثر حذراً للموقف الحالي، حيث تم وعد الإغريق في آسيا بالتحرر، ومن أجل الوفاء بهذا التعهد الجاد كان من الواجب علي أعضاء التحالف الإعداد للحرب، وإضافة إلي ذلك، قدم الحلف الفرصة السانحة إلي إسبرطة لزيادة قواتها العسكرية متجاوزة ما قد حدده الحلف من قبل، إضافة إلي قيادتها البحرية لهذا الحلف، وقد ارتأت مواصلة الانتصارات العسكرية التي كانت قد حققتها، وما كان عليها التراخي حتي لا تتفوق عليهم في ذلك قوات أثينا المنافسة لها في أوروبا، وكانوا قد قاموا بعملية سيستوس Sestos مظهرين قدرتهم علي العمل العسكري وجدارتهم بمركز مرموق في أوروبا واستعداداً لشن عمليات عسكرية جديدة.

وبناءً علي هذه العوامل، في ربيع عام 478 أرسل قائد جديد لقوات التحالف إلي الخارج، وللوهلة الأولي يبدو هذا الاختيار موفقاً، فلا يمكن لأي فرد إسبرطي أن يضاهي بوزانيوس Pousanius ؛ لأنه كان القائد صاحب النصر المجيد في معركة بلاتايا Plataea ، وقد صاحب ذلك شرف مماثل كقائد يرأس المجلس العسكري لقوات التحالف وقيادته لكل العمليات الحربية التي قام بها الحلف، فقد كان يواصل سياسة تحرير المدن الإغريقية، وكانت انتصاراته الحربية بالنجاح نفسه الذي تحقق في بلاتايا Plataea ، حيث حرر قبرص من الاحتلال الفارسي، وقد لازمه الحظ بالقدر نفسه في بيزانتيوم Byzantium .

ومع ذلك، وبالرغم من هذه الانجازات القوية أثبتت الأحداث أن اختيار هذا القائد لم يكن موفقاً من ناحية الإغريق، فلم يكن بوزانياس Pausanias قانعاً بكل هذا التكريم والمجد الذي وصل إليه، بل كان يطمح في أن يكون حاكماً لكل أوروبا، وهذا يمكن أن يتم فقط بالدعم والتمويل والمساعدة العسكرية من الإمبراطورية الفارسية، وبالتالي كان مستعداً

لخيانة بني قومه الذين حررهم منذ فترة قصيرة في معركة بلاتايا Plataea ، ومن أجل الحصول علي مهر سخي يفيد في تقديم الرشاوي فقد تزوج من ابنة ميجاباتيس Megabates الوالي الفارسي لداسيليوم Dascyleium ، فقد ارتفعت آماله عالياً، حيث أطلق سرًّا سراح عدد من أقارب الملك الذين كانوا أسري في بيزنطة Byzantium ، وقد تعهد الخائن بإجبار الإغريق علي أن يعملوا كبحارة لدي الفرس إذا تزوج ابنة الملك.

ومكافأة علي الانسحاب الناجح، كوفيء أرتابازوس Artabazus بإدارة داسيليوم Dascylium خلفاً لميجاباتيس Megabutes ، وهناك كون حكماً وراثيًّا للولاية، وكان يحمل خطاباً من الملك نصه: «يقول كسركسيس (Xerxes) الملك إلي بوزانياس (Bozanius) بسبب الرجال الذين أنقذتهم من أجلي وأرسلتهم عبر البحار من بيزنطة Byzantium سوف تكون لك الخطوة في البيت الملكي، ويبقي لك إلي الأبد، وأبلغك رضائي عما قلته، ولا يجب أن يشغلك أمر سواء بالليل أو النهار عن إنجاز ما وعدتنا به، ولا يشغلك أمر تكلفه ذلك من الفضلة أو الذهب، ولا يعوقك ذلك عن زيادة قواتك، وكل شيء سوف يكون معداً لك، كل ما تحتاجه مع أرتابازوس Artabazus الرجل الصالح الذي أرسلته اليك فنفذا سويًّا شؤوني وأموركم علي أكمل وجه ترونه».

وهناك شك في إمكانية تحقيق ما وعد به بوزانياس Pausanias ، وذلك من وجهة نظر الملك كسركسيس (Xerxes) ، مما سيتضح فيما بعد من أحداث فمن أول اتصال مع الإغريق كان ملوك الفرس يدركون الضعف الواضح في السياسة الإغريقية، وسهولة تقبلهم للرشاوي؛ ولأن الملك الفارسي تعرض لسلسلة من الهزائم الطاحنة فكان من الواجب علي الملك أن يستخدم سلاح الدبلوماسية والذهب، وأن البطل الإغريقي يريد أن يستغل مجده في أن يصبح ملكاً، وكان من الطبيعي لهذا البطل أن يدفع من أجل الوصول إلي العرش، وذلك بشراء جيش وقوة بحرية استعداداً

للتدخل الجاد، وإذا كان يريد هذا القائد الطموح أحد أفراد الملك العظيم، فإن هذه أكبر خدمة يقوم بها للملك الفارسي.

وباعتباره زوجاً منتظراً لإحدي بنات الملك الفارسي، أخذ بوزانياس Pausanias بنصيحة الملك في العمل بصورة أكثر وضوحاً وجرأة؛ ولذلك ارتدي ثياباً من ميديا، وتبني أخلاق المائدة الملكية الفارسية، وكون قوة حراسة شخصية من الأسري المصريين وجنود ميديا Mede ، لكن الملك الفارسي فشل في استيعاب إحدي السمات للشخصية الإغريقية، وهي الولاء الشديد للوطن الأم، والتعلق بمفهوم «الحرية»، وعلاوة علي ذلك لم يستطع الإلمام بالانشقاق المتنامي بين أثينا وإسبرطة.

قيادة أثينا:

كان من الواضح أن بوزانياس Pausanias علي وشك أن يضحي من أجل تحقيق طموحه بالأعضاء المعترف بهم الذين انضموا إلي حلفه، وكان الأثينيون مسؤولين عن إدانة الولاء للإمبراطورية الفارسية، وذلك بقبولهم لسلطة الحلف، حيث وجد البطل الإغريقي مجداً معادلاً في قيادة هذا الحلف، وكونه البطل المجيد المتوج عليه، وقد طالبت أيونيا Ionia من أثينا بتحقيق وعدها لهم بالتحرر، وقيادة حملة عسكرية جديدة لهذا الغرض، وقد استجاب لهم قواد أثينا بحذر فإنهم ملتزمون بحمايتهم لكن في الوقت الراهن تجاهلوا اقتراحهم بقيادة حملة عسكرية، وفي المقابل طالب أريستيديس Aristeides وسيمون Cimon باستعداء القائد بوزانياس Pausanias لمحاكمته من قبل إسبرطة، وعندما بدأت في اتخاذ خطوات عملية كان الضرر قد وقع، وكان قد تكون حلف ديليان Delian بنهاية عام 478 من قبل ذلك، ولم يكن بديلاً عن الحلف الحالي الذي كانت له قيمة معنوية مكتسبة من الانتصارات الحربية الباهرة ولكن كتنظيم جديد تماماً يقع في إطار تحالف هليني.

وقد تم تنظيم التحالف الجديد تحت قيادة أريستديس Aristeides ، وكان من المفترض أن يشمل فقط الدول المحيطة ببحر إيجة، تلك الدول ذات الاهتمام البحري في المقام الأول، والتي كانت نواياها تتركز حول الانتقام من الهجمات الفارسية ونقل ميدان المعركة إلي أرض العدو حتي يتم تحرير كل المدن الإغريقية في أوروبا وآسيا من الحكم «البربري»، وبصرف النظر عن أثينا التي ارتفعت الآن إلي مرتبة القيادة والقوة التنفيذية للحلف الجديد كانت هناك ساموز Samos وثيوس Chios وليسبوس Lesbos التي تحررت من الاحتلال الفارسي، والتي تم الاعتراف باستقلالها، وكانت هناك جزر أخري من الساحل الآسيوي مثل ميليتوس Miletus وأبيدوس Abydos وسيزيكوس Cyzicus وكاليدون Chaledon ، لكن كانت - رغم ذلك- كل هذه المدن تحت رحمة الضربات الفارسية.

وبالرغم من الإجماع علي القيادة التي انفردت بها أثينا، فإن كلاً من هذه المدن قد احتفظ بالاستقلالية بدرجة ما، ولم تقم أثينا بأي إجراء بدون مشورة وموافقة مسبقة من هذه المدن والمجلس الذين كانوا يجتمعون بصورة دورية في معبد أبوللو Apollo علي جزيرة ديلوس Delos المقدسة، وبالنسبة إلي تكلفة هذه الحروب المتوقعة الهادفة إلي التحرير كانت المساهمات تتم بواسطة هذه الدول إما ببذل المال أو السفن، وكان يتم تقدير التكلفة بواسطة أريستيديس Aristeides «العادل»، ويتم جمع المبالغ المالية؛ لأن المدن الصغيرة لم تساهم بالسفن، وإيداعها في الجزيرة المقدسة نفسها تحت إشراف دار الخزانة التابعة للحلف والذين كانوا في بداية الأمر من أثينا فقط، وقد أقسم أعضاء الحلف علي الولاء، وعلي أن يكون العدو والصديق مشتركاً بينهم، ومن أجل التأكيد علي استمراريته، أُقيم احتفال وقور، حيث تم القسم علي الولاء من علي المذابح المقدسة وفوق السفن، وتم كذلك إلقاء القوالب المصنوعة من الحديد في البحر علامة علي استمرار الحلف حتي ترتفع هذه الكتل

الحديدية من البحر مرة أخري من الأمواج، ولم تقم إسبرطة بأي احتجاج علي ذلك، ولكن في الربيع من عام 477 أرسلت إسبرطة دورسيس (Dorsis) ليخلف بوزانياس Pausanias الذي شوهت صورته، وعندما رفض أعضاء الحلف الجديد أن يقبلوه كقائد عام لم يثر الإسبرطيون أي احتجاج، بل قاموا بتحويل مهمة القيام بعمليات عسكرية جديدة للبحرية إلي حلفائهم وصديقهم اللدود أثينا.

تجدد الأعمال الحربية:

كان من الواضح أن قواد أثينا في وطنهم لهم الاتجاه نفسه نحو المسؤوليات الجديدة التي كان عليهم أن يتولوها، وكانت الدعاية والشحن مطلوبين لشن الحرب، وفي عام 476 تحت إشراف سيمون Cimon ألف المسرحي فرنيكوس Phrynichus مسرحية مأساوية تسمي «نساء فينيقيا»، حيث تعيد تصوير أحداث سالاميس Salamis ، ومن بين ما تبقي من المسرحية نلاحظ «هذا هو الموطن البحري للفرس»، «وقد تخلي بطلنا عن سفن صيدا»، وقد أثار هذا العمل اهتماماً كبيراً حتي إنه في العام التالي 475 تمكن سيمون Cimon من قيادة الأسطول التابع للتحالف إلي أيون Eion ، ومنها طرد الثراسيان Thracian الذين كانوا يقدمون المؤن للمدينة، وقد دمروا جدرانها، وأقاموا سداً بها، فطالما كان يتوافر الطعام لها كانت تستمر مقاومتها، وقد كان بوجيسي Boges يتزعم المقاومة بها؛ ولذلك تم قتله مع أسرته، وتم إحراق أجسادهم في أثناء جنازتهم، وإلقاء ذهبه وفضته في النهر، أما باقي السكان فقد استعبدوا، ومع ذلك ظل ماسكاميس Mascames محتفظاً بدوريسكوس Doriscus كآخر المعاقل الفارسية في أوروبا، ثم انتقل بعد ذلك اهتمام أثينا إلي حلف ديليان Delian كأداة لزيادة دورها وتدعيم مركزها وتجديد الصراع بين القوي الليبرالية والمحافظة، وحتي عرض آيسكيلاس Aeschylus المسرحي

«الفرس» في عام 472 الذي يمجد النصر الذي تم في سالاميس Salamis والذي شارك فيه العديد من المشاهدين لم يوقظ الروح القتالية، حيث لم ينسَ أحد المناظرات والصراع الذي نشأ عن تأويل خطاب القائد ثيميستوكليس Themistecles للملك الفارسي كسركسيس (Xerxes) ، فقد كان المؤلف المسرحي يروج لآراء القائد ذي الاتجاه الديمقراطي، ولكن ظل الاتهام مطروحاً ومتداولاً بشدة للتعاون الذي كان في مهده بين «الأبطال» من الإغريق والملك الفارسي عندما كانت الهزيمة المؤكدة تلوح في الأفق، وبالنسبة إلي «القائد العظيم» الإغريقي بوزانياس Pausanias والذي تم استدعاؤه إلي إسبرطة، فقد حوكم وأُدين، وبعد ذلك عاد إلي بيزنطة Byzantium ، إلا أنه طرد من المدينة في عام 471، ولما انكشف ستر خيانته وعلاقته مع ثيميستوكليس Themistecles استبعد الأخير وجرد من كل مناصبه، وقد أصبح سيمون Cimon بعد نصره علي خصومه من الديمقراطيين، وهو مركز ثقل وقوة أثينا، وواصلت أثينا قيادة الحرب التي التهبت مرة أخري في عام 466 من قبل حلف ديليان Delian ، ومرة أخري كانت أسباب النجاح مهيأة له.

مؤامرات الحريم:

لم يقم الملك كسركسيس (Xerxes) الأصغر بالوفاء بأي من وعوده البراقة في بداية عهده الملكي، حيث إن الفشل العسكري علي الجبهة الأوروبية والخيبة التي أصابت الفرس من المغامرة العسكرية الأوروبية قد فتح ذلك الباب لتأجيج صراعات الحريم في البلاط الفارسي والذي أدي إلي نتائج وبيلة علي الإمبراطورية الفارسية، وفي أعقاب عودته من معركة ميكالي Mycale ألقي أخو الملك - ماتيستيس Masistes - باللوم علي القائد البحري أرتايانتيس Artayantes ، حيث إنه تسبب في الهزيمة - حسب رأيه- وقد وصفه بأنه «كان أسوأ من امرأة»، وهذه تعد في نظر

الفارسي أسوأ أشكال الإهانة، وقد هم القائد البحري بمحو هذه الإهانة بالدم للثأر لكرامته، لكن الملك حال دون ذلك، وقد كوفئ زيناجوراس Xenagoras بحكم صقلية لأنه توسط بين الخصمين.

وقد وجد ماسيستيس Masistes نفسه في أعقاب ذلك في خطر عظيم؛ وذلك لأن الملك - أثناء استراحته في ساردیس- وقع في حب زوجة أخيه، وباعتبارها امرأة فاضلة فقد رفضت الاستجابة لرغباته، وبالتالي زوج الملك ابنة أرتاينتس Artaynte إلي ابنه الأكبر دارا (Darius) علي أمل أن تكون الأم قريبة منه وتسهل استمالتها.

وفي أعقاب عودة البلاط الملكي إلي صوصا تغير إعجاب كسركسيس (Xerxes) من الأم إلي ابنتها التي كانت أكثر استجابة له، وقد خدع الملك وقدم لهذه الفتاة المشئومة الثوب الملكي الذي قامت الملكة أميستريس Amestris بغزله بيديها، وقد جن جنون الملكة، ووبخت الأم علي هذه المكيدة، وفي احتفالات العام الجديد الذي لا يرفض الملك فيه أي طلب لرعاياه طالبت الملكة بالقصاص من زوجة ماسيستيس Masistes ، وقد شوهت الفتاة التعيسة بطريقة بشعة، ولاذ ماسيستيس Masistes وأفراد أسرته بالفرار إلي ولاية باكتريا Bactria ، لكن تم القبض عليه وأُعدم هو وكل أفراد أسرته.

وكانت الحالة الملكية مُعدية، حيث كان ساتاسبيس Sataspes - وهو أحد أفراد الأسرة الأخمينية- قد أساء إلي عذراء، وهي ابنة زوبيروس Zopyrus ابن ميجابايزوس Megavyzus ، وقد أمر كسركسيس (Xerxes) بشنق المجرم، لكن أمه وهي أخت لدارا (Darius) قد أقنعت ابن أخيها أن يستبدل العقوبة ويأمر بإعادة المحاولة الفينيقية بالدوران بحراً حول أفريقيا، وقد أخذ سفينة من مصر وسافر ساتاسبيس Sataspes بالسفن غرباً إلي أرض يسكنها الغجر، وبعد مرور عدة أشهر انتابه الخوف، ومن ثم عاد إلي البلاط الملكي، لكن الملك لم يصدق روايته

في أن السفينة قد حجزت ومنعت من مواصلة الإبحار، وقد ظن الملك أنه قد فقد فرصة باكتساب لقب راعي الكشوفات الجغرافية، وغضب لأن أوامره لم تنفذ، وبالتالي أمر بإعدام الرحالة بناءً علي الأمر الملكي الأول.

وبمرور الوقت ازدادت شخصية كسركسيس (Xerxes) في التدهور، وقصة الحريم التي رويناها سابقاً أوضح دليل علي ذلك، وفي وقت ما كان اهتمامه يتركز حول استكمال مباني بيرسيبوليس، لكن في نهاية عهده تحول عن ذلك تحت تأثير قائد الحرس أرتابانوس Artabanus والمخصي رئيس خدمته أسباميتريس Aspamitres .

الكارثة في يوريميدون Eurymedon :

لم يستطع أحد أن يبقي علي سر التراجع في قوة شخصية الملك، حتي وصلت تفاصيل ذلك إلي الإغريق في أوروبا، وكان سيمون Cimon بعد أن أزاح ثيميستوكليس Themistecles من طريقه قد أصبح القائد البحري الأوحد، وقد أبحر بمائتي سفينة إلي كاريا Caria عام 466، وقد أقنع المدن الإغريقية بسهولة أن تثور علي السيطرة الفارسية، وأن تقبل وجود حاميات إغريقية بها، ولكن بقيت بعض المدن التي تتحدث كلتا اللغتين الفارسية والإغريقية علي ولائها للفرس، وكان يجب الضغط عليها بالقوة لتقليل عددها، وقد بدأ سيمون Cimon حصار فارزاليس Phasalis عندما أطلق جنود شيان Chian ، وهم أصدقاء لأهل هذه الجزيرة في إطلاق الخطابات المعلقة بالاسم، وقد أقنع هذا سكان هذه الجزيرة أن يوافقوا علي دفع 10 تالانت، وأن يشاركوا في حروب التحرير.

واستيقاظاً من غفوته، أرسل كسركسيس (Xerxes) حملة عسكرية كبيرة لمواجهة سيمون Cimon ، وكانت قوة هائلة تحت قيادة أريوماندديز Ariomandes ابن جوبرياس Gobryas ، وكان فيبريندداتيس Pherendates

علي رأس القوات البرية، وكان الأسطول البالغ 200 سفينة من فينيقيا وقبرص وصقلية تحت قيادة تيثراوستيس Tithraustes ، وهو أحد أبناء الملك، ورفض القائد الحرب انتظاراً لوصول 80 سفينة أخري من قبرص؛ ولذلك انتظرها عند يوريميدون Eurymedon ، وعندما هم إليه الإغريق خرج من هذا المضيق، وبعد تظاهره بالقتال أنزل الإغريق سفنهم إلي الشاطيء وهرب معظم البحارة وأسرع المشاة لنجدتهم، وأنزل سيمون Cimon قواته الذين استولوا علي المعسكر الفارسي بعد قتال ضارٍ، ثم أبحر بعد ذلك مطارداً الثمانين سفينة المنتظرة تلك التي وجدها قابعة في قبرص، وكانت المدينة مأخوذة من المفاجأة، وتم الاستيلاء علي السفن والبحارة الذين كانوا بها (عام 466)، وفي العام التالي طرد سيمون 13 سفينة فارسية من شيرسونيس Chersonese وذلك بأربعة سفن فقط.

كانت معركة يوريميدون Eurymedon حاسمة، حيث كانت أوروبا كلها تقريباً في يد الإمبراطورية الفارسية وقت كتابة هيرودوت (Herodotus) لكتاب «التاريخ» ما عدا دوريسكوس Dorescus ، والآن تتسارع الولايات الإغريقية في كل من آسيا وأوروبا إلي الانضمام للحلف القوي، حتي إنه عند منح دستور جديد لإيريثاي Erythae أقسم المجتمعون في الحلف ألا يستقبلوا أيًّا من الفارين سابقاً إلي ميديا Mede بدون إذن من الشعب في أثينا.

التأثير الإغريقي في آسيا:

بعد الملك سيبيرنيس Cybernis لم تسمح لنا الحروف الأولي من أسماء الملوك بالتعرف عليهم، وبذلك لم نتمكن من تحديد ملوك ليسيا Lycia الذين أصدروا العملات، تلك التي تحمل صور حيوانات حقيقية أو أسطورية مثل أبي الهول والعنقاء والحصان المجنح لبطل ليسيا Lycia

الأسـطوري بيليروفـون Bellerphon أو الـوحش والغريـب ذي الثلاثـة أرجـل، وبالنسبة للملوك الأحدث، فإن الأسماء مكتوبة بالكامل، ونعلم منهم 15 ملكاً، وقد كانت ليسيا إحدي الدول المشاركة في حلف ديليان Delian ، وكـانوا فخـورين بـأن اسم بلدهم مشتق من اسم البطل الأثيني ليكوس Lycus ، ويبـدو التـأثير الأثينـي واضحاً تماماً مثلاً علي أحد وجهي عملة وجدت في واحة الخارجة في مصر كـان قـد سكها زانثوس Xanthus ، وكانت أثينا جالسة ومعها البومـة، وهنـاك أريـس Ares ذي العمامة وآمون ذي اللحية وهو المعبود في مصر في ذلك الوقت.

ويتضح أثر أثينا في الخارجة بصورة أوضح في مقبرة القائد ماراحي Marahe ، ويظهر المشهد المرسوم أربعة خيول ذات ريش تجر عربة، وماراحي له درع، وعـلي وشك أن يرشق أحد الأسود بالرمح، ويرتـدي سـائقه قبعـة مـن فريجيـا Phrygia ، ويصور ماراحي مرة أخري بصورة مهيمنة علي المشهد وشعره مسترسل ويتكئ علي أريكة ممسكاً بإناء، بينما يقدم خادمه أحد الأفراد وهي زوجته، وهي تجلس عـلي مقعد وراءه ممسكة بثوبها، ويوجه وجهه في مقابلة طفل صغير وهـو ولـده، وهـو يرتدي ثوباً ضيقاً حول وسطه، وهو يتوج رياضيًّا عارياً، وهذا العـاري في حـد ذاتـه من مؤثرات الفن الإغريقي، حيـث يخبرنـا ثيوسـيداديس Thucydades إنـه حتـي «البرابرة» في آسيا كانوا يرتدون جلود الأسود عندما يتبارون للحصول علي جائزة في الملاكمة والمصارعة، وهناك صورة الشاب ممسكاً بيد أحد العجـائز الـذي يمـد يـده متوسلاً للسيد الجالس ممسكاً رمحاً، وبجواره أحد الكلاب.

وكان التأثير الفني الهليني- الإغريقي يتقدم سريعاً في كاريا، حيـث اختفت الأبجدية المحلية لهذه اللغة في هـذا البلـد وحلـت محلهـا لغـة المرتزقة القادمين من مصر، وكذلك لغة المجتمـع الراقـي تـم اسـتبدالها، والدليل علي ذلك أن سيلاكس Scylax كان قد كتب أول وصـف للهنـد

باللغة الإغريقية، وقامت حاكمة هاليكارناسوس Halicarnassus وتسمي بيجريس Pigres بالرغم من كونها من كاريا Caria بتقديم الثقافة الإغريقية، حيث قدم أشعاراً إغريقية شهيرة، ولكن بتعديل الوزن الشعري لملحمة هومر الشهيرة الإلياذة Iliadoi ، وهناك علماء لهم مقامهم يعتقدون أن الشاعر الإغريقي الأشهر هومر Homer ليس هو المؤلف الأصلي للأعمال العظيمة التي تنسب إليه مثل «المارجيت Margite » و«معركة الضفادع والفئران»، بل يرجع ذلك أصلاً إلي الشاعر بيجريس Pigres وليس إليه.

التأثير الشرقي في اليونان:

وبالطريقة نفسها كان الشرق يظهر بصورة أوضح في الأعمال الإغريقية في أوروبا، وكان فرينيكوس Phrynichus قد عرض بالفعل مسرحية مأساوية بعنوان «المصري»، وقد أعاد إيسكيلوس Eschysus الأساطير القديمة الشرقية، وفي روايته «المتوسلات» تهرب الخادمات إلي أرجوس Argos من الرمال المتحركة إلي منابع النيل السبعة من المراعي القاصية في سوريا ويرتدين قناعاً من كتان صيدا Sidon ، ويتجولن خلال آسيا إلي مراعي الماشية في فريجيا Phrygia ، وعبر متاهات ليديا وجبال قبرص، وتزور إحداهن الوحش ذا العين الواحدة الذي يحرس الذهب والسلالة السوداء التي تقيم بجوار أنهار الشمس، والتي يرسل منها النيل المياة المقدسة إلي ممفيس وباقي البلاد، وهناك العجل المقدس إيبافوس Epaphus الذي يطلق عليه الإغريق عجل أبيس الذي يولد من أجل هذه الراعية، ويذكر الكاتب أيضاً ورق البردي والتمساح والجعة (البيرة) المصرية والبخور الذي يجلب من سوريا.

ويتناول المؤلف أيضاً في أعماله معركة سالاميس بعنوان «الفارسي»، ويعرض في عملة معلومات جديدة، حيث ذكر أن مدينة

بيرساي Persae كانت هي أسوار سالاميس Salamis ، وأن سارديس Sardis وبابل الذهبيتين قد استحوذتا علي فكره إعجاباً بهما، ويقول إن الملكة الأم أتوسا Atossa هي زوجة للإله الفارسي، وأن ابنها كسركسيس (Xerxes) كان إلهاً علي الأرض، وهو الملك المولود في صوصا من أجل الشعب الفارسي، وعندما يموت فسوف يحكم العالم السفلي، ولا يوجد دليل قوي لدينا للجزم بأن الفرس كانوا مثل المصريين يعتبرون ملوكهم آلهة، ويقول أيضاً إن سكب الدماء في القرابين علي الأرض أو سكب اللبن من البقر ذي الأصل غير المدنس هو بمثابة تقديم الغذاء للآلهة الذين يسكنون تحت الأرض، وهي تصب في غرف مسكونة بواسطتها، وهم يسمعون المغنين للترانيم الذين يتوسلون إليهم أن يصغوا إلي صلواتهم، ويتوسلون إلي ملك الأموات هيرميس Hermes أن يسمح لروح دارا (Darius) أن تري النور، ويقول في الأساطير التي يوردها إن الليل له أصول غامضة، وأن المعبود الإغريقي زيوس Zeus هو المعبود المصري آمون، وهم قد أسسوا مدناً كثيرة في مصر.

وقد أعلن إيسكيلاس Aeschylus أن الفرس سوف يبكون علي مجدهم، حيث إن «كل من يعيشون في أرجاء آسيا لن يحكمهم الفرس، ولن يدفعوا لهم الجزية بإجبار سيد الفرس أو بالقوس، ولن يوقروا ملكهم الذي دمره الإغريق»، وفيما يخص الجانب الإغريقي كان هذا التباهي له ما يبرره، حيث كان العنصر المحافظ شديد العداء للفرس هو رمانة الميزان، ومركز القوة في أثينا، وكان حلف ديليان Delian في أوج نشاطه، وكان التأثير الفارسي في الغرب في طريقه إلي الزوال، وقد كتب الشاعر سيمونديس Simondes قصيدة عن «ممالك قمبيز (Cambysis) ودارا (Darius) »، وعن «هروب كسركسيس (Xerxes) بحراً»، وعن معارك الفرس البحرية، ناهيك عن ذكره ما كتب علي القبور للأبطال الذين ذبحوا في الحرب الفارسية العظمي، وقد ألف شارون Charon من

لامباسكوس Lampscus «تاريخ الفرس»، وألف ديونيسيوس Dionesius «الأحداث التي تلت دارا (Darius) » كما لو كان التاريخ الفارسي قد وصل إلي نهايته، لكن الحقيقة أن فارس سوف تقوم بصورة عاجلة بتغيير كل المشهد السياسي في العالم الإغريقي.

الفصل العشرون

أيام رأس السنة في بيرسيبوليس

لقد أرسي دارا (Darius) دعائم التخطيط العام لمباني بيرسيبوليس ومنشآتها، ولكن وكما نعرف فإن برسيبوليس هي من أعمال كسركسيس (Xerxes) ، لقد كانت الأعوام الثماني الأولي من حكمه مكرسة بلا شك في المقام الأول للحروب وللإدارة، والتي شارك فيها بنفسه، ولكن بالطبع في عام 485 قد تم استئناف العمل في شرفة القصر، ومع عدم إهمال أمور الإمبراطورية خلال الثلاثة عشر عاماً المتبقية فقد كان هناك اهتمام حقيقي بالنسبة لإنشاء العاصمة الجديدة وإقامة مبانيها.

أرشيف سجلات كسركسيس (Xerxes) :

إنه، ومن الأدلة التي تم الحصول عليها من التاريخ المعماري ومن النقوش النادرة التي أمر كسركسيس (Xerxes) بنقشها، يمكننا الآن إضافة نحو مائتي لوحاً طينيًّا تم نقشها في إيلام Elamite ، والتي وجدت في مباني المحفوظات جنباً إلي جنب مع مجموعة صغيرة من الأواني الحجرية التي كتب عليها باللغة الآرامية، كذلك فإن هناك مستندات مماثلة تم الحصول عليها من فترة حكم دارا (Darius) ، ولكن الفترة التي فيها أعظم الأنشطة علي الإطلاق بهذا الخصوص هي السنوات الثلاث الأخيرة من فترة حكم كسركسيس (Xerxes) ، وهذه المستندات كانت عبارة عن طلبات يرسمها

مسؤولون كبار لأمين الصندوق من أجل الدفع للعمال الذين يعملون في الشرفة.

كان الدفع يتم شهريًّا أو خلال عدة أشهر، وبانتظام يتم الدفع بالشيكلات الفضية وكسورها، وفي الحقيقة وكما تم إخبارنا أحياناً، ومن خلال الدفاتر أن الدفع كان يتم عن طريق الخمر أو عن طريق الأغنام تبعاً لحد معلوم؛ لهذا يمكننا أن نقوم بمقارنة المرتبات والأجور في بابل وفي بارسا Parsa من أجل اكتشاف مستوي المعيشة والتعرف عليه، وبالاهتمام نفسه نجد كذلك أسماء الموظفين الكبار، وكذلك جنسيات العمال والأعمال المنوطة بكل منهم، وكذلك نوعية المباني التي يختصون بها، كما كان في الأيام الأخيرة لدارا (Darius) ، فإن المسؤول الرئيس هو بارادكما Baradkama ، الذي تم إعطاؤه اللقب الكامل لأمين الصندوق الذي يرجع إليه في عام 483 في التقرير الذي كتبه أسباثيانس Aspathianes بخصوص الأجور اللازمة لعدد 313 من العمال، وذلك خلال ستة أشهر، ومرة أخري لعدد 470 عاملاً خلال شهر واحد، وكما ذكر أسباثيانس فإن 66 عاملاً تقاضوا شيكلاً واحداً و212 تقاضوا ثلاثة أرباع الشيكل و292 تقاضوا نص شيكل لكل منهم، وبالمقارنة بالأجور في بابل، فإن أجور العمال في برسا تعتبر منخفضة خاصة إذا أخذنا في الاعتبار الارتفاع الكبير الذي حدث في الأسعار بعد الغزو الفارسي، لقد سمعنا بالرجل الذي كان بالفعل خبيراً محترفاً والذي جاء من صوصا Susa إلي بارسا Parsa .

في ذلك العام نفسه، كان هناك نحو 201 عاملاً يعملون في واحدة من المنشآت، وهؤلاء قد أتوا من أرض حتيت Hittite من مصر، وكذلك قدموا من لونيا Lonia ، وإذا كان من بينهم نحاتين من اليونان الإغريق، فإنه ليس هناك دليل علي أنهم لم يكونوا يتقاضون أجوراً أعلي من غيرهم.

في العام التالي كان شاكا Skakka مسؤولاً عن 34 عاملاً ممن

يقومون بتحميل الأخشاب، والذين كانوا أيضاً يقومون بعمل النحت من تلك المواد نفسها، وفي هذه الحالة تم توظيف ختم دارا (Darius) بثلاثة لغات.

في عام 480 قام شاكا بوضع الرواتب السنوية لاثنين ممن يقومون بعمل الأبواب الحديدية في بارسا، كل منهما كان يتقاضي أجراً شهريًّا مقداره شيكل ونصف، كذلك فقد تمت الاستعانة بعمل من حتيت في بناء آخر، كذلك ففي عام 479 وضع شاكا تقريراً لعدد 28 عاملاً ممن يقومون بعمل النحت، ربما علي الأكثر النقوش التي كانت موجودة في صالة الاحتفالات (عبدانة)، وكذلك فقد كانوا يزينون النحت الخشبي الموجود في بارسا، وفي هذا العام فإن رجل بارسا (بارادكما) قد نجح كأمين صندوق، فلقد كان مطلوباً منه أن يدفع لأحد عشر رجلاً، والذين كانوا يزينون الأخشاب، كان تعهد الدفع ($\frac{2}{3}$ ، $\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{3}$ شيكل) يمثل $\frac{1}{3}$ ما يتقاضون من أجرهم الإجمالي.

في عام 476 كان يعمل نحو 28 رجلاً ممن ينحتون الصخور ويزينون الأخشاب تحت إمرة شاكا، وبالقرب من بداية عام 473 كان قاوش Vahush رئيسهم، ولكن في عام 480 تمت ترقيته فأصبح أميناً للصندوق، والآن نحن نسمع بملك أمناء الصندوق أو ملك مسؤولي الخزانة أرتاتكما Artatakhma والذي كان لديه عشرين رجلاً كانوا يزينون البرونز، في عام 471 كان تشيرافو Chithravahu مسؤولاً عن 238 رجلاً يعملون في الخزانة؛ اثنان منهم كانا مشرفين، وكان يتقاضيان أجراً أعلي يبلغ نحو 2 شيكل، واثنان وعشرون منهم يتقاضون شيكلاً واحداً، وجزءاً آخر منهم يتقاضي كل منهم $\frac{2}{3}$ شيكل، وآخرون يتقاضون نصف شيكل، وبعضهم يتقاضي $\frac{1}{3}$ شيكل، ونحو 159 يتقاضون $\frac{1}{4}$ شيكل فقط لكل منهم، وهؤلاء كانوا أطفالاً، والذين هم الآن يقومون بفن تصنيع الفضة وتشكيلها، وكذلك فقد ظهرت النساء وكن يتقاضين نحو شيكل واحد،

وهذا هو متوسط أجر المحترف من الرجال، والآن لم يعد خاتم دارا (Darius) يستخدم بعد في الرسميات، ولكن الخاتم الجديد قد حفر عليه أنا كسركسيس (Xerxes) الملك المعظم.

في سنتين من السنوات الأخيرة للحكم (466- 467) تراكمت الألواح التي توضح أن المباني والإنشاءات كانت لا تزال في مرحلة التشييد، وكان هناك طاقم واحد في الخزانة في بارسا وصل الآن إلي نحو 1350 في العدد.

قاوش Vahush أمين الصندوق في الحصن، وهذا مصطلح آخر لبارسا، وهناك كان يتسلم طلبات الرواتب لاثني عشر عاملاً من ميجابيزوس Megabyzus علي أن يتم دفع $2\frac{1}{4}$ شيكلاً لاثني عشر رجلاً منهم، و $1\frac{2}{3}$ شيكلاً لتسعة صبية وتسعة صبية آخرين يتم دفع $2\frac{1}{4}$ شيكلاً لكل منهم، وسبعة عشرة امرأة يتم دفع $\frac{2}{3}$ شيكل لكل منهن.

لقد كان أرتاكما Artatakhma يحتاج إلي المال من أجل الصناعات الذهبية في كاريا Carian ، وكان المشرفون يتقاضون $2\frac{1}{2}$ شيكلاً، وكما هو الحال في المشرق الحديث، فإن الأولاد والنساء ليسوا فقط هم من يقومون بالجزء الأكبر من العمل، ولكن كذلك فهم عادة لا يتقاضون أجوراً جيدة، بينما نجد أن 4 صبية يتقاضون $\frac{5}{6}$ شيكل، فإن الخامس يتقاضي نحو $\frac{5}{12}$ من الشيكل، و27 امرأة يتقاضين اجراً أعلي من متوسط ما يتقاضاه الرجل، فيصل إلي $\frac{1}{3}$ أو $\frac{2}{3}$ ، ونجد أن نحو 5 فتيات من الماهرات يتقاضين نحو $1\frac{1}{4}$ شيكلاً، وهناك أربعة يتقاضون $\frac{4}{5}$ شيكل، وأربعة آخرين يتقاضون $\frac{5}{12}$ من الشيكل.

لقد دان أرتاكما هو رئيس ميجابيزوس، والذي كان صبيانه الاثني عشر يتقاضون نحـ $\frac{1}{2}$ 45 شيكلاً في الشهر (تقريباً نحو 4 شيكل لكل صبي)، ولكن ذلك لا يعتبر شيئاً إذا ما قورن بالمشرف الذي يتقاضي نحو $7\frac{1}{2}$ شيكل في الشهر! كذلك فقد كان هناك حرفيون يعملون تحت

فرناداتيس Pherendates وهـؤلاء هـم الـذين كـانوا ينحتـون الأحجـار ويحملـون الأبواب الخشبية والحديدية.

ولكن بينما أن صناع المشغولات الذهبية والفضية كانوا يتقاضون أجوراً أعـلي من المتوسط، فـإن الفنـانين الـذين كـانوا يعـدون تلـك النقـوش الرائعـة لم يكونـوا يتقاضون حتي متوسط الأجور التي كانت تدفع للقرويين الـذين يزرعـون الأرض في بابل إلا إذا افترضنا - كما يجب أحياناً- أن الدفع المسجل هو جزء من الأجر الكلي.

نقوش صالة الجمهور:

لقد بدء دارا (Darius) العمل في صالة الجمهـور في برسـيبوليس، ولكنـه قـد مات بعدما اكتملت النقوش، والنحت علي الواجهة الشمالية، لقد بقيت بعد ذلـك لكسركسيس (Xerxes) لكي يكمل هذا البناء الرائع الذي وضع فيـه كـل اهتمامـه؛ ولذلك فقد أنتج أكثر المباني روعة علي تلك الشرفة.

ولكي يمكـن الوصـول إلي مكانهـا المرتفـع فقـد كانـت هنـاك سـلالم في الجهـة الشرقية والجهة الشمالية، وعلي الجانبين كان هناك ممران في الواجهة لهذه السلالم يلتقيان في المنتصف، بينما كان هناك اثنان آخران أكثر عمقاً عند الزوايا، لقد كانت الواجهة الشرقية والشمالية وحتي ارتفاع يصـل إلي 292 قـدماً مغطـاة بالمنحوتـات التي تظهر الفن الفارسي في أبهي صوره، ولكن تلك المنحوتات الجمالية التي كانـت في الشمال، والتي كانت أول ما يراه الزائر أصبحت اليوم متأثرة بكل أسـف بصـورة سيئة بعوامل التعرية، وتلـك التـي في الشرق تكـرر المشـهد نفسـه، ولكـن بترتيـب معكوس.

شكراً للتربة التـي حمـت وحافظـت عـلي ذلـك الجـزء الأخـير منـذ التدمير الغاشم للإسكندر (Alexander) ، حيث إن الحفريات أحيتها من

جديد، وأظهرت جمالها الفارسي، وأسفل الأرض الوسطي يرفرف رمز أهـورا- مـازدا، وهناك رمز الإله حيث يوجد غريفن (طائر خرافي نصفه أسد ونصـفه الآخـر صـقر) له جناحان وكفه مرفوعة في إجلال واحترام، وينحنـي تضرعـاً أمـام جـذوع النخيـل علي الجانبين مباشرة أمام رمز الإله، حيث يجب أن يكون هناك بنـاء يسـجل لـدارا (Darius) واثنـين مـن الخالـدين عنـد الأذرع تحمـي الفجـوات العاريـة، ولكـن في الأماكن الأخري علي الواجهتين الشرقية والشمالية، حيث توجد النقوش التـي تمجـد أهورا- مازدا وكذلك الملك، وبين جذوع النخيل نجد هناك أسوداً يغرسون أسـنانهم في الأرباع الخلفية للثيران، وذلك في المثلثات التي تكونت من خلال السلالم.

الأشجار التي علي شكل أشجار السرو ولكن لها أشواكاً ومخاريط ولحـاءاً مـن خشب الصنوبر تنمو علي الحـواجز الخارجيـة بـين صـفوف مـن الأشـكال الورديـة والأسنان، كل هذا ما كـان إلا تحضـيراً للمشـهد الـرئيس، موكـب الجنـود، البلـدان، والشـعوب الخاضـعة يتقـدمون لـكي يحيـوا سـيدهم في عيـد رأس السـنة (العـام الجديد).

في أحد الجوانب، ومحاطاً بأشكال وردية توجد ثلاثة أقسام في ثلاثـة صـفوف تمسكها فرق من الخالدين بكامل زيهم، الروب الذي يصل إلي الكاحل مربـوط مـن الجانب، ويسدل فوق الذراع حتي تحت الوسط في ثنيات عميقة، وكـذلك يرتـدون أحذية ذات أربطة، والرمح يرتكز علي أصبع قدمه يـوحي بالشـدة والقـوة؛ وذلـك بالنسبة لكل واحد من الخالدين التسعة والعشرين، وفي تباين أخـاذ يظهـر النـبلاء والحاشية جميعهم يجب أن يتم تقديمه من خـلال الحجـاب أو حـاملي الصـولجان الذين هم - وكما تجدر الإشارة إليهم- مجموعـة مميـزة ترتـدي طوقـاً معـدنيًّا في رقابها.

كل واحد منهم يقود ثلاثة من الحاشية، والذين يحملون السـياط في

أيديهم اليمني لمنع العابر من الاقـتراب مـنهم، وتحـت أذرعهـم الـيسري يحملـون مظلة، والتي تكون معلقة ذات ألوان الأبيض والأخضر والأزرق ومثبتة بحبـال مـن النايلون الرقيق وحلقات بنفسجية وفضـية وأعمـدة رخاميـة، وهنـاك رابـع يحمـل فوق ظهره حامل القدم من الذهب، والتي يقوم الملك بوضـع قدمـه عليهـا عنـدما يجلس علي العرش أو قد يطبع قدمه عليها عندما يترك عربته الحربيـة لـكي يركـب عربة أكثر راحة، وكانت من الضرورات حيـث إنـه كـان يجـب عـلي الملـك ألا يطـأ الأرض بقدميه خارج القصر.

الحاجب التالي يضع كفه الأيمـن فـوق معصـمه الأيسر، ويحمـل فقـط عكـازاً ويقود ثلاثة من سائسي الخيل الذين يضعون أيديهم برفق علي ظهور خيول صغيرة غير مخصيه عليها طقم الفرس والغـدار الـذي بـه خـرزة مسـطحة وجـرس صـغير، والحاجب الثالث يتقدم عربتين فارغتين إحداهما لأهورا- مازدا غير المرئي والأخـري للملك، أطقم الفرس بالنسبة للخيل البيضاء المقدسـة لا زالـت بسـيطة عبـارة عـن غدار وشكيمة قوية من الذهب، كـذلك فالألجمـة مثبتـة بقطـع ذهبيـة، ومغطـاة بكسوة مزركشة، وباقي طاقم الفرس عبارة عـن يـد حـول الصـدر وأخـري مزدانـة بشرابة خلف الأرجل الأمامية، ولمزيـد مـن الـديكور، فـإن شـعر مقدمـة الـرأس في الفرس علي شكل باقة من أزهار اللوتس، والشعر الموجود علي الرقبـة مرتـب عـلي هيئة تاج إلي أعلي، أما بالنسبة لعريش العربة فهو مثبت مباشرة في المحور والـذي يتصل بالعجلات بمسمار علي شكل قزم عارٍ.

العربة بها اثنـا عشر مكعبـاً منتفخـاً في المنتصـف مكونـة عـدداً غـير عـادي عنـد مقارنتها بالنموذج الآشوري، بينما نجد أن الإطار مدعم بأخشاب طويلة بواسطة مسامير كبيرة لكي تجعلها أكثر ثباتاً علي الأرض، وحول حافة جسم العربة توجد مسـامير تعليـق يتم تعليق جعبة سهام الملك عليها، وفي المؤخرة يوجد سـير جلـدي يسـاعد الملـك عـلي

الصعود، وهناك حلقة معدنية لليد من أجل أن تسمح بدرجة تثبيت أكبر، حيث إن الجسم يوضع مباشرة علي المحور؛ لذلك فإن الارتجاج يكون رهيباً جدًّا.

بعد ذلك نجد أن رجال الحاشية من الفرس وأهل مدين بالتبادل يكملون الصفين السفليين في تلك النقوش، والبعض منهم يمشون مختالين بخطي واسعة شاعرين ومدركين بكرامتهم ومكانتهم، وكذلك بلباسهم وأروابهم ذات الألوان القرمزي والبنفسجي ومزدانين بالأقراط والقلائد الذهبية، والآن نجد واحداً يمشي وبنصف لفة يمسك يد صديق له، وآخر يضع يده اليسري بتأنق علي مقبض سيف ضخم مثبت في حزامه؛ لهذا فهو يظهر الميزة الكبري المفصلة للروب الذي فوق ذراعه، بينما في يده اليسري يحمل شيئاً نادراً ينوي تقديمه إلي مليكه خلال المعاينة، وتابعه يحمل فقط زهرة كهدية مناسبة لاحتفال الربيع واضعا يده علي كتف ذلك المتأنق، وواحد آخر من الحاشية في الأمام يلتفت فجأة وجعبة قوسه تهتز في مكان تثبيتها في حزامه كدليل علي الانفعال.

علي الجانب الآخر للسلالم التي توجد في المركز نجد أن المشهد يحوي ثلاثاً وعشرين مجموعة من النواب من طوائف مختلفة من الناس، يسيرون من أجل تقديم هداياهم السنوية للملك، كل مجموعة يتم تقديمها عن طريق حاجب يمسك في يده اليمني عصاه المزخرفة ويده اليسري تمسك بإحكام بيد قائد النواب، وكل نائب يرتدي زيه الوطني - حسبما وصف هيرودوت (Herodotus) - ومحضراً معه أفضل ما لديه من منتجات؛ أقمشة، عملات معدنية، وزهريات، ولكن فوق كل هذا حيواناته الأقوي والأفضل، وكل واحد يقدمها بأفضل طريقة أو بالطريقة المثلي.

المعاهدات الفنية:

لقد بلغ الفن الفارسي ذروته في تلك النقوش، فقد ذكرت تلك المعاهدات كلاً من قوته وضعفه، إنه ومن غير العدل أن نحصي عيوبه؛ لأنه يجب علينا أن نلاحظ أن الرجال الذين أنتجوا ذلك الفن كانوا لا يتقاضون أجوراً عادلة، وكانت تتم معاملتهم كأنهم مجرد حرفيين وليس كفنانين عباقرة حقيقيين، ولكي نعطيهم واجبهم يجب علينا أن نتطرق إلي عملهم بالتفصيل.

بالمقارنة بالنقوش عند المخرج الثلاثي لإحصاءات دارا (Darius) ، فإن هناك ميزة فنية محددة حتي علي النقوش المتقدمة والنقوش الخام علي الواجهة الشمالية لقاعة الجمهور، حيث إن روح الدعابة القوية تختفي بالكامل تقريباً، وكذلك فإن هناك تناوباً غريباً للأشكال الطويلة والمتوسطة والنحيلة.

إن محاولة تقديم أشكال متصاعدة قد تم التخلي عنها، والحاشية - إلي حد ما- ذات أطوال مختلفة الأشكال وليست متداخلة، ولا يبدو حتي إن واحدة منها تعتمد علي الأخري، إن التجميع غالباً يكون نمطيًا وبارعاً، والتفاصيل التشريحية أكثر دقة، والألبسة قد تم تناولها بمهارة أكبر، والتأثير العام أكثر إسعاداً وجلباً للراحة والسرور.

الجانب الشمالي والجانب الشرقي كانا علي النمط الذي صممه أساتذة المصممين تماماً، والذي من المفترض أن يكون ظاهراً في الخطوط الرئيسة للتركيب ككل قبل التوقيع علي كل شكل علي حدة فيما يخص كل واحد من النحاتين الذين تم تجاهل أسمائهم بواسطة الملك، والذي نسب كل هذا المخزون لنفسه اللهم إلا بعض ما كتب عن الصعاب التي واجهها الفنانون القدامي عندما كانوا يؤدون عملهم الرائع، حيث إنه كان يفكر أولاً في عناصر الديكور المعماري، لقد كان

محتماً أن يتم نحت هذا الديكور المعماري باليـد، وبهـذه الأيـدي يجـب أن يكـون هناك توازن طبقاً للنسب الحسابية، رغم إنهـا لم تكـن تطبـق بطريقـة ميكانيكيـة مطلقة؛ لأن المرونة ستكون مفقودة.

أما فيما يتعلق بالأشكال غير المحفوظـة جيـداً عـلي الواجهـة الشـمالية، فـإن الأِشكال أكثر قدماً؛ لذا فإن التركيب ليس دقيقاً كما ينبغي، وفي الصف السفلي نجد أن المجموعات خماسية وسداسية وثلاثية في المنتصـف فـيما عـدا المجموعـة الأولي والخامسـة، وليسـت هنـاك علاقـة بـين الأشـكال في الموضـع نفسـه في المجموعـات المختلفة، وتلك التي في المجموعة نفسها ليس بينهـا أيضـاً تـرابط حتـي مـن خـلال تشابك الأيدي.

إن الأشكال رفيعة ومتفرقة من خـلال فراغـات كبـيرة بينهـا، وخطـوط الأذرع جميعها في مستويات أفقية حتي عندما تثني عند الكيعـان أو توضـع عـلي أكتـاف المرافقين، رداء الرأس مقطوع تربيعيًّا وأحياناً بدون تعـديل، أمـا بالنسـبة للأجـواخ والألبسة فتتدلي طبيعيًّا في ثنايا علي جـانبي الـذراع، حتـي بـالرغم مـن المعالجـات المتطورة، فإن الأكمام تنساب فوق الأذرع، أربعة طبقات تتدلي من الكـوع وتظهـر بطانة الثوب بوضوح في الأسفل، ويتم تميزها بواسـطة خـط منحـوت، أمـا بالنسـبة للشعر والذقن فهي معالجة ومرتبة بغير انتظام.

بينما أن الشكل العام هو المسقط الجانبي لخط الذراع المرسوم حتي القلادة، فإن السوار كبير الحجم وغير مزين، الأيدي صغيرة جدًّا عندما تكون مغلقة، وتكون كبيرة جدًّا عندما تكون مفتوحة، لقد كان هنـاك الكثـير مـما تـم إنتاجـه وإعـداده بإتقان من التصميمات من خلال أستاذ آخر، وذلك لاستعراض مماثـل للنـبلاء عـلي السلالم الشرقية.

في الجـزء الأول نجـد الخيـول والعربـات للإلـه والملـك، وتظهـر الصورة كبيرة جدًّا - كما هـو العـرف عـادة- لهـذا فهـي تمـلأ الفـراغ المخصص لخمسة رجال في الجزء السفلي، ومع العربات الصغيرة نجـد

أن الحصان يأخذ حجم أربعة رجال، ولكن مخطط المكان الخامس يكتمل بأحد المرافقين في المقدمة، وفي الجزء الذي في المنتصف نجد الشكل السادس من الأوجه اليمني وتراجعاً للخلف؛ ولهذا فهو يغلق الفراغ بين العربتين الحربيتين الكبيرتين الموجودتين في الأعلي، ولكن في الجزء السفلي يكون الشكل السابع، والشكلان الأول والأخير من الأشكال الأربعة الصغيرة في منتصف الجزء الأول يدلان علي المكان الأول والسادس للجزء الذي يليهما.

بينما نجد أن الشكل يحمل سلم القدم بين الأشكال في الجزء التالي، وفي الصفين السفليين توجد توعية عرقية تتكرر بصفة منتظمة، الأيدي مترابطة علي المستويات نفسها، حقائب السهام في الأشكال نفسها والأكتاف العريضة كلها تدل علي الصلات نفسها، والخطوط المستقيمة تتباين مع الخطوط المائلة: يظهر أحد النبلاء وهو يستنشق زهرة أو يلمس كتف رفيقه.

إن هناك خمسة من النحاتين الآخرين تركوا علامات دالة علي أنماطهم المختلفة في هذا المشهد الواحد، والفنان الرئيس هنا كان يعشق الحفر، أشكاله المختلفة تحتوي علي أصابع طويلة جميلة بشكل معقوف، ويوجد خط منحنٍ يميز كف اليد من الذراع، ومنحني آخر يدل علي الأكمام المنسدلة، الألبسة والأجواخ مستديرة وملساء، والجزء المرتفع من القبعة أكثر عمقاً، وبين المسقط الجانبي للرأس والمقدمة الكاملة للأكتاف يظهر حد الرقبة وهو مشدود، الصدر مجسم من خلال الألبسة أو الأجوخة، بينما مقدمة اللحية الطويلة والرفيعة تركت غير مرتبة، ونهاية الشارب مضفرة، وتوجد شفرات مجعدة صغيرة تحيط بالأذن.

الفنان الثاني لدينا يعمل علي الأسطح المستوية والخطوط المستقيمة، وتمتاز زواياه بأنها حادة وطويلة وعميقة، يداه ذات الأصابع

الطويلة ليست رشيقة ولحيته قصيرة وثقيلة ومقسمة أفقيًا ورأسيًا، والجزء الذي يتقابل فيه شعر اللحية مع شعر الرأس غير منتظم، وفنان آخر له أصابع رفيعة، وكتفاه ورأسه وتنورته رفيعة جدًا، الجميع يظهر من خلال منحنيات صغيرة وعديدة، وأزهاره خطية مثل طبقات تنورته، أصابعه قصيرة ومتقزمة مثل قدميه الصغيرتين، الخطوط الرأسية للحيته واضحة، وهناك رابع لديه خطوط قصيرة وثقيلة وأساور مستوية، وذراعان قويان وأقدام صغيرة، ولباسه خطي وتم تمثيل صوره وأصابعه معقوفة بشكل جميل، وأخيراً يأتي ناسخ فقير والذي تظهر رأسه كبيرة الحجم وأصابعه المتقزمة وأزهاره القصيرة وأساوره المزدوجة لا تظهر أي أثر للنظام.

من وجهة نظر الفن الزخرفي، فإن مجموعات الجزية علي الواجهة الشرقية أقل نجاحاً من المجموعات الموجودة علي الجهة الشمالية، فعلي الأخيرة هناك تجريب علمي معقول بالنسبة للتفاصيل بالرغم من أن الأشكال أقل في العدد وأقل في الحقيقة، أي تميل إلي أن تكون خيالية أكثر.

إن اتجاه الفنان الأول كان أن يضيف شكلاً آخر أكثر إلي كل مجموعة بالرغم من أن ذلك سوف يزيد من صعوبة دراسة الزي علي الدارسين، وهذا المصمم أستاذ في الاستخدام الفعال للخطوط العريضة التي تخدم وتكون في المرتبة نفسها للخطوط العمودية لكي تربط المشهد ككل مع ما حوله، ومخططه يتطلب استخدام فراغ العشرة أشكال ككل من تلك المجموعات منفصلة عن بعضها عن طريق أشجار السرو المتفق عليها.

إن مصمم المجموعات المماثلة علي الواجهة الشرقية قد وظف فراغاً لتسعة أشكال، حيث إن ثلاثة أو أربعة فراغات كانت تخصص لحيوان، ولم يكن هناك عمل أو بذل لأي مجهود من أجل تأمين فراغ

محدد حتي يكون كل شكل تحت الذي يعلوه، ونتيجة لهذا فإن الإحساس الكلي بالإيقاع والتوازن مفقود من خلال هذا الازدحام غير المنتظم وتلك الأسطح العارية؛ ولأن نظام العرض معكوس بالنسبة لهذا الموجود في الشمال، فإن الأشكال ترمي من الجانب الأيمن، والبعض يظهر ممسكاً عكاكيزه رأسيًا والبعض مائلاً.

في الشمال نجد أن الأثواب مصدورة والقلادات معلقة بالتقاطع مع الكتف وليس إلي الأسفل، إن قائد كل مجموعة من المفاوضين علي الواجهة الشرقية ممثل غالباً بالكتف الأيسر في المنظر الأمامي وبالكتف الأيمن في المسقط الجانبي لكي يقترح وجود الشد من قبل الذراع بالنسبة للكتف، وفي الشمال فإن الأثواب منسدلة من علي الأكتاف وطويلة، وبالنسبة لمعالجة الحيوانات فإن هناك مدرستين يمكن لنا أن نلاحظهما علي الأرجح، واحدة تظهر الخيول الملكية علي اللوحة التي في الواجهة من أرمينيا وبونت Armenia, Punt ، الجمل العربي، الزراف، والظباء والثيران المقرنة، أما الأخري فهي ممثلة بالخيول الساسانية Scythian والكابادوكية Cappadocian والحمير الهندية، بالرغم من أن العديد من الحيوانات تمثل خليطاً بين المدرستين.

في الأشكال المميزة تظهر المدرسة الأولي خصلات الشعر في مقدمة الرأس للحيوان محكمة بخطوط تشع من القاعدة وأربطة طويلة تهبط معاً مباشرة خلف مقدم الرأس (الجبهة)، العيون مفرغة لتعطي كرة عين صغيرة ومستديرة، الجفن العلوي يتداخل مع السفلي، وقمة القناة الدمعية أكبر من أسفلها، وفراغ عميق حول العين، ومن القناة الدمعية هناك خط بحري لأسفل باتجاه الأنف، والأذن ترتبط بالرأس في شكل تربيعي والخطوط المنحنية تجري أسفل الذقن والخطوط العميقة تفصل الرقبة عن الرأس، والشفاه قد تمت نمذجتها بدقة والفم إلي حد ما مفتوح وفتحتي الأنف لهما نقطة مدببة.

وخطان يحددان الشكل العضلي للرجل من الداخل وخط واحد صغير من الخارج، والأجسام طويلة ونحيلة، والأقدام تبدو وكأنها سوف تثبت لأعلي، شعر العنق مهندم بعناية، أما أقدام الحاشية فهي مميزة بوضوح، والحيوانات التي تتبع المدرسة الأخري تظهر بالكاد تبايناً كاملاً، ففي الخيول الساسانية نجد أن الخطوط القادمة من خصلات الشعر في مقدمة الرأس مفرغة من المركز، والأربطة تنقسم إلي الأمام، وإلي مقدمة الرأس كرات العين واسعة والعيون محرزة فحسب، نقطة بسيطة أمام القناة الدمعية، وبعد ذلك خط منقطع وقصير يحل محل الخط المفرغ من القناة الدمعية إلي الأنف، والأذن تتصل بالرأس بصورة أقل في الربيع، وهناك خط مستقيم يفصل الذقن عن الرقبة ويكمل عبر الخطم (الأنف)، والشفاه ليس لها نموذج محدد، والفم إما مفتوح بقوة أو مغلق بشدة وفتحتا الأنف منحنيتين فحسب، وعضلات الأرجل ممثلة دون خطوط، والأجسام ضخمة، والأقدام ثقيلة، هذه هي الخيول التي تعمل وتشتغل كما يبدو كذلك من شعور رقبتها غير المهندمة أو غير المرتبة، وهناك صفة مميزة أخري في تلك المدرسة، وهي أن عقب القدم أو الكعب بالنسبة للماشية يختفي وراء حوافر الحيوانات، وللتعرض للتعديلات بالنسبة للاختلافات الطبيعية ومعالجات الحيوانات الأخري نخص واحدة أو أخري من المدارس.

إن التحليل الدقيق لتلك الآثار العظيمة من الفن الأخميني Achaemenid يجب أن يثبت ظهور الرتابة، وما هو إلا عرض تمت تنشئته بتروٍ وتأنٍ، وبهذا التحليل اكتشفنا أن العمل الفردي للعامل قد اكتسب مميزاته الخاصة، ورأينا الطرق المختلفة التي استطاع أن يحل بها مشكلاته الفنية عندما تم تعريض الفن الإيراني لهذا التحليل الصبور والمتأني نفسه، فإننا عندئذ وللمرة الأولي وللعدالة يجب أن نعترف

بالجودة العالية للنحات الأخميني القديم، ونضعه في مكانتـه اللائقـة بـه في تـاريخ الفن القديم.

العبدانة (حجرة الجمهور):

عندما نصرف البصر ونحن كارهون عن أرقي الأمثلة في الفن الأخمينـي الـذي يمكن أن نحصل عليه علي الإطـلاق، فسـوف نتـابع الحـراس ممـن يرمـون السـهام صعوداً إلي مدخل السلالم الشرقي؛ لكي نشاهد ونكتشف ما هو موجود خلف شرفة المتراس العالي، وأمامنا يمكن أن نري رواقـاً معمـداً محاطـاً مـن الجـانبين ببرجـين في الأركان، هذه الأبراج مبنية بالطوب الطيني، ومحاطة بالطوب الملون الخزفي مكونة النقش، وعلي بعد نحو ثلاثين قدماً يرتفع صفان مـن سـتة أعمـدة يبلـغ قطـر كـل منهم نحو سبعة أقدام، وبالرغم من ذلك، فإنهم يرتفعون إلي نحـو خمسـة وسـتين قدماً، وهي تمثل أكثر الأعمدة التي بناها الإنسان بيده تأثيراً في النفس، وهي تعتـبر أعلي الأعمدة وأرفعها علي الإطلاق، وهناك أيضـاً أروقـة ذات أعمـدة مماثلـة عـلي الشرق والغرب كلها تحوي قاعدة ذات زخارف عالية وكثـيرة مثـل الرمـاح المحـرزة، وبها حلقات ونتوءات مستديرة وزوج من الحيوانات الراكعة وأظهرها متقابلة.

في الأروقة ذات الأعمدة التي علي الجوانب يمكننا أن نري هـذا كلـه بصـورته المبسطة مع ثيران كبيرة في الغرب وحيوان السنور المقـرن في الشرق، وعـلي الـرواق ذي الأعمدة في المقدمة، فإن النصف العلوي مـن الـرمح يكـون مزركشـاً بـالأقواس والحلقات الحلزونية المزدوجة رأسيًّا.

الحيوانات الجاثية لهـا قـرون مـن البرونـز مـع أوراق ذهبيـة عـلي عيونهم، وبين النصف العلوي والنصف السفلي يوجد عارضتان طويلتـان تمسكان السطح القائم علي أعمدة، عارضتان أو ثلاثة عليـا، وفـوق ذلـك نري عـوارض تحمـل الأسـقف المصـنوعة مـن الطـين المضروب، والتـي

تحافظ علي الحجرات أسفلها رطبة وباردة، وكـذلك هنـاك الشرفـات المدرجـة ذات الفتحات علي سطح الحصن والتي تخفي وراءها أكوام الذهب والفضة التي تغطي السقف، وهناك مـدخلان يصـلان إلي الـداخل مـن الـرواق ذي الأعمـدة في الشرق، وواحد من الجهة الشرقية وآخرون من الجهة الغربية، وستة صفوف مـن الأعمـدة ترتكز علي قاعدة مربعة، الجـزء السـفلي مـن تلـك القاعـدة مقطـوع مـن الصـخر نفسه، ولكنـه - إلي حـد مـا- يشـبه تلـك الصـخور الموجـودة في الـرواق الأمـامي، ويحمل السقف خشب السدر من لبنان فيما يعطي الإيحاء بمنظر الغابة للجالسين في حجرة الجمهور، والتي تبلغ مساحتها مائة وخمسة وأربعون قدماً مربعاً.

والعديد يمكننا أن نعيد تركيبه بأمان من البقايا المحفوظة، ولكـن اليـوم فـإن صالة الجمهور أصبحت مدمرة ومخربـة، لكـن البقايـا القليلـة المتبقيـة مـن بعـض الأوراق الذهبية وبعض أعمدة من تلك الغابة، كل ذلك يقترح مدي الـثراء والغنـي الذي كان موجوداً، إن الأخشاب المنحوتة التي عمل عليها الكثـير مـن العـمال كـما علمنا من ألواح المحفوظات، والتـي تسـجل أعمالهـم قـد صـارت عـوارض محترقـة ورماداً نتيجة المحرقة التي ارتكبها المقدونيون خلال غزوهم، ولكن الأجـزاء الرائعـة المعلقة قد تم ترميمها وإعادة تشييدها من خلال وصف العبرانيين أو الإغريق.

إن الحشود التي ملأت القاعات قد تم استبدالها بصـفة مؤقتـة ببضـع مئـات من العمال الذين تم الاحتيـاج إلـيهم مـن أجـل المنشـآت الحديثـة، وقريبـاً سـوف تستكمل الشرفـة صـمتها الطويـل، ولكننـا نعيـد قـراءة المصـادر القديمـة، ونـدرس النقوش، وبعد ذلك ننحدر إلي قاعة الجمهـور، وكـما نـري الأعمـدة الطويلـة التـي تقف وحيدة في مقابلة غروب الشمس وتنظر إلي السهل ككل، إن هناك حاجـة إلي بذل مجهود قليل من أجل أن نحلم أننـا زوار قـدامي ينتظـرون الاحتفـال بـدخول كسركسيس (Xerxes) إلي قاعدة الجمهور العظيمة.

الأبهة الملكية:

من القصر إلي الجنوب، حيث هذا هو أكثر الأجـزاء التـي عـاش فيهـا كمكـان جيد للعزلة، هناك ممر خاص يأتي من خلاله إلي قاعة الجمهور، علي رأسه قلنسـوة عالية يظهر عند حافتها شعره المجعد ممشطاً لأعلي جبهته، ويتجـه إلي رقبتـه، وفي المناسبات ربما يرتدي العمامـة المرفوعـة إلي أعـلي أو (التـاج المثلـث) والتـي يلـف حولها إكليلاً من القـماش مرصـعاً بـالجواهر والحشـو مـن القـماش الأزرق المـنقط بالأبيض، ويرتدي حلقان من الذهب المرصع بالجواهر.

وإذا ما وقفنا قريبين بما يكفـي مـن مكـان الملـك سـوف نكتشـف أن عينيـه غائرتان، وحاجبيه واضحان، وأنفه معقوف قلـيلاً، وشـاربه منسـدل، ولكنـه مـبروم عند طرفه، ولحيته تشبه الشكل الآشوري في صفوفها الأفقية من التجاعيد، ولباسـه الخارجي موشي بالقماش البنفسجي الفينيقـي البـاهظ الـثمن، ومرصـعة بالـذهب بأشكال صقور الحرب، وكما تقول القصة فإنه يتكلف نحو اثنـي عشر ألـف تالنـت يرتديه فوق الشيتوت البنفسجي (لباس إغريقي يرتديـه الرجـال والنسـاء) المـنقط بالأبيض، والذي يتم حفظـه للملـك فقـط وحوافـه البنفسـجية تنتهـي إلي السروال الأبيض أو القرمزي والتي تظهر تحت ردائه وحذائه ذي النعـل المسـطح والمقدمـة المدببة ذات لون أزرق أو لـون الزعفـران، وهـو الأصـفر البرتقـالي، ويرتـدي أسـاور ذهبية وطوق ذهبي بينما هناك جراب ذهبي يدعم السيف الفارسي القصير الـذي له غمد من حجر كريم مفرد، وفي يده اليمني يحمل صولجاناً ذهبيًا نحيلاً ومحرزاً، ويده اليسري تحمل زهرة لوتس لها برعمان.

يوم رأس السنة في برسيبوليس:

في النهاية سوف نمتع بصرنا بذلك المشهد الذي يخبرنا وبكل صـدق أننا نشاهد سيد الأراضين، ونلاحظ اثنين مـن الحاشـية يرتـديان الأرواب

والأحذية البنفسجية، ولكن تبعاتهما أقصر، وذقونهما مستديرة وليست مربعة، أحدهما يحمل المظلة الملكية ذات الضلوع المنحنية فوق رأس سيده، ويحمل قمة شجرة الرمان كجزية من آشور سوريا، والذي يجب أن يصاحب الملك حتي في غاراته الحربية، والثاني هو الياور الذي يحمل مناديل المائدة.

يتخذ الملك مجلسه تحت المظلة المرصعة بالجواهر، والمدعمة بالأعمدة الذهبية، كذلك فهناك حواجز علي هيئة وردة في جزأين، حيث يوجد رمز الإله يحميه أسدان يزأران، وكل ذلك محاط بالشباك المثبتة بشرابات ثقيلة، كذلك فالسلالم الدائرية علي العرش تثبت أن الصلب الخشبي مطلي بالذهب بالرغم من أن الإغريق يصرون علي أن كل شيء مصنوع من معدن نفيس، كذلك نجد أن أقدام الأسد تستقر فوق كرات مستديرة من الفضة، وظهر الأسد مستقيم، وليست هناك أية أذرع، وبالرغم من أن هناك وسادة تعطي بعض الراحة لأقدام الملك حتي تستريح علي حامل القدم الذي ينتهي بحوافر كحوافر الثيران عندما يقوم الملك برفع ذراعه الأيمن لكي يمد الصولجان، وهذا يدل علي أفضل استقبال، وبذلك يظهر رداؤه الذي تحت الجزء الأيمن من وسطه وأكمامه الطويلة المكتملة منسدلة إلي أسفل.

في المدخل الملكي يجب أن يقوم الجميع بالانبطاح تقديراً واحتراماً للملك، حيث إنه من العادات الملكية القديمة أنه كان يتم النظر للملك علي أنه مثل الإله، وبالنسبة لكل الجمهور يجب أن تظل الأيدي موضوعة في الأكمام لمنع التهديد باغتيال الملك، وبعدما يتقاعد الملك يمكن أن نعتقد أننا نستطيع تفتيش العرش، ولكن هناك تهديداً لنا بأن ذلك مميت، فالجلوس علي العرش يعني الموت، وكذلك أن تسير علي السجادة أو الممشي الذي يؤدي إلي العرش يعتبر محرقاً.

مبني الإقامة للملك المعظم:

خلال سنوات حكمه المبكرة، وعندما كانت كل طاقاته موجهة إلي استكمال صالة الجمهور الهائلة التي بدأها أبوه أقام كسركسيس (Xerxes) في قصر دارا (Darius) في الجنوب الغربي، وحيث إن القصر لم يكن مكتملاً تماماً، فإن الابن كان لا بد له من إضافة مداخل للسلالم علي الواجهة الجنوبية، والذي كان فنانوه الخصوصيون يقومون بتزيينها من خلال نقوشهم المميزة، وذلك علي الأعمدة التي تسد نهايات الرواق ذي الأعمدة، إن كسركسيس (Xerxes) يتذكر حتي إن القصر قد بدأه أبوه دارا (Darius) .

وبعدما تم استكمال صالة استقبال الجمهور، قام كسركسيس (Xerxes) بتغيير قاعدة عملياته، لقد تم إنشاء قصر إلي الشرق بين المدخل الثلاثي وصالة الطعام ومبني الخزانة وواجهتهم الشمالية المتتالية مرتبة بطريقة بحيث تظهر أنها تتراجع إلي الخلف من الغرب إلي الشرق، ومن المخرج الثلاثي الهائل لدارا (Darius) فهناك مدخل جانبي يؤدي إلي سلالم والتي تؤدي بدورها إلي القاعة الرئيسة في المبني الجديد.

وعلي الجانب الشرقي والجانب الغربي توجد حجرات طويلة وضيقة، وإلي الشمال يوجد رواق به صف واحد من أربعة أعمدة تبدو كأنها تؤدي إلي مربع الخدمات، ولكن في الحقيقة فهو يؤدي إلي ممر مفرد يشبه الحجرة.

إن الخطوات المذكورة سابقاً تصل إلي المخرج الثلاثي مع هذه المنطقة والتي تؤدي إلي دهليز ضيق وطويل، ومنه إلي الحجرة الرئيسة التي لا زالت بعيدة إلي الشرق، والتي تم عمل سقف لها علي عمودين، وتم تزيينها بكوات متراجعة تشبه بالضبط تلك الموجودة علي الحوائط الخارجية للخزانة.

إلي الجنوب من ساحة القصر، فإن هناك مدخل للقصر به صفين من أربعة أعمدة خشبية كل واحد منها بين أعمدة كبيرة، وفي الخلف توجد حجرات الحراس وعلي عضادة (حلق) الأبواب يمكن أن نري اثنين من الخالدين، بعد المرور من هذا المشهد المألوف للملك تحت المظلة، فإن الزائر سوف يدخل إلي القاعة الكبيرة التي تشبه الغابة، وذلك بسبب وجود ثلاثة صفوف من أربعة أعمدة، وهناك عشر كوات حجرية تحيط بتلك القاعة، بينما في الجهة اليمني والجهة اليسري فإن هناك حجرتين طويلتين وضيقتين يمكن الوصول إليهما من خلال الباب الذي نقشت عليه صورة الملك وهو يتصارع مع أسد أو وحش ما له ذيل عقرب.

وفي الجهة اليمني يوجد باب وحيد والذي يمكن من خلاله أن يصل المرء إلي الملك وإلي الحضور حاملاً معه مناديل وفرخاً من أفرخ الطيور، ويفتح كذلك إلي حجرة ضيقة والتي تكمل الجزء شبه العام من القصر، وليست هناك أية نقوش من المنحوتة تتشابه في النمط والمحتوي وتظهر تقارباً لنقوش مماثلة في قصر دارا (Darius) ، وكذلك فإن هذا المبني يتشابه كذلك مع خريطة البناء الأساسية.

لقد أحضر كسركسيس (Xerxes) مقابض الأبواب لهذا القصر من اللازورد الصناعي التي يدل النقش الذي عليها علي أنها قد صنعت من أجل منزل دارا (Darius) ، وإن ابنه قد أعد نسخة مكررة لهذا القصر تحمل اسمه الخاص، وإلي الغرب من المبني النهائي للخزينة، وعلي بعد شارع منه كان هناك مبني الحريم الذي أكمله كسركسيس (Xerxes) من أجل ملكته المتغطرسة أميسترس Amestris ، وكان المبني محاطاً بحجرات الحرس من الأغوات المراقبين، وكان هناك إطار من ست حجرات لكي يسع سيدات القصر، كل إطار يتكون من صالة صغيرة والتي سقفها تحمله أربعة أعمدة فقط، وكذلك حجرة نوم صغيرة جدًّا حتي بالنسبة لشخص واحد، كذلك فهناك حجرات أخري متماثلة في

الحجم والشكل تستمر للحريم في الغرب، حيث إنه عند نقطة واحدة يكون الارتفاع الأصلي للمبني تدخل عليه الشقوق الموجودة في الحجارة الموجودة في الحائط.

المدخل إلي كل الأراضين:

عندما نقوم بدارسة الخطة العامة للمباني في برسيبوليس، فإن السبب في التغير في القاعدة أصبح واضحاً، حيث إن كسركسيس (Xerxes) كان يطور مشروع المبني حتي بدرجة أكبر من صالة الجمهور الخاصة بأبيه، في الخطة الأصلية لدارا (Darius) ، فإن الزائر الذي قد تسلق سلالم الرصيف يمكنه في اللحظة نفسها أن يلتفت يميناً، ثم يهبط الدرج في الجزء الشمالي إلي صالة الجمهور، لقد أتم كسركسيس (Xerxes) تلك الخطة، ولكن كان عمل فنانيه سباقاً، حيث إن النقوش البارزة علي السلالم الشرقية أصبحت تستحق الانتباه.

ولهذا فإنه إلي حد بعيد أصبحت القطاعات الشمالية والشمالية الغربية باقية دون استخدام، ثم قام كسركسيس (Xerxes) بملأ معظم هذا الفراغ، فلقد وضع مباشرة في محور السلم (الدرج) باباً أثريًّا يبلغ عرضه اثنان وثمانون قدماً، ويبلغ ارتفاعه نحو أربعين قدماً مع بوابة واحدة فقط في اتجاه صالة الجمهور.

وعلي جانبي المدخل يمكن للزائر الذي يمر بين عدد هائل من الثيران يبلغ ارتفاعها 20 قدماً ونصف خالية من الحجارة وفوق أجسامهم يمكنك أن تري أنا كسركسيس (Xerxes) الملك المعظم، ملك الملوك، ملك الأراضين للعديد من الشعوب، ملك تلك الأرض العظيمة الواسعة المترامية الأطراف بعناية أهورا- مازدا قد أقمت البوابة، كل الأراضي التي بناها أبي وأنا.

ما الذي قد تم بناؤه ويظهر جميلاً؟ لقد بنينا كل هذا بعناية أهورا-

مازدا، تحت الأعمدة الأربعة الطويلة ذات العلامات الرأسية والثيران الكبيرة فإن الزائر يمكن أن ينتظر اجتماعه علي الطاولة في منتصف الجانب الشمالي، وهناك درجة سلم ربما تحمل الرمز الملكي الدال علي تعظيمه، ثم يمكن له أن يتصل في الشرق بين ثورين لهما رأس إنسان، وبالمثل كما كان يفعل أتباع الآشوريين فإن تلك الثيران كانت لها ثلاثة قرون والتي تدل علي أقصي تقديس إلهي، وتيجان بها ريش بدرجة كبيرة علي شكل وردة، ولحية طويلة ذات شعر مجعد، وأجسامهم كذلك كان عليها ريش، ولها أجنحة تتحرك إلي أعلي وإلي أسفل، ومرة أخري فإن الزائر يمر تقريباً إلي الشرق باتجاه بوابة صغيرة ولكنها الآن محطمة.

قاعة المائة عمود:

من هنا، فإن الزائر يدور بحدة إلي الجنوب لكي يدخل تراكيب جديدة غزيرة تبدأ بكسركسيس (Xerxes) في سنواته الأخيرة والمعروفة في يومنا هذا بصالة أو قاعة المائة عمود.

وأمام حجرة الجمهور، وفي الشمال كان هناك الرواق الذي به صفين من ثمانية أعمدة علي قمتها زوج من الثيران ذات الرؤوس الآدمية، الأعمدة الكبيرة علي الجانبين كانت تتكون من جزء أمامي عبارة عن ثور هائل، وكل جزء تم تناوله بطريقة معمارية بحتة، ولكن الرأس قد أذهلتنا، حيث إن الفنان الفارسي فهم كيفية تنقية التركيب المنحوت، والذي نفترض حتي اليوم أنه محض خيال من قبل الإغريق.

وكنتيجة لاستخدام هذه التنقية، فإن كل رأس تدور قليلاً تجاه المتطلع، والذي أثناء مروره بينهما يري في كل خطوة خطوطاً عريضة مختلفة ولكنها متوازنة الأجزاء، إن الفحص القريب يوضح أن عملية التنقية كانت متباعدة ومنفصلة عن بعضها، وإذا ما أسقطنا خيطاً ذا ثقل

من أعلي نقطة عند الرأس، فإننا سوف نلاحظ أن الجانب الأيمن ليس مماثلاً للجانب الأيسر، حيث إن الرأس تميل قليلاً إلي أحد الجانبين، وأن التفاصيل التي في الخارج لم يتم عملها بدقة كالتي في الداخل.

إن المداخل التي تؤدي إلي حجرات الحرس ربما تكون إما في الزاوية خلف الأعمدة الكبيرة وكانت محمية بدرجة أكثر من الثيران علي الأقل بالنسبة للأفكار الحديثة عن طريق اثنين هائلين من الخالدين، ويمكننا أن ندخل إلي الصالة الكبيرة من خلال أي واحد من المدخلين والذين لهما عدد من المداخل من الجوانب الأربعة.

لقد تم ترك حوائط مبنية من الطوب الخام وتم استخدامها في بناء الحواف ذات الأربعة والأربعين باباً وشباكاً، وفيها كوات حجرية للتخزين متقاربة مع بعضها، وبالنسبة للأعمدة التي من خلالها اكتسب البناء اسمه الحديث كانت في عشرة صفوف في كل منها عشرة أعمدة، وكانت تشبه تلك الأعمدة الموجودة في صالة الجمهور بالرغم من أنها أصغر حجماً، وتم بناؤها متقاربة من بعضها.

المداخل الشمالية والجنوبية تمثل مشهد الجمهور، الملك علي عرشه تحت المظلة، والمقعد ذو الجناحين، واثنين من الحاشية في الخلف، والنبلاء أمام الملك علي الشمال، وخمسة من الحراس من الفرس وأهل مدين بالتبادل يواجهون ممراً ضيقاً والذي يؤدي صعوداً إلي أسيادهم، ولكن في الجنوب يتم استبدالهم بنحو ثمانية وعشرين من الأفراد للتدعيم، وعلي عوارض البوابات الجانبية نجد الملك وتنورته مرتفعه بحزام لأعلي وخنجره الذهبي في يده يذبح حيواناً يقف علي قدميه الخلفيتين ويرمز للشر.

الثور، الأسد، الأسد المجنح الذي له مخالب الصقر والرمح الحارس مع رأس الأسد وذيل العقرب كل هذه المنحوتات هي عمل الفنانين الذين تدربوا في مدرسة كسركسيس (Xerxes) ، ثم قدموا أرقي

فن كلاسيكي في الفترة الأخمينية، فاهتمامهم الدقيق بـأدق التفاصيل وبـراعتهم في إنهاء العمل وتقديمه بصورة نهائية ناعمة وجميلـة يبهجنـا ويسرنـا في تطـور الفـن الفارسي، ونجد أن المنحوتات الخاصة بكسركسيس (Xerxes) في قصر الحـريم عنـد الانتقـال بـين قاعـة المائـة عمـود وقاعـة الجمهـور لـدارا (Darius) ولكسركسـيس (Xerxes) في أيامه الأولي.

في المقابل، فهي تشرح وتوضح لمـاذا كـان الـركن الجنـوب غـربي مـن القاعـة الحديثة للجمهور يتصل فيزيائيًا بسلالم مع الـركن الشـمالي الغـربي لـقصر الحـريم، وذلك من أجل إعطاء الفرصة وتسهيل الانتقال إلي هنـاك بالنسـبة للملـك، وهنـاك حقيقة أخري أيضاً تظهر عندما نقارن بين حجرة الجمهور بالعبدانة (قاعة استقبال الجمهور) كما جاءت في الخطة الأساسية بالرغم مـن أن الخطـط العامـة متشـابهة كثيراً فإن هناك فوارق أساسية بينهما، إن هناك مدخلاً واحداً فقـط للحجـرة وهـو الذي إلي الشـمال، وكـل المعالجـات للأعمـدة الضـخمة ليسـت متماثلـة، في أمـاكن المداخل علي الجوانب الأخري نجد هناك فقط حجرات دهليزية ضيقة، إن أعمـدة الصالة الكبيرة إلي حد ما أصغر وأكثر تقارباً من الجديد، أيضاً التوسـع في اسـتخدام الكوات الحجرية لكي تقلل من استخدام الطين الخام.

القصر الأخير لكسركسيس (Xerxes) :

الخطوط الأساسية المميزة النموذج بالنسبة للنقوش البارزة تثبت أن المقر الأخير الذي أنشأه كسركسيس (Xerxes) لنفسه في أعلي نقطـة مـن الرصيف يجب أن تؤرخ إلي السنوات الأخيرة نفسها في حكمه، تقريبـاً وفي اتجاه القرب من فناء قصر الحريم نجد عدداً في السـلالم تـؤدي إلي مكـان ذي بوابة يحوي أربعة أعمـدة، والتـي تعطـي إمكانيـة الوصـول إلي فنـاء

ضيق وعالٍ ينتهي إلي الغرب بسلالم هابطة إلي الفناء جنوب قصر دارا (Darius) .

والسلالم طويلة لكي تصل إلي الركن الشمالي الغربي في القصر الجديد، والنحت الذي علي تلك السلالم يذكرنا بأن هذا هو كسركسيس (Xerxes) الذي بني هذا المقر أو النزل، بينما أن نمط النقوش البارزة التي ترمز لصالة الطعام تقدم علي أنها تدل علي تاريخها المتأخر، ومن أجل إمداد ذلك المقر الملكي بالماء، فإن هناك نفقاً يؤدي إلي قصر دارا (Darius) تم حفره في الجنوب خلال وعبر الفناء وعلي طول محور القصر.

إلي الجنوب من هذا يوجد رواق ذو أعمدة عبارة عن اثني عشر عموداً في صفين، بين العمود الكبير الذي يحمل النقوش والتي تشبه تلك الموجود علي المداخل، ومن الشمال هناك أبواب تمثل عوارضها الملك تحت مظلته، والتي تؤدي إلي الصالة الرئيسة المربعة، والتي تم رصفها بالحجارة الحية وسقفها يحمله ستة صفوف من ستة أعمدة خشبية، والنوافذ ذات الأطر الحجرية التي تحمل الطعام للحضور هذه إلي الخلف تحضر الثيران، وإلي الشرق والغرب من الصالة يوجد باب يسمح بالدخول إلي حجرة النوم ذات أعمدة أربعة كما هو الحال في قصر دارا (Darius) .

والغرض من تلك الحجرات تم التدليل عليه من خلال النقوش البارزة التي توجد علي عوارض تلك الأبواب، وهي عبارة عن شباب ومعهم مباخر ذات سلاسل ودلو ومناديل وكذلك زجاجات العطر، وفي جهة الشمال والجنوب من حجرات النوم توجد حجرات عددها جميعاً هو اثنا عشر عموداً، وهي لا شيء إلا أنها أماكن ضيقة تستخدم كل منها كخزانة، وفي معظم نقوش القصر حتي علي الألبسة والأجوخة الملكية سوف نجد أن هناك تكراراً للنقوش نفسها.

ممر ضيق خلال الحائط الجنوبي محمي بدرابزين من الحجر يعطي منظراً بديعاً فوق السهل، وفي كل جانب من طرفيه توجد مجموعة من السلالم التي تنحدر بشدة إلي مستوي أقل خاصة بالحجرات الغربية للحريم.

إن دارا (Darius) يدعي أن له الفضل في اختيار المكان من أجل هذا البناء الكبير ومن أجل تلك الحوائط الهائلة وكذلك التخطيط العام، والمباني الرئيسة قد بدأ العمل فيها في عهد دارا (Darius) ولكن إكمالها ترك لابنه كسركسيس (Xerxes) .

كسركسيس (Xerxes) والبناء العظيم في برسيبوليس، وإليه يرجع الفضل في التغيير الملحوظ في التخطيط، ففي أثناء فترة حكمه وصل الفن الأخميني إلي درجة كبيرة في تطوره الكلاسيكي، ولكن خططه كانت طموحة جدًّا، لقد كان العمل بطيئاً في سنواته الأخيرة، ولقد مات قبل أن تكتمل أي من قاعات المائة عمود أو حتي قصره في البناء.

الفصل الحادي والعشرون

زيادة الضرائب المفروضة ونتائجها

أوري ميدون كانت هي العلامة المائية الفارقـة للنجـاح الأثينـي (الإغريقـي) ضد فارس، وكذلك فإن المحافظة علي عادة الاحتفال الروماني القـديم بـالنصر عـلي العدو أصبحت قاعدة في أثينا بعد النصر الذي حققه سيمون علي عدوه اللـدود أو الند المنافس له في عام 470، فقد تقاعس ثيميستوكلس Themistocles وذهب إلي أرجوس Argos ، ومن هناك أكمل سياسته ضد إسبرطة؛ ولأنه كان ملاحقاً من قبل إسبرطة ومن بعد إسبرطة الآن حيث صارت كل القوة في أثينـا، فقـد كـان عليـه أن يفر من أجل حياته.

لقد كان متهماً بولائه لمدين، وأيًّا ما كان هذا الاتهام صـحيحاً أو غـير صـحيح والذي اتهمه به خصومه السياسيون، وقد استغل هو ذلـك الاتهـام، وقـام بالبحـث عن مكان آمن من أجل اللجوء إليه، ولم يجـد أفضـل مـن أن يكـون تحـت حمايـة الملك المعظم، فبعد سلسلة من المغامرات المثيرة استطاع أخيراً أن يفر إلي إيفسوس Ephesus ؛ ولأنه كان لا يزال خائفاً من الاغتيال فقد فر محمـولاً إلي صوصـا Susa متخفياً في خيمة متظاهراً بأنه مرافق لإحدي السيدات الفارسيات، وهنا استطاع أن يكون أصدقاءً وصداقات مع أرتابانوس القوي Artabanus قائد الحرس في الـقصر، ولكن بينما كان هو يكرس علمـه لـكي يـتعلم اللغـة الفارسـية والعـادات الفارسـية قامت في القصر ثورة في تلك الأثناء.

غزو أرتاكسركسيس Artaxerxes :

بالقرب من نهاية عام 465 تـم اغتيـال كسركسـيس (Xerxes) في حجـره نومـه، وكان علي رأس المتآمرين أرتابانوس، وساعده في ذلك اليـاور أسـباميتس Aspamittes وكذلك ساعده ميجابيزوس Megabyzus ابن زوبـيروس Zopyrus ابـن زوجـة الملـك الذي استاء لرفض كسركسيس (Xerxes) لـكي يأخـذ موقفـاً عنـدما تـم اتهـام زوجتـه أميتس Amytis بأنها كانت زانية، لقد تم دفـن كسركسـيس (Xerxes) في مقـبرة تـم عملها في الصخر في جرف ناحية الشرق من أبيه.

لقد كان من الواجب أن يكون خليفته ابنه الأكبر دارا (Darius) ، ولكـن دارا (Darius) كان لديه سبب جيد لكي يكره أباه، ذلك أن أباه أغـوي زوجتـه أرتيانـت Artaynte ولم يجـــد أرتابـــانيوس أيـــة صـــعوبة في ملاحقـــة أرتاكسركســـيس (Artaxerxes) ذي الثمانية عشرة ربيعاً لـكي يـذبح أخـاه قاتـل أبيـه، وبعـد ذلـك بقليل وبعدما أصبح أرتابانيوس مشغولاً تماماً مـع الملـك الجديـد حـاول أن يضـعه خارج الطريق.

لقد كان أرتابانيوس يتطلع إلي أن يستحوذ عـلي العـرش لنفسـه، ولكـن تمـت خيانته من قبـل تابعـه ميجـابيزوس Megabyzus الـذي اشـترك معـه في المـؤامرة، والذي لم يكن يرغب في أن يأخذ مكانه بالقوة، بالرغم من أن أرتابانيوس قد خطط لكي يصيب أرتاكسركسيس (Artaxerxes) إلا أنه فقد حياته في مشاجرة.

لقد مات أسباميتس Aspamittes بسبب نوع قاسٍ ووحشي من التعذيب يسمي «بالمركب»، وفي المعركة الأخيرة اختفي الأبناء الثلاثة لأرتابانيوس والذين كـانوا عـلي قيـد الحياة، وكذلك فقد أُصيب ميجابيزوس إصابة بالغة، ناسياً أنـه قـد اتهـم زوجتـه بعـدم العفة، فإن ميجابيزوس قد عقد سلاماً مع أميتس Amytis ، ومن خـلال شـفاعة أخيهـا

أرتاكسركسـيس (Artaxerxes) وأختهـا رودوجسـن Rhodoguny وأمهـا أميسـترس Amestris ، ولقد تم علاجه بواسطة أبولويندس الماهر Apollonides الطبيـب مـن كوز Cos ، الابن الآخر لكسركسيس (Xerxes) وهو هيتستاسـبيس Hystaspis الـذي ثار في باكترا، وكانت المعركة الأولي متكافئة أو متعادلة، ولكن في المعركـة الثانيـة تمـت مساعدة أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بواسـطة ريـح قويـة هبـت في وجـه أعدائـه، وبذلك فقد فاز في المعركة وحقق النصر.

وصول ثيميستوكليس Themistocles :

روكسـانس Roxanes الـرئيس الجديـد للحـرس كـان عـدواً شخصـيًّا جيـداً لثيميستوكلس، وبالرغم من المعارضة، فإن ثيميستوكلس استخدم معلوماتـه الجديـدة المكتسـبة مـن الفـرس في الفـوز عـلي الملـك في مقابلـة شخصـية معـه، لقـد صـدق أرتاكسركسـيس (Artaxerxes) ادعـاءه بأنـه أرسـل رسـالة إلي كسركسـيس (Xerxes) بإخلاص وولاء، ووثق في وعوده الكثيرة بالنسبة للمستقبل.

لقد حصل لذلك علي اللقب الشرفي (صديق الملك)، بالإضافة إلي حكمه لـبعض المدن الإغريقية الخاضعة، وبدلاً من تدعيمه في البلاط الملكي فقـد كـان يحصـل عـلي دخول من هذه المدن، فكانت علي سبيل المثال ماغنسيا Magnesia تـدفع لـه نحـو خمسين تالنت من أجل الخبز، ومايوس Myus كانت تمـده بالأسـماك، ولامبسـاكوس Lampsacus كانت تمده بالنبيذ المخصوص له، وبركوت Percote وسيبسس القديمـة Sepsis كانت تجهز له أقمشته وما يلزمه للنوم، إن إيبكسيس Epixyes حاكم ولايـة فريجيا Phrygia حـاول أن يغتالـه عنـد رأس الأسـد، ولكـن ثيمسـتوكلس وصـل إلي سيبسس سالماً، لقد ظل في ماغنسيا حيث تزوج سيدة فارسية، والتي كانت ابنتها قـد كرست نفسها ككاهنة لديدمن Didymene أم الآلهة.

لقد كانت الأعياد والولائم تنظم في المدن المختلفة كما يتذكر السكان، وكذلك في ماغنسيا قد صنع عملات معدنية عليها اسمه وعليها صورة أبولو وهو يقف عارياً وهو الإله الذي يبجله دارا (Darius) .

قائمة الجزية لهيرودوت (Herodotus) :

لقد تبع أرتاكسركسيس (Artaxerxes) بصفة عامة سياسية أبيه، الذي كان يطلق عليه في بابل اسم ملك الأراضين؛ ولهذا فإن شعب بابل كان مكرماً من خلال نقش علي عمود حجري، وفي عام 462 يبدو أن القساوسة في بل ماردوك Bel Merduk تم إعادة تعيينهم وأُعيد إليهم بعض من أراضيهم.

إن النقوش المصرية النادرة تحوي أثراً فرعونيًّا وحيداً به اسمه، ولكن الزهريات توجد عليها نقوش كتبت بأربع لغات، وقد أُضيف إليها اسم الفرعون العظيم، وعند مقارنة قائمة كسركسيس (Xerxes) وجدول الخدمة بالنسبة لجيشه، وقائمة الجزية الرسمية التي أوردها هيرودوت (Herodotus) بقوائم الولايات الستة التي كتبها دارا (Darius) سوف نجد أن هناك بعض الاختلاف في التعليمات، فكما كان هناك نحو عشرين ولاية تحت حكمه، فإن العدد الكبير الذي كان تحت حكم دارا (Darius) قد قل بسبب اتحاد بعض من الولايات المنفصلة اليوم، وهذه العملية أو تلك الطريقة قد تم بيانها في قوائم الجنود لكسركسيس (Xerxes) ، ولكنها قد تم تسريعها في قائمة الجزية لأرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، وذلك يوضح مرة أخري فقد المقاطعات الواحدة تلو الأخري.

الولايات الشرقية:

لقد مضي وقت طويل منذ انقطاع فارس عن دفع الجزية، إن الولاية الكبيرة في مدين والتي تضم الآن باريكاني Paricani وسترات كاب من

Straightcap Men ، الساكا تيجراكودا Saka Tigrakhouda كانت تـدفع جزيـة تقدر بنحو 450 تالنت، بالإضافة إلي نحو 100.000 من الغنم والكلأ لنحـو 50.000 من الخيول غـير المخصـية مـن أجـل الملـك. أمـا صوصـا Susa وساسـان Cissaean فكانت تدفع نحو 300 تالنت، أما أرمينا وباكتريـا (Bactria) ,(Arminea) بالمثـل، وكما كانت ولايات البحر الأسود تدفع نحو 400، كانت الولاية ترسـل نحـو 20.000 سنويًّا إلي الملك من أجل عيد ميثرا Mithra ، وكانت ماتبني وساسبيرس ,Matieni Saspeites والروديـان Alarodians يـدفعون نحـو 200 تالنـت، وكانـت موشـيان Moschian وتيبازنيـــان Tibarenians ومـــاكروتس Macrons ومـــوسي نـــوس Moysynoecy ومـارس Mares تـدفع نحـو 300، وكـان الكـولكيين Colchians يعطون نحو مائة صبي ومائـة فتـاة كهديـة كـل عـام يحملـون الجـمال الشركـس Circassian أمام الأتراك.

وإذا كانت هناك قوة في تطبيق الحكم الفارسي في تلك البقعـة، والتـي تظهـر في قائمة الجند لكسركسيس (Xerxes) لا يزال موجوداً، فإن اتحاد الولايات في إيران الشرقية والذي بدأ عـن طريـق الأب واكتمـل عـن طريـق الابـن يشـير إلي الاتجـاه المعاكس، كذلك كانت ولايات كاسبان وبوسيكا وبانيماثي ودرياتي يدفعون نحو 200 تالنت Caspians, Pausicae, Pantimathi, Darilae .

وكانت ولايـات السـاكا وكاسـبي يـدفعون نحـو 250 Sacae, Caspil ، وكانـت بلرثيـا كورزميـا وسـيوديانا وأريـا Parthians, Chorasmians, Sogdians, Arians يدفعون نحو 300؛ لذلك فإن اتحاد أو اندماج هذه الولايات الأربـع لـدارا (Darius) معاً يتسبب في مشكلة خطيرة عند جمع الضرائب إذا لم تكن هناك خسـائر حقيقيـة علي هذه الحدود، ومرة أخري اتحدت ثـلاث مـن الولايـات الرائـدة في كيـان واحـد، وهي سـاجارتا، سـارانجيان، تامـانين، تيتيـان، ميسـيان وجـزر Exile في خلـيج فـارس

Sagartions, Sarangions, Thamaneans, Utians, Myciians هذه المقاطعة الشاسعة كانت تدفع نحو 600 تالنت.

إن غياب القوقاز Arochosia من القائمة يعتبر سبباً آخر يدعو إلي الشك، والاثنين قد اتحدتا في حالة ساتاجيديان وجاندازيانم وداديكا وأباريتي الذين كانوا يدفعون جزية نحو 170 تالنت Grandarians, Dadicoe, Aparytae, Sattagydians ، أما باكتريا البعيدة كما كانت إيجلي Bactria, Aegli فكانت تدفع نحو 360، وكانت باريكا Pairika وأثيوبيا الآسيوية Asiatic, Etheopia يتعين عليها دفع ما هو مجموعه 400 تالنت للقندهاريين.

لقد كان آخر ظهور Gandarians كدافعين للجزية الفارسية وأحد الخاضعين لها في قوائم أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، بالرغم من أن الأرض ظلت معروفة باسم قندهار Gandhara منذ العصور الهندية القديمة.

وعلي الرغم من ذلك، فقد ظل الهنود الهندوس Hindush علي ولائهم لحكم دارا (Darius) الأخير، والذي عرف ولاءهم وقدراتهم القتالية عندما وضعهم إلي جانب ألف من الخالدين كحرس خاص له، وقد كان هناك اتصال كافٍ مع الغرب تقريباً حتي نهاية القرن الخامس بالنسبة لهيرودوت (Herodotus) ؛ حتي يكون قادراً علي توضيح أنه بالنسبة للعدد يعتبر الهنود أكثر في العدد من كل الشعوب الأخري المعروفة للإغريق، حيث كانوا يدفعون لأسيادهم من الفرس أضخم جزية (360 تالنت من الذهب الخام)، وكانت الكلاب الهندية تستخدم في الجيش الفارسي، وكذلك كانت هناك أربع قري بابلية توضع جانباً من أجل تدعيمهم.

لقد لوحظ التغير في فنون الحرب من العربة الحربية التي يقودها الآريون والذين تم تمجيدهم في المقالات الهندية المطولة مع الفرسان

الذين يرافقونهم، بينما في عام 480 كانت الفرقة الهندية تتكون من الفرسان والمشاة، ولقد أخبر هيرودوت (Herodotus) عن نمل هائل جدًّا في حجمه يحفر في الصحراء ليخرج الذهب والذي كان يخضع السكان الأصليين الذين حاولوا سرقته لكي ينجوا بحياتهم، ولكنه - أي هيرودوت (Herodotus) - كانت لديه معرفة بسيطة مع الجماعات الهندية التي كانت تعيش خلف الحدود الفارسية، فلقد سمع عن الهندي الذي لا يقبل أي شيء حي، وعن شجرة القطن المذهلة التي يصنعون فيها ملابسهم، ولكن علي الرغم من ذلك، لم يتم ذكر المدينة الرئيسة للهندوس وهي تاكسيلا Taxila التي أخذت سريعاً مكانه بيوسيلا Peucela العاصمة الأولي لقندهار.

بابل:

بعد ثورتها الأخير انضمت بابل إلي سوريا وفقدت هيبتها، لقد كانت مدفوعاتها الفضية هي العليا في الإمبراطورية لكل (1000 تالنت) بينما هداياها المخزنية كانت تتكون من 500 صبي حتي يتحولوا إلي أغوات، ولقد كانت خصوبة تربتها وقربها من صوصا سبباً في جعلها تتحمل العبء الثقيل في إمداد البلاط الملكي بالطعام لمدة أربعة أشهر في العام، ويخبرنا هيرودوت (Herodotus) أنه في أيامه عندما كان تريتانتاشمس Tritantaechmes ابن أرتبازوس Artabazus يحكم الولاية كانت تعطيه يوميًّا Artaba (أوقية) من الفضة، كذلك كان القرويون الذين يزرعون الأرض يمدونه بالخيول اللازمة للحرب، ثمانمائة حصان بدون فحص، وست عشرة ألف مهرة، وكانت هناك أربع قري أخري كبيرة تقوم بإطعام كلابه.

إن هيرودوت (Herodotus) يخبرنا بقصة، وهي أن البابليين كانوا معتادين علي عمل مزاد علني علي نسائهم الصغيرات، وكانوا يدفعون

المهر للقبيحات، مما يجمعونه من الجميلات، هذه القصة ربما يكون مشكوكاً في صحتها، ولكن ليس جملته التي يقول فيها: «من أجل أن يمنعوا بناتهم من معاناة العنف، وأن يتم سبيهن في بلاد غريبة»، كذلك فإن السكان الأصليين كانوا يعدوهن ليصبحن من المحظيات، حيث إنه وخلال الغزو الفارسي، فإن معظم الناس يُعاملون بطريقة سيئة من قبل سادتهم حيث يتم تحطيم عائلاتهم.

مصر وما وراء النهر:

فيما وراء النهر ومنفصلة عن بابل، فإن هناك قبرص بالإضافة إلي فلسطين وسوريا كانت تدفع جزية ثابتة تصل إلي 350 تالنت، وليبيا وتضم سيرين وبرقة Cyrine, Barca والتي يجب أن تضاف إلي المكاسب الآتية من المصائد المؤجرة في بحيرة موريس Moeris ، ونحو 120.000 صاعاً من الحبوب لإطعام الحامية الفارسية في القلعة البيضاء بمفيس، وهؤلاء المرتزقة من اليهود في فيلة Elphantine ، كذلك فكل ثلاث سنوات كان الأثيوبيون علي الحدود يحضرون هداياهم: ذهب خام، ومائتين من الخشب الأثيوبي الطويل، وخمسة صبيان، وعشرين ناباً من أنياب الفيلة.

الجزيرة العربية:

ظلت الجزيرة العربية طويلاً كولاية تدفع الجزية، وكانت تحضر سنويًّا هدية نحو 1000 تالنت من لبان البخور، وكما يُخبرنا هيرودوت (Herodotus) أن الأشجار كانت محمية عن طريق الثعابين المجنحة والأفاعي السامة، والتي فقط يمكن التخلص منها عن طريق حرق الميعة أو الصمغ، كذلك فإن المر يمكن أن ينمو، ولكن القرفة الصينية تنمو في بحيرات ضحلة تحميها حيوانات تشبه الخفافيش والتي كان يمكن اجتنابها عن طريق تغطية العين والجسم بالجلد، والقرفة Cinnamon هي كلمة

فينيقية، والنبات يتكون من العيدان التي تحملها طيور الرخ العملاقة - في القصة الأسطورية- إلي أعشاش من الطين علي الجروف، وقد كان العرب يلقون بقطع اللحم الغليظة للطيور لكي تحملها، ولكن وزنها يكسر الأعشاش، وبالتالي يمكن التقاط القرفة التي تسقط، واللادين - وهو صمغ راتنجي يستخدم في صناعة العطور ويتم الحصول عليه من خبز الماعز- وكانت هناك سلالتان من الأغنام إحداهما يبلغ عرضها نحو ثمانية عشر بوصة، والنوع الآخر يبلغ طوله نحو أربعة وخمسين بوصة، والتي يضع قطيع الماشية الشحن ويخزنه لفترة طويلة، ومن هذه الحيوانات الرحالة يُؤخذ الغزل، ثم يتم تحويل هذا الغزل بتأنٍ وبترو إلي أقمشة عن طريق التجار النباطين Nabatean والذي يُبعد الأجانب الذين ربما يحسدون هؤلاء التجار الذين يتحكمون في المكسب المربح من تجارة التوابل مع جنوب غرب الجزيرة العربية، وذلك من خلال ما سجله السكان الأصليون.

لقد بدأت الكتابة بالأبجدية في شبه جزيرة سيناء خلال القرن الثامن عشر عندما استخدم بعض السكان الأصليين الحروف الأبجدية غير الكاملة والتي تكونت في مصر من أجل الأسماء الأجنبية، والكلمات كذلك من أجل لغته الخاصة، الأسماء المحلية كانت تُعطي للعلاقات الهيروغليفية التي أشير إلي قيمتها اللغوية في مواضع كثيرة، بينما الشكل الذي منه أتت أبجدياتنا وتطورت من فينيقيا، والبعض الآخر ظهر في القرن الثامن في ميناء سلوموت Sloman علي ساحل البحر الأحمر Ezion Geber ، وفي منتصف القرن السادس كان سكان ديدان Dedan في شمال الصحراء العربية يستخدمون جيداً كتابة سيناوية متطورة Sinaitic من Rudegraffiti ، وفي مثل تلك الـ graffito تم إعطاؤنا اسم ملك ديدان.

لقد وجد خاتم اسطواني الشكل في آنا Ana في منتصف الفرات Euphrates بالضبط قبل أن تدخل إلي بابل، مما يثبت أنه كانت هناك

تجارة في هـذا الاتجـاه، وأن البـابليين قـد أثـروا في الثقافـة العربيـة، كـذلك فهنـاك جعارين ديدانيـة أسـطورية Great is Adad يوضـح وجودهـا علاقـة مماثلـة مـع مصر، وهناك العديد من الـ graffti الأخري غالباً من ديدان إليولا الحديثة Elula .

وكذلك تقريباً من الحروف البناوية الأصلية، وتقريباً في التاريخ نفسه، فهنـاك الشكل المبكر من الحروف أو الكتابة والذي يطلـق عليـه الثمـودي Thammndic والذي وجدت بعض التسجيلات المختصرة له بالقرب من طما Tema ، فلدينا عـلي سبيل المثال أسماء العـائلات مثـل ابـن فـاجي، والـذي اكتسـب اسـمه مـن سـمرفا Samrafa ، وكذلك ياكفورل Yakjfuril ، والذي اكتسب اسمه من بيصـار Biathar ابن جلف Gilg ، والذي كان ملتاعاً من الحب إلي حد غير متوقع والذي عسـكر في صامدا Samda ، وكذلك راحيميل Rahimil ابـن بُصرات Busrat الـذي عسـكر في ديدان، وتشهد علي ذلك قوافل التجارة الصحراوية، وهناك العديد من الآثـار التـي تلقي الضوء علي الديانة.

ناميل Naamil ابن جفراز Gafraz عليه مجد اللـه يقدم لنا إلـه المسـلمين منذ ألف عام قبل محمد (صلى اللـه عليه وسلم)، واسمه سـام الـذي يـتشرف بـه الصامدا Samada ، لقد تم تقديم سالم من خلال الحجـر المشـهور في طـما Tema والذي يقول إن «سالم هو إله رئيس، إله قاسم هو سالم»، ربما أن ذلك التنافس بـين الآلهة الثلاثة هو السبب الذي يصر من أجله ناميل علي أن الإلـه لـه المجـد، وكـما أُخبر هيرودوت (Herodotus) أن آلهة العرب هم أوروتالت Orotalt الذي ينتمي إلي ديونيس Dionysus وأليلات Alilat الذي هو إلـه الحـب والجـمال، لقـد كـان أصـحاب المقـام الرفيـع يقصـون شـعورهم، ويحلقـون ذقـونهم مثـل الإلـه، وكـانوا يقدمون الهدايا لأصدقائهم ولرجال القبيلة تعبيراً عن الحب والمودة.

لقد كان هناك رجل ثالث متوسط بين هذا وذاك قطع إصبعه الثاني

بحجر حاد، وله خدش من أثر ذلك ويقوم بلطخ الدم علي الحجارة السبعة الموضوعة بينهما ويتضرع إلي هذين الإلهين، وقبل انتهاء هذا يبدو تقريباً أن ملك ديدان قد تمت إزاحته من منصبه في بيان عن طريق ملوك ليحيون Lihyon ، وأن بعضاً من نقوشهم قد كُتبت بشكل أقدم من أشكال الكتابة وقد وُجدت بالقرب من هجرا Hegra .

تلك النقوش كانت تحمل عبارات تدعو له بطول البقاء، وبالحظ الباهر، والعمال من بالسامين Baalsamin قد نجحوا في جعل الحجر أكثر كثافة؛ لذا لا تستطيع أية امرأة أن تصعد عليه، وذلك من خلال القسيسات النساء من باحياني Bahiani ، ولقد حفر نيران Niran ابن حاديرو Hadiru اسمه أمام غشم Gashm ابن شاحار Shahar وعبد Abd حاكم ديدان، والتاريخ القريب لذلك هو أيام غشم الغربي Geshm نحمياح Nehemiah .

ولايات آسيا الصغري:

إن التمثال الخاص بكيليكيا التي حكمها السكان المحليون من سيناء Syennesis يظهر الجزية التي كانوا يدفعونها، حيث كانوا يجمعون نحو 500 تالنت، ويبقون نحو 140 تالنت من أجل أجور الحرس من الخيالة، بالإضافة إلي إعطاء حصان أبيض في كل يوم من أيام السنة كهدية، و علي الحدود بين كيليكيا وسوريا تقع بوسيديوم Poseidium التي قال إنها اكتشفت عن طريق أمفيلوكس Amphilochus ابن أمفاريوس Amphiaraus ، وهو تعريف مبكر لإله من المحليين في كيليكيا عند هؤلاء الإغريق، وأن كاباكوديا Cappadocia ومن فيها من السوريين قد اندمجت كما فعلت كذلك مارتيندينيان، بافلاجونيا Paphlagonia وتراسيانا الآسيوية، أو ما تسمي ببثيانيان Thracians, Bithynians مع الإغريق الهلينيين Hellespontine .

إن لونيا الثانية السابق ذكرها كانت معروفة لدي الإغريق باسم داسيليوم Dascyleium ، وكانت تلك الولاية الكبيرة تدفع نحو 360 تالنت، أما أونيا Ionia والمحتمل أنها تضم كذلك أهل ماغنسيا Magnsian وأهل ألونيا Aleolian الإغريق، وبالمثل الكاريين Carians واللاسيين Lycians والمالزيين Milyans وأهل بامفيليا Pamphylians والذين لم يلبثوا أن أصبحوا يحكمون ولاية كاركا Karka ، تلك الوحدة الإدارية الواسعة تستطيع أن تقدم 400 تالنت، كذلك فإن 500 تالنت لم تكن كبيرة علي ولاية مثل سارديس Sarkis تضم إلي جانب ليديا من ميسيا، لاسونيا، كابليان وحيجيناي Lydians, Mysians, Lasonians, Cabalians, Hygenians ، وكما أورد هيرودوت (Herodotus) فإن كلاً من أهل ليديا وأهل كاريا وأهل كونيا وأهل ميسيا كانوا يتكلمون اللغة نفسها، ولكنهم لم يكونوا يستخدمون الرموز نفسها بالضبط Lydians, Carians, Caunians, Mysians ، وليس ببعيد منذ أن استبقي الإغريق حروفهم الأبجدية من الفينيقيين من منتصف القرن الثامن، فإن أهل فريجيا Phrygians في المقابل قد استعاروا أبجديتهم من الإغريق الشرقيين.

وقد ترك ميداس الذهبي Midas المناوئ لسارجون الآشوري Sargon أثره في تيانا Tyana بكابادوكيا Cappadocia ، وعلي مقبرته في مدينة ميداس Midas ؛ ولأن لغته كانت هندية أوروبية، فإن الأصوات المتماثلة كان من السهل أن يتم التعبير عنها بالرموز المماثلة، وإلي حد ما بعد ذلك استعار أهل بامفلينا Pamphylians نموذجاً غريباً من الحروف الأبجدية من أجل لغتهم في القوقاز Caucasion ، أو من أجل لغتهم القوقازية، بينما نجد أن القوقازيين الآخرين من الناس كانوا يتبعون أسساً مختلفة، لقد استعاروا تلك الرموز التي تناسب تقريباً أصواتهم، ولكنهم ابتكروا رموزاً جديدة من أجل الحروف المتحركة الكثيرة والمتعددة، وكذلك من أجل الحروف التي تأتي من الأنف التي كانت لغتهم غنية جدًّا بها،

ومن هذه كان أول ما تم توظيفه هو الكارية Carian والتي عُرفت لدينا غالباً عن طريق الأسماء المنحوتة للمرتزقة الذين خدموا مع الستة عشر أسرة الحاكمة في مصر، ومن خلال العملات المعدنية القليلة، ومن خلال النقوش الرسمية منذ العهد الأخميني المبكر.

إن أهل ليديا قد استعاروا وضبطوا الحروف الأبجدية الستة والعشرين من الرودسيين Rodes (أهل جزيرة رودس)، وهي نقوش قليلة من الزهيرات أو الأصص أو من البنايات التي تم تأريخها من الملوك الأصليين، ولكن النقوش الأكثر طولاً جاءت من العهد الأخميني، واحدة من ساردينا Sardis والتي كُتبت في عهد أرتاكسركسيس (Artaxerxes) الثاني وهي ثنائية اللغة، حيث تحوي اللغة الآرامية واللغة اللادية Aramaic, Lydian والتي تساعد في تفسير ما لم يتم فهمه، ولكن حتي الآن لا يمكن الجزم بأن هذه النقوش يمكن قراءتها بحرية.

إن الرموز التسعة والعشرين من ليسيا Lycian تشترك مع ليديا Lydian ، ولكن فقط في الرموز البدائية للأسماء الملكية علي العملات المعدنية والتي تدل علي أنها قد استخدمت منذ وقت مبكر، والنقوش الحقيقية من المائة وخمسة عشر المعروفة الآن يجب أن يتم إرجاعها إلي النصف الأخير من القرن الخامس أو القرن الرابع.

كل هذه النقوش لا زالت في مرحلة التفسير وفك الرموز، والقيمة التي تشير إليها ربما يمكن أن نتعلمها من اللغة الثنائية المختصرة مثل الإغريق والليديين Greek, Lydian ، الإغريقية والليسية Greek, Lycian ، الإغريقية والآرامية Greek, Aramic أو من الترجمات للأسماء الإغريقية والإيرانية، إن هذا يثبت معاني الكلمات القليلة، ويلقي نظرة خاطفة علي التركيب بالنسبة للغة، وبالرغم من الحنين إلي اللغة الهندية الأوروبية، فإنه من المؤكد - ولكن بصورة غير حقيقية- أننا نتعامل مع

لغات قوقازية Caucasian ، ربما أنها تشبه من بعيد الهاليدية Haldian والحيثية الحقيقية Hittite .

إن هذا يمكن إثباته من خلال الاستخدام الكبير للحروف المتحركة الخارجة من الأنف، وكذلك من القيمة المتوسطة لأصوات محددة، مما يؤدي إلي الصعوبة في تقرير متي يمكن أن نترجم الأسماء الأجنبية، إن ذلك يكون أوضح في قواعد اللغة b أم p، q أم t، g أم k وهكذا، ولا زال من الواضح أنه في قواعد اللغة إذا كان يمكن أن نسميها قواعد لغة، حيث إن الغرور في رأينا غير موجود، ولا يوجد جنس، ولكن هناك تمييز بين التشجيع وعدم التشجيع، وكذلك هناك فروق واضحة يمكن أن تختلف حسب حالتنا النفسية المعتادة، وذلك زمن الفعل.

إن هيرودوت (Herodotus) يستشهد ببعض الخصوصية للكنعانيين Caunians ، والتي تختص بهذه المجموعة من الناس، حيث إنهم قد اشتهروا بأن متعتهم المفضلة هي في مباريات الشراب، الرجال والنساء والولدان في مجموعات منفصلة في احتفال فضولي في بزاتهم الكاملة يطردون الديانات الأجنبية ويضربون الهواء بسيوفهم بقوة ويدفعون الآلهة الغريبة خارج حدودهم.

الضريبة المهلكة:

لقد كان هناك نهر مستمر من الفضة يتدفق إلي الداخل، وذلك من الولايات المختلفة قدرها هيرودوت (Herodotus) بنحو 9880 تالنت إيبوني يمكن اختصارها تقريباً إلي 7600 تالنت بابلية، وبحساب علاقة الذهب بالفضة تكون نحو ثلاثة عشرة إلي واحد، والذهب الخام من الهند يمكن أن يكون نحو 4680 تالنت إيبوتي Eubair قيمة إجمالية تبلغ نحو 14560.

إن التغير الحديث لقيمة الذهب مضافاً إلي صعوبة التغيرات القديمة

جعل من المستحيل حساب الإجمالي من خلال المصطلحات الحديثة، ولكن إذا قلنا مثلاً عشرين مليون دولار، فإن القيمة الشرائية لها تفوق بمراحل هذا الرقم، وذلك يدل علي مدي الثراء الذي كان عليه الملك الفارسي، ولقد كان القليل من هذه القيمة الهائلة يعود إلي حكام الولايات، وكانت العادة أن يتم صهر الذهب والفضة، ثم يتم صبها في آنية، ثم يتم تجزئتها وتخزينها في سبائك، فقد كان دائماً يتم تحويل جزء صغير إلي عملات معدنية؛ وذلك من أجل شراء الجنود الأجانب أو رجال الولايات الأجنبية؛ لهذا فبدلاً من أن يكون البحث عن المعادن النفيسة مجزيًّا في الوقت الحالي، فالإمبراطورية قد نفد منها الذهب والفضة، والوثائق البابلية التي لدينا تشهد بوضوح علي نقص استخدام المعادن الثمينة.

لقد ساعدت القروض علي استمرار الأعمال لفترة، ولكن الحاجة الماسة للفضة الحقيقية من أجل دفع الضرائب جرّت سادة البلاد إلي زيادة عدد الدائنين المحتالين الذين يقرضون المال في مقابل الرهن حتي يتم استرداد المبلغ المقترض، وحيث أصبحت العملات المعدنية نادرة، حيث كانت تختزن بواسطة المحتالين الدائنين، وقد تسبب ذلك في زيادة الديون، وفي تضخمها؛ ولذلك ارتفعت الأسعار بسرعة كبيرة، مما جعل الموقف لا يطاق.

إن التغيرات العنيفة التي أحدثها كسركسيس (Xerxes) ووجدت بندرة في الوثائق البابلية التي أدت إلي الدمار في بابل، والتي ظهرت في الصرامة الشديدة التي يتميزون بها، وذلك في وثائق أخري عديدة أكثر منذ عهد أرتاكسركسيس (Artaxerxes) ، وللمرة الأولي، فإن جزءاً كبيراً من الأرض كان يمتلكها مواطنون إقطاعيون من الفرس، بالرغم أننا من الآن فصاعداً نسمع عن المشاركة والأسهم، بحيث تكون الأرض لا تزال مملوكة لصاحبها الأول.

إن قائمة القضايا تبدو وكأن مع معظمها تشمل الفرس، كذلك فهناك موظفون جُدد يظهرون من خلال الأرقام (غالباً بألقاب فارسية)، وكذلك العاملون لديهم أسماء فارسية (بالرغم من أن الآباء يمكن أن يكون لديهم أسماء بابلية جيدة)، ولكن ذلك - كما هو في الغالب- يظهر في أن التابعيين يكونون عبيداً، لقد أصبحت بابل بصدق عديدة اللغات، حيث إن الأسماء الإيرانية والمصرية والآرامية والعبرية منتشرة بكثرة طبيعيًّا، واهتمامنا في المقام الأول هو بالجالية اليهودية، ولكن الجماعات العرقية الأخري استقرت في منزل التيتانيين Tytions ومنزل السومريين Cimmerians وأمثالهما، ولكن أكثر التغيرات المؤثرة علي الإطلاق كان هو التغير في الضرائب الجديدة التي فرضها الموظفون الجدد، لقد رأينا في برسيبوليس الاستعراض البراق للشعوب الخاضعة وهم يحضرون الهدايا إلي الملك دارا (Darius) وكسركسيس (Xerxes) في احتفالات العام الجديد، بينما تظهر لنا الوثائق البابلية صورة مضادة، حيث إن الهدايا التي تقدم لبيت الملك تضاف بالطبع إلي عبء الديون الأخري، وبذلك تضاف إلي الإجمالي؛ لذا فإننا يمكن أن نجد أناساً من الذين يأخذون الرهن يقترضون المال من أجل تسديد الضرائب، ومن أجل الهدايا، ويصل ذلك إلي نحو 40% في السنة، ومن هؤلاء الذين كان يقومون بالتسليف عائلة خوراشو Murashu من نيبور Nipur والذين توجد المستندات والمحفوظات الدالة عليهم، وقد كانت الأراضي التي يحصلون عليها كرهن يتم العمل فيها عن طريق المقترضين حتي يقوموا بتسديد الفوائد المترتبة علي الدين، وبعد ذلك تعود بالكامل إلي أصحابها الأصليين، وأحياناً عندما كان أصحاب الأرض الأصليون يفشلون في تسديد الديون والفوائد المستحقة عليهم، فإن أرضهم تذهب إلي أرض الولاية، ولكن الموظفين الفاسدين كانوا يعطون تلك الأرض من قام بإعطاء القرض، وبذلك كان أصحاب الأرض الأصليين يفقدون أراضيهم.

لذلك فإننا لا نجد من السكان الأصليين من يملك أرضاً فارسية إلا من هم معفون من تلك الضرائب المهلكة؛ ولذلك فإن النتيجة الظاهرة هي أن كل تلك الفترة كانت ممتلئة بقصص العديد من الثورات لهؤلاء الخاضعين المقهورين.

شرايين الإمبراطورية:

حتي وقت ما، كانت الولايات التي لم تتأثر بما سبق محكومة بإدارة ذات كفاءة عالية وجيش قوي، وأحد أقوي العوامل في هذا النظام من القمع كان التقسيم الذكي الأنجاريوني Angareion - كما يسميه الفرس- حيث إن الأخبار كانت تنتشر عبر الإمبراطورية في جميع الاتجاهات، فكان كل مراسل يأخذ معه حصانين؛ واحد يستمر في السير ليلاً ونهاراً مهما كانت حالة الجو، وبذلك فإن البريد أبقي العاصمة علي اتصال مع كل الأجزاء البعيدة عن الإمبراطورية، وقد كانوا يتبعون طرق سفر جيدة، ويمكننا أن نطلق عليها - أحياناً- «طرق»، حيث إن الآشوريين قد عبدوا الطرق والمعالم علي الأقل بالقرب من المدن، وليس هناك من دليل علي أن الفرس قد تبعوا الآشوريين في ذلك لكي يربطوا بين المقاطعات الملكية وبين البلاط الملكي.

ولكن لا تزال هناك بعض الوثائق الرسمية يصف لنا منها هيرودوت (Herodotus) الطرق الملكية، حيث كانت خالية من قطاع الطرق، وكانت تحوي أماكن جميلة كاستراحات لقضاء الليل ومحطات البريد من أجل الحصول علي جياد نشيطة غير مُجهدة، وذلك مثل خطوط الرحلة المماثلة علي طول الإمبراطورية من الطرق الجنوبية إلي الشرق، والتي استخدمها زينوفون Xenophon مثل محطات بارثيا (إيسيدو Isidore) من تشاراكس Charax ، والتي استمرت بعد ذلك خلال الدولة الرومانية، وكانت هناك عدة فراسخ بين كل محطة استراحة وغيرها، وقد افترض

هيرودوت (Herodotus) عدد تلك الفراسخ بنحو 30 فرسخاً أي نحو 21/2 مـيلاً - في الحقيقة- مثل الفرسخ الحديث، وهي تساوي المسافة التي يسافرها المـرء عـلي قدميه في ساعة من الزمن، وتقديره لمتوسط رحلة اليوم يبلغ نحو 150 أو أقل مـن 19 ميلاً، وهذا ليست فيه مبالغة كبيرة.

من ساردیس Sardis ، ومع اتصالها بسـاحل أجيـان Aegean يمتـد الطريـق خلال ليديا وفريجيا Lydia, Phrygia وحتي نهر هاليس Halys علي 20 مرحلة في نحو 941/2 فرسخاً (أي نحـو 236 مـيلاً)، وهـذا لمسـافة قريبـة جـدًّا مـن المسـافة الحقيقية، وقد كان هناك ممر ضيق قبل عبور النهر يحرسه حصان قوي فيما يبدو أنه عند الجسر القديم الذي أصبح غير مستخدم الآن، ومن هـاليس Halys يقطـع الطرق كابادوكيا Cappadocia عن طريق حلقة كبيرة، والذي علمنا منه - بالنسبة للحقيقة التاريخية- أن مركـز الطريـق هـو عاصـمة حيتيـت Hittite ، ويصـل إلي حدود كيليكيا Cilician ، حيث يوجـد ممـران ضـيقان يحمـيهما حصـانان قويـان، هكذا بوضوح يصف بوابات كيليكيا، ولكن المسافة المقطوعة تبلغ نحو 28 مقياساً، أي نحو 104 فراسخ، أي نحو 260 ميلاً، وهذا غير منطقي وغير ممكن.

ليست هناك تعقيدات أكـثر في تضـاريس المنطقـة أكـثر مـن الجـزء السـابق، وحتـي الآن فـإن المسـافة الحقيقيـة تبلـغ نصـف هـذه القيمـة فقـط، وبالنسـبة لهـيرودوت (Herodotus) فـإن الطريـق يمـر مـن خـلال كيليكيـا فقـط في نحـو 3 مقاييس، أي نحو 151/2 فرسخاً، أي ما يساوي 38 ميلاً، وهي ليست تماماً المسـافة خلال التضاريس السهلة المستوية من كيليكيا إلي بوابات أمانوس Amonus .

ويجب علينا الآن أن نتوقع أن نكمل الطريـق خـلال شـمال سـوريا وميسوبوتاميا Mesopotamia ، ولكننا بدلاً من ذلك سوف نعـبر حـدود

كيليكيا وأرمينيا في إيوفراتس Euphrates ، وهذا مستحيل، حيث إن كيليكيا لم تمتد مطلقاً حتي تصل إلي إيوفراتس التي تنفصل عنها، ولكننا الآن نلاحظ ما حدث، إن هيرودوت (Herodotus) قد تابع الموقع في مازاكا Mazaca ، وبعد ذلك من كازاريا Caesarea في كابادوكيا الطريق المتقاطع إلي الطريق الشمالي، والذي سلكه قورش Cyrus الأصغر، ثم أكمل حتي وصل إلي بوابات أمانيوس، ثم عاد أدراجه إلي الطريق الرئيس والذي يقطع إيوفراتس خلف ميليتن Melitene ، إن هذا هو الاتحاد بين الطريقين، والذي أعطي ذلك الطول الذي ذكره هيرودوت (Herodotus) وهو 260 ميلاً.

إن الطريق الملكي يمر خلال الركن الجنوبي الغربي من أرمينيا في نحو 15 طولاً، أي نحو 561/2 فرسخاً، وحتي حاربوت Elaziz- Harpote ، ثم بعد ذلك جنوباً عبر ممرين مرتفعين خلال خط الحاجز مع مناظر خلابة للجليد في بحيرة جوليك Lake Goljik ، والحصن من المحتمل أن يكون في الممر الرئيس، بعد ذلك هناك الطريق الممتد خلال ماتين Matiene نحو 34 طولاً، أي نحو 137 فرسخاً، حيث يجب أن نعبر أربعة أنهار؛ الأول هو تيجرس Tigris والذي يأتي من أرمينيا، والثاني هو تيجرس الغربي West Tigris الذي ينبغ من نفق صخري ويعبر خط الحاجز خلال مشهد بري إلي أميدادياربكر Amidadyarbekir ، حيث يقطع الطريق النهر، ومن هنا يتبع الضفة الشمالية حتي يلتقي غرب تيجرس مع الفرع الشرقي الذي منبعه في ماتين جنوب غرب بحيرة فان Lake Van ، ثم تيجرس الثالث وهو الزاب العلوي Zab ، والذي ربما يخطئ المسافرون ويعتبرونه فرعاً آخر، والذي يمكن أن نعبره في أربيلا Arbela التي كانت عاصمة آشور لبعض الوقت، بعد ذلك فإن النهر التالي الذي نعبره هو ديالا، وبعد ذلك هناك رحلة أخري خلال الأراضي الشيشانية Cissian (نحو 421/2 فرسخاً) تأتي بالمسافر إلي تشوبس Choaspes وصوصا

Susa ، وبه قصر ميمونيـا Memmonian ، عنـد هـذه النقطـة ينهـي هـيرودوت (Herodotus) حساباته للطريق.

أخيراً أعطي كاتسياس الطريق الشرقي الغربي بكل مـن إيفيسـوس Ephesus إلي باكتريا Bactria والهند India ولكن ذلك قد تـم نقـده، وقـد أعطـي زينوفـون (Xenophon) فرعاً مهماً في الجنوب، والذي يمر خلال آسيا الصـغري، وينحـدر إلي كيليكيا، ويقطع شمال سوريا، ثم يمر إلي الأسفل خلال إيـوفراتس نحـو بابـل وعـبر السهل إلي صوصا، والذي عنـده يمكـن أن نضـيف الامتـداد الجنـوبي خـلال سـوريا وفلسطين إلي مصر، بذلك نكون قد سجلنا الشرايين الرئيسة للإمبراطوريـة الفارسـية كطرق مهمة للتجارة في الإمبراطورية.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات